

# زَادُ الْمَسِيرِ

في  
عِلْمِ التَّفْسِيرِ

تأليف

الامام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي

٥٠٨ - ٥٩٧ هـ

الجزء السادس

المكتب الإسلامي

حقوق الطبع محفوظة

للمكتب الإسلامي

لصاحبه

زهير الشاويش

الطبعة الثالثة

١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

المكتب الإسلامي

بيروت: ص.ب ١١/٣٧٧١ - هاتف ٤٥٠٦٣٨ - بريقياً: اسلامياً

دمشق: ص.ب ٨٠٠ - هاتف ١١١٦٣٧ - بريقياً: اسلامياً

## سورة النور

### بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ . الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيَشْهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ . الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾

وهي مدنية كلها باجماعهم

روى أبو عبد الله الحاكم في « صحيحه » من حديث عائشة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لَا تُنْزَلُ لَهُنَّ الْعُرُفُ وَلَا تُعَلِّمُوهُنَّ الْكِتَابَةَ ، وَعَلِّمُوهُنَّ الْمُغْزَلَ <sup>(١)</sup> وَسُورَةُ النُّورِ <sup>(٢)</sup> » ، يعني : النساء .

(١) في الأصل : وعلموهن الغزل ، والتصحيح من « المستدرك » ، للحاكم الذي نقل عنه المؤلف .

(٢) رواه الحاكم في « المستدرك » ، ٣٩٦/٢ وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ، ولم يخرجاه ، وتعبه الذهبي فقال : قلت : بل موضوع ، وآفته عبد الوهاب بن الضحاك ، قال أبو حاتم : —

قوله عز وجل : ( سورة ) قرأ الجمهور بالرفع . وقرأ أبو دزین العقيلي ، وابن أبي عبة ، وعجوب عن أبي عمرو : « سورة » بالنصب . قال أبو عبيدة : من رفع ، فعلى الابتداء . وقال الزجاج : هذا قبيح ، لأنها نكرة ، و ( أنزلناها ) صفة لها ، وإنما الرفع على إضمار : هذه «سورة» ، والنصب على وجهين ، أحدهما على معنى : أنزلنا سورة ، وعلى معنى : أنزل سورة .

قوله تعالى : ( وفرضناها ) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو بالتشديد . وقرأ ابن مسعود ، وأبو عبد الرحمن السلمي ، والحسن ، وعكرمة ، والضحاك ، والزهري ، ونافع ، وابن عامر ، وعاصم ، وحمة ، والكسائي ، وأبو جعفر ، وابن يعمر ، والأعمش ، وابن أبي عبة بالتخفيف . قال الزجاج : من قرأ بالتشديد ، فعلى وجهين ، أحدهما : على معنى التكرير ، أي : إنا فرضنا فيها فروضاً ، والثاني : على معنى : يئسنا وفصلنا ما فيها من الحلال والحرام ؛ ومن قرأ بالتخفيف ، فعناه : ألزمتكم العمل

— كذاب ، وهذا الخبر رواه أيضاً ابن حبان في « صحيحه » ، وفي سنده محمد بن إبراهيم الشامي ، وهو منكر الحديث ومن الوضاعين ، وقد ذكر المصنف هذا الحديث في « الملل المتأهية في الأحاديث الواهية » ، وقال : لا يصح ، محمد بن إبراهيم الشامي كان يضع الحديث ، وقد ألف العلامة المحدث شمس الحق العظيم آبادي رسالة سماها « عقود الجنان في جواز تعليم الكتابة للنسوان » ، طبعها المكتب الإسلامي ، ذكر فيها مؤلفها أن القول المحقق جواز تعليم الكتابة للنسوان ، وذكر أحاديث عدم الجواز ، منها حديث الحاكم ، وابن حبان ، اللذين تقدم ذكرهما ، وغيرها ، ونقل أقوال العلماء فيها ، ثم قال : وأحاديث النهي عن الكتابة كلها من الأباطيل والموضوعات ، ولم يصحح العلماء واحداً منها ، ماعدا الحاكم أبو عبد الله ، وتساهله في التصحيح معروف ، وتصحيحه متعقب عليه ، ولا يؤخذ كلامه في التصحيح إلا إذا وافق الحفاظ الآخرون في تصحيحه ، ثم قال : وخلاصة الكلام أنه لا ريب في جواز تعليم الكتابة للنساء باللغات المشتبهة — بأن بواسطة النساء الأخريات ، أو بواسطة عمارهن ، أما البنات غير البالغات وغير المشتبهات فيعلمن من شئن . ومن أراد الزيادة في ذلك ، فليرجع إلى رسالة « عقود الجنان في جواز تعليم الكتابة للنسوان » ، فإن المؤلف وفي الموضوع حقه فيها .



بما فُرض فيها . وقال غيره : مَنْ شَدَّدَ ، أَرَادَ : فَصَّلْنَا فَرَائِضَهَا ، وَمَنْ خَفَّفَ ، فَمَعْنَاهُ : فَرَضْنَا مَا فِيهَا .

قوله تعالى : ( الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي ) القراءة المشهورة بالرفع . وقرأ أبو رزین العقيلي ، وأبو الجوزاء ، وابن أبي عجلة ، وعيسى بن عمر : « الزَّانِيَةُ » بالنصب . واختار الخليل وسيديويه الرفع اختصاراً أكثرين . قال الزجاج : والرفع أقوى في العربية ، لأنَّ معناه : مَنْ زَنَى فَاجْلِدُوهُ ، فتأويله الابتداء ، ويجوز النصب على معنى : اجلدوا الزَّانِيَةَ . فأما الجَلْدُ ، فهو ضرب الجَلْدِ ؛ يقال : جَلَدَهُ : إِذَا ضَرَبَ جِلْدَهُ ، كما يقال : بَطَنَهُ : إِذَا ضَرَبَ بَطْنَهُ .

قال المفسرون : ومعنى الآية : الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي إِذَا كَانَا مُحَرَّمَيْنِ بِالْعَيْنِ بِكُرَّيْنِ ، ( فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ) .

### ﴿ فصل ﴾

قال شيخنا علي بن عبيد الله : هذه الآية تقتضي وجوب الجَلْدِ عَلَى الْبِكْرِ وَالثَّيِّبِ . وقد روي عن رسول الله ﷺ في حق البكر زيادة على الجَلْدِ بتغريب عام ، وفي حق الثَّيِّبِ زيادة على الجلد بالرجم بالحجارة . فروى عبادة بن الصامت عن رسول الله ﷺ أنه قال : « الْبِكْرُ بِالْبِكْرِ جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ ، وَالثَّيِّبُ بِالْثَّيِّبِ جَلْدُ مِائَةٍ وَرَجْمُ بِالْحِجَارَةِ » <sup>(١)</sup> . وممن قال بوجوب النَّفْيِ فِي حَقِّ الْبِكْرِ

(١) رواه أحمد في « المسند » : ١٣/٥ ، ومسلم : ١٣١٦/٣ ، وأبو داود رقم (٤٤١٥) ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ، كلهم من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، ولفظه عند مسلم : عَنْ عَبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « خَذُوا عَنِّي ، خَذُوا عَنِّي ، قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِمَنْ سَبَّلَا ، الْبِكْرَ بِالْبِكْرِ جَلْدَ مِائَةٍ وَنَفْيَ سَنَةٍ ، وَالثَّيِّبَ بِالْثَّيِّبِ جَلْدَ مِائَةٍ وَالرَّجْمَ » . قال ابن كثير : وللهام في تفصيل وزاع ، فإن الزَّانِي لَا يَخْلُو ، إِمَّا أَنْ يَكُونَ بَكْرًا ، وَهُوَ الَّذِي لَمْ يَتَزَوَّجْ ، أَوْ مُحْصَنًا ، وَهُوَ الَّذِي قَدْ وَطِئَ فِي نِكَاحٍ صَحِيحٍ وَهُوَ حُرٌّ بَالِغٌ عَاقِلٌ ، —

أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وابن عمر، ومن بعدهم عطاء، وطاووس، وسفيان، ومالك، وابن أبي ليلى، والشافعي، وأحمد، وإسحاق، ومن قال بالجمع بين الجلد والرجم في حق النبي علي بن أبي طالب، والحسن البصري، والحسن بن صالح، وأحمد، وإسحاق. قال : وذهب قوم من العلماء إلى أن المراد بالجلد المذكور في هذه الآية : البكر،

فأما إذا كان بكراً لم يتزوج، فإن حده مائة جلدة، كما في الآية، ويزاد على ذلك أن يغرب عاماً عن بلاده عند جمهور العلماء، خلافاً لأبي حنيفة رحمه الله، فإن عنده أن التغريب إلى رأي الاسم، إن شاء الله غرب، وإن شاء لم يغرب. وحجة الجمهور في ذلك ثابت في «الصحيحين» عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني في الأعرابيين الذين أتوا رسول الله ﷺ، فقال أحدهما : يا رسول الله، إن ابني هذا كان غيباً (يعني أجيراً) على هذا، فزني بامرأته، فافتدت ابني منه بمائة شاة ووليدة، فسألت أهل العلم، فأخبروني أن على ابني جلد مائة وتغريب عام، وأن على امرأة هذا الرجم، فقال رسول الله ﷺ : «والذي نفسي بيده لأفصين بينكما بكتاب الله تعالى، الوليدة وانعم رد عليك، وعلى ابنك مائة جلدة وتغريب عام، واغد يا أنيس (رجل من أسلم) إلى امرأة هذا، فإن اعترفت فارجمها» ففدا عليها فاعترفت فرجمها، قال : وفي هذا دلالة على تغريب الزاني مع جلد مائة إذا كان بكراً لم يتزوج.

وقال ابن كثير أيضاً : وأما إذا كان محصناً وهو الذي قد وطئ في نكاح صحيح وهو حر بالغ عاقل، فإنه يرجم، وذلك للأحاديث الواردة في «الصحيحين» وغيرها في الرجم، ثم قال : وقد أمر رسول الله ﷺ بوجع هذه المرأة وهي زوجة الرجل الذي استأجر الأجير لما زنت مع الأجير، قال : ورجم رسول الله ﷺ ماعزاً، والغامدية، وكل هؤلاء لم ينقل عن رسول الله ﷺ أنه جلد قبل الرجم، وإنما وردت الأحاديث الصحيحة المتعاضدة المتعددة الطرق والألفاظ بالاعتصار على رجمهم، وليس فيها ذكر الجلد، ولهذا كان هذا مذهب جمهور العلماء، وإليه ذهب أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، رحمهم الله. وذهب الإمام أحمد رحمه الله إلى أنه يجب أن يجمع على الزاني المحصن بين الجلد للآية، والرجم للسنة، كما روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما أتى بسراجة وكانت قد زنت وهي محصنة، فجلدها يوم الخميس، ورجمها يوم الجمعة، فقال : جلدها بكتاب الله، ورجمها بسنة رسول الله ﷺ. قال الإمام النووي في «شرح مسلم» ١٨٩/١١ : وقال جماهير العلماء : الواجب الرجم وحده، ثم قال : قالوا : وحديث الجمع بين الجلد والرجم (وهو حديث عبادة المتقدم) منسوخ، فإنه كان أول الأمر . اهـ .

فأما الثَّيِّب ، فلا يجب عليه الجَلْد ، وإنما يجب الرِّجْم ، روي عن عمر ، وبه قال  
الزُّهري والزهري والأوزاعي والثوري وأبو حنيفة ومالك ، وروي عن أحمد رواية  
مثل قول هؤلاء .

قوله تعالى : ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ ) وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي ، وأبو رزين ،  
والضحاك ، وابن يعمر ، والأعمش : « يَاْخُذْكُمْ » بالياء ، ( بهما رَأْفَةٌ )  
قرأ نافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وعاصم ، وحزمة ، والكسائي : « رَأْفَةٌ »  
بشكأن الهمزة . وقرأ أبو المنوكل ، ومجاهد ، وأبو عمران الجوني ، وابن كثير :  
بفتح الهمزة وقصرها على وزن رَعْفَةٍ . وقرأ سعيد بن جبير ، والضحاك ، وأبو رجاء  
الطاردي : « رَأْفَةٌ » مثل سَامَةٍ وكَاثِبَةٍ .

وفي معنى الكلام قولان .

أحدهما : لا تأخذكم بهما رَأْفَةٌ ، فتخففوا الضرب ، ولكن أوجموها ، قاله  
سعيد بن المسيب ، والحسن ، والزهري ، وقتادة .  
والثاني : لا تأخذكم بهما رَأْفَةٌ فتعطّلوا الحدود ولا تقيموها ، قاله مجاهد ،  
والشَّعبي ، وابن زيد في آخرين .

### ❦ فصل ❦

واختلف العلماء في شدة الضرب في الحدود ، فقال الحسن البصري : ضرب  
الزَّنا أشد من القذف ، والقذف أشد من الشُّرب ، وبُضْرِب الشارب أشد  
من ضرب التعزير ، وعلى هذا مذهب أصحابنا . وقال أبو حنيفة : التعزير أشد  
الضرب ، وضرب الزَّني أشد من ضرب الشارب ، وضرب الشارب أشد من  
ضرب القذف . وقال مالك : الضرب في الحدود كلِّها سواء غير مبرِّح .

## ❦ فصل ❦

فأما ما يُضرب من الأعضاء ، فنقل الميموني عن أحمد في جلد الزاني ، قال :  
 يجرّد ، ويمطى كل عضو حقّه ، ولا يضرب وجهه ولا رأسه . ونقل يعقوب  
 ابن بختان <sup>(١)</sup> : لا يُضرب الرأس ولا الوجه ولا المذاكير ، وهو قول أبي حنيفة . وقال  
 مالك : لا يُضرب إلا في الظهر . وقال الشافعي : يُتقى الفرج والوجه .  
 قوله تعالى : ( في دين الله ) فيه قولان .

أحدهما : في حكمه ، قاله ابن عباس . والثاني : في طاعة الله ، ذكره الماوردي .  
 قوله تعالى : ( ولتشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ) قال الزجاج : القراءة  
 بأسكان اللام ، ويجوز كسرهما . والمراد بعذابهما ضربهما .  
 وفي المراد بالطائفة هاهنا خمسة أقوال .

أحدها : الرجل فافوقه ، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس ، وبه قال  
 مجاهد . وقال النخعي : الواحد طائفة .

والثاني : الاثنان فصاعداً ، قاله سعيد بن جبير ، وعطاء ؛ وعن عكرمة  
 كالمقولين . قال الزجاج : والقول الأول على غير ما عند أهل اللغة ، لأن الطائفة  
 في معنى جماعة ، وأقل الجماعة اثنان .

والثالث : ثلاثة فصاعداً ، قاله الزهري .

والرابع : أربعة ، قاله ابن زيد .

والخامس : عشرة ، قاله الحسن البصري .

---

(١) هو يعقوب بن اسحاق بن بختان ، أبو يوسف ، سمع من الإمام أحمد ، ترجمته في

قوله تعالى : ( الزاني لا ينكح إلا زانية ) قال عبد الله بن عمرو : كانت امرأة تسافح ، وتشرط للذي يتزوجها أن تكفيه النفقة فأراد رجل من المسلمين أن يتزوجها ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ ، فنزلت هذه الآية <sup>(١)</sup> . وقال عكرمة : نزلت في بنينا ، كُنَّ بمكة ، ومنهن تسع صواحب رايات ، وكانت يوتهن تسمى في الجاهلية : المواخير ، ولا يدخل عليهن إلا زانٍ من أهل القبلة ، أو مشرك من أهل الأوثان ، فأراد ناس من المسلمين نكاحهن ، فنزلت هذه الآية <sup>(٢)</sup> . قال المفسرون : ومعنى الآية : الزاني من المسلمين لا يتزوج من أولئك البنات إلا زانية ( أو مشركة ) لأنهن كذلك كن ( والزانية ) منهن ( لا ينكحها إلا زانٍ أو مشرك ) <sup>(٣)</sup> ، ومذهب أصحابنا أنه إذا زنى بامرأة ، لم يجز له أن يتزوجها إلا بعد التوبة منها <sup>(٤)</sup> .

(١) رواه أحمد في « المسند » ، والنسائي ، والطبري ، والحاكم وصححه ، وذكره السيوطي في « الدر » : ١٦/٥ وزاد نسبه لعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، والبيهقي في « منته » ، وأبي دارد في « ناسخه » .

(٢) ذكره بنحوه الطبري عن ابن عباس .

(٣) قال ابن جرير الطبري ٧٥/١٨ : وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال : عني بالنكاح في هذا الموضع : الوطء ، وأن الآية نزلت في البنات اللواتي ذوات الرابات ، وذلك لقيام الحجة على أن الزانية من المملكات حرام على كل مشرك ، وأن الزاني من المسلمين حرام عليه كل مشركة من عبدة الأوثان ، فعلوم إذا كان ذلك كذلك ، أنه لم يثن بالآية أن الزاني من المؤمنين لا يقد عقد نكاح على عفيفة من المملكات ، ولا ينكح إلا زانية أو مشركة ، وإذا كان ذلك كذلك ، فيبين أن معنى الآية : الزاني لا يزني إلا بزانية لا تستحل الزنا ، أو بمشركة تستحلها . اهـ .

(٤) قال ابن كثير : ومن هاهنا ذهب الامام أحمد بن حنبل رحمه الله إلى أنه لا يصح العقد من الرجل العفيف على المرأة البغي مادامت كذلك حتى تستتاب ، فإن تاب ، صح العقد عليها ، وإلا فلا ، وكذلك لا يصح تزويج المرأة الحرة العفيفة بالرجل الفاجر المسافح حتى يتوب توبة صحيحة ، لقوله تعالى : ( وحرّم ذلك على المؤمنين ) . اهـ .

قوله تعالى : ( وَحُرِّمَ ذَلِكَ ) وقرأ أبي بن كعب ، وأبو المتوكل ، وأبو الجوزاء : « وَحُرِّمَ اللَّهُ ذَلِكَ » بزيادة اسم الله عز وجل مع فتح حروف « حُرِّمَ » . . . وقرأ زيد بن علي : « وَحُرِّمَ ذَلِكَ » بفتح الحاء وضم الراء مخففة . ثم فيه قولان . أحدهما : أنه نكاح الزواني ، قاله مقاتل . والثاني : الزنا ، قاله الفراء .

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

قوله تعالى : ( وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ) شرائط الإحصان في الزنا الموجب للرجم عندنا أربعة : البلوغ ، والحريّة ، والعقل ، والوطء في نكاح صحيح . فأما الإسلام ، فليس بشرط في الإحصان ، خلافاً لأبي حنيفة ، ومالك . وأما شرائط إحصان القذف فأربع : الحرية ، والإسلام ، والعفة ، وأن يكون المقدوف ممن يجامع مثله . ومعنى الآية : يرمون المحصنات بالزنا ، فاكتمى بذكره المتقدم عن إعادته . ( ثم لم يأتوا ) على ما رموه من به ( بأربعة شهداء ) عدول يشهدون أنهم رأوه يفعلن ذلك ( فاجلدوهم ) يعني القاذفين .

### ﴿ فصل ﴾

وقد أفادت هذه الآية أن على القاذف إذا لم يُقم البيّنة الحدّ وردّ الشهادة وثبوت الفسق . واختلفوا هل يُحكم بفسقه وردّ شهادته بنفس القذف ، أم بالحدّ ؟ فعلى قول أصحابنا : إنه يُحكم بفسقه وردّ شهادته إذا لم يُقم البيّنة ، وهو قول

الشافعي . وقال أبو حنيفة ، ومالك : لا يُحْكَمُ بفسقه ، وتقبل شهادته ما لم يُقَمَّ  
الحدُّ عليه .

### ❦ فصل ❦

والنعريض بالقذف - كقوله لمن يخاصمه : ما أنت بزانٍ ، ولا أمك زانية -  
يوجب الحدَّ في المشهور من مذهبنا . وقال أبو حنيفة : لا يوجب الحدَّ . وحدُّ  
العبد في القذف نصف حدِّ الحرِّ ، وهو أربعون ، قاله الجماعة ، إلا الأوزاعي فإنه  
قال : ثمانون . فأما قاذف المجنون ، فقال الجماعة : لا يُحدُّ . وقال الليث : يُحدُّ .  
فأما الصبيِّ ، فإن كان مثله يجامع أو كانت صبيَّةً مثلها يجامع ، فعلى القاذف الحدُّ .  
وقال مالك : يُحدُّ قاذف الصبيَّة التي يجامع مثلها ، ولا يُحدُّ قاذف الصبيِّ .  
وقال أبو حنيفة ، والشافعي : لا يُحدُّ قاذفها . فإن قذف رجل جماعةً بكلمة واحدة ،  
فعليه حدُّ واحد ، وإن أفرد كلَّ واحد بكلمة ، فعليه لكل واحد حدٌّ ، وهو قول  
الشعبي ، وابن أبي ليلى ؛ وقال أبو حنيفة وأصحابه : عليه حدٌّ واحد ، سواء  
قذفهم بكلمة أو بكلمات .

### ❦ فصل ❦

وحدُّ القذف حقٌّ لآدمي ، يصح أن يبرىء منه ، ويفقو عنه . وقال أبو حنيفة :  
هو حقٌّ لله . وعندنا [ أنه ] لا يستوفى إلا بمطالبة المقذوف ، وهو قول الأكثرين .  
وقال ابن أبي ليلى : يحدُّه الإمام وإن لم يطالب المقذوف .

قوله تعالى : ( إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا ) أي : من القذف ( وأصلحوا ) قال ابن عباس :  
أظهروا التوبة ؛ وقال غيره : لم يعودوا إلى قذف المخلصات .

وفي هذا الاستثناء قولان .

أحدهما : أنه نسخ حد القذف وإسقاط الشهادة مما ، وهذا قول عكرمة ،  
والشعبي ، وطاووس ، ومجاهد ، والقاسم بن محمد ، والزهري ، والشافعي ، وأحمد .  
والثاني : أنه يعود إلى الفسق فقط ، وأما الشهادة . فلا تُقبل أبداً ، قاله  
الحسن ، وشريح ، وإبراهيم ، وقتادة . فعلى هذا القول انقطع الكلام عند قوله :  
« أبداً » ؛ وعلى القول الأول وقع الاستثناء على جميع الكلام ، وهذا أصح ، لأن  
المتكلم بالفاحشة لا يكون أعظم جرماً من رآكبها ، فإذا قبلت شهادة المذنب  
بعد ثبوته ، فالراي أيسر جرماً ، وليس القاذف بأشدَّ جرماً من الكافر ، فإنه إذا  
أسلم قبلت شهادته <sup>(١)</sup> .

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا  
أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ .

(١) قال ابن كثير : واختلف العلماء في هذا الاستثناء ، هل يعود إلى الجملة الأخيرة فقط ،  
فترفع التوبة الفسق فقط ، ويبقى مردود الشهادة دائماً وإن تاب ، أو يعود إلى الجملتين الثانية  
والثالثة ؛ وأما الجدل فقد ذهب واقتضى سواء تاب أو أصر ولا حكم له بعد ذلك بخلاف .  
قال : فذهب الامام أحمد ، ومالك ، والشافعي إلى أنه إذا تاب قبلت شهادته ، وارتفع عنه حكم الفسق ،  
ونص عليه سعيد بن المسيب سيد التابعين وجماعة من السلف أيضاً . وقال الامام أبو حنيفة : إنما  
يعود الاستثناء إلى الجملة الأخيرة فقط ، فيرتفع الفسق بالتوبة ، ويبقى مردود الشهادة أبداً ،  
قال : ومن ذهب إليه من السلف ، القاضي شريح ، وإبراهيم النخعي ، وسعيد بن جبير ، ومكحول ،  
وعبد الرحمن بن زيد بن جابر . وقال الشعبي والضحاك : لا تقبل شهادته وإن تاب ، إلا أن  
يعترف على نفسه أنه قد قال البهتان ، فحينئذ تقبل شهادته ، والله أعلم . اهـ .



وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ . وَيَدْرُؤُا  
عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ .  
وَالْخَامِسَةُ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ . وَلَوْ لَا  
فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١١﴾

قوله تعالى : ( والذين يرمون أزواجهم ) سبب نزولها أن هلال بن أمية  
وجد عند أهله رجلاً ، فرأى بعينه وسمع بأذنه ، فلم يُهجنه حتى أصبح ، ففدا على  
رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله : إني جئت أهلي ، فوجدت عندها رجلاً ،  
فرايت بعيني وسمعت بأذني ، ففكره رسول الله ﷺ ما جاء به ، واشتد عليه ، فقال  
سمعد بن عباد : الآن يضربُ رسولُ الله ﷺ هلالاً ويُبطل شهادته ، فقال هلال :  
والله إني لأرجو أن يجعل الله لي منها مخرجاً ، فوالله إن رسول الله ﷺ يريد  
أن يأمر بضربه [ إذ ] نزل عليه الوحي ، فنزلت هذه الآية ، رواه عكرمة عن  
ابن عباس <sup>(١)</sup> . وفي حديث آخر أن الرجل الذي قذفها به شريك بن سحابة ،  
وأن رسول الله ﷺ قال لهلال حين قذفها : « ائمني بأربعة شهداء ، وإلا فخذ  
في ظهرك » ، فنزلت هذه الآية <sup>(٢)</sup> ، فنُسخ حكم الجلد في حق الزوج القاذف .

(١) رواه أحمد في د المسند ، وهو في الطبري : ٨٢/١٨ ، ٨٣ ، و د أسباب النزول للواحدي :  
١٨٠ . قال ابن كثير : ورواه أبو داود عن الحسن بن علي عن يزيد بن هارون به مختصراً ،  
ثم قال : ولهذا الحديث شواهد كثيرة في الصحاح وغيرها من وجوه كثيرة ، وذكر منها الحديث  
الذي ذكره المصنف بعد هذا . والحديث ذكره السيوطي في د الدر : ٢١/٥ وزاد نسبه لميد الرزاق ،  
والطائلي ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه عن ابن عباس .

(٢) البخاري : ٣٤١/٨ ، والترمذي : ١٤٨/٢ ، وذكره السيوطي في د الدر : ٢٢/٥

وزاد نسبه لابن ماجه .

### ﴿ فصل ﴾

#### في بيان حكم الآية

إذا قذف الرجل زوجته بالزنا، لزمه الحد، وله التخلّص منه بإقامة البيّنة، أو باللّعان، فإن أقام البيّنة لزمها الحد، وإن لاعنها، فقد حقّق عليها الزنا، ولها التخلّص منه باللّعان؛ فإن نكل الزوج عن اللّعان، فعليه حدّ القذف، وإن نكلت الزوجة، لم تحدّ، وحُبست حتى تُتلاعن أو تُقَرَّ بالزنا في إحدى الروايتين، وفي الأخرى: يُخلّص سبيلها. وقال أبو حنيفة: لا يُحدّ واحد منها، ويحبس حتى يُلاعن. وقال مالك، والشافعي: يجب الحدّ على الناكل منها.

### ﴿ فصل ﴾

ولا تصح الملاعة إلا بحضرة الحاكم. فإن كانت المرأة خفيرة، بعث الحاكم من يُلاعن بينها. وصفة اللّعان أن يبدأ الزوج فيقول: أشهد بالله إني لمن الصادقين فيما رميتها به من الزنا، أربع مرات، ثم يقول في الخامسة: ولعنة الله عليه إن كان من الكاذبين، ثم تقول الزوجة أربع مرات: أشهد بالله لقد كذب فيما رمانني به من الزنا، ثم تقول: وغضب الله عليها إن كان من الصادقين. والسنة أن يتلاعنا قياماً، ويقال للزوج إذا بلغ اللعنة: اتق الله فإنها الموجبة، وعذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، وكذلك يقال للزوجة إذا بلغت إلى الغضب. فإن كان بينها ولد، اقتصر نفيه عن الأب إلى ذكره في اللّعان، فيزيد في الشهادة: وما هذا الولد ولدي، وتزيد هي: وإن [ هذا ] الولد ولده.

### ﴿ فصل ﴾

واختلف الفقهاء في الزوجين اللذين يجري بينهما اللعان ، فالمشهور عن أحمد أن كل زوج صح قذفه صح لعانه ، فيدخل تحت هذا المسلم والكافر والحر والعبد ، وكذلك المرأة ، وهذا قول مالك ، والشافعي . وقال أبو حنيفة : لا يجوز اللعان بين الحر والأمة ، ولا بين العبد والحر ، ولا بين الذميين ، أو إذا كان أحدهما ذمياً ؛ ونقل حرب عن أحمد نحو هذا ، والمذهب هو الأول . ولا تختلف الرواية عن أحمد أن فرقة اللعان لاتقع بلعان الزوج وحده . واختلف هل تقع بلعانهما من غير فرقة الحاكم على روايتين . وتحريم اللعان مؤبد ، فإن أكذب الملاحن نفسه لم تحل له زوجته أيضاً ، وبه قال عمر ، وعلي ، وابن مسعود ؛ وعن أحمد روايتان ، أصحها : هذا ، والثانية : يجتمعان بمد التكذيب ، وهو قول أبي حنيفة .

قوله تعالى : ( ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم ) وقرأ أبو المتوكل . وابن يعمر ، والنخعي : « تكن » بالتاء .

قوله تعالى : ( فشهادة أحدهم أربع شهادات ) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وأبو بكر عن عاصم : « أربع » بفتح العين . وقرأ حمزة ، والكسائي ، وحفص عن عاصم : برفع العين . قال الزجاج : من رفع « أربع » ، فالمنى : فشهادة أحدهم التي تدرأ حد القذف أربع ؛ ومن نصب ، فالمنى : فليهم أن يشهد أحدهم أربع .

قوله تعالى : ( والخامسة ) قرأ حفص عن عاصم : « والخامسة » نصباً ، حملاً على نصب « أربع شهادات » .

قوله تعالى : ( أن لعنة الله عليه ) قرأ نافع ، وبقيوب ، والفضل : « أن »

لعنة الله « و « أن غضبُ الله » بتخفيف النون فيها وسكونها ورفع الهاء من « لعنة » والباء من « غضب » ، إلا أن نافعاً كسر الصاد من « غضب » وفتح الباء .  
 قوله تعالى : ( ويدراً عنها ) أي : ويدفع عنها ( العذاب ) وفيه ثلاثة أقوال .  
 أحدها : [ أنه ] الحد . والثاني : الحبس . ذكرهما ابن جرير . والثالث : العار .  
 قوله تعالى : ( ولولا فضلُ الله عليكم ورحمته ) أي : ستره ونعمته . قال الزجاج : وجواب « لولا » هاهنا متروك ؛ والمعنى : لولا ذلك لنال الكاذب منكم عذابٌ عظيم . وقال غيره : لولا فضل الله لبيتن الكاذب من الزوجين فأقيم عليه الحد ، ( وأن الله تواب ) يعود على من رجع عن المعاصي بالرحمة ( حكيم ) فيما فرض من الحدود <sup>(١)</sup> .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا نَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ . لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ . لَوْلَا جَاءُ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ . وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ . إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّنِّكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ

(١) قال ابن جرير الطبري ٨٦/١٨ : يقول تعالى ذكره : ولولا فضل الله عليكم أيها الناس ورحمته بكم ، وأنه عواد على خلقه بلفظه وطوؤه ، حكيم في تدبيره إيام وسياسته لهم ، لما جلكم بالمقوبة على معاصيكم ، وفضح أهل النوب منكم بذنوبهم ، ولكنه ستر عليكم ذنوبكم ، وترك فضيحتكم بها عاجلاً ، رحمةً منه بكم ، وتفضلاً عليكم ، فاشكروا نعمه ، واتقوا عن التقدم مما عنه نهاكم من معاصيه ، وترك الجواب في ذلك اكتفاءً بمعرفة السامع المراد منه . اهـ .

مَالِئِ سَمَاءٍ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسِبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ .  
وَلَوْ لَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ  
هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ . يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ نَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ  
مُؤْمِنِينَ . وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . إِنَّ الَّذِينَ  
يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ  
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ . وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ  
عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿

قوله تعالى : ( إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكَ ) أجمع المفسرون ؛ أن هذه الآية  
وما يتعلق بها بمدحها نزلت في قصة عائشة . وفي حديث الإفك أن هذه الآية  
إلى عشر آيات نزلت في قصة عائشة . وقد ذكرنا حديث الإفك في كتاب  
« الخدائق » وفي كتاب « المغني في التفسير » فلم نطل بذكره ، لأن غرضنا  
اختصار هذا الكتاب ليُحْفَظَ <sup>(١)</sup> . فأما الإفك ، فهو الكذب ، والمُصْبة : الجماعة .

(١) حديث الإفك مشهور ، رواه أحمد في « المسند » ، والبخاري ومسلم في « صحيحيهما » ،  
والترمذي ، وعبد الرزاق ، وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ،  
وابن مردويه ، والبيهقي في « الشعب » عن عائشة رضي الله عنها ، وهو حديث طويل ، وهذه  
الآيات المشر نزلت في شأن عائشة رضي الله عنها حين رماها أهل الإفك والبهتان من المنافقين  
بما قالوه من الكذب البحت والفرية التي غار الله عز وجل لها ولنبيه ﷺ فأزل الله تعالى برامتها  
في القرآن صيانة لمرض الرسول ﷺ ، وكان الذين جأؤا بالإفك عصابة ، يعني ما هو واحد  
ولا اثنان بل جماعة ، والذي تحمل معظم ذلك الاتم والإفك منهم ، هو الذي بدأ بالخوض  
فيه ، وهو عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين ، فانه كان يجمعه ويستوشيه وبذيه  
وبشيمه ، حتى دخل ذلك في أذهان بعض المسلمين ، فتكلموا به ، وجوزه آخرون منهم ، وبقي الأمر  
كذلك قريباً من شهر وعائشة رضي الله عنها تقول : ( فصر جميل والله المستعان على ما تصفون ) —

ومعنى قوله : ( منكم ) أي : من المؤمنين . وروى عروة عن عائشة أنها قالت :  
 هم أربعة : حسان بن ثابت ، وعبد الله بن أبي [ بن سلول ] ، ومسطح بن أثانة ،  
 وخمسة بنت جحش ، وكذلك عددهم مقاتل <sup>(١)</sup> .

قوله تعالى : ( لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ ) قال المفسرون : هذا خطاب لعائشة  
 وصفوان بن المصطلي ، وقيل : لرسول الله ﷺ وأبي بكر وعائشة ؛ والمعنى :  
 إنكم توجرون فيه <sup>(٢)</sup> ، ( لكل امرئ منهم ) يعني : من العصابة الكاذبة ( ما اكتسب  
 من الإثم ) أي : جزاء ما اجترح من الذنوب على قدر خوضه فيه ، ( والذي  
 تولّى كبيره منهم ) قرأ ابن عباس ، وأبورزين ، وعكرمة ، ومجاهد ،  
 وابن أبي عتبة ، والحسن ، ومحبوب عن أبي عمرو ، ويعقوب : « كبيره » بضم

— حتى نزل القرآن براءتها ، فقد رسول الله ﷺ لعائشة : « أبشري فقد أنزل الله براءتك ،  
 وكانت السيدة عائشة الصديقة تقول : « والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحياً  
 ينلى ، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بأمر ينلى ، ولكن كنت أرجو أن  
 يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها » . وقد روى قصة الاذك مطولة  
 الحافظ ابن حجر في فتح الباري : ٣٤٧/٨ - ٣٧٥ ، وابن كثير في التفسير : ٢٦٨/٣ ، وغيرها .  
 (١) وفي صحيح البخاري : ٣٤٣/٨ عن عروة عن عائشة رضي الله عنها : ( والذي  
 تولى كبيره ) ، قالت : عبد الله بن أبي بن سلول . اهـ . وهو الذي بدأ بالخوض فيه ، وأذاعه  
 وأشاعه ، فله عذاب عظيم على ذلك .

(٢) قال ابن كثير : لانهسبوه شرّاً لكم ، أي : يا آل أبي بكر ، بل هو خير لكم ، أي : في  
 الدنيا والآخرة ، لسان صدق في الدنيا ، ورفعة منازل في الآخرة ، وإظهار شرف لهم باعتبار  
 الله تعالى بنائشة أم المؤمنين رضي الله عنها حيث أنزل الله براءتها في القرآن العظيم الذي لا يأتيه  
 الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولهذا لما دخل عليها ابن عباس رضي الله عنه وعنهما وهي  
 في سياق الموت قال لها : أبشري فانك زوجة رسول الله ﷺ ، وكان يحبك ولم يتزوج بكراً  
 غيرك ، ونزلت براءتك من السماء . اهـ .

الكاف . قال الكسائي : وهما لغتان . وقال ابن قتيبة : كبير الشيء : مُعْظَمُهُ <sup>(١)</sup> ،  
ومنه هذه الآية . قال قيس بن الخطيم يذكر امرأة :  
تَنَامُ عن كبير شأنها فإذا قامت رَوَّيْدُ تكاد تَنْتَفِرُ <sup>(٢)</sup>  
وفي التوليبي لذلك قولان .

أحدهما : أنه عبد الله بن أبي ، رواه أبو صالح عن ابن عباس ، وعروة عن  
مائشة ، وبه قال مجاهد ، والسدي ، ومقاتل . قال المفسرون : هو الذي أشاع  
الحديث ، فله عذاب عظيم بالنار . وقال الضحاك : هو الذي بدأ بذلك .  
والثاني : أنه حسَّان <sup>(٣)</sup> ؛ روى الشعبي أن عائشة قالت : ما سمعتُ أحسن  
من شعر حسَّان ، وما تمثلتُ به إلا رجوتُ له الجنة ؛ فقيل : يا أُمُّ المؤمنين ،  
أليس الله يقول : ( والذي تولى كبيره منهم له عذاب عظيم ) ؛ فقالت : أليس  
قد ذهب بصره ؛ وروى عنها مسروق أنها قالت : وأيُّ عذابٍ أشدَّ من العمى ،  
ولعلَّ الله أن يجعل ذلكَ العذابَ العظيمَ ، ذهابَ بصره ، تعني : حسان بن ثابت .

(١) نقل في « اللسان » هذا القول عن ابن السكيت ، وفي « غريب القرآن » :  
( والذي تولى كبيره ) أي : عَظُمته .

(٢) ديوانه : ١٧ ، و « مختار الشعر الجاهلي » : ٥٦٤/٢ ، و « غريب القرآن » :  
٣٠١ ، و « اللسان » ، و « التاج » : كبير ، قال يعقوب : معناه : تتلشى ، وقيل : معناه :  
تتقصص من دقَّة خصرها .

(٣) قال ابن جرير الطبري ٨٩/١٨ : وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال :  
الذي تولى كبره من عصابة الافك ، كان عبد الله بن أبي ، وذلك أنه لا خلاف بين أهل العلم  
بالسير ، أن الذي بدأ بذكر الافك وكان يجمع أهله ويحدِّثهم ، عبد الله بن أبي بن سلول ،  
وفعله ذلك على ما وصفت ، كان تولىه كبير ذلك الأمر . اهـ . وقال ابن كثير ٢٧٢/٣ :  
والأكثر على أن المراد بذلك إغيا هو عبد الله بن أبي بن سلول قبحه الله تعالى وأمنه ،  
وهو الذي تقدم النص عليه في الحديث ، وقال ذلك مجاهد وغير واحد . اهـ .

ثم إن الله عز وجل أنكر على الخائضين في الإفك بقوله : ( لولا إذ سمعتموه ) أي : هلا إذ سمعتم أيثها العُصبة الكاذبة قَذَفَ عائشة ( ظنَّ المؤمنون ) من العُصبة الكاذبة ، وم حسان ومسطح ( والمؤمنات ) وهي : حمنة بنت جحش ( بأنفسهم ) وفيها ثلاثة أقوال .

أحدها : بأمتهم . والثاني : بأخواتهم . والثالث : بأهل دينهم ، لأن المؤمنين كنفس واحدة ، ( وقالوا هذا إفك مبين ) أي : كذب ببين . وجاء في التفسير أن أبا أيوب الأنصاري قالت له أمه : ألا تسمع ما يقول الناس في أمر عائشة ؟ ! فقال : هذا إفك مبين ، أكنت يأمأه فاعلته ؟ قالت : معاذ الله ، قال : فمأشئة والله خير منك ؛ فترلت هذه الآية <sup>(١)</sup> .

قوله تعالى : ( لولا جاؤوا ) أي : هلا جاءت العُصبة الكاذبة على قذفهم [ عائشة ] ( بأربعة شهداء ) وقرأ الضحاك ، وعاصم الجحدري : « بأربعة منونة » والمعنى : يشهدون بأنهم عاينوا ما رموها به ( فاذا لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله ) أي : في حكمه ( هم الكاذبون ) . ثم ذكر القاذفين فقال : ( ولولا فضل الله عليكم ورحمته ) أي : لولا ما من [ الله ] به عليكم ، ( لم تسكتم ) أي : لأصابكم ( فيما أفضتكم ) أي : أخذتم وخضتم ( فيه ) من الكذب والقذف .

(١) قال ابن كثير عند قوله تعالى : ( وقالوا هذا إفك مبين ) أي : كذب ظاهر على أم المؤمنين رضي الله عنها ، فإن الذي وقع لم يكن ريبة ، وذلك أن مجيء أم المؤمنين رابكة جبهة على راحلة صفوان بن المطيل في وقت الظهيرة والحيش بكمله يشاهدون ذلك ، ورسول الله ﷺ بين أظهرهم ، ولو كان هذا الأمر فيه ريبة ، لم يكن هذا جبهة ، ولا كانا يقدمان على مثل ذلك على رؤوس الأشهاد ، بل كان هذا يكون لو قدر خفية مستوراً ، فتعين أن ماجأ به أهل الإفك بما رموا به أم المؤمنين ، هو الكذب البحت ، والقول الزور ، والرعونة الفاحشة الفاجرة ، والصفة الخاسرة . اهـ .



( عذابٌ عظيمٌ ) في الدنيا والآخرة<sup>(١)</sup> . ثم ذكر الوقت الذي لولا فضله لأصابهم فيه العذاب فقال : ( إِذْ تَلَقَّوْنَهُ ) وكان الرجل منهم يلقي الرجل فيقول : بلني كذا ، فيلقاه بعضهم من بعض . وقرأ عمر بن الخطاب : « إِذْ تَلَقَّوْنَهُ » بتاء واحدة خفيفة مرفوعة وإسكان اللام وقاف منقوطة بنقطتين مرفوعة خفيفة ؛ وقرأ معاوية ، وابن السميع مثله ، إلا أنهما فتحا التاء والقاف . وقرأ ابن مسعود : « تَلَقَّوْنَهُ » بتاءين مفتوحتين مع نصب اللام وتشديد القاف . وقرأ أبي بن كعب ، وعائشة ، ومجاهد ، وأبو حية : « تَلَقَّوْنَهُ » بتاء واحدة خفيفة مفتوحة وكسر اللام ورفع القاف . وقال الزجاج : « تَلَقَّوْنَهُ » : يُلقيه بعضكم إلى بعض وتَلَقَّوْنَهُ ؛ ومناه : إِذْ تُسْرِعُونَ بالكذب ، يقال : وَلَقَّ يَلْقُ : إِذَا أُسْرِعَ فِي الكذب وغيره ، قال الشاعر :

جاءت به عَنَسٌ من الشَّامِ تَلْقُ<sup>(٢)</sup>

أي : تُسْرِع . وقال ابن قتيبة : « تَلَقَّوْنَهُ » أي : تَقْبَلُونَهُ ، ومن قرأ : « تَلَقَّوْنَهُ » أخذه من الولقي ، وهو الكذب .

قوله تعالى : ( وَتَقُولُونَ بِأَفْوَهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ ) أي : من غير أن تعلموا أنه حق ( وَتَحْسَبُونَهُ ) يعني : ذلك القذف ( هَيْئًا ) أي : سهلاً لا إثم

(١) قال ابن كثير : وهذا فيمن عنده إيمان يقبل الله بسببه التوبة ، كسطح ، وحسان ، وحمة بنت جحش ، فأما من خاض فيه من المنافقين كعبد الله بن أبي بن سلول وأضرابه ، فليس أولئك مرادين في هذه الآية ، لأنه ليس عندهم من الإيمان والعمل الصالح ما يعادل هذا ولا ما يبارضه ، وهكذا شأن ما يرد من الوعيد على فعل معين ، يكون مطلقاً مشروطاً بعدم التوبة أو ما يقابله من عمل صالح يوازنه أو يرجح عليه . اهـ .

(٢) الرجز في الطائري : ٩٨/١٨ ، ود القرطي : ٢٠٤/١٢ ، ود اللسان : ولقي .

فيه ( وهو عند الله عظيم ) في الوزر <sup>(١)</sup> . ثم زاد عليهم في الإنكار فقال :  
 ( ولولا إذ سمعتموه قُلْتُمْ ما يكون لنا ) أي : ما يحِلُّ وما ينبغي لنا ( أن  
 نتكلّم بهذا سبحانه ) وهو يحتمل التنزيه والتعجب . وروت عائشة أن امرأة  
 أبي أيوب الأنصاري قالت له : ألم تسمع ما يتحدث الناس ! فقال : « ما يكون  
 لنا أن نتكلّم بهذا ... » الآية ، فنزلت الآية . وقد روينا أنّها أن أمّه ذكرت  
 له ذلك ، فنزلت الآية المتقدمة . وروى عن سعيد بن جبير أن سعد بن معاذ  
 لما سمع ذلك قال : سبحانك هذا بهتانٌ عظيم ، فقيل للناس : هلا قلتم كما  
 قال سعد ! ؟

قوله تعالى : ( بَعْظُكُمْ لَـللهُ ) أي : ينهاكم الله ( أن تعودوا لمثله )  
 أي : إلى مثله ( إن كنتم مؤمنين ) لأن من شرط الإيمان ترك كذب المحصنة :  
 ( ويبين الله لكم الآيات ) في الأمر والنهي .

ثم هدد القاذفين بقوله : ( إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة ) أي : يحبون  
 أن يفسحوا القذف بالفاحشة ، وهي الزنا ( في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا )  
 يعني : الجلد ( والآخرة ) عذاب النار . وروت حمزة عن عائشة قالت : لما  
 نزل عذري قام رسول الله ﷺ على المنبر ، فذكر ذلك ، وتلا القرآن ، فلما  
 نزل أمر برجلين وامرأة ، فضربوا حدّهم <sup>(٢)</sup> . وروى أبو صالح عن ابن عباس أن  
 رسول الله ﷺ جلد عبد الله بن أبيّ ، ومسطح بن أثانة ، وحسان بن ثابت ،  
 وحمزة بنت جحش <sup>(٣)</sup> ، فأما الثلاثة فتاىوا ، وأما عبد الله فأت منافقاً ؛ وبعض  
 العلماء ينكر صحة هذا ، ويقول : لم يضرب أحداً .

(١) وفي « الصحيحين » : « إن البعد لينكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها إلى النار أبعد مما  
 بين الشرق والغرب » .

(٢) رواه أحمد ، وأصحاب السنن الأربعة . (٣) رواه أبو داود في « سننه » رقم ( ٤٤٧٥ ) .

قوله تعالى : ( وَاللَّهُ يَمْلِكُ ) شرًّا مَا خُضِمَ فِيهِ وَمَا يَتَضَمَّنُ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ ( وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ) ذَلِكَ <sup>(١)</sup> ، ( وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ) جوابه محذوف ، تقديره : لعاقبكم فيما قلتم لعائشة . قال ابن عباس : يريد : مِسْطَحًا ، وَحِثَّانَ ، وَحَنْتَةَ . ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوتَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَاكُمْ مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

قوله تعالى : ( لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ ) أي : تزيينه لكم كدف عائشة . وقد سبق شرح « خطوات الشيطان » وبيان « الفحشاء والمنكر » [البقرة: ١٦٨، ١٦٩] . قوله تعالى : ( مَا زَكَا مِنْكُمْ ) وقرأ الحسن ، ومجاهد ، وقتادة : « مَا زَكَا » بتشديد الكاف .

وفيمن خوطب بهذا قولان .

أحدهما : أنه عام في الخلق . والثاني : أنه خاص للتكلمين في الإفك . ثم في معناه أربعة أقوال .

أحدها : ما هتدى ، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس . والثاني : ما أسلم ، قاله ابن زيد . والثالث : ماصح ، قاله مقاتل . والرابع : ما طهر ، قاله ابن قتيبة . قوله تعالى : ( وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ ) أي : يطهر من يشاء من

(١) قال ابن جرير الطبري : يقول تعالى ذكره : والله يعلم كذب الذين جاؤوا بالامك من صدقهم ، وأنتم أيها الناس لا تعلمون ذلك ، لأنكم لا تعلمون النيب ، وإنما يعلم ذلك علام النيوب ، يقول : فلا تروا ما لا علم لكم به من الإفك على أهل الإيمان بالله ، ولا سبًا على حلائل رسول الله ﷺ فتهلكوا . اهـ .

الإثم بالتوبة والغفران ؛ فالمنى : وقد شئتُ أن أتوب عليكم ، ( والله سميع عليم )  
علم ما في نفوسكم من التوبة والندامة .

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

قوله تعالى : ( وَلَا يَأْتَلِ ) وقرأ الحسن ، وأبو العلية ، وأبو جعفر ، وابن أبي عمير : « وَلَا يَتَأَلَّ » بهززة مفتوحة بين التاء واللام وتشديد اللام على وزن يَتَعَلَّ . قال المفسرون : سبب نزولها أن أبا بكر الصديق كان ينفق على مسطح لقربائه وفقره ، فلما خاض في أمر عائشة قال أبو بكر : والله لا أنفق عليه [ شيئاً ] أبداً ، فنزلت هذه الآية (١) . فأما الفضل ، فقال أبو عبيدة : هو الفضل ، والسعة : الجدة . قال المفسرون : والمراد به : أبو بكر .

قوله تعالى : ( أَنْ يُؤْتُوا ) قال ابن قتيبة : معناه : أن لا يؤتوا ، فحذف « لَا » . فأما قوله : ( أُولِي الْقُرْبَى ) فانه يعني مسطحاً ، وكان ابن خالة أبي بكر ، وكان مسكيناً ، وكان مهاجراً . قال المفسرون : فلما سمع أبو بكر ( أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ) قال : بلى يارب ، وأعاد نفقته على مسطح .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعَنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ . يَوْمَ تُشْهَدُ عَلَيْهِمْ

(١) روى البخاري ومسلم في « صحيحهما » عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت عندما نزلت الآيات البشر في برامتها : فلما أنزل الله هذا في برامتي ، قال أبو بكر رضي الله عنه وكان ينفق على مسطح بن أثانة لقربائه منه وفقره : والله لا أنفق عليه شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال ، فأنزل الله تعالى : ( وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى ) إلى قوله : ( أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ) فقال أبو بكر : بلى والله إنني لأحب أن يغفر الله لي ، فرجم إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال : والله لا أنزعها عنه أبداً .

أَنسَنَتْهُمْ وَأَيَّدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . يَوْمَئِذٍ  
يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٤﴾

قوله تعالى : ( إن الذين يَرْمُونَ المحصنات ) يعني : المفائ ( الغافلات ) عن  
الفواحش ، ( لنعنوا في الدنيا ) أي : عذبوا بالجلد ، وفي الآخرة بالنار .

واختلف العلماء فيمن نزلت هذه الآية على أربعة أقوال .

أحدها : أنها نزلت في عائشة خاصة . قال خصيف : سألت سعيد بن جبير  
عن هذه الآية ، فقلت : من قذف محصنة لعنه الله ؟ قال : لا ، إنما أنزلت هذه  
الآية في عائشة خاصة <sup>(١)</sup> .

والثاني : أنها في أزواج النبي ﷺ خاصة ، قاله الضحاك <sup>(٢)</sup> .

والثالث : أنها في المهاجرات . قال أبو حمزة الثمالي : بلغنا أن المرأة كانت إذا  
خرجت إلى المدينة مهاجرة ، قذفها المشركون من أهل مكة ، وقالوا : إنما خرجت  
تفجر ، فنزلت هذه الآية .

والرابع : أنها عامة في أزواج النبي ﷺ وغيرهن ، وبه قال قتادة ،  
وابن زيد <sup>(٣)</sup> .

(١) « الطبري » : ١٨ / ١٠٣ ، وذكره السيوطي في « الدر » : ٥ / ٣٥ وزاد نسبه لعيد  
ابن حميد ، وابن المنذر ، والطبراني .

(٢) « الطبري » : ١٨ / ١٠٤ ، وذكره السيوطي في « الدر » : ٥ / ٣٥ وزاد نسبه  
لعبد بن حميد .

(٣) قال ابن جرير الطبري : وأولى هذه الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال :  
نزلت هذه الآية في شأن عائشة ، والحكم بها عام في كل من كان بالصفة التي وصفه الله بها فيها . اهـ .  
وقال ابن كثير : وهو الصحيح ، ويضد الموم ماجاء في « الصحيحين » من حديث أبي هريرة  
رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « اجتنبوا السبع الموبقات » قيل : وما هن ؟ يا رسول الله ؟  
قال : « الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل  
مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » .

فان قيل : لم اقتصر على ذكر المحصنات دون الرجال ؟  
 فالجواب : [ أن ] من رمى مؤمنة فلا بد أن يرمي معها مؤمناً ، فاستغني  
 عن ذكر المؤمنين ، ومثله : « سرايل تقيمكم الحر » [النحل : ٨١] أراد : والبرد ،  
 قاله الزجاج .

قوله تعالى : ( يومَ تشهدُ عليهم ألسنتُهم ) وقرأ حمزة ، والكسائي ، وخلف :  
 « يشهد » بـالياء ؛ وهو إقرارها بما تكلموا به من الفرية . قال أبو سليمان الدمشقي :  
 وهؤلاء غير الذين يُختم على أفواههم . وقال ابن جرير : المعنى : أن ألسنة  
 بعضهم تشهد على بعض .

قوله تعالى : ( يومئذ يوفيتهم الله دينهم الحق ) أي : حسابهم العدل ،  
 وقيل : جزاءهم الواجب . وقرأ مجاهد ، وأبو الجوزاء ، وحيد بن قيس ، والأعمش :  
 « دينهم الحق » برفع القاف ( ويعلمون أن الله هو الحق المبين ) قال  
 ابن عباس : وذلك أن عبد الله بن أبي كان يشك في الدين ، فاذا كانت القيامة  
 عليهم حيث لا ينفعه ..

﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ  
 لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ  
 مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾

قوله تعالى : ( الخبيثات للخبيثين ) فيه أربعة أقوال .  
 أحدها : الكلمات الخبيثات لا يتكلم بها إلا الخبيث من الرجال والنساء ،  
 والكلمات الطيبات لا يتكلم بها إلا الطيبون من الرجال والنساء .  
 والثاني : الكلمات الخبيثات إنما تلتصق بالخبيثين من الرجال والنساء ، فأما الطيبات  
 والطيبون ، فلا يصلح أن يقال في حقهم إلا الطيبات .

والثالث : الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال ، والطيبات من النساء للطيبين من الرجال .

والرابع : الخبيثات من الأعمال للخبيثين من الناس ، والخبيثون من الناس للخبيثات من الأعمال ، وكذلك الطيبات . ( أولئك ) يعني : عائشة وصفوان ( مبرؤون ) أي : منزّهون ( مما يقولون ) من الفرية ( لهم مغفرة ) لذنوبهم ( ورزق كريم ) في الجنة .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ . فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ . لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾

قوله تعالى : ( لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم ) ذكر أهل التفسير أن سبب نزولها أن امرأة من الأنصار جاءت إلى رسول الله ﷺ ، فقالت : يا رسول الله ، إني أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد ، فلا يزال يدخل علي رجل من أهلي ، فنزلت هذه الآية <sup>(١)</sup> ؛ فقال أبو بكر بعد نزولها : يا رسول الله ، أفرأيت الخانات والمساكن التي ليس فيها ساكن ، فنزل قوله : ( ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة .. ) الآية <sup>(٢)</sup> . ومعنى قوله : ( لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم )

(١) د الطبري : ١١١/١٨ ، ود أسباب النزول ، للواحدي : ١٨٦ ، وذكره السيوطي

في د الدر : ٣٨/٥ وزاد نسبه للفريابي .

(٢) ذكره الواحدي في د أسباب النزول : ١٦٨ بدون سند .

أي : يوتناً ليست لكم . واختلف القراء في باء البيوت ، فقرأ بعضهم بضمها ، وبعضهم بكسرها . وقد يئناً ذلك في ( البقرة : ١٨٩ ) .

قوله تعالى : ( حتى تستأنسوا ) . قال القراء : في الكلام تقديم وتأخير ، تقديره : حتى تسلمتموا وتستأنسوا . قال الزجاج : و « تستأنسوا » في اللغة ، بمعنى تستأذنوا ، وكذلك هو في التفسير ، والاستئذان : الاستعلام ، تقول : آذنته بكذا ، أي : أعلمته ، وآنست منه كذا ، أي : علمت منه ، ومثله : « فان آنستم منهم رشداً » [ النساء : ٦ ] أي : علمتم . فغنى الآية : حتى تستعلموا ، يريد أهلها أن تدخلوا ، أم لا ؟ قال المفسرون : وصفة الاستعلام أن تقول : السلام عليكم ، أأدخل ؟ ولا يجوز أن تدخل بيت غيرك إلا بالاستئذان ، لهذه الآية ، ( ذلكم خير لكم ) من أن تدخلوا بغير إذن ( لعلكم تدركون ) أن الاستئذان خير فتأخذون به ، قال عطاء : قلت لابن عباس : استأذن على أبي وأختي ونحن في بيت واحد ؟ قال : أيسرك أن ترى منهن عورة ؟ قلت : لا ، قال : فاستأذن .

قوله تعالى : ( فان لم تجدوا فيها أحداً ) أي : إن وجدتموها خالية ( فلا تدخلوها ) حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا ) أي : إن ردوكم فلا تقفوا على أبوابهم وتلازموها ، ( هو أزكى لكم ) يعني : الرجوع خير لكم وأفضل ( والله بما تعملون ) من الدخول باذن وغير إذن ( عليم )<sup>(١)</sup> .

(١) قال ابن كثير : هذه آداب شرعية أدب الله بها عباده المؤمنين ، وذلك في الاستئذان ، أمرهم أن لا يدخلوا بيوتاً غير بيوتهم حتى يستأنسوا ، أي : يستأذنوا قبل الدخول ويسلموا بعده ، قال : ويبيني أن يستأذن ثلاث مرات ، فان أذن له ، وإلا انصرف ، كما ثبت في الصحيح . أن أبا موسى حين استأذن على عمر ثلاثاً فلم يؤذن له انصرف ، ثم قال عمر : ألم أسمع صوت عبد الله بن قيس يستأذن ؟ ائذوا له ، فطلبوه فوجدوه قد ذهب ، فلما جاء بعد ذلك قال : ما أرجعكم ؟ قال : إني استأذنت ثلاثاً فلم يؤذن لي ، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليصرف » .



### ❦ فصل ❦

وهل هذه الآية منسوخة ، أم لا ؟ فيها قولان .

أحدهما : أن حكمها عام في جميع البيوت ، ثم نسخت منها البيوت التي ليس لها أهل يُستأذنون بقوله تعالى : ( ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة ) ، هذا مروى عن الحسن ، وعكرمة .

والثاني : أن الآيتين محكمتان ، فالاستئذان شرط في الأولى إذا كان المدار أهل ، والثانية وردت في بيوت لساكن لها ، والإذن لا يتصور من غير آذن ، فإذا بطل الاستئذان ، لم تكن البيوت الخالية داخلة في الأولى ، وهذا أصح .  
قوله تعالى : ( أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة ) فيها خمسة أقوال .

أحدها : أنها الخانات والبيوت المبنية للسابلة ليأووا إليها ، ويؤووا أمتعتهم ، قاله قتادة .

والثاني : أنها البيوت الخربة ، والمتاع : قضاء الحاجة فيها من الغائط والبول ، قاله عطاء .

والثالث : أنها بيوت مكة ، قاله محمد بن الحنفية .

والرابع : حوانيت التجار التي بالأسواق ، قاله ابن زيد .

والخامس : أنها جميع البيوت التي لساكن لها ، لأن الاستئذان إنما جعل لأجل الساكن ، قاله ابن جريج .

فيخرج في معنى « المتاع » ثلاثة أقوال .

أحدها : الأمتة التي تباع وتشترى . والثاني : إلقاء الأذى من الفائط والبول . والثالث : الانتفاع بالبيوت لانتفاء الحر والبرد .

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ . وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

قوله تعالى : ( قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ) في « من » قولان . أحدهما : أنها صلة . والثاني : أنها أصل ، لأنهم لم يؤمروا بالغض مطلقاً ، وإنما أمروا بالغض عما لا يحل .

وفي قوله : ( ويحفظوا فروجهم ) قولان . أحدهما : عما لا يحل لهم ، قاله الجمهور . والثاني : عن أن تُرى ، فهو أمر لهم بالاستتار ، قاله أبو العالية ، وابن زيد .

قوله تعالى : ( ذلك ) إشارة إلى الغض وحفظ الفروج ( أزكى لهم ) أي : خير وأفضل ( إن الله خبير بما يصنعون ) في الأبصار والفروج <sup>(١)</sup> . ثم أمر النساء بما أمر به الرجال .

(١) قال ابن كثير : هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يغضوا من أبصارهم عما حُرِّم —

قوله تعالى : ( ولا يبدن زينتهن ) أي : لا يُظهرنّها لغير محرم . وزينتهن على ضربين ، خفيّة كالسّوارين والقُرطين والدّمالج والقلائد ونحو ذلك ، وظاهرة وهي المشار إليها بقوله : ( إلّا ما ظهر منها ) وفيه سبعة أقوال .

أحدها : أنها الثياب ، رواه أبو الأحوص عن ابن مسعود ؛ وفي لفظ آخر قال : هو الرداء . والثاني : أنها الكف والخاتم والوجه . والثالث : الكُحْل والخاتم ، رواهما سميد بن جبير عن ابن عباس . والرابع : القُنبان ، وهما السّواران والخاتم والكُحْل ، قاله المسوّار بن مخرمّة . والخامس : الكُحْل والخاتم والخضاب ، قاله مجاهد . والسادس : الخاتم والسّوار ، قاله الحسن . والسابع : الوجه والكفّان ، قاله الضحاك . قال القاضي أبو يعلى : والقول الأول أشبه <sup>(١)</sup> ، وقد نص عليه أحمد ، فقال : الزينة الظاهرة : الثياب ، وكل شيء منها عورة حتى الظفر <sup>(٢)</sup> ، ويفيد هذا تحريم النظر إلى شيء من الأجنبيات لغير عذر ، فإن كان

— عليهم ، فلا ينظروا إلّا إلى ما أباح لهم النظر إليه ، وأن يمتنعوا بصرهم عن المحرم ، فإن اتفق أن وقع البصر على محرّم من غير قصد فليصرف بصره عنه سرياً ، كما روى مسلم في صحيحه ، عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال : سألت النبي ﷺ عن نظر الفجأة ، فأمرني أن أصرف بصري . وروى أبو داود عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ ليلي : « يا علي لا تتبع النظرة النظرة ، فإن لك الأولى ، وليست لك الآخرة » . وفي « الصحيح » عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إياكم والجلوس على الطرقات » قالوا : يا رسول الله لا بد لنا من مجالسنا نتحدث فيها ، فقال رسول الله ﷺ : « إن أيتّم فأعطوا الطريق حقه » قالوا : وما حق الطريق يا رسول الله ؟ قال : « غصن البصر ، وكف الأذى ، ورد السلام ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر » .

(١) قال ابن جرير الطبري : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : عني بذلك الوجه والكفّان ، يدخل في ذلك - إذا كان كذلك - : الكحل ، والخاتم ، والسوار ، والخضاب .  
(٢) وقال غيره من الأئمة : الوجه والكفّان ليسا بعورة ، فيجوز للمرأة أن تظهرهما ، وهذا مقيد بما إذا لم يكن على الوجه والكفين شيء من الزينة ، أما ما يعضه النساء في زماننا من الأصباغ على وجوههن وأكفهن بقصد التجميل ، ويظهرن به أمام الرجال في الطرقات ، فلا شك في تحريمه عند جميع الأئمة . ثم الوجه والكفّان وإن لم يكونا عورة عند بقية الأئمة ، —

لعذر مثل أن يريد أن يتزوجها أو يشهد عليها ، فإنه ينظر في الحالين إلى وجهها خاصة ؛ فأما النظر إليها لغير عذر ، فلا يجوز لالشهوة ولا لغيرها ، وسواء في ذلك الوجه والكفان وغيرهما من البدن .

فإن قيل : فلم لا تبطل الصلاة بكشف وجهها ؟

فالجواب : أن في تغطيته مشقة ، فمُنِيَ عنه .

قوله تعالى : ( وَلِيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ ) وهي جمع خمار ، وهو ما تغطي به المرأة رأسها ، والمعنى : وليثقين مقانعهن ( على جُيُوبِهِنَّ ) ليسترن بذلك شعورهن وقُرطهن وأعناقهن . وقرأ ابن مسعود ، وأبي بن كعب ، وإبراهيم النخعي ، والأعمش : « على جُيُوبِهِنَّ » بكسر الجيم ، ( ولا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ) يعني : الحَفِيَّةَ ، وقد سبق بيانها ( إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ) قال ابن عباس : لا يَضْمَنَّ الجلباب والخمار إلا لأزواجهن .

قوله تعالى : ( أَوْ نِسَائِهِنَّ ) يعني : المُسَلَّمات . قال أحمد : لا يَحِلُّ للمسلمة أن تكشف رأسها عند نساء أهل الذمة <sup>(١)</sup> ، واليهودية والنصرانية لا تقبلان المسلمة .

— فليس معنى ذلك أنه يجب كشفها عندكم ، أو أنه سنة وسترها بدعة ، بل معناه أنه يجوز كشفها ، وذلك إذا تمت الفتنة . ثم إن سترها مشروع وهو الأحسن والأكمل ، وخاصة في مثل زماننا ، فأننا لا نرى ذلك المجتمع المذهب الذي يصني لقوله تعالى : ( قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ) والكثير من الناس لا يدرك معنى قوله عليه السلام لجبر بن عبد الله البجلي رضي الله عنه عندما سأله عن نظر الفجأة : « اصرف بصرك » وقوله لملي رضي الله عنه : « يا علي لا تتبع النظرة النظرة » ، فإن لك الأولى وليست لك الآخرة ، والاحتياط في مثل هذا الأمر أفضل ، صونا للنساء ، وحفظاً لعفافهن ، وأن يستغفن خير لهن .

(١) قال ابن كثير : يعني تظهر زينتها أيضاً للنساء المسلمات دون نساء أهل الذمة لثلاث تصفين لرجالهن ، وذلك وإن كان محذوراً في جميع النساء ، إلا أنه في نساء أهل الذمة أشد ، فانهن لا يمنعن من ذلك مانع ، فأما المسلمة فإنها تعلم أن ذلك حرام فتزجر عنه ، وقد قال رسول الله ﷺ : « لا تبأشر المرأة المرأة فتبأشها زوجها كأنه ينظر إليها » أخرجه في « الصحيحين » عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

قوله تعالى : ( أَوْ مَمْلُوكَاتٍ أِيَائِهِنَّ ) قال أصحابنا : المراد به : الإماء دون العبيد . وقال أصحاب الشافعي : يدخل فيه العبيد ، فيجوز للمرأة عندهم أن تظهر لمملوكها ما تظهر لمحارمها ، لأن مذهب الشافعي أنه محرم لها ، وعندنا أنه ليس بمحرم ، ولا يجوز أن ينظر إلى غير وجهها وكفّيها ، وقد نص أحمد على أنه لا يجوز أن ينظر إلى شعر مولاته . قال القاضي أبو يعلى : وإنما ذكر الإماء في الآية ، لأنه قد يظن الظان أنه لا يجوز أن تبدي زينتها للإماء ، لأن الذين تقدم ذكرهم أحرار ، فلما ذكر الإماء زال الإشكال .

قوله تعالى : ( أَوْ التَّابِعِينَ ) وهم الذين يتبعون القوم ويكونون معهم لإرفاقهم بإمام ، أو لأنهم نشؤوا فيهم .

والمفسرين في هذا التابع ستة أقوال .

أحدها : أنه الاتحق الذي لا تشبهه المرأة ولا يمار عليه الرجل ، قاله قتادة ، وكذلك قال مجاهد : هو الأبله الذي يريد الطعام ولا يريد النساء . والثاني : أنه العنّين ، قاله عكرمة . والثالث : الخنثى كان يتبع الرجل يخدمه بطعامه ، ولا يستطيع غشيان النساء ولا يشتهين<sup>(١)</sup> ، قاله الحسن . والرابع : أنه الشيخ

(١) وفي الصحيح من حديث الزهري عن عائشة رضي الله عنها أن غنثاً كان يدخل على أهل رسول الله ، وكانوا يعدونه من غير أولي الأربة ، فدخل النبي ﷺ وهو بنت امرأة ، يقول : إنما إذا أقبلت أقبلت بأربع ، وإذا أدبرت أدبرت بثان ، فقال رسول الله ﷺ : « ألا أرى هذا يعلم ماها هنا لا يدخلن عليكم » فأخرجه ، فكان بالبيداء يدخل كل يوم جمعة ليستطعم . وروى الإمام أحمد في « المستد » عن أم سلمة أنها قالت : دخل عليها رسول الله ﷺ وعندها غنث ، وعندها عبد الله بن أبي أمية - يعني أخاها - والخنث يقول : يا عبد الله إن فتح الله عليكم الطائف غداً ، فطليك بابتة غيلان فانها تقبل بأربع وتدبر بثنان ، قال : فسمعه رسول الله ﷺ ، فقال لأم سلمة : « لا يدخلن هذا عليك » وهو في « الصحيحين » من حديث هشام — زاد السير ٦ م (٣)

الفاني . والخامس : أنه الخادم ، قالها ابن السائب . والسادس : أنه الذي لا يكثر بالنساء ، إما لكِبَر أو لهرم أو لصغر ، ذكره ابن المنادي من أصحابنا . قال الزجاج : « غير » صفة للتابعين . وفيه دليل على أن قوله : ( أو مملكت أيمانهم ) معناه : ( غير أولي الإربة من الرجال ) والمعنى : ولا يبدن زينتهن للماليكن ، ولا لتبائعهن ، إلا أن يكونوا غير أولي الإربة ، والإربة : الحاجة ، ومعناه : غير ذوي الحاجات إلى النساء .

قوله تعالى : ( أو الطِفْل ) قال ابن تينية : يريد الأطفال ، بدليل قوله : ( لم يظهروا على عورات النساء ) أي : لم يعرفوها <sup>(١)</sup> .  
قوله تعالى : ( ولا يضربن بأرجلهن ) أي : باحدى الرجلين على الأخرى ليضرب الخلخال الخلخال فيعلم أن عليهما خلخالين <sup>(٢)</sup> .

— ابن عروة . ورواه أحمد بن حنبل عن عائشة رضي الله عنها ، وفيه أن رسول الله ﷺ قال : « ألا أرى هذا يعلم ما هاهنا ، لا يدخلن عليكم هذا ، فحجوه ، ورواه مسلم ، وأبو داود ، والنسائي عن أم سلمة رضي الله عنها .

(١) قال ابن كثير : يعني لصغرهم لا يفهمون أحوال النساء وعوراتهن من كلامهم الرخيم ، وتسطفهن في المشية ، وحركاتهن ومسكناتهن ، فإذا كان الطفل صغيراً لا يفهم ذلك ، فلا بأس بدخوله ، فأما إذا كان مراهماً أو قريباً منه بحيث يعرف ذلك ويدريه ، ويفرق بين الشواه والحستاء ، فلا يمكن من الدخول على النساء ، وقد ثبت في « الصحيحين » عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إياكم والدخول على النساء » قيل : يا رسول الله ، أفرأيت الخو ؟ قال : « الخو الموت » .

(٢) قال ابن كثير : كانت المرأة في الجاهلية إذا كانت تمشي في الطريق وفي رجلها خلخال صامت لا يعلم صوتها ، ضربت برجلها الأرض فيسمع الرجال طنينه ، فهي الله المؤمنات عن مثل ذلك ، وكذلك إذا كان شيء من زينتها مستوراً فتحركت بحركة لتظهر ما هو خفي ، دخل في هذا النهي ، لقوله تعالى : ( ولا يضربن بأرجلهن ) إلى آخره ، ومن ذلك أنها انتهت عن التعطر والتطيب عند خروجها من بيتها فيشم الرجال طيبها ، قال : وقد روى الترمذي عن أبي —

﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ  
وَأِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُفْنِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ  
عَلِيمٌ . وَلْيَسْتَغْفِرِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُفْنِيَهُمُ اللَّهُ  
مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ بِمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ  
فَكَانِبُوهُمْ إِنْ عِلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَأَنُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي  
آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَانَكُمْ عَلَىٰ الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَا تَحْصِنَا لَيَبْتَنِفُوا  
عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْنَهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ  
غَفُورٌ رَحِيمٌ . وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ  
الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾

قوله تعالى : ( وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى ) وهم الذين لا أزواج لهم من الرجال  
والنساء ، يقال : رجل أَيْم وامرأة أَيْم ، ورجل أَرْمِل وامرأة أَرْمِلَة ، ورجل بِكْر  
وامرأة بِكْر : إذا لم يتزوجا ، وامرأة ثَيْب ورجل ثَيْب : إذا كانا قد تزوجا ،  
( والصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ ) أي : من عبيدكم ، يقال ، عَبْد وعَبَاد وعَبِيد ، كما  
يقال : كَلْب وكِلَاب وكَلِيب . وقرأ الحسن ، ومعاذ القاري : « من عبيدكم » .

— موسى الإسمعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « كل عين زانية ، والمرأة إذا  
استمطرت فمرت بالجلس فهي كذا وكذا ، يعني زانية ، قال : وفي الباب عن أبي هريرة ،  
وهذا حديث حسن صحيح ، رواه أبو داود ، والنسائي من حديث ثابت بن عماره به .  
وقال : ومن ذلك أيضاً أنهم يثبهن عن المشي في وسط الطريق لما فيه من التبرج . اهـ .  
وقال ابن كثير في تمة الآية : وقوله : ( وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون )  
أي : افعلوا ما أمركم به من هذه الصفات الجميلة ، والأخلاق الجليلة ، واتركوا ما كان عليه أهل  
الجاهلية من الأخلاق والصفات الرذيلة ، فان الفلاح كل الفلاح في فعل ما أمر الله به ورسوله ،  
وترك ما نهى عنه ، والله تعالى هو المستعان . اهـ .

قال المفسرون : والمراد بالآية النذب <sup>(١)</sup> . ومعنى الصلاح هاهنا : الإيمان . والمراد بالعباد : المملوكون ، فالمنى : زوجوا المؤمنين من عبيدكم وولائدكم . ثم رجع إلى الأحرار فقال : ( إن يكونوا فقراء يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ) فأخبرهم أن النكاح سبب لنفي الفقر <sup>(٢)</sup> .

قوله تعالى : ( وَلَيْسَتَعْتَفِفُ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا ) أي : وليطلب العفة عن الزنا والحرام من لا يجد ما ينكح به من صداق وثققة . وقد روى ابن مسعود عن رسول الله ﷺ أنه قال : « يامعشر الشباب عليكم بالباة ، فمن لم يجد فعليه بالصيام فإنه له وجاء » <sup>(٣)</sup> .

(١) قال ابن كثير : اشتملت هذه الآيات الكريمات المينة ، على جمل من الأحكام المحكمة ، والأوامر المبرمة ، بقوله تعالى : ( وأنكحوا الأيامى منكم ) إلى آخره ، هذا أمر بالتزويج ، وقد ذهب طائفة من العلماء إلى وجوبه على كل من قدر عليه ، واحتجوا بظاهر قوله عليه الصلاة والسلام : « يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » أخرجاه في « الصحيحين » من حديث ابن مسعود . وقد جاء في « السنن » من غير وجه أن رسول الله ﷺ قال : « تزوجوا الولود ، تناسلوا فاني مباه بكم الأمم يوم القيامة » اهـ .

(٢) روى الامام أحمد ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه بسند حسن من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة حق على الله عونهم : الكاتب الذي يريد الأداء ، والناكح الذي يريد المغاف ، والمجاهد في سبيل الله » .

وروى ابن جرير الطبري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : التمسوا التقى في النكاح ، يقول الله تعالى : ( إن يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله ) . وقال الطبري في تمام الآية : ( والله واسع عليم ) يقول جل ثناؤه : والله واسع الفضل ، جواد بطلاه ، فزوجوا إماءكم ، فإن الله واسع يوسع عليهم من فضله إن كانوا فقراء ، عليم ، يقول : هو ذو علم بالفقير منهم والتي ، لا يخفى عليه حال خلقه في شيء وتديرهم . اهـ .

(٣) متفق عليه من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بلفظ : « يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » .



قوله تعالى : ( والذين يبتغون الكتاب ) أي : يطلبون المكاتب من المبيد والإماء على أنفسهم ، ( فكتبوم ) فيه قولان .  
أحدهما : أنه مندوب إليه ، قاله الجمهور .  
والثاني : أنه واجب ، قاله عطاء ، وعمر بن دينار . وذكر المفسرون :  
أنها نزلت في غلام لحويطب بن عبد العزى يقال له : صبيح ، سأل مولاه الكتابة فأبى عليه ، فنزلت هذه الآية ، فكتبه حويطب على مائة دينار ووهب له منها عشرين ديناراً <sup>(١)</sup> .

قوله تعالى : ( إن علمتم فيهم خيراً ) فيه ستة أقوال .  
أحدها : إن علمتم لهم ملاً ، رواه العوفي عن ابن عباس ، وبه قال مجاهد ، وعطاء ، والضحاك . والثاني : إن علمتم لهم حيلة ، يعني : الكسب ، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس . والثالث : إن علمتم فيهم ديناً ، قاله الحسن . والرابع : إن علمتم أنهم يريدون بذلك الخير ، قاله سعيد بن جبير . والخامس : إن أقاموا الصلاة ، قاله عبيدة السلماني . والسادس : إن علمتم لهم صدقاً ووفاءً ، قاله إبراهيم .  
قوله تعالى : ( وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ) فيه قولان .

أحدهما : أنه خطاب للأغنياء الذين تجب عليهم الزكاة ، أمروا أن يمتطوا المكاتبين من سهم الرقاب ، روى عطاء عن ابن عباس في هذه الآية قال : هو سهم الرقاب يُعطى منه المكاتبون .

والثاني : أنه خطاب للسادة ، أمروا أن يمتطوا مكائبيهم من كتابتهم شيئاً .  
قال أحمد والشافعي : الإيتاء واجب ، وقدّره أحمد بربع مال الكتابة . وقال الشافعي : ليس بقدّر . وقال أبو حنيفة ومالك : لا يجب الإيتاء . وقد روي عن عمر بن الخطاب

(١) الواحد في « أسباب النزول » ١٨٦ ، وذكره السيوطي في « الدر » : ٥/٥ من رواية ابن السكن في معرفة الصحابة .

أنه كاتب غلاماً له يقال له : أبو أمية ، فجاءه بنجيه حين حلّ ؛ فقال : اذهب يا أبا أمية فاستمن به في مكانبتك ، قال : يا أمير المؤمنين لو أخرتّه حتى يكون في آخر النجوم ، فقال : يا أبا أمية : إني أخاف أن لأدرك ذلك ، ثم قرأ : « وآتوم من مال الله الذي آتاكم »<sup>(١)</sup> ، قال عكرمة : وكان ذلك أول نجم أدي في الإسلام .

فوله تعالى : ( ولا تُكْرِهوا فتيانكم على البغاء ) روى مسلم في « صحيحه » من حديث أبي سفيان عن جابر ، قال : كان عبد الله بن أبي يقول لجارية له : اذهبي فابغينا شيئاً ، فنزلت هذه الآية<sup>(٢)</sup> . قال المفسرون : وكان له جازيتان ، مُعَاذَةٌ ومُسَيِّكَةٌ ، فكان يكرههما على الزنا ، ويأخذ منها الضريبة ، وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية ، يؤاجرون إماءهم ، فلما جاء الإسلام قالت مُعَاذَةٌ لمسيكة : إن هذا الأمر الذي نحن فيه إن كان خيراً فقد استكثرنا منه ، وإن كان شراً فقد آن لنا أن ندّعه ، فنزلت هذه الآية<sup>(٣)</sup> . وزعم مقاتل أنها نزلت في ست جوارٍ كنّ لعبد الله بن أبيّ ، مُعَاذَةٌ ، ومُسَيِّكَةٌ ، وأميمة ، وقُتَيْلَةٌ ، وصرّة ، وأروى . فأما الفتيات ، فهن الإماء . والبغاء : الزنا . والتحصن : التعفف .

واختلفوا في معنى ( إن أردنّ تحصّناً ) على أربعة أقوال .

أحدها : أن الكلام ورد على سبب ، وهو الذي ذكرناه ، فخرج النهي عن صفة السبب ، وإن لم يكن شرطاً فيه .

(١) ذكره السيوطي في « الدر » : ٤٦/٥ من رواية عبد الرزاق ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي .  
(٢) ذكره الواحدي في « أسباب النزول » ١٨٧ ، والسيوطي في « الدر » ٤٦/٥ ، وزاد نسبه لابن أبي شيبة ، وسعيد بن منصور ، والبخاري ، والدارقطني ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، من طريق أبي سفيان ، عن جابر رضي الله عنه .  
(٣) هكذا ذكره الواحدي في « أسباب النزول » ١٨٧ بدون سند ، وذكره السيوطي في « الدر » : ٤٦/٥ ونسبه لسعيد بن منصور ، والقرطبي ، وعبد بن حميد ، وابن جرير عن عكرمة .

والثاني : إنه إنما شرط إرادة التحصن ، لأن الإكراه لا يُتصور إلا عند إرادة التحصن ، فأما إذا لم ترد المرأة التحصن ، فانها تبني بالطبع .

والثالث : أن « إن » بمعنى « إذ » ، ومثله : « وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين » [البقرة : ٢٧٨] « وأنتم الاعلون إن كنتم مؤمنين » [آل عمران : ١٣٩] .  
والرابع : أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا ، تقديره : « وأنكحوا الأيامي » إلى قوله : « وإمائكم » « إن أردن تحصنًا » ولا تُكْرِهوا فتیانكم على البناء ( لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ) وهو كسبهن وبيع أولادهن ( ومن يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ) ( رحيم ) وقرأ ابن عباس ، وأبو عمران الجوني ، وجعفر بن محمد : « من بعد إكراههن لهن غفور رحيم » .  
قوله تعالى : ( آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ ) قرأ ابن عامر ، وأهل الكوفة غير أبي بكر ، وأبان : « مبيِّنات » بكسر الياء في الموضعين في هذه السورة [ النور : ٣٤ ، ٤٦ ] ، وآخر سورة ( الطلاق : ١١ ) .

قوله تعالى : ( وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَقُوا ) أي : شَبَّهًا مِنْ حَالِهِمْ بِحَالِكُمْ أَيُّهَا الْمَكْذِبُونَ ، وهذا تخويف لهم أن يلحقهم ما لحق المكذِبين قبلهم .  
﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾  
قوله تعالى : ( اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) فيه قولان .

أحدهما : هادي أهل السموات والأرض ، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس ،

وبه قال أنس بن مالك ، ويان هذا أن النور في اللنة : الضياء ، وهو الذي تصل به الأبصار إلى مُبَصَّرَاتِهَا ، فورد النور مضافاً إلى الله تعالى ، لأنه هو الذي يَهْدِي المؤمنين وَيُبَيِّن لهم ما يَهْتَدُونَ به ، والخلائق بنوره يَهْتَدُونَ <sup>(١)</sup> .

والثاني : مدبر السموات والأرض ، قاله مجاهد ، والزجاج . وقرأ أبي ابن كعب ، وأبو المتوكل ، وابن السميع : « الله نُورٌ » بفتح النون والواو وتشديدها ونصب الراء « السموات » بالخفض « والأرض » بالنصب . قوله تعالى : ( مَثَلُ نُورِهِ ) في هاء الكناية أربعة أقوال .

أحدها : أنها ترجع إلى الله عز وجل ، قال ابن عباس : مَثَلُ هُدَاهُ في قلب المؤمن .

والثاني : أنها ترجع إلى المؤمن ، فتقديره : مَثَلُ نُورِ الْمُؤْمِن ، قاله أبي ابن كعب . وكان أبي وابن مسعود يقرآن : « مَثَلُ نُورٍ مَنْ آمَنَ بِهِ » .

والثالث : أنها ترجع إلى محمد ﷺ ، قاله كعب .

والرابع : أنها ترجع إلى القرآن ، قاله سفيان .

فأما المشكاة ، ففيها ثلاثة أقوال .

أحدها : أنها في مواضع الفتيلة من القنديل الذي هو كالأنبوب ، والمصباح : الضوء ، قاله ابن عباس .

والثاني : أنها القنديل ، والمصباح : الفتيلة ، قاله مجاهد .

والثالث : أنها الكوة التي لا منفذ لها ، والمصباح : السراج ، قاله كعب ، وكذلك قال الفراء : المشكاة : الكوة التي ليست بنافذة . وقال ابن قتيبة : المشكاة :

(١) وفي « الصحيحين » عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل يقول : « اللهم لك الحمد ، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت قيّوم السموات والأرض ومن فيهن . . . » الحديث .

الكوة بلسان الحبشة . وقال الزجاج : هي من كلام العرب <sup>(١)</sup> ، والمصباح : السراج .  
 وإنما ذكر الزجاج ، لأن النور في الزجاج أشد ضوءاً منه في غيره . وقرأ  
 أبو رجاء المطاردي ، وابن أبي عملة : « في زجاجة الزجاج » بفتح الزاي فيها .  
 وقرأ معاذ القاري ، وعاصم الجحدري ، وابن يعمر : بكسر الزاي فيها . قال بعض  
 أهل المعاني : معنى الآية : كمثل مصباح في مشكاة ، فهو من المقلوب .

فأما الدرري ، فقرأ أبو عمرو ، والكسائي ، وأبان عن عاصم « دري »  
 بكسر الدال وتخفيف الياء ممدوداً ميموزاً . قال ابن قتيبة : المعنى على هذا : إنه من  
 الكواكب الدراري ، وهي اللاتي يدركان عليك ، أي : يطلن . وقال الزجاج :  
 هو مأخوذ من درأ يدرأ : إذا اندفع منقضاً فتضاعف نوره ، يقال : ندارأ  
 الرجلان : إذا تدافعا . وروى المفضل عن عاصم كسر الدال وتشديد الياء من  
 غير همز ولا مد ، وهي قراءة عبد الله بن عمر ، والزهري . وقرأ ابن كثير ،  
 ونافع ، وابن عامر ، وحفص عن عاصم : « دري » بضم الدال وكسر الراء

(١) قال ابن جرير الطبري : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال . ذلك مثل  
 ضربه الله للقرآن في قلب أهل الإيمان به ، فقال : مثل نور الله الذي أثار به لبعاده سبيل  
 الرشاد الذي أنزله إليهم فآمنوا به وصدقوا بما فيه ، في قلوب المؤمنين ، مثل مشكاة ،  
 وهي عمود القنديل الذي فيه الفتيلة ، وذلك هو نظير الكوة التي في الحيطان التي لا منفذ لها ،  
 وإنما جعل ذلك العمود مشكاة ، لأنه غير نافذ ، وهو أجوف مفتوح الأعلى ، فهو كالكوة  
 التي في الحائط التي لا تنفذ ، ثم قال : ( فيها مصباح ) وهو السراج ، وجعل السراج  
 وهو المصباح مثلاً لما في قلب المؤمن من القرآن والآيات المبينات ، ثم قال : ( المصباح في  
 زجاجة ) يعني أن السراج الذي في المشكاة : في القنديل ، وهو الزجاج ، وذلك مثل القرآن ،  
 يقول : القرآن الذي في قلب المؤمن الذي أثار الله قلبه في صدره ، ثم مثل الصدر في خلوته  
 من الكفر بالله والشك فيه ، واستنارته بنور القرآن ، واستنائه بآيات ربه المبينات  
 ومواعظه فيها ، بالكوكب الدرري ، فقال ( الزجاج ) وذلك صدر المؤمن الذي فيه قلبه ( كأنها  
 كوكب دري ) . اهـ .

وتشديد الياء من غير مدٍّ ولا همز ، وقرأ عثمان بن عفان ، وابن عباس ، وعاصم ،  
المجذري : « دَرِي » بفتح الدال وكسر الراء ممدوداً مهبوزاً . وقرأ أبي  
ابن كعب ، وسعيد بن المسيب ، وقتادة : بفتح الدال وتشديد الراء والياء من غير  
مدٍّ ولا همز . وقرأ ابن مسعود ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، وقتادة ، وابن عمر :  
بفتح الدال وكسر الراء مهبوزاً مقصوراً . قال الزجاج : الدَّرِيّ : منسوب إلى  
أنه كالدرّ في صفائه وحسنه . وقال الكسائي : الدَّرِيّ : الذي يشبه الدرّ ، والدَّرِيّ :  
جارٍ ، والدَّرِيّ : باتمّ ، وقرأ حمزة ، وأبو بكر عن عاصم ، والوليد بن عتبة عن  
ابن عامر : بضم الدال وتخفيف الياء مع إثبات الهمزة والمدّ ، قال الزجاج : فالنحويون  
أجمعون لا يعرفون الوجه في هذا ؛ وقال الفراء : ليس هذا بجائز في العربية ، لأنه  
ليس في الكلام « فُعَيْل » إلا أعجمي ، مثل مُرَيْق ، وما أشبهه . وقرأت علي شيخنا  
أبي منصور اللغوي : المُرَيْق : المُصْفَر ، أعجمي معرّب ، وليس في كلامهم اسم  
على زنة فُعَيْل . قال أبو علي : وقد حكى سيبويه عن أبي الخطاب : كوكب  
دُرِيّ : من الصفات ، ومن الأسماء : المُرَيْق : المُصْفَر .

قوله تعالى : ( تَوَقَّدَ ) قرأ ابن كثير . وأبو عمرو : بالتاء المفتوحة وتشديد  
القاف ونصب الدال ، يريدان المصباح ، لأنه هو الذي يوقد . وقرأ نافع ،  
وابن عامر ، وحفص عن عاصم : « يُوَقَّدُ » بالياء مضمومة مع ضم الدال ،  
يريدون المصباح أيضاً . وقرأ حمزة والكسائي ، وأبو بكر عن عاصم : « تَوَقَّدَ »  
بضم التاء والدال ، يريدون الزجاج ، قال الزجاج : والمقصود : مصباح الزجاج ،  
فحذف المضاف .

قوله تعالى : ( من شجرة ) أي : من زيت شجرة ، فحذف المضاف ، يدلّك  
على ذلك قوله : ( يكاد زيتها يضيء ) ؛ والمراد بالشجرة هاهنا : شجرة الزيتون .

وَبَرَكْتُهُا مِنْ وَجْهِهِ ، فَانْهَاجَتْ جَمْعَ الْأَذْمِ وَالذَّهْنِ وَالْقَوْدِ ، فَيُوقَدُ بِحَطْبِ الزَّيْتُونِ ، وَيُغَسَّلُ بِرَمَادِهِ الْإِبْرِسِمِ ، وَيُسْتَخْرَجُ دُهْنُهُ أَسْهَلُ اسْتِخْرَاجٍ ، وَيُورَقُ غَصْنُهُ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ . وَإِنَّمَا خُصِّتْ بِالذِّكْرِ هَاهُنَا دُونَ غَيْرِهَا ، لِأَنَّ دُهْنَهَا أَصْفَى وَأَضْوَأُ ، قَوْلُهُ تَعَالَى : ( لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ) فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ .

أَحَدُهَا : أَنَّهَا بَيْنَ الشَّجَرِ ، فِيهِ خَضْرَاءُ نَاعِمَةٌ لَا تَصِيبُهَا الشَّمْسُ ، قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ كَعْبٍ ، وَرَوَاهُ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ .

وَالثَّانِي : أَنَّهَا فِي الصَّحْرَاءِ لَا يُظْلِلُهَا جَبَلٌ وَلَا كَهْفٌ ، وَلَا يُوَارِيهَا شَيْءٌ ، فَهُوَ أَجْوَدُ لَزِيَّتِهَا ، رَوَاهُ عِكْرَمَةُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَبِهِ قَالَ مُجَاهِدٌ ، وَالزَّجَاجُ .  
وَالثَّلَاثُ : أَنَّهَا مِنْ شَجَرِ الْجَنَّةِ ، لَا مِنْ شَجَرِ الدُّنْيَا ، قَالَ الْحَسَنُ <sup>(١)</sup> .

قَوْلُهُ تَعَالَى : ( يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ ) أَيُّ : يَكَادُ مِنْ صِفَائِهِ يُضِيءُ . قَبْلَ أَنْ تَصِيبَهُ النَّارُ بِأَنْ يُوَقَدَ بِهِ . ( نُورٌ عَلَى نُورٍ ) قَالَ مُجَاهِدٌ : النَّارُ عَلَى الزَّيْتِ . وَقَالَ ابْنُ السَّائِبِ : الْمَصْبَاحُ نُورٌ ، وَالزَّجَاجَةُ نُورٌ . وَقَالَ أَبُو سَلِيمَانَ الدَّمَشَقِيُّ : نُورُ النَّارِ ، وَنُورُ الزَّيْتِ ، وَنُورُ الزَّجَاجَةِ <sup>(٢)</sup> ، ( يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ ) فِيهِ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ .

(١) قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ : وَأَوَّلَى هَذِهِ الْأَقْوَالُ بِتَأْوِيلِ ذَلِكَ قَوْلُ مَنْ قَالَ : إِنَّهَا شَرْقِيَّةٌ غَرْبِيَّةٌ ، وَقَالَ : وَمَعْنَى الْكَلَامِ : لَيْسَتْ شَرْقِيَّةٌ تَطْلُعُ عَلَيْهَا الشَّمْسُ بِالْعَشِيِّ دُونَ الْمُدَاةِ ، وَلَكِنَّ الشَّمْسَ تَشْرِقُ عَلَيْهَا وَتَقْرُبُ ، فِيهِ شَرْقِيَّةٌ غَرْبِيَّةٌ ، وَإِنَّمَا قُلْنَا : ذَلِكَ أَوَّلَى بِمَعْنَى الْكَلَامِ ، لِأَنَّ اللَّهَ إِنَّمَا وَصَفَ الزَّيْتَ الَّذِي يُوَقَدُ عَلَى هَذَا الْمَصْبَاحِ بِالصَّفَاءِ وَالْجُودَةِ ، فَإِذَا كَانَ شَجَرُهُ شَرْقِيًّا غَرْبِيًّا ، كَانَ زَيْتُهُ لَا شَكَّ أَجْوَدُ وَأَصْفَى وَأَضْوَأُ . اهـ .

وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ بَعْدَ أَنْ سَرَدَ عِدَّةَ أَقْوَالٍ : وَأَوَّلَى هَذِهِ الْأَقْوَالُ أَنَّهَا فِي مَسْتَوًى مِنَ الْأَرْضِ فِي مَكَانٍ فَصِيحٍ بَادٍ ظَاهِرٍ ضَاحٍ لِلشَّمْسِ تَقْرَعُهُ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ إِلَى آخِرِهِ ، لِيَكُونَ ذَلِكَ أَصْفَى لَزِيَّتِهَا وَأَلْطَفَ ، كَمَا قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ ، قَالَ : وَلِهَذَا قَالَ : ( يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ) قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمٍ : يَعْنِي لِنُورِهِ لِإِشْرَاقِ الزَّيْتِ . اهـ .

(٢) قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ : نُورُ النَّارِ وَنُورُ الزَّيْتِ حِينَ اجْتِمَعَا أَضَاءً ، وَلَا يُضِيءُ وَاحِدٌ بِغَيْرِ صَاحِبِهِ ، كَذَلِكَ نُورُ الْقُرْآنِ وَنُورُ الْإِيمَانِ حِينَ اجْتِمَعَا فَلَا يَكُونُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا إِلَّا بِصَاحِبِهِ . اهـ .

أحدها : لنور القرآن . والثاني : لنور الإيمان . والثالث : لنور محمد ﷺ .  
والرابع : لدينه الإسلام <sup>(١)</sup> .

### ❦ فصل ❦

فأما وجه هذا المثل ، ففيه ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه شبه نور محمد ﷺ بالمصباح النير ؛ فالمشكاة جوف رسول الله ﷺ ،  
والمصباح النور الذي في قلبه ، والزجاجة قلبه ، فهو من شجرة مباركة ، وهو إبراهيم  
عليه السلام ، سماء شجرة مباركة ، لأن أكثر الأنبياء من صلبه « لاشرقية ولا غربية »  
لإيهودي ولا نصراني ، يكاد محمد ﷺ يتبين للناس أنه نبي ولو لم يتكلم . وقال  
القرظي : المشكاة : إبراهيم ، والزجاجة : إسماعيل ، والمصباح : محمد ، صلى الله عليه وعليهم  
وسلم . وقال الضحاك : شبه عبد المطلب بالمشكاة ، وعبد الله بالزجاجة ، ومحمداً ﷺ  
بالمصباح <sup>(٢)</sup> .

والثاني : أنه شبه نور الإيمان في قلب المؤمن بالمصباح ، فالمشكاة : قلبه ، والمصباح :  
نور الإيمان فيه . وقيل : المشكاة : صدره ، والمصباح : القرآن والإيمان اللذان في

(١) قال ابن جرير الطبري : وقوله : ( يهدي الله أنوره من يشاء ) يقول تعالى ذكره : يوفق الله  
لاتباع أنوره ، وهو هذا القرآن من يشاء من عباده . اهـ . فملى هذا الضمير يعود على القرآن ، وهو الصواب .  
(٢) هذا تأويل ، وليس تفسيراً لظاهر الآيات . قال ابن جرير الطبري : وقوله : ( ويضرب  
الله الأمثال للناس ) يقول : ويمثل الله الأمثال والأشياء للناس ، كما مثل لهم مثل هذا القرآن  
في قلب المؤمن بالمصباح في المشكاة وصائر ما في هذه الآية من الأمثال ، ( والله بكل شيء عليم )  
يقول : والله يضرب الأمثال وغيرها من الأشياء كلها ، ذو علم .

وقال ابن كثير : وقوله : ( ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم ) : لا ذكر  
تعالى هذا مثلاً لنور هداية في قلب المؤمن ، ختم الآية بقوله : ( ويضرب الله الأمثال للناس  
والله بكل شيء عليم ) أي : هو أعلم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الضلال . اهـ .



صدره ، والزجاجة : قلبه ، فكأنه مما فيه من القرآن والإيمان كوكب مضيّ تَوَقَّدَ من شجرة ، وهي الإخلاص ، فتل الإخلاص عنده كشجرة لانصبها الشمس ، فكذلك هذا المؤمن قد احتس من أن تصيبه الفتن ، فان أُعطي شكر ، وإن ابتلي صبر ، وإن قال صدق ، وإن حكم عدل ، فقلب المؤمن يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم ، فاذا جاءه العلم ازداد هدىً على هدى كما يكاد هذا الزيت يضيء قبل أن تمسه النار ، فاذا مسته اشتدُّ نوره ، فالمؤمن كلامه نور ، وعمله نور ، ومدخله نور ، ومخرجه نور ، ومصيره إلى نور يوم القيامة .

والثالث : أنه شبه القرآن بالمصباح يُستضاء به ولا ينقص ، والزجاجة : قلب المؤمن ، والمشكاة : لسانه وفه ، والشجرة المباركة : شجرة الوحي ، تكادُ حجج القرآن تنضح وإن لم تُقرأ . وقيل : تكادُ حجج الله نضيء لمن فكَّر فيها وتدبرها ولو لم ينزل القرآن ، « نور على نور » أي : القرآن نور من الله خلقه مع ما قد قام لهم من الدلائل والأعلام قبل نزول القرآن .

قوله تعالى : ( وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ) أي : ويبين الله الأشباه للناس تقريباً إلى الأفهام وتسهيلاً لسبل الإدراك .

﴿ فِي يُتَوَاتَرُ أَذْنَ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالنُّذُورِ وَالْأَصَالِ . رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ . لِيَجْزِيَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

قوله تعالى : ( فِي يُتَوَاتَرُ ) قال الزجاج : « في » من صلة قوله : « كشكاة » ،

فالمعنى : كشكاة في بيوت ؛ ويجوز أن تكون متصلة بقوله : « يَسْبَحُ لَهُ فِيهَا » فتكون فيها تكريراً على التوكيد ؛ والمعنى : يَسْبَحُ لله رجال في بيوت .  
 فإن قيل : المشكاة إنما تكون في بيت واحد ، فكيف قال : « في بيوت » ؟  
 فمنه جوابان . أحدهما : أنه من الخطاب المتلون الذي يُفتح بالتوحيد ويختم بالجمع ، كقوله : ( يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ ) [ الطلاق : ١ ] .  
 والثاني : أنه راجع إلى كل واحد من البيوت ، فالمعنى : في كل بيت مشكاة .  
 وللمفسرين في المراد بالبيوت هاهنا ثلاثة أقوال .  
 أحدها : أنها المساجد ، قاله ابن عباس ، والجمهور . والثاني : بيوت أزواج رسول الله ﷺ <sup>(١)</sup> ، قاله مجاهد . والثالث : بيت المقدس ، قاله الحسن <sup>(٢)</sup> .  
 فأما ( أذِنَ ) فمعناه : أَمَرَ . وفي معنى ( أَنْ تُرْفَعَ ) قولان .  
 أحدهما : أَنْ تَمْظَمَ ، قاله الحسن ، والضحاك .  
 والثاني : أَنْ تُبْنَى ، قاله مجاهد ، وقطادة .

(١) وهذا أيضاً تأويل ، فإن المقصود من البيوت هنا : المساجد .  
 (٢) والقول الأول هو الصواب . قال ابن كثير : لا ضرب الله تعالى مثل قاب المؤمن وما فيه من الهدى واللم بالمصباح في الزجاجة الصافية المتوقد من زيت طيب ، وذلك كالتقديس ، مثلاً ، ذكر محله وهي المساجد التي هي أحب البقاع إلى الله تعالى من الأرض ، وهي بيوته التي يُعبد فيها ويوحّد ، فقال تعالى : ( في بيوت أذن الله أن ترفع ) أي : أمر الله تعالى بتعاهدها وتطهيرها من الدنس واللغو والأقوال والأفعال التي لا تليق فيها . اهـ .  
 وقد ورد في فضل بناء المساجد واحترامها وتوقيرها ونظيفها وتبخيرها أحاديث كثيرة ، منها ما أخرجه البخاري ومسلم في « صحيحهما » عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من بنى مسجداً يبتني به وجه الله بنى الله له بيتاً في الجنة » وروى ابن ماجه في « سننه » بسند صحيح عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من بنى مسجداً لله كفحص قطاة أو أصغر بنى الله له بيتاً في الجنة » ، والأحاديث في ذلك كثيرة .

وفي قوله : ( وَيُذَكِّرَ فِيهَا اسْمُهُ ) قولان .

أحدهما : توحيده ؛ رواه أبو صالح عن ابن عباس . والثاني : يُتلى فيها كتابه ، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس .

قوله تعالى : ( يُسَبِّحُ ) قرأ ابن كثير ، وحفص عن عاصم ، ونافع ، وأبو عمرو ، وحمة ، والكسائي : « يُسَبِّحُ » بكسر الباء ؛ وقرأ ابن عامر ، وأبو بكر عن عاصم : بفتحها . وقرأ معاذ القاري ، وأبو حبة : « تُسَبِّحُ » بتاء مرفوعة وكسر الباء ورفع الحاء .

وفي قوله : ( يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا ) قولان .

أحدهما : أنه الصلاة . ثم في صلاة المُدَوِّ قولان . أحدهما : أنها صلاة الفجر ، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس . والثاني : صلاة الضحى ، روى ابن أبي مُليكة عن ابن عباس قال : إن صلاة الضحى لفي كتاب الله ، وما ينوص عليها إلا غَوَاص ، ثم قرأ « يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ » . وفي صلاة الآصال قولان . أحدهما : أنها صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، قاله ابن السائب . والثاني : صلاة العصر ، قاله أبو سليمان الدمشقي .

والقول الثاني : أنه التسبيح المعروف ، ذكره بعض المفسرين .

قوله تعالى : ( رَجُلًا لَا تُؤْتِيهِمْ ) أي : لَا تُشْفَلُهُمْ ( تِجَارَةٌ وَلَا يَبِيعُ )<sup>(١)</sup>

قال ابن السائب : التَّجَارُ : الجلابون ، والباعة : المقيمون . وقال الواقدي : التجارة هاهنا بمعنى الشراء .

(١) قال ابن كثير : يقول تعالى : لَا تُشْفَلُهُمُ الدُّنْيَا وَزُخْرُفُهَا وَزِينَتُهَا وَمِلَاحُ يَمِينِهَا وَرَبِيعُهَا عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمُ الَّذِي هُوَ خَالِفُهُمْ وَرَازِقُهُمْ ، وَالَّذِينَ يَمْلِكُونَ أَنْ الَّذِي عِنْدَهُ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ وَأَنْفَعُ مِمَّا بَأْيَدِيهِمْ ، لِأَنَّ مَا عِنْدَهُمْ يَنْقُذُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى : ( لَا تُؤْتِيهِمْ تِجَارَةً وَلَا يَبِيعُ ) عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ( أي : يَقْدُمُونَ طَاعَتَهُ وَمِرَادَهُ وَحُبَّتَهُ عَلَى مِرَادِهِمْ وَحُبَّتِهِمْ . اهـ .

وفي المراد بذكر الله ثلاثة أقوال .

أحدها : الصلاة المكتوبة ، قاله ابن عباس ، وعطاء . وروى سالم عن ابن عمر أنه كان في السوق فأقيمت الصلاة ، فأغلقوا حوانيتهم ودخلوا المسجد ، فقال ابن عمر : فيهم نزلت « رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله » .

والثاني : عن القيام بحق الله ، قاله قتادة .

والثالث : عن ذكر الله باللسان ، ذكره أبو سليمان الدمشقي .

قوله تعالى : ( وإقام الصلاة ) أي : أداؤها لوقتها وإتمامها .

فان قيل : إذا كان المراد بذكر الله الصلاة ، فما معنى إعادتها ؟

فالجواب : أنه يبين أنهم يقيمونها بأدائها في وقتها .

قوله تعالى : ( تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ) في معناه ثلاثة أقوال .

أحدها : أن من كان قلبه مؤمناً بالبعث والنشور ، ازداد بصيرة برؤية ما وعده به ؛ ومن كان قلبه على غير ذلك ، رأى ما يوقن معه بأمر القيامة ، قاله الزجاج .

والثاني : أن القلوب تتقلب بين الطمع في النجاة والخوف من الهلاك ،

والأبصار تتقلب ، تنظر من أين يؤتون كتبهم ، أم من قبل اليمين ، أم من قبل

الشمال ؛ وأي ناحية يؤخذ بهم ، أذات اليمين ، أم ذات الشمال ؛ قاله ابن جرير .

والثالث : تتقلب القلوب فتبلغ إلى الحناجر ، وتتقلب الأبصار إلى الزرق

بعد الكحل والمعنى بعد النظر .

قوله تعالى : ( لِيَجْزِيَهم ) المعنى : يستبحون الله ليجزيهم ( أحسن ماعملوا )

أي : ليجزيهم بحسناتهم . فأما مسألونهم فلا يجزيهم بها ( ويترد من فضله )

مالم يستحقوه بأعمالهم ( والله يرزق من يشاء بغير حساب ) قد شرحناه في ( آل عمران : ٢٧ ) .

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ . أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَفْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرُهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾

ثم ضرب الله مثلاً للكفار فقال : ( والذين كفروا أعمالهم كسراب ) قال ابن قتيبة : السراب : ما رأيت من الشمس كلاماً نصف النهار ، والآل : ما رأيت في أول النهار وآخره ، وهو يرفع كل شيء ، والقيعة والقاع واحد . وقرأ أبي بن كعب ، وعاصم الجحدري ، وابن السميع : « بِقِيعَاتٍ » . وقال الزجاج : القيعة جمع قاع ، مثل جارٍ وجيرة ، والقيعة والقاع : ما انبسط من الأرض ولم يكن فيه نبات ، فالذي يسير فيه يرى كأن فيه ماءً يجري ، وذلك هو السراب ، والآل مثل السراب ، إلا أنه يرتفع وقت الضحى - كلاماً - بين السماء والأرض يحسبه الظمآن - وهو الشديد العطش - ماءً ، حتى إذا جاء إلى موضع السراب رأى أرضاً لأماء فيها ، فأعلم الله أن الكافر الذي يظن أن عمله قد نفعه عند الله - كظن الذي يظن السراب ماءً - وعمله قد حبط .

قوله تعالى : ( ووجد الله عنده ) أي : قدم على الله ( فوفاه حساباً ) أي : جازاه بعمله ؛ وهذا في الظاهر خبر عن الظمآن ، والمراد به الخبر عن الكافر . زاد المسير ٦ م (٤)

قوله تعالى : ( والله سريع الحساب ) مفسّر في ( البقرة : ٢٠٢ ) .

قوله تعالى : ( أو كظلمات ) في هذا المثل قولان .

أحدهما : أنه لعمل الكافر ، قاله الجمهور ، واختاره الزجاج .

والثاني : أنه مثل لقلب الكافر في أنه لا يعقل ولا يُنصّر ، قاله الفراء .

فأما اللّجبيّ ، فهو العظيم اللّجّة ، وهو العميق ( ينشأ ) أي : يعلو ذلك البحر

( موجٌ من فوقه ) أي : من فوق الموج موج ، والمعنى : يتبع الموج موج ، حتى

كان بمضه فوق بعض ، ( من فوقه ) أي : من فوق ذلك الموج ( سحب ) .

ثم ابتداء فقال : ( ظلمات ) يعني : ظلمة البحر ، وظلمة الموج [ الأول ،

وظلمة الموج ] الذي فوق الموج ، وظلمة السحاب . وقرأ ابن كثير ، وابن عيصن :

« سحبٌ ظلمات » مضافاً ( إذا أخرج يده ) يعني : إذا أخرجها مُخرجٌ ، ( لم

يكدرها ) فيه قولان .

أحدهما : أنه لم يرها ، قاله الحسن ، واختاره الزجاج . قال : لأن في دون

هذه الظلمات لا يرى الكفّ ؛ وكذلك قال ابن الأنباري : معناه : لم يرها البتّة ،

لأنه قد قام الدليل عند وصف تكاثف الظلمات على أن الرؤية معدومة ، فبان بهذا

الكلام أن « يكدر » زائدة للتوكيد ، بمنزلة « ما » في قوله : ( عمّا قليل ليصبحنّ

نادمين ) [ المؤمنون : ٤٠ ] .

والثاني : أنه لم يرها إلا بعد الجهد ، قاله المبرّد . قال الفراء : وهذا كما تقول :

ما كدت أبلغ إليك ، وقد بلغت ، قال الفراء : وهذا وجه العربية .

### ﴿ فصل ﴾

فأما وجه المثل ، فقال المفسرون : لما ضرب الله للمؤمن مثلاً بالشور ،

ضرب (١) للكافر هذا المثل بالظلمات ؛ والمعنى : أن الكافر في حيرة لا يهتدي لرشد . وقيل : الظلمات : ظلمة الشرك وظلمة المعاصي . وقال بعضهم : ضرب الظلمات مثلاً لعمله ، والبحر اللججى لقلبه ، والموج لما يغشى قلبه من الشرك والجهل والحيرة ، والسحاب للرئين والختم على قلبه ، فكلامه مظلمة ، وعمله مظلمة ، ومدخله مظلمة ، ومخرجه مظلمة ، ومصيره إلى الظلمات يوم القيامة .

قوله تعالى : ( ومن لم يجعل الله له نوراً ) فيه قولان .

أحدهما : ديناً وإيماناً ، قاله ابن عباس ، والسدي . والثاني : هداية ، قاله الزجاج . ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ . وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾

قوله تعالى : ( أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) قد تقدم تفسيره [ البقرة : ٣٠ ] .

قوله تعالى : ( وَالطَّيْرِ ) أي : وتسبح له الطير ( صافَّاتٍ ) أي : باسطات أجنحتها في الهواء . وإنما خص الطير بالذكر ، لأنها تكون بين السماء والأرض إذا طارت ، فهي خارجة عن جملة مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ .

قوله تعالى : ( كُلٌّ ) أي : من الجملة التي ذكرها ( قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ) قال المفسرون : الصلاة ، لبني آدم ، والتسبيح ، لغيرهم من الخلق .

وفي المشار إليه بقوله : « قَدْ عَلِمَ » قولان .

أحدهما : أنه الله تعالى ، والمعنى : قد علم الله صلاة المصلي وتسبيحه ، قاله الزجاج .

والثاني : أنه المصلي والمسيح . ثم فيه قولان . أحدهما : قد علم المصلي والمسيح صلاة نفسه وتسبيحه ، أي : قد عرف ما كلف من ذلك . والثاني : قد علم المصلي صلاة الله وتسبيحه ، أي : علم أن ذلك لله تعالى وحده .

وقرأ قتادة ، وعاصم المجذري ، وابن يعمر : « كُلُّ قَدْ عَلِمَ » برفع العين وكسر اللام « صَلَاتُهُ وَتَسْبِيحُهُ » بالرفع فيها .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ . يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾

قوله تعالى : ( أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ) أي : يسوقه ( ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ) أي : يضم بعضه إلى بعض ، فيجعل القطع المتفرقة قطعة واحدة . والسحاب لفظ لفظ الواحد ، ومعناه الجمع ، فهذا قال : « يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا » أي : يجعل بعض السحاب فوق بعض ( فَتَرَى الْوَدْقَ ) وهو المطر . قال الليث : الْوَدْقُ : المطر كله شديده وهينه .

قوله تعالى : ( مِنْ خِلَالِهِ ) وقرأ ابن مسعود ، وابن عباس ، وأبو العالية ، ومجاهد ، والضحاك : « مِنْ خَلَلِهِ » . وَالْخِلَالُ : جمع خَلَلٍ ، مثل : جبال وجبل . ( وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ ) مفعول الإنزال محذوف ، تقديره : وينزل من السماء من جبال فيها من بَرَدٍ بَرَدًا ، فاستغنى عن ذكر المفعول للدلالة عليه . و « مِنْ » الأولى ، لابتداء الغاية ، لأن ابتداء الإنزال من السماء ، والثانية ، للتبخيص ، لأن الذي ينزله الله بعض تلك الجبال ، والثالثة ، لتبيين الجنس ، لأن جنس تلك [ الجبال ]



جنس البرَد ؛ قال المفسرون : وهي جبال في السماء مخلوقة من بَرَد . وقال الزجاج : معنى الكلام : وينزل من السماء من جبال بَرَد فيها ، كما تقول : هذا خاتم في يدي من حديد ، المعنى : هذا خاتم حديد في يدي .

قوله تعالى : ( فَيُصِيبُ بِهِ ) أي : بالبرَد ( من يشاء ) فيضربه في زرعه وثمره . والسنا : الضوء ، ( يَذْهَبُ ) وقرأ مجاهد ، وأبو جعفر : « يُذْهِبُ » بضم الياء وكسر الميم . ( يَلْتَبِثُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ) أي : يأتي بهذا ، ويذهب بهذا ( إِنَّ فِي ذَلِكَ ) التعلُّب ( لَعِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ) أي : دلالة لأهل البصائر والعقول على وحدانية الله وقدرته .

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

قوله تعالى : ( وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ ) وقرأ حمزة ، والكسائي : « وَالله خالِقُ كُلِّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ » وفي الماء قولان . أحدهما : أن الماء أصل كُلِّ دَابَّةٍ .

والثاني : أنه النطفة ، والمراد به : جميع الحيوان المشاهد في الدنيا . وإنما قال : « فمنهم » تغليظاً لما يعقل . وإنما لم يذكر الذي يمشي على أكثر من أربع ، لأنه في رأي العين كالذي يمشي على أربع ، وقيل : لأنه يعتمد في المشي على أربع . وإنما سمى السائر على بطنه ماشياً ، لأن كُلَّ سائرٍ مستمرٍ يقال له : ماشٍ وإن لم يكن حيواناً ، حتى إنه يقال : قدمشي هذا الأمر ، هذا قول الزجاج . وقال أبو عبيدة : إنما هذا على سبيل التشبيه بالماشي ، لأن المشي لا يكون على البطن ، إنما يكون

لمن له قوائم ، فإذا خلطوا ماله قوائم بما لا قوائم له ، جاز ذلك ، كما يقولون :  
أكلت خبزاً ولبناً ، ولا يقال : أكلت لبناً .

﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ . وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ . وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ . أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ . إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾

قوله تعالى : ( ويقولون آمنا بالله ) قال المفسرون : نزلت في رجل من المنافقين يقال له : بشر كان بينه وبين يهودي حكومة ، فدعا اليهودي المنافق إلى رسول الله ﷺ ليحكم بينهما ، فقال المنافق لليهودي : إن محمداً يحيف علينا ، ولكن بني وبينك كعب بن الأشرف ، فنزلت هذه الآية <sup>(١)</sup> .

قوله تعالى : ( ثم يتولى فريق منهم ) يعني : المنافقين ( من بعد ذلك ) أي : من بعد قولهم : آمنا ( وما أولئك ) يعني : المعرضين عن حكم الله ورسوله ( بالمؤمنين . وإذا دُعوا إلى الله ) أي : إلى كتابه ( ورسوله ليحكم بينهم )

(١) ذكره الواخدي في « أسباب النزول » ، ١٨٨ سبباً لنزول قوله تعالى : ( وإذا دُعوا إلى الله ورسوله ) . . . والتي بعدها بدون سند .

الرسول ( إذا فريق منهم مُعْرِضُونَ ) ومعنى الكلام : أنهم كانوا يُعْرِضُونَ عن حكم الرسول عليهم ، لعلمهم أنه يحكم بالحق ؛ وإن كان الحق لهم على غيرهم ، أسرعوا إلى حكمه مدعين ، لثقتهم أنه يحكم لهم بالحق . قال الزجاج : والإذعان في اللغة : الإسراع مع الطاعة ، تقول : قد أذعن لي ، أي : قد طأوعني لما كنتُ ألتسه منه .

قوله تعالى : ( أفى قلوبهم مرض ) أي : كفر ( أم ارتابوا ) أي : شكوا في القرآن ؛ وهذا استفهام ذم وتوبيخ ، والمعنى : إنهم كذلك ، وإنما ذكره لفظ الاستفهام ليكون أبلغ في ذمهم ، كما قال جرير في المدح :  
أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا [ وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونٌ رَاح ]<sup>(١)</sup>  
أي : أنتم كذلك . فأما الحيف ، فهو : الميل في الحكم ؛ يقال : حاف في قضيته ، أي : جار ، ( بل أولئك هم الظالمون ) أي : لا يظلم اللهُ ورسوله أحداً ، بل هم الظالمون لأنفسهم بالكفر والإعراض عن حكم الرسول .

ثم نعت المؤمنين ، فقال : ( إنما كان قول المؤمنين ) قال الفراء : ليس هذا بخبرٍ ماضٍ ، وإنما المعنى : إنما كان ينبغي أن يكون قول المؤمنين إذا دعوا أن يقولوا سمعنا . وقرأ الحسن ، وأبو الجوزاء : « إنما كان قول المؤمنين » بضم اللام . وقرأ أبو جعفر ؛ وعاصم الجحدري ، وابن أبي [ بليل ] : « ليحكم بينهم » برفع الياء وفتح الكاف . وقال المفسرون : والمعنى : سمعنا قول رسول الله ﷺ وأطعنا أمره ، وإن كان ذلك فيما يكرهونه .

قوله تعالى : ( وَيَخْشَى اللَّهَ ) أي : فيما مضى من ذنوبه ( وَيَتَّقِهِ ) فيما بعدُ أن يعصيه . وقرأ ابن كثير ، وحمة ، والكسائي ، وورش عن نافع : « وَيَتَّقَنِي »

(١) ديوانه : ٩٨ ، و « مجاز القرآن » : ١١٨/٢ ، و « القرطبي » : ٢٩٤/١٢ .

موصولة ياء . وروى قالون عن نافع : « وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ » بكسر الهماء لا يبلغ بها الياء . وقرأ أبو عمرو ، وابن عامر ، وأبو بكر عن عاصم : « وَيَتَّقْهُ » جزماً . ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةً مَعْرُوفَةً إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ . قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَآحِظَتُكُمْ وَإِنْ نُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْإِبْلَاجُ الْمُبِينُ ﴾

قوله تعالى : ( وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ ) قال المفسرون : لما نزل في هؤلاء المناققين مانزل من بيان كراحتهم لحكم الله ، قالوا للنبي ﷺ : والله لو أمرتنا أن نخرج من ديارنا وأموالنا ونسائنا لخرجنا ، فكيف لا أرضى حكمتك ! فزلت هذه الآية (١) . وقد بينّا معنى « جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ » [ المائدة : ٥٣ ] ، ( لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ) من أموالهم وديارهم ، وقيل : ليخرجن إلى الجهاد ( قل لا تُقْسِمُوا ) هذا تمام الكلام ؛ ثم قال : ( طَاعَةً مَعْرُوفَةً ) قال الزجاج : المعنى : أمثل من قسمكم الذي لانصدقون فيه طاعة معروفة . قال ابن قتبية : وبعض النحويين يقول : الضمير فيها : لتكن منكم طاعة معروفة ، أي : صحيحة لانفاق فيها .

قوله تعالى : ( فَإِنْ تَوَلَّوْا ) هذا خطاب لهم ، والمعنى : فإن تولّوا ، فحذف لإحدى التاءين ومعنى التولّي : الإعراض عن طاعة الله ورسوله ، ( فَإِنَّمَا عَلَيْهِ ) يعني : الرسول ( مَا حُمِّلَ ) من التبليغ ( وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ ) من الطاعة ؛ وذكر بعض المفسرين أن هذا منسوخ بآية السيف ، وليس بصحيح .

(١) ذكره بنحوه مختصراً السيوطي في « الدرر » : ٥٤/٥ من رواية ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما .

قوله تعالى : ( وَإِنْ تُطِيعُوهُ ) يعني : رسول الله ﷺ ( تَهْتَدُوا ) ، وكان بعض السلف يقول : من أمر السنّة على نفسه قولاً وفعلًا ، نطق بالحكمة ، ومن أمر الهوى على نفسه قولاً وفعلًا ، نطق بالبدعة ، لقوله : « وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا » .

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ . وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاطِيعُوا الرُّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

قوله تعالى : ( وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ ) روى أبو عبد الله الحاكم في « صحيحه » من حديث أبي بن كعب قال : لما قَدِمَ رسولُ الله ﷺ وأصحابه المدينة وآوام الانصار ، رمتهم العرب عن قوس واحدة ، كانوا لا يبيتون إلا في السلاح ، ولا يصبحون إلا في لآمتهم ، فقالوا : أترونا نعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين لا نخاف إلا الله عز وجل ١١ فنزلت هذه الآية <sup>(١)</sup> . قال أبو العالية : لما أظهر الله عز وجل رسوله على جزير العرب ، وضعوا السلاح وأمنوا ، ثم قبض الله نبيّه ، فكانوا آمنين كذلك في إمارة أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، حتى وقموا فيما وقموا فيه وكفروا بالنمة ، فأدخل الله عز وجل عليهم الخوف ، فغيّروا ، فغيّر وقموا فيه وكفروا بالنمة ، فأدخل الله عز وجل عليهم الخوف ، فغيّروا ، فغيّر

(١) رواه الحاكم في « المستدرک » ٤٠١/٢ وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ، ولم يخبرناه ، وواقفه الذهبي ، وذكره السيوطي في « الدر » : ٥٥/٥ ، وزاد نسبه لابن المنذر ، والطبراني في « الأوسط » ، وابن مردويه ، والبيهقي في « الدلائل » ، والضياء في « المختارة » عن أبي بن كعب رضي الله عنه .

الله تعالى ما بهم <sup>(١)</sup> . وروى أبو صالح عن ابن عباس : أن هذا الوعد وعده الله أمة محمد في التوراة والإنجيل . وزعم مقاتل أن كفار مكة لما صدوا رسول الله ﷺ والمسلمين عن العمرة عام الحديبية ، قال المسلمون . لو أن الله تعالى فتح علينا مكة ، فنزلت هذه الآية .

قوله تعالى : ( لَيْسْتَ خَلِيفَتُهُمْ ) أي : ليجعلهم يخلفون من قبلهم ، والمعنى : ليورثهم أرض الكفار من العرب والعجم ، فيجعلهم ملوكها وسلاستها وسكاتها . وعلى قول مقاتل : المراد بالأرض مكة .

قوله تعالى : ( كما استخلف الذين من قبلهم ) وقرأ أبو بكر عن عاصم : « كما استخلف » بضم التاء وكسر اللام ؛ يعني : بني إسرائيل ، وذلك أنه لما هلكت الجبارة بمصر ، أورثهم الله أرضهم وديارهم وأموالهم .

قوله تعالى : ( وَلَئِنْ كُنْتُمْ لَهُمْ دِينُهُمْ ) وهو الإسلام ، وتمكينه : إظهاره على كل دين ، ( وَلَئِنْ كُنْتُمْ لَهُمْ ) وقرأ ابن كثير ، وأبو بكر ، وأبان ، ويعقوب : « وَلَئِنْ كُنْتُمْ لَهُمْ » بسكون الباء وتخفيف الدال ( من بعد خوفهم أمنا ) لأنهم كانوا مظلومين مقهورين <sup>(٢)</sup> ، ( يعبدوني ) هذا استئناف كلام في الثناء عليهم ، ( ومن كفر بعد ذلك ) هذه النعم ، أي : من جحد حقها . قال المفسرون : وأول من كفر بهذه النعم قتل عثمان .

(١) رواه الواحدي في ، أسباب النزول : ١٨٨ ، وذكره السيوطي في ، الدر ، ٥٥/٥ عن عبد بن حميد ، وابن أبي حاتم .

(٢) قال ابن كثير : هذا وعد من الله تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه ، بأنه سيجعل أمة خلفاء الأرض ، أي : أمة الناس ، والولاية عليهم ، وبهم تصلح البلاد ، وتخضع لهم العباد ، وليدلتهم من بعد خوفهم من الناس أمنا وحكماً فيهم ، وقد فعله تبارك وتعالى ، وله الحمد والمنة ، فإنه ﷺ لم يمت حتى فتح الله عليه مكة وخير والبحرين وسائر جزيرة العرب وأرض اليمن بكاملها ، وأخذ الجزية من مجوس هجر ومن بعض أطراف الشام ، وهاداه هرقل ملك

﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ  
النَّارُ وَكَيِّسَ الْمَصِيرُ﴾

قوله تعالى : ( لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ) قرأ ابن عامر ، وحمة عن عاصم :  
« لَا يَحْسَبَنَّ » بالياء وفتح السين . وقرأ الباقر : بالثاء وكسر السين .

— الروم . صاحب مصر وإسكندرية ، وهو المقوقس ، وملوك عمان ، والنجاشي ملك الحبشة الذي  
تملك بعد أصحمة رحمه الله وأكرمه . ثم لما مات رسول الله ﷺ ، واختار الله له ماعنده  
من الكرامة ، قام بالأمر بعده خليفته أبو بكر الصديق ، فلم يمت ماوهى بعد موته ﷺ ،  
وأخذ جزيرة العرب ومهدّها ، وبث جيوش الاسلام إلى بلاد فارس صحبة خالد بن الوليد  
رضي الله عنه ، ففتحوا طرفاً منها وقتلوا خلقاً من أهلها ، وجيشاً آخر صحبة أبي عبيدة  
رضي الله عنه ومن اتبعه من الأمراء إلى أرض الشام ، وقائلاً صحبة عمرو بن العاص رضي الله  
عنه إلى بلاد مصر ، وفتح الله للجيش الشامي في أيامه بصرى ودمشق وغاليفها من أراضي  
حوران وما والاها ، وتوفاه الله عز وجل ، واختار له ماعنده من الكرامة ، ومن على أهل  
الاسلام بأن ألهم الصديق أن يستخلف عمر الفاروق ، فقام بالأمر بعده قياً تماً ، لم يدُر  
الملك بعد الأنبياء على مثله في قوة سيرته وكمال عدله ، وتم في أيامه فتح البلاد الشامية بكاملها  
وديار مصر إلى آخرها وأكثر إقليم فارس ، وكسر كسرى وأهانته غاية الهوان ، وتقهر إلى  
أقصى مملكته ، وقصر قيصر وانتزع يده عن بلاد الشام ، وانحدر إلى القسطنطينية ، وأفقق  
أموالها في سبيل الله كما أخبر بذلك ووعد به رسول الله عليه من ربه أتم سلام وأزكى  
صلاة . ثم لما كانت الدولة العثمانية ( دولة عثمان بن عفان رضي الله عنه ) امتدت الممالك  
الاسلامية إلى أقصى مشارق الأرض ومغاربها ، ففتحت بلاد المغرب إلى أقصى ما هنالك الأندلس  
وقبرص وبلاد القيروان وبلاد سبتة وما يلي البحر المحيط ، ومن ناحية المشرق إلى أقصى بلاد  
الصين ، وقتل كسرى وباد ملكه بالكلية ، وفتحت مدائن العراق وخراسان والأهواز ، وقتل  
المسلمون من الترك مقتلة عظيمة جداً ، وخذل الله ملكهم الأعظم خاقان ، وجي الخراج من  
المشارق والمغرب إلى حضرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وذلك ببركة تلاوته  
ودراسته وجمعه الأمة على حفظ القرآن ، ولهذا ثبت في « الصحيح » أن رسول الله ﷺ  
قال : « إن الله زوى لي الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها ، وسيلغ ملك أمي مازوي لي منها ،  
قال ابن كثير : فها نحن نتكلم فيها وعدنا الله ورسوله ، وصديق الله ورسوله ، فنسأل الله  
الايان به وبرسوله ، والقيام بشكره على الوجه الذي يرضيه عنا . اهـ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَ أَذِنُكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ  
وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ  
الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ  
الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَ هُنَّ  
طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ  
الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ  
فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ  
لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي  
لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ  
مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾  
قوله تعالى : ( لَيْسَ أَذِنُكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ) في سبب نزولها قولان .

أحدهما : أن رسول الله ﷺ وجه غلاماً من الأنصار يقال له : مُدْلَجُ بْنُ  
عَمْرِو بْنِ عُمَرَ ، فدخل وقت الظهر ليدعوه ، فدخل فرأى عمر على حالة كرهه  
عمرُ رؤيته عليها ، فقال : يا رسول الله ، وددتُ لو أن الله أمرنا ونهانا في حال  
الاستئذان ، فنزلت هذه الآية ، قاله ابن عباس (١) .

والثاني : أن أسماء بنت مرثد (٢) كان لها غلام ، فدخل عليها في وقت كرهته ،  
فأتت رسول الله ﷺ ، فقالت : إنَّ خدمنا وغلماطنا يدخلون علينا في حالة نكرها ،  
فنزلت هذه الآية ، قاله مقاتل (٣) .

(١) ذكره الواحدي في « أسباب النزول » : ١٨٩ عن ابن عباس بدون سند .  
(٢) في الأصل : أسماء بنت مرثد ، وما أثبتناه من « الإصابة » وبعض كتب التفسير .  
(٣) وكذلك ذكره الواحدي في « أسباب النزول » ، ١٨٩ عن مقاتل بدون سند ، وخروجه  
بنحوه السيوطي في « الدر » : ٥٥/٥ من رواية ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان .



ومعنى الآية : ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم ؛ وفيهم قولان .

أحدهما : أنه أراد الذكور دون الإناث ، قاله ابن عمر .

والثاني : الذكور والإناث ، رواه أبو حصين عن أبي عبد الرحمن <sup>(١)</sup> . ومعنى

الكلام : ليستأذنكم ممالككم في الدخول عليكم . قال القاضي أبو يعلى : والأظهر أن

يكون المراد : العبيد الصغار والإماء الصغار ، لأن العبد البالغ بمنزلة الحر البالغ

في تحريم النظر إلى مولاته ، فكيف يضاف إلى الصبيان الذين هم غير مكلفين ؟

فوله تعالى : ( والذين لم يلبثوا الحُلُم ) وقرأ عبد الوارث : « الحُلُم »

باسكان اللام ( منكم ) أي : من أحراركم من الرجال والنساء ( ثلاث مرّات ) أي :

ثلاثة أوقات ؛ ثم يئنها فقالي : ( من قبل صلاة الفجر ) وذلك لأن الإنسان قد

يَبِيتُ عُريَاناً ، أو على حالة لا يجب أن يُطْلَعَ عليه فيها ( وحين تضعون ثيابكم

من الظَّهيرة ) أي : القائلة ( ومن بعد صلاة العشاء ) حين يأوي الرجل إلى زوجته ،

( ثلاثُ عَوْرَات ) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وحفص

عن عاصم : « ثلاثُ عورات » برفع التاء من « ثلاث » ، والمعنى : هذه الأوقات

هي ثلاث عورات ، لأن الإنسان يضع فيها ثيابه ، فربما بدت عورته . وقرأ حمزة ،

والكسائي ، وأبو بكر عن عاصم : « ثلاثُ عورات » بنصب التاء ؛ قال أبو علي :

وجعلوه بدلاً من قوله : « ثلاثُ مرّات » والأوقات ليست عورات ، ولكن

المعنى : أنها أوقات ثلاث عورات ، فلما حذف المضاف أعرب [ بأعراب المحذوف ] .

وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي ، وسميد بن جبير ، والأعمش : « عَوْرَات » بفتح

الواو ، ( ليس عليكم ) يعني : المؤمنين الأحرار ( ولا عليهم ) يعني : الخدم

(١) قال ابن جرير الطبري : وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال : عُنِي

به الذكور والإناث ، لأن الله عم بقوله : ( الذين ملكت أيمانكم ) جميع أملاك أيماننا ، ولم يخص

منهم ذكراً ولا أنثى ، فذلك على جميع من عمه ظاهر التزيل . اهـ .

والغلمان ( جُنَاح ) أي : حرج ( بَمَدَهْن ) أي : بعد مُضي هذه الأوقات في أن لا يستأذنوا ، فرفع الحرج عن الفريقين ، ( طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ ) أي : هم طوافون عليكم ( بمضكم على بعض ) أي : يطوف بمضكم وهم الممالك على بعض وهم الأحرار .

### ❦ فصل ❦

وأكثر علماء المفسرين على أن هذه الآية محكمة ، ومن روي عنه ذلك ابن عباس ، والقاسم بن محمد ، وجابر بن زيد ، والشعبي ، وحكي عن سعيد بن المسيب أنها منسوخة بقوله : ( وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا ) ؛ والأول أصح ، لأن معنى هذه الآية : وإذا بلغ الأطفال منكم ، أو من الأحرار الحلم ، فليستأذنوا ، أي : في جميع الأوقات في الدخول عليكم ( كما استأذن الذين من قبلهم ) يعني : كما استأذن الأحرار الكبار ، الذين هم قبلهم في الوجود ، وهم الذين أمروا بالاستئذان على كل حال ؛ فالبالغ يستأذن في كل وقت ، والطفل والملوك يستأذنان في العورات الثلاث .

قوله تعالى : ( والقواعد من النساء ) قال ابن قتبية : يعني : المُجَزَّز ، واحدها : قاعدة ، ويقال : إنما قيل لها : قاعدٌ ، لعمودها عن الحيض والولد ، وقد تقعد عن الحيض والولد ومثلها يرجو النكاح ، ولا أراها سميت قاعدة إلا بالعمود ، لأنها إذا أسنت عجزت عن التصرف وكثرة الحركة ، وأطالت العمود ، ف قيل لها : « قاعدة » بلا هاء ، ليدل حذف الهاء على أنه عمود كبير ، كما قالوا : « امرأة حامل » ، ليدلوا بحذف الهاء على أنه حمل حبل ، وقالوا في غير ذلك : قاعدة في بيتها ، وحاملة على ظهرها .

قوله تعالى : ( أن يضعن ثيابهن ) أي : عند الرجال ؛ ويعني بالثياب :

الجلباب والرداء والقناع الذي فوق الخمار ، هذا المراد بالثياب ، لا جميع الثياب ،  
 ( غير متبرجات بزينة ) أي : من غير أن يُردنَ بوضع الجلباب أن<sup>(١)</sup>  
 تُرى زينتهن ؛ والتبرج : إظهار المرأة محاسنها ، ( وأن يستمتعفن ) فلا يَضَعْنَ  
 تلك الثياب ( خَيْرٌ لهن ) ، قال ابن قتيبة : والعرب تقول : امرأةٌ واضعٌ :  
 إذا كبرت فوضعت الخمار ، ولا يكون هذا إلا في الهرمة . قال القاضي أبو بلى :  
 وفي هذه الآية دلالة على أنه يُباح [ للمجوز ] كشف وجهها وبديها بين يدي  
 الرجال ، وأما شعرها ، فيحرم النظر إليه كشمرة الشابة .

﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْكُمْ مَفَاتِحُهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾  
 قوله تعالى : ( ليس على الأعْمى حَرَجٌ ) في سبب نزولها خمسة أقوال .

أحدها : أنه لما نزل قوله تعالى : « لَأَتَاكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ »  
 [النساء : ٢٩] تحرَّج المسلمون عن مؤاكلة المرضى والزَّمَنِي والمُمْنِي والعُرْج ،  
 وقالوا : الطعام أفضل الأموال ، وقد نهى الله تعالى عن أكل المال بالباطل ،

(١) في الأصل : أي .

والأعمى لا يُبْصِر موضع الطعام الطيب ، والمريض لا يستوفي الطعام ، فنزلت هذه الآية ، قاله ابن عباس <sup>(١)</sup> .

والثاني : أن ناساً كانوا إذا خرجوا مع رسول الله ﷺ ، وضعوا مفاتيح بيوتهم عند الأعمى والأعرج والمريض وعند أقاربهم ، وكانوا يأمرؤنهم أن يأكلوا مما في بيوتهم إذا احتاجوا ، فكانوا يَتَّقُونَ أن يأكلوا منها ، ويقولون : نخشى أن لا تكون أنفسُهم بذلك طيبة ، فنزلت هذه الآية ، قاله سعيد بن المسيب <sup>(٢)</sup> .

والثالث : أن العُرجان والعُميان كانوا يمتنعون عن مؤاكلة الأصحاء ، لأن الناس يتقدرونهم ، فنزلت هذه الآية ، قاله سعيد بن جبير ، والضحاك <sup>(٣)</sup> .

والرابع : أن قوماً من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا إذا لم يكن عندهم ما يُطعمون المريض والزَّمِينَ ، ذهبوا به إلى بيوت آبائهم وأمهاتهم وبعض من سمى الله عز وجل في هذه الآية ، فكان أهل الزَّمانَةِ يتحرَّجون من أكل ذلك الطعام لأنه أطمعهم غير مالكة ، فنزلت هذه الآية ، قاله مجاهد <sup>(٤)</sup> .

والخامس : أنها نزلت في إسقاط الجهاد عن أهل الزَّمانَةِ المذكورين في الآية ، قاله الحسن ، وابن زيد .

(١) « الطبري » : ١٨/١٦٨ ، وذكره الواحدي في « أسباب النزول » : ١٨٩ عن ابن عباس بدون سند . وخرجه السيوطي في « الدر » : ٥/٥٨ من رواية ابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي عن ابن عباس .

(٢) « أسباب النزول » ، للواحدي : ١٩٠ ، وذكره السيوطي بنحوه في « الدر » : ٥/٥٨ من رواية عبد بن حميد .

(٣) ذكره بنحوه الطبري : ١٨/١٦٨ عن الضحاك ، وهو عند الواحدي في « أسباب النزول » ، ١٨٩ بدون سند .

(٤) « الطبري » : ١٨/١٦٩ ، وهو عند الواحدي في « أسباب النزول » بدون سند ، وذكره السيوطي في « الدر » بنحوه : ٥/٨٥ .

فعلى القول الاول يكون معنى الآية : ليس عليكم في الأعمى حرج أن تأكلوا معه ، ولا في الأعرج ، وتكون « على » بمعنى « في » ، ذكره ابن جرير . وكذلك يخرج [ معنى الآية ] على كل قول بما يليق به . وقد كان جماعة من المفسرين يذهبون إلى أن آخر الكلام « ولا على المريض حرج » وأن ما بعده مستأنف لاتعلق له به ، وهو يقوي قول الحسن ، وابن زيد .  
قوله تعالى : ( أن تأكلوا من يوتكم ) فيه ثلاثة أقوال .  
أحدها : أنها بيوت الأولاد .

والثاني : البيوت التي يسكنونها وهم فيها عيال غيرهم ، فيكون الخطاب لأهل الرجل وولده وخادمه ومن يشتمل عليه منزله ، ونسبها إليهم لأنهم سكناها .  
والثالث : أنها بيوتهم ، والمراد أكلهم من مال عيالهم وأزواجهم ، لأن بيت المرأة كبيت الرجل .

ولما أباح الأكل من بيوت القربات المذكورين ، لجريان العادة ببذل طعامهم لهم ؛ فإن كان الطعام وراء حرز ، لم يجز هتك الحرز .  
قوله تعالى : ( أو ماملكتكم مفاتيحه ) فيه ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه الوكيل ، لا بأس أن يأكل البشير ، وهو معنى قول ابن عباس .  
وقرأها سعيد بن جبير ، وأبو العالية : « مُلَيْكَتُمْ » بضم الميم وتشديد اللام مع كسرها على ما لم يسم فاعله ، وفسرها سعيد فقال : يعني القهرمان الذي بيده المفاتيح .  
وقرأ أنس بن مالك ، وقتادة ، وابن عمر : « مِفْتَاحَه » بكسر الميم على التوحيد .  
والثاني : بيت الإنسان الذي يملكه ، وهو معنى قول قتادة .

والثالث : بيوت السيد ، قاله الضحاك .

قوله تعالى : ( أَوْ سَدِّيقِكُمْ ) قال ابن عباس : نزلت هذه في الحارث بن عمرو ، خرج مع رسول الله ﷺ غازياً ، وخلف مالك بن زيد على أهله ، فلما رجع وجده مجهوداً ، فقال : تَحَرَّجْتُ أَنْ آكُلَ مِنْ طَعَامِكَ بِغَيْرِ إِذْنِكَ ، فنزلت هذه الآية (١) . وكان الحسن وقادة يريان الأكل من طعام الصديق بغير استئذان جائزاً .

قوله تعالى : ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً ) في سبب نزول هذه [ الآية ] ثلاثة أقوال .

أحدها : أن حياً من بني كنانة يقال لهم : بنو ليث كانوا يتحرَّجون أن يأكل الرجل الطعام وحده ، فربما قعد الرجل والطعام بين يديه من الصباح إلى الرواح ، فنزلت هذه الآية ، قاله قتادة والضحاك (٢) .

والثاني : أن قوماً من الأنصار كانوا لا يأكلون إذا نزل بهم ضيف إلا مع ضيفهم ، فنزلت هذه الآية ، ورخص لهم أن يأكلوا جميعاً أو أشتاتاً ، قاله عكرمة (٣) .  
والثالث : أن المسلمين كانوا يتحرَّجون من مؤاكلة أهل الضرع خوفاً من أن يستأثروا عليهم ، ومن الاجتماع على الطعام ، لاختلاف الناس في مآكلهم وزيادة بعضهم على بعض ، فوسَّع عليهم ، وقيل : « لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً » أي : مجتمعين « أَوْ أَشْتَاتاً » أي : متفرقين ، قاله ابن قتيبة .

قوله تعالى : ( فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا ) فيها ثلاثة أقوال .

- (١) ذكره السيوطي في « الدر » : ٥/٨٨ من رواية الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما .
- (٢) « أسباب النزول » للواحيدي عن قتادة والضحاك بدون سند ، وذكره الطبري عن عن قتادة ، والسيوطي في « الدر » من رواية عبد بن حميد ، وابن أبي حاتم عن قتادة .
- (٣) « الطبري » : ١٨/١٧٢ ، و « أسباب النزول » للواحيدي : ١٩٠ ، وذكره السيوطي في « الدر » : ٥/٨٨ وزاد لسته لابن المنذر .

أحدها : أنها بيوت أنفسكم ، فسلّموا على أهاليكم وعيالكم ، قاله جابر بن عبد الله ، وطاووس ، وعتادة .

والثاني : أنها المساجد ، فسلّموا على مَنْ فيها ، قاله ابن عباس .

والثالث : بيوت الغير ؛ فالمعنى : إذا دخلتم بيوت غيركم فسلّموا عليهم ، قاله الحسن <sup>(١)</sup> .

قوله تعالى : ( تحيةً ) قال الزجاج : هي منصوبة على المصدر ، لأن قوله : ( فسلّموا ) بمعنى : فحيّوا وليُحيّ <sup>(٢)</sup> بعضكم بعضاً تحيةً ، ( من عند الله ) قال مقاتل : مباركة بالأجر ، ( طيبةً ) أي : حسنة .

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرُسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

قوله تعالى : ( وإذا كانوا معه ) يعني : مع رسول الله ﷺ ( على أمر جامع ) أي : على أمر طاعة يجتمعون عليها ، نحو الجهاد والجمعة والعيد ونحو ذلك ( لم يذهبوا حتى يستأذنوه ) قال المفسرون : كان رسول الله ﷺ إذا صعد المنبر

(١) قال ابن جرير الطبري : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : مضاء : فإذا دخلتم بيوتاً من بيوت المسلمين ، فليسلم بعضكم على بعض ، قال : وإنا قلنا : ذلك أولى بالصواب ، لأن الله جل ثناؤه قال : ( فإذا دخلتم بيوتاً ) ولم يخص من ذلك بيتاً دون بيت ، وقال : ( فسلموا على أنفسكم ) يعني : بعضكم على بعض ، فكان معلوماً إذ لم يخص ذلك على بعض البيوت دون بعض ، أنه معنيٌّ به جميعها ، مساجدها وغير مساجدها . اهـ .

(٢) في الأصل : تحيوا ويحيي .

يوم الجمعة ، وأراد الرجل أن يخرج من المسجد لحاجة أو عذر ، لم يخرج حتى يقوم بحيال رسول الله ﷺ حيث يراه ، فيعرف أنه إنما قام ليستأذن ، فيأذن لمن شاء منهم ، فالأمر إليه في ذلك . قال مجاهد : وإذن الإمام يوم الجمعة أن يشير يده .

قوله تعالى : ( وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ ) أي : لخروجهم عن الجماعة إن رأيت لهم عذراً .

﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

قوله تعالى : ( لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ) فيه ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه نهي عن التعرض لإسقاط رسول الله ﷺ ، فانه إذا دعا على شخص فدعوته موجبة ، قاله ابن عباس .

والثاني : أنهم أمروا أن يقولوا : يا رسول الله ، ونهوا أن يقولوا : يا محمد ،

قاله سعيد بن جبير ، وعلقمة ، والأسود ، وعكرمة ، ومجاهد .

والثالث : أنه نهي لهم عن الإبطاء إذا أمرهم والتأخير إذا دعاهم ، حكاه الماوردي .

وقرأ الحسن ، وأبو رجاء ، وأبو المتوكل ، ومعاذ القاري : « دعاء الرسول

نبيكم » ياء مشددة ونون قبل الباء .

قوله تعالى : ( قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ ) التسلل : الخروج في خفية .



وَاللَّوَاذِ : أَن يَسْتَرِ بِشَيْءٍ خَافَةَ مَن يَرَاهُ . وَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ « قَدْ بَعَلَّمُ » التَّهْدِيدُ بِالْمُجَازَاةِ . قَالَ الْفَرَاءُ : كَانَ الْمُنَاقِقُونَ يَشْهَدُونَ الْجُمُعَةَ فَيَذْكُرُهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَيُعِيبُهُمْ بِالْآيَاتِ الَّتِي أُتِرَتْ فِيهِمْ ، فَانْخَفَى لِأَحَدِهِم الْقِيَامُ قَامَ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ : ( قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَنْسَلُّونَ مِنْكُمْ لِيُؤَاذُوا ) أَيُ : يَلُودُ هَذَا بِهَذَا ، أَيُ : يَسْتَرِ ذَا بَذَا (١) . وَإِنَّمَا قَالَ : « لِيُؤَاذُوا » لِأَنَّهَا مُصَدَّرٌ « لِيُؤَاذَتْ » ، وَلَوْ كَانَ مُصَدَّرًا لـ « لُذِّتُ » لَقُلْتُ : « لُذِّتُ لِيُؤَاذُوا » ، كَمَا تَقُولُ : « قُتِلْتُ قِيَامًا » . وَكَذَلِكَ قَالَ ثَعْلَبُ : وَقَعَ الْبِنَاءُ عَلَى لَوَاذٍ مُلَاوَذَةٍ ، وَلَوْ بَنِيَ عَلَى لَازٍ يَلُودُ ، لَقِيلَ : لِيُؤَاذُوا . وَقِيلَ : هَذَا كَانَ فِي حَفْرِ الْخَنْدَقِ ، كَانَ الْمُنَاقِقُونَ يَنْصَرِفُونَ عَنْ غَيْرِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُحْتَفِينَ . قَوْلُهُ تَعَالَى : ( فَلْيُبْخِذْ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ) فِي هَاءِ الْكِنَايَةِ قَوْلَانِ . أَحَدُهُمَا : أَنَّهَا تَرْجِعُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ .

وَالثَّانِي : إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قَالَهُ قَتَادَةُ .

وَفِي « عَنْ » قَوْلَانِ .

أَحَدُهُمَا : [ أَنَّهَا ] زَائِدَةٌ ، قَالَهُ الْأَخْفَشُ . وَالثَّانِي : أَنَّ مَعْنَى « يُخَالِفُونَ » : يُعْرِضُونَ عَنْ أَمْرِهِ .

وَفِي الْفِتْنَةِ هَاهُنَا ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ .

أَحَدُهَا : الضَّلَالَةُ ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ . وَالثَّانِي : بَلَاءٌ فِي الدُّنْيَا ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ . وَالثَّلَاثُ : كُفْرٌ ، قَالَهُ السُّدِّيُّ ، وَمُقَاتِلٌ .

(١) قَالَ ابْنُ جُرَيْرٍ الطَّيْبِيُّ : يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : إِنَّكُمْ أَيُّهَا الْمُنْصَرِفُونَ عَنْ نَبِيِّكُمْ بِغَيْرِ إِذْنِهِ تَسْتَكْبِرُونَ وَخَفِيَّةٌ مِنْهُ ، وَإِنْ خَفِيَ أَمْرٌ مِنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ذَلِكَ ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ ، فَلْيَتَّقِ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ - الَّذِينَ يُخَالِفُونَ أَمْرَ اللَّهِ فِي الْإِنْصِرَافِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا بِإِذْنِهِ - أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ مِنَ اللَّهِ ، أَوْ بِصِيبِهِمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فَيُطِيعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَيَكْفُرُوا بِاللَّهِ . اهـ .

قوله تعالى : ( أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ) فيه قولان .

أحدهما : القتل في الدنيا . والثاني : عذاب جهنم في الآخرة <sup>(١)</sup> .

قوله تعالى : ( قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ) أي : ما في أنفسكم ، وما تنطوي عليه ضمائرکم من الإيمان والتفاق ؛ وهذا تنبيه على الجزاء على ذلك <sup>(٢)</sup> .



(١) قال ابن كثير في قوله : ( فليحذر الذين يخالفون عن أمره ) أي : عن أمر رسول الله ﷺ وهو سبيله ومناهجه وطريقته وسنته وشريعته ، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله ، فما وافق ذلك قيل ، وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله كائناً من كان ، كما ثبت في « الصحيحين » وغيرهما عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » ، أي : فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول ﷺ باطناً وظاهراً ( أن تصيبهم فتنه ) أي في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة ( أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ) أي : في الدنيا بقتل أو حدة أو حبس أو نحو ذلك . اهـ .

وقد قال رسول الله ﷺ فيها رواد مسلم في « صحيحه » : ١٧٩٠/٤ عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً ، فجعل الخشب والغرائس يقمن فيها وهو يذبحن عنها ، وأنا آخذٌ بحجزكم عن النار وأنتم تفلتون من يدي » .

(٢) قال ابن جرير الطبري : ( قد يعلم ما أنتم عليه ) من طاعتكم إياه فيما أمركم ونهاكم من ذلك ، ثم قال ابن جرير في تمة السورة : ( ويوم ترجعون إليه ) يقول : ويوم يرجع إلى الله الذين يخالفون عن أمره ( فينبشهم ) يقول : فيخبرهم حينئذ ( بما عملوا ) في الدنيا ثم يحاسبهم على ما أسلفوا فيها من خلافهم على ربهم ( وافة بكل شيء عليم ) يقول : والله ذو علم بكل شيء عملتموه أنتم وم وغيركم ، وغير ذلك من الأمور ، لا يخفى عليه شيء ، بل هو محيط بذلك كله ، وهو موفٍ كل عامل منكم أجر عمله يوم ترجعون إليه . اهـ .

## سورة الفرقان

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ، الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا . وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴾

قال ابن عباس ، والحسن ، ومجاهد ، وعكرمة ، وقتادة في آخرين : هي مكية . وحكي عن ابن عباس وقتادة أنها قالا : إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة ، وهي قوله : ( والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ) إلى قوله : ( غفوراً رحيمًا ) [ الفرقان : ٦٨ - ٧٠ ] .

قوله تعالى : ( تبارك ) قد شرحناه في ( الأعراف : ٥٤ ) والفرقان : القرآن ، سمي فرقاناً ، لأنه يُفرّق به بين الحق والباطل .  
والمراد بعبدته : محمد ﷺ ، ( ليكون ) فيه قولان .

أحدهما : أنه كناية عن عبده ، قاله الجمهور . والثاني : عن القرآن ، حكاه الماوردي .

قوله تعالى : ( للمالئين ) يعني الجن والإنس ( نذيراً ) [ أي ] : خوفاً من عذاب الله .

قوله تعالى : ( فقدّر له تقديرًا ) فيه ثلاثة أقوال .

أحدها : سوءه وهيبته لما يصلح له ، فلا خلل فيه ولا تفاوت . والثاني : قدّر له ما يصلحه ويقيمه . والثالث : قدّر له تقديرًا من الأجل والزق .

ثم ذكر ما صنعه المشركون ، فقال : ( واتخذوا من دونه آلهة ) يعني : الأصنام ( لا يخلقون شيئاً وهم يُخلقون ) أي : وهي مخلوقة ( ولا يملكون لأنفسهم ضراً ) أي : دفع ضرر ، ولا جبر نفع ، لأنها جاد لا قدرة لها ، ( ولا يملكون موتاً ) أي : لا تملك أن تميت أحداً ، ولا أن تحيي أحداً ، ولا أن تبعث أحداً من الأموات ؛ والمعنى : كيف يبعدون ما هذه صفته ، ويتركون عبادة من يقدر على ذلك كله ؟!

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا . وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا . قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾

قوله تعالى : ( وقال الذين كفروا ) يعني : مشركي قريش ؛ وقال مقاتل : هو قول النضر بن الحارث من بني عبد الدار ( إن هذا ) أي : ما هذا ، يعنون القرآن ( إلا إفك ) أي : كذب ( افتراه ) أي : اختلقه من تلقاء نفسه ( وأما أنه عليه قوم آخرون ) قال مجاهد : يعنون اليهود ؛ وقال مقاتل : أشاروا إلى عداس

مولى حوبطب ، ويسار غلام عامر بن الحضرمي ، وجبر مولى لعاصر أيضاً ، وكان الثلاثة من أهل الكتاب .

قوله تعالى : ( فقد جاؤوا ظلماً وزوراً ) قال الزجاج : المعنى : فقد جاؤوا بظلم وزور ، فلما سقطت الباء ، أفضى الفعل فنصب ، والزور : الكذب . ( وقالوا أساطير الأولين ) المعنى : وقالوا : الذي جاء به أساطير الأولين ؛ وقد يئسنا ذلك في ( الأنعام : ٢٥ ) . قال المفسرون : والذي قال هذا هو النصر بن الحارث . ومعنى ( اكتبها ) أمر أن تكتب له . وقرأ ابن مسعود ، وإبراهيم النخعي ، وطلحة بن مصرف : « اكتبها » برفع التاء الأولى وكسر الثانية ، والابتداء على قراءتهم برفع الهمزة ، ( فهي تملأ عليه ) أي : تُقرأ عليه ليحفظها لا يكتبها ، لأنه لم يكن كاتباً ، ( بكرة وأصيل ) أي : غدوة وعشي . ( قل ) لهم يا محمد : ( أنزلناه ) يعني : القرآن ( الذي يعلم السر ) أي : لا يخفى عليه شيء ( في السموات والأرض ) .

﴿ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا . أَوْ يُنْزِلُ إِلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا . أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾

قوله تعالى : ( وقالوا ) يعني المشركين ( مال هذا الرسول يأكل الطعام ) أنكروا أن يكون الرسول بشراً يأكل الطعام ويمشي في الطرقات كما يمشي سائر الناس يطلب المعيشة ؛ والمعنى : أنه ليس بملك ولا ملك ، لأن الملائكة لا تأكل ، والملوك لا تنبذل في الأسواق ، فمجبوا أن يكون مساوياً للبشر لا يتميز عليهم

بشيء ؛ وإنما جعله الله بشراً ليكون مجانساً للذين أرسل إليهم ، ولم يجعله ملكاً يتمتع من المشي في الأسواق ، لأن ذلك من فعل الجبارة ، ولأنه أمر بدعائهم ، فاحتاج أن يمشي بينهم .

قوله تعالى : ( لولا أنزل إليه ملكٌ ) وذلك أنهم قالوا له : سل ربك أن يبعث ملكاً يصدقك ويجعل لك جناناً وقصوراً وكنوزاً ، فذلك قوله : ( أو يُلقَى إليه كَنْزٌ ) أي : ينزل إليه كنز من السماء ( أو تكون له جَنَّةٌ يأكل منها ) أي : بستان يأكل من ثماره . قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وعاصم ، وابن عامر : « يأكل منها » بالياء ، يعنون النبي ﷺ . وقرأ حمزة ، والكسائي : « نأكل » بالنون ، قال أبو علي : المعنى : يكون له علينا مزية في الفضل بأكلنا من جنته . وباقي الآية مفسر في ( بي إسرائيل : ٤٧ ) .

قوله تعالى : ( انظر ) يا محمد ( كيف ضربوا لك الأمثال ) حين مثلك بالمسحور ، وبالكاهن والمجنون والشاعر ( فاضلوا ) بهذا عن الهدى ( فلا يستطيعون سبيلاً ) فيه قولان .

أحدهما : لا يستطيعون مخرجاً من الأمثال التي ضربوها ، قاله مجاهد ، والمعنى أنهم كذبوا ولم يجدوا على قلوبهم حجة وبرهاناً . وقال الفراء : لا يستطيعون في أمرك حيلة .

والثاني : سبيلاً إلى الطاعة ، قاله السدي .

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا . بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا . إِذَا رَأَوْهُمُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهُمْ تَغِيظًا وَزَفِيرًا . وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضِيقًا

مُفَرِّقِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ مُبُورًا . لَأَنْدَعُوا الْيَوْمَ مُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا مُبُورًا كَثِيرًا ﴿

ثم أخبر أنه لو شاء لأعطاه خيراً مما قالوا في الدنيا ، وهو قوله : ( خيراً من ذلك ) يعني : لو شئت لأعطيتك في الدنيا خيراً مما قالوا ، لأنه قد شاء أن يعطيه ذلك في الآخرة . ( وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ) قرأ ابن كثير ، وابن عامر ، وأبو بكر عن عاصم : « ويجعل لك قصوراً » برفع اللام . وقرأ أبو عمرو ، ونافع ، وحزة ، والكسائي ، وحفص عن عاصم : « ويجعل » بحزم اللام . فن قرأ بالجزم ، كان المعنى : إن يشأ يجعل لك جنات ويجعل [ لك ] قصوراً . ومن رفع ، فلي الاستئناف [ المعنى ] : ويجعل لك قصوراً في الآخرة . وقد سبق معنى « أعتدنا » [ النساء : ٣٧ ] ومعنى « السميع » [ النساء : ١٠ ] .

قوله تعالى : ( إذ رأتهم من مكان بعيد ) قال السدي عن أشياخه : من مسيرة مائة عام .

فإن قيل : السميع مذكّر ، فكيف قال : « إذ رأتهم » ؟  
فالجواب : أنه أراد بالسميع النار .

قوله تعالى : ( سَمِعُوا لَهَا تَفِيْظًا ) فيه قولان .

أحدهما : غَلِيَانٌ تَفِيْظٌ ، قاله الزجاج . قال المفسرون : والمعنى أنها تنفيظ عليهم ، فيسمعون صوت تفيظها وزفيرها كالنضبان إذا غلا صدره من النيف .  
والثاني : يسمعون فيها تفيظ المذبذبين وزفيرهم ، حكاه ابن قتيبة .

قوله تعالى : ( وَإِذَا اتَّقَوْا مِنْهَا مَكَانًا ضَيْقًا مُفَرِّقِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ مُبُورًا )  
قال المفسرون : تَضَيَّقَ عليهم كما يضيق الزجج<sup>(١)</sup> على الرمح ، وهم قد مُفَرَّقُوا مع الشياطين والشبور : المهلكة . وقرأ عاصم الجحدري ، وابن السميع : « بُورًا » بفتح الباء .

(١) الزجج : الحديدية التي في أسفل الرمح .

قوله تعالى : ( وادعوا مُنبوراً كثيراً ) قال الزجاج : الثُّبُور مصدر ، فهو للقليل والكثير على لفظ الواحد ، كما تقول : ضربته ضرباً كثيراً ، والمعنى : هلاكهم أكثر من أن يدعوا مرة واحدة . وروى أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « أول من يُكسى من أهل النار يوم القيامة إبليس ، يُكسى حُلَّةً من النار فيضما على حاجبيه ويسحبها من خلفه وذريئته خلفه وهو يقول : يا ثُبُوراه ، وهم ينادون : يا ثُبُورهم ، حتى يقفوا على النار ، فينادي : يا ثُبُوراه ، وينادون : يا ثُبُورهم ، فيقول الله عز وجل : ( لاتدعوا اليوم مُنبوراً واحداً وادعوا مُنبوراً كثيراً ) (١) » .

﴿ قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءٌ وَمَصِيرٌ . لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا ﴾

قوله تعالى : ( قل أذلك ) يعني : السمير ( خيرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ ) وهذا تنبيه على تفاوت ما بين المنزلتين ، لا على أن في السمير خيراً . وقال الزجاج : قد وقع التساوي بين الجنة والنار في أنها منزلان ، فذلك وقع التفضيل بينهما (٢) .

(١) رواه أحمد في المستدرك ، و « الطبري » : ١٨٨/١٨ ، وذكره السيوطي في « الدر » : ٦٤/٥ وزاد نسبه لابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، والبيهقي في « البعث » عن أنس رضي الله عنه .

(٢) قال ابن كثير : يقول تعالى : يا محمد هذا الذي وصفت لك من حال الأشقياء الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم لقلقام بوجه عبوس وتقيظ وزفير ، ويلقون في أماكن الضيق مقرنين لا يستطيعون حراكاً ولا استنصاراً ولا فكاً عما هم فيه ، وهذا خبر أم جنة الخلد التي وعدها الله المتقين من عباده التي أعدها لهم وجعلها لهم جزاءً ومصيراً على ما أطاعوه في الدنيا وجعل مأثم إليها ( لهم فيها ما يشاءون ) من الملاذ ، من مأكول ومشروب وملابس ومساكن ومراكب ومناظر وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب أحد ، وهم في —



قوله تعالى : ( كانت لهم جزاء ) أي : ثواباً ( ومَصيراً ) أي : مَرَجِماً .  
قوله تعالى : ( كان على ربك ) المشار إليه ، إما الدخول ، وإما الخلود ( وَعُذّاً )  
وعدهم الله إياه على السنة الرسل .

وفي معنى « مسؤولاً » قولان .  
أحدهما : مطلوباً . وفي الطالب له قولان . أحدهما : أنهم المؤمنون ، سألوا  
الله في الدنيا إنجاز ما وعدهم [ به ] . والثاني : أن الملائكة سأله ذلك لهم ، وهو  
قوله : ( رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ ) [ غافر : ٨ ] .  
والثاني : أن معنى المسؤول : الواجب .

﴿ وَيَوْمَ يَخْشَرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَنْتُمْ  
أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ . قَالُوا سُبْحَانَكَ  
مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ  
وَأَبَاءَهُمْ حَتَّى كَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا . فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ  
بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمِ مِنْكُمْ  
نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا . وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ  
لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَشْرَبُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ  
لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَنْتَصِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾

قوله تعالى : ( وَيَوْمَ يَخْشَرُهُمْ ) قرأ ابن كثير ، وحفص عن عاصم :  
« يحشرهم » « فيقول » بالياء فيها . وقرأ نافع ، وأبو عمرو ، وحزرة ، والكسائي ،

— ذلك خالدون أبداً دائماً سرمداً بلا انقطاع ولا زوال ولا انقضاء ، ولا يقعون عنها حولاً ، وهذا  
من وعد الله الذي تفضل به عليهم وأحسن به إليهم ، ولهذا قال : ( كان على ربك وعداً مسؤولاً )  
أي : لا بد أن يقع وأن يكون . اهـ .

وأبو بكر عن عاصم : « نحشرهم » بالنون « فيقول » بالياء . وقرأ ابن عامر : « نحشرهم » « فنقول » بالنون فيها جميعاً ؛ يعني : المشركين ، ( وما يَعْبُدُونَ ) قال مجاهد : يعني عيسى وعزيراً والملائكة . وقال عكرمة ، والضحاك : يعني الأصنام ، فيأذن الله للأصنام في الكلام ، ويخاطبها ( فيقول أنتم أضللتهم عبادي ) أي : أمرتهم بعبادتهم ( أم هم ضلُّوا السبيل ) أي : أخطأوا الطريق . ( قالوا ) يعني الأصنام ( سبحانك ) نزهوا الله تعالى أن يُعْبَدَ غيره ( ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ) هؤلاءهم ؛ والمعنى : ما كان ينبغي لنا أن نعبد نحن غيرك ، فكيف ندعو إلى عبادتنا ؟ ! فدل هذا الجواب على أنهم لم يأمرُوا بعبادتهم <sup>(١)</sup> . وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي ، وابن جبير ، والحسن ، وقادة ، وأبو جعفر ، وابن عمر ، وعاصم الجحدري : « أن مُتَّخَذَ » برفع النون وفتح الحاء . ثم ذكروا سبب تركهم الإيمان ، فقالوا : ( ولكن متَّعْتَهُمْ ) أي : أطلت لهم العمر وأوسعت لهم الرزق ( حتى نسُوا الذِّكْرَ ) أي : تركوا الإيمان بالقرآن والانتعاط به ( وكانوا قوماً بُوراً ) قال ابن عباس : هنكى . وقال في روايه أخرى ، البُور : [ في ] لئمة أزد عُمان : الفاسد . قال ابن قتيبة : هو من بَارَ يَبُورُ : إذا هلك وبطل ، يقال : بار الطعامُ : إذا كَسَدَ ، وبارت الأيتامُ : إذا لم يُرْعَبْ فيها ، وكان رسول الله ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنْ بَوَارِ الْاَيْتِمِ ، قال : وقال أبو عبيدة : يقال : رجل بُورٌ ، وقوم بُورٌ ، لا يُجْمَعُ ولا يُشْتَى ، واحتج بقول الشاعر :

(١) كما قال تعالى في حق عيسى عليه السلام : ( وإذا قال الله يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي آلِهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام السُّبُورِ . ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم ... ) الآية [ المائدة : ١١٦ ] .

يَا رَسُولَ الْمَلِكِ إِنَّ لِسَانِي رَاتِقٌ مَا فَتَقْتُ إِذْ أَنَا بُورٌ<sup>(١)</sup>  
وقد سمعنا بـ « رجل بائر » ، ورأيناهم ربما جمعوا « فاعلاً » على « فُعل » ، نحو  
عائذٍ وعُوذٍ ، وشارفٍ وشُرْفٍ . قال المفسرون : فيقال للكفار حينئذ ( فقد  
كذبوكم ) أي : فقد كذبكم المبدون في قولكم : إلههم آلهة . وقرأ سعيد  
ابن جبير ، ومجاهد ، ومماذ القاري ، وابن شنبوذ عن قبل : « بما يقولون »  
بالياء ؛ والمعنى : كذبوكم بقولهم : ( سبحانك ما كانت ينبغي لنا ... ) الآية ؛  
هذا قول الأكثرين . وقال ابن زيد : الخطاب للمؤمنين ؛ فالمعنى : فقد كذبكم  
المشركون بما يقولون : إن محمداً رسول الله ﷺ .

قوله تعالى : ( فَمَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ) قرأ الأكثرون بالياء .  
وفيه وجهان .

أحدهما : فَمَا يَسْتَطِيعُ المبدون صرفاً للعذاب عنكم ولا نصراً لكم .  
والثاني : فَمَا يَسْتَطِيعُ الكفار صرفاً لعذاب الله عنهم ولا نصراً لأنفسهم .  
وقرأ حفص عن عاصم : « تستطيعون » بالياء ؛ والخطاب للكفار . وحكى  
ابن قتيبة عن يونس البصري أنه قال : الصَّرْفُ : الحيلة من قولهم : إنه ليتصرف .  
قوله تعالى : ( وَمَنْ يَظْلِمِ مِنْكُمْ ) أي : بالشرك ( نُذِقْهُ ) في الآخرة .  
وقرأ عاصم الجحدري ، والضحاك ، وأبو الجوزاء [ وقتادة ] : « يذقه » بالياء ( عذاباً كبيراً )  
أي : شديداً . ( وما أَرْسَلْنَا قبلكَ من المرسلين ) قال الزجاج : في الآية محذوف ،

(١) البيت لمبد الله بن الزبئ بن السهمي قاله حين أسلم عند فتح مكة ، وهو في « مجاز  
القرآن » : ٧٣/٢ ، و « غريب القرآن » : ٣٩١ ، و « الطبري » : ١٨/١٩١ ، و « القرطبي » :  
١١/١٣ ، و « اللسان » ، و « التاج » : بور .

تقديره : وما أرسلنا قبلك رُسُلًا من المرسلين ، فحذفت « رسلًا » لأن قوله : ( من المرسلين ) يدل عليها .

قوله تعالى : ( إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ) أي : إنهم كانوا على مثل حالك ، فكيف تكون يدعًا منهم ؟

فان قيل : لم كُسرت « إِنَّهُمْ » هاهنا ، وفتحت في [ ( برأفة : ٥٤ ) في ] قوله : « أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنْهُمْ » فقد يئسنا هنالك علّة فتح تلك ؛ فأما كسر هذه ، فذكر ابن الأنباري فيه وجهين .

أحدهما : أن تكون فيها واو حال مضرة ، فكسرت بعدها « إِنَّ » للاستئناف ، فيكون التقدير : إِلَّا وَإِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّامَ ، فأضمرت الواو هاهنا كما أضمرت في قوله : ( أَوْ مِمَّنْ قَاتَلُونَ ) [ الأعراف : ٤ ] ، والتأويل : أَوْ مِمَّنْ قَاتَلُونَ . والثاني : أن تكون كُسرت لإضمار « مَنْ » قبلها ، فيكون التقدير :

وما أرسلنا قبلك من المرسلين إِلَّا مَنْ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ، قال الشاعر :  
فَظَلُّوا وَمِنْهُمْ دَمْعُهُ سَابِقٌ لَهُ      وَآخِرُهُ يَتِي دَمْعَةُ الْعَيْنِ بِالْمَهْلِ<sup>(١)</sup>  
أراد : مَنْ دَمْعُهُ .

قوله تعالى : ( وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً : الْإِبْتَلَاءُ وَالِاخْتِبَارُ .  
وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه افتتان الفقير بالثني ، بقول : لو شاء لجعلني غنيًا ، والافتنى بالبصير ، والسقيم بالصحيح ، قاله الحسن .

(١) المهمل : التؤدة والسكينة ، والبيت الذي الرمة وهو في د معاني القرآن ٤ : ٣٨٤ ،

وروايته في ديوانه طبع المكتب الاسلامي ص ٥٧٠ :

فَظَلُّوا وَمِنْهُمْ دَمْعُهُ غَالِبٌ لَهُ      وَآخِرُهُ يَتِي عِبْرَةَ الْعَيْنِ بِالْمَهْمَلِ

والثاني : ابتلاء الشريف بالوضع ، والعربي بالمولى ، فاذا أراد الشريف أن يُسلم فرأى الوضع قد سبقه بالإسلام أنف فأقام على كفره ، قاله ابن السائب .  
والثالث : أن المستهزئين من قريش كانوا إذا رأوا فقراء المؤمنين ، قالوا : انظروا إلى أتباع محمد من موالينا وُرذالتنا ، قاله مقاتل .

فملى الأول : يكون الخطاب بقوله : ( أنصبرون ) لأهل البلاء . وعلى الثاني : للرؤساء ، فيكون المعنى : أنصبرون على سبق الموالي والأتباع . وعلى الثالث : للفقراء ؛ فالمعنى : أنصبرون على أذى الكفار واستهزائهم ، والمعنى : قد علمتم ما وُعد الصابرون ، ( وكان ربك بصيراً ) بمن يصبر ومن يجزع <sup>(١)</sup> .

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا كُولاْ أُنْزِلْ عَلَيْنَا الْمَلِيكَ أَوْ نَرِىْ رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا . يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلِيكَ لَا يُبْشِرُ الْيَوْمَئِذِ الْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا . وَقَدْ مَنَّآ إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا . أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾

قوله تعالى : ( وقال الذين لا يرجون لقاءنا ) أي : لا يخافون البعث ( لولا ) أي : هلا ( أنزل علينا الملائكة ) فكانوا رؤسلاً إلينا وأخبرونا بصدقك ،

(١) قال ابن كثير : يقول الله : لو شئت أن أجمل الدنيا مع رسلي فلا يخافون لعنتي ، ولكي قد أردت أن أبلي العباد بهم وأبتليكم بهم ، وفي « صحيح مسلم » عن عياض بن حماد عن رسول الله ﷺ : « بقول الله تعالى : إني مبتليكم ومبتلي بك » . وفي « المسند » عن رسول الله ﷺ : « لو شئت لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة » . وفي « الصحيح » أنه عليه أفضل الصلاة والسلام خير بين أن يكون نبياً ملكاً أو عبداً رسولاً ، فاختار أن يكون عبداً رسولاً . اهـ .

( أَوْ نَرَى رَبَّنَا ) فيخبرنا أَنَّكَ رسولهُ ، ( لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ ) أي : تكبروا حين سألوا هذه الآيات ( وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا ) قال الزجاج : العتوُّ في اللغة : مجاوزة القدر في الظلم .

قوله تعالى : ( يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ ) فيه قولان .  
أحدهما : عند الموت . والثاني : يوم القيامة .

قال الزجاج : واتصّب اليوم على معنى : لا بشرى للمجرمين يوم يرون الملائكة ، و « يَوْمَئِذٍ » مؤكّد لـ « يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ » ؛ والمعنى أنهم يُمنعون البشري في ذلك اليوم ؛ ويجوز أن يكون « يَوْمَ » منصوباً على معنى : اذكر يوم يرون الملائكة ، ثم أخبر فقال : ( لا بشرى ) ، والمجرمون هاهنا : الكفار .

قوله تعالى : ( وَبَقُولِهِمْ حَيِّراً مَّحْجُورًا ) وقرأ قتادة ، والضحاك ، ومعاذ القاري : « حَجْرًا » بضم الحاء . قال الزجاج : وأصل الحجر في اللغة : ما حجرت عليه ، أي : منعت من أن يوصل إليه ، ومنه حجر القضاة على الأيتام . وفي القائلين لهذا قولان .

أحدهما : أنهم الملائكة يقولون للكفار : حَجْرًا محجوراً ، أي : حراماً محرماً . وفيما حرّموه عليهم قولان . أحدهما : البشري ، فالمعنى : حرام محرّم أن تكون لكم البشري ، قاله الضحاك ، والفراء ، وابن قتيبة ، والزجاج . والثاني : أن تدخلوا الجنة ، قاله مجاهد .

والثاني : أنه قول المشركين إذا عاينوا العذاب ، ومعناه الاستعاذة من الملائكة ، روي عن مجاهد أيضاً . وقال ابن فارس : كان الرجل إذا لقي من يخافه في الشهر الحرام ، قال : حَجْرًا ، أي : حرام عليك أذاي ، فإذا رأى

المشركون الملائكة يوم القيامة ، قالوا : حَجَرًا مَحْجُورًا ، يَظُنُّونَ أَنَّهُ يَنْفَعُهُمْ كَمَا كَانَ يَنْفَعُهُمْ فِي الدُّنْيَا .

قوله تعالى : ( وَقَدِمْنَا ) قَالَ ابْنُ قَتِيبَةَ : أَي : قَصَدْنَا وَنَحْمَدُنَا ، وَالْأَصْلُ أَنَّ مَنْ أَرَادَ التَّحَدُّمَ إِلَى مَوْضِعٍ نَحْمَدُ لَهُ وَنَقْصِدُهُ .

قوله تعالى : ( إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ ) [ أَي ] مِنْ أَعْمَالِ الْخَيْرِ ( فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً ) لِأَنَّ الْعَمَلَ لَا يُتَقَبَّلُ مَعَ الشِّرْكِ <sup>(١)</sup> .  
وفي الهباء خمسة أقوال .

أحدها : أَنَّهُ مَا رَأَيْتَهُ يَتَطَايَرُ فِي الشَّمْسِ الَّتِي تَدْخُلُ مِنَ الْكُوَّةِ مِثْلَ الْغُبَارِ ، قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَالْحَسَنُ ، وَجَاهِدٌ ، وَسَعِيدُ بْنُ جَبْرِ ، وَعُكْرَمَةُ ، وَاللَّخَوِيُّونَ ؛ وَالْمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ أَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ حَتَّى صَارَتْ بِمَنْزِلَةِ الْهَبَاءِ .

والثاني : أَنَّهُ الْمَاءُ الْمُسْهَرَقُ ، رَوَاهُ ابْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ .

والثالث : أَنَّهُ مَا تَنْسِفُهُ الرِّيحُ وَتَذَرِيهِ مِنَ التُّرَابِ وَحَطَامِ الشَّجَرِ ، رَوَاهُ عَطَاءُ الْخِرَاسَانِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ .

والرابع : أَنَّهُ الشَّرَرُ الَّذِي يَطِيرُ مِنَ النَّارِ إِذَا أَضْرَمْتَ ، فَإِذَا وَقَعَ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا ، رَوَاهُ عَطِيَّةٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ .

والخامس : أَنَّهُ مَا يَسْطَعُ مِنْ حَوَافِرِ الدَّوَابِّ ، قَالَهُ مِقَاتِلُ . وَالْمَثُورُ : الْمُنْفَرِقُ .

قوله تعالى : ( أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ ) أَي : يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، ( خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا )

(١) قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ : أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ لَا يَحْصُلُ لِمُؤَلَّاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي ظَنُّوا أَنَّهَا مَنَاجَاةٌ لَهُمْ شَيْءٌ ، وَذَلِكَ لِأَنَّهَا فَقَدَتِ الشَّرْطَ الشَّرْعِيَّ ، إِمَّا الْإِخْلَاصَ فِيهَا ، وَإِمَّا الْمُنَاسَبَةَ لِشَرْعِ اللَّهِ ، فَكُلُّ عَمَلٍ لَا يَكُونُ خَالِصًا وَعَلَى الشَّرِيعَةِ الْمَرْضِيَّةِ فَهُوَ بَاطِلٌ ، فَأَعْمَالُ الْكُفَّارِ لَا تَخْلُو مِنْ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ ، وَقَدْ تَجَمَّعَتْهُمَا مَعًا فَتَكُونُ أَبَدًا مِنَ الْقُبُولِ حَيْثُ تَنْتَظَرُ . اهـ .

أفضل منزلاً من المشركين ( وأحسن مقيلاً ) قال الزجاج : المقيم : المقام وقت القائلة ، وهو النوم نصف النهار . وقال الأزهري : القيلولة عند العرب : الاستراحة نصف النهار إذا اشتد الحر وإن لم يكن مع ذلك نوم . وقال ابن مسعود ، وابن عباس : لا يفتصف النهار من يوم القيامة حتى يقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار .

﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا الْمَلَائِكَةُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا . وَيَوْمَ يُعْصَى الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا . يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا . لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنْ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴾

قوله تعالى : ( وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا ) هذا معطوف على قوله : ( يوم يرون الملائكة ) ، وقرأ ابن كثير ، ونافع ، وابن عاصم : « تَشَقَّقُ » بالتشديد ، فأذغموا التاء في الشين ، لأن الأصل : تنشق . قال الفراء : المعنى : تنشق السماء عن الغمام ، وتنزل فيه الملائكة ، و« على » و« عن » و« الباء » في هذا الموضع بمعنى واحد ، لأن العرب تقول : رميت عن القوس ، وبالقوس ، وعلى القوس ، والمعنى واحد . وقال أبو علي الفارسي : المعنى : تنشق السماء وعليها غمام ، كما تقول : ركب الأمير بسلاحه ، وخرج بثيابه ، وإعما تنشق السماء لنزول الملائكة . قال ابن عباس : تنشق السماء عن الغمام ، وهو الغيم الأبيض ، وتنزل الملائكة في الغمام . وقال مقاتل : المراد بالسماء : السموات ، تنشق عن الغمام ، وهو غمام أبيض كهيئة الضباب ، فتزل الملائكة عند انشقاقها . وقرأ ابن كثير : « وَنُزِّلُ » بنونين ، الأولى مضمومة ، والثانية ساكنة ،



واللام مضمومة، و « الملائكة » نصباً . وقرأ عاصم الجحدري، وأبو عمران الجوني : « وَنَزَلَ » بنون واحدة مفتوحة ونصب الزاي وتشديدها وفتح اللام ونصب « الملائكة » . وقرأ ابن يعمر : « وَنَزَلَ » بفتح النون واللام والزاي والتخفيف « الملائكة » بالرفع .

قوله تعالى : ( اَلْمَلٰٓئِكَةُ يَوْمَ مَنِّذِرٌ لِّلرَّحْمٰنِ ) قال الزجاج : المعنى : الملائكة الذي هو الملائكة حقاً للرحمن <sup>(١)</sup> . فأما المسير ، فهو الصعب الشديد يشدد على الكفار ، ويهون على المؤمنين فيكون كمقدار صلاة مكتوبة .

قوله تعالى : ( وَيَوْمَ يَعْصِيُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ ) في سبب نزولها ثلاثة أقوال . أحدها : أن أبي بن خلف كان يحضر [ عند ] رسول الله ﷺ ويجالسه من غير أن يؤمن به ، فزجره عقبة بن أبي معيط عن ذلك ، فنزلت هذه الآية ، رواه عطاء الخراساني عن ابن عباس <sup>(٢)</sup> .

والثاني : أن عقبة دعا قوماً فيهم رسول الله ﷺ اطعام فأكلوا ، وأبى رسول الله ﷺ أن يأكل ، وقال : « لَا آكُلُ حَتَّى تَشْهَدَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ » ، فشهد بذلك عقبة ، فبلغ ذلك أبي بن خلف ، وكان خليلاً له ، فقال : صبوت يا عقبة ، فقال : لا والله ، ولكنه أبى أن يأكل حتى قلت ذلك ، وليس من نفسي ، فنزلت هذه الآية ، قاله مجاهد <sup>(٣)</sup>

(١) وفي الصحيح ، « أن الله تعالى يطوي السموات يمينه ، ويأخذ الأرضين بيده الأخرى ، ثم يقول : أنا الملك ، أنا الدين ، أن ملوك الأرض ، أن الجبارون ، أن المتكبرون » .

(٢) الطبري : ٨/١٩ ، و « أسباب النزول » الواحدي : ١٩١ ، وذكره السيوطي

في « الدر » : ٦٨/٥ وزاد نسبه لابن المنذر ، وابن مردويه عن ابن عباس .

(٣) الطبري : ٨/١٩ ، وذكره السيوطي في « الدر » : ٦٩/٥ وزاد نسبه للفرابي ،

وابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن مجاهد .

والثالث : أن عُقْبَةَ كَانَ خَلِيلًا لِأُمِّيَّةَ بْنِ خَلْفٍ ، فَأَسْلَمَ عُقْبَةُ ، فَقَالَ  
أُمِّيَّةُ : وَجَّهِي مِنْ وَجْهِكَ حَرَامٌ إِنْ تَابَعْتَ مُحَمَّدًا ، فَكَفَرَ وَارْتَدَّ لِرَضَى أُمِّيَّةَ ، فَنَزَلَتْ  
هَذِهِ الْآيَةُ ، قَالَ الشَّعْبِيُّ (١) .

فَأَمَّا الظَّالِمُ [ الْمَذْكُورُ ] هَاهُنَا ، فَهُوَ الْكَافِرُ ، وَفِيهِ قَوْلَانِ .

أَحَدُهُمَا : أَنَّهُ أَبُو بَنِي خَلْفٍ ، رَوَاهُ الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ .

وَالثَّانِي : عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ ، قَالَ مُجَاهِدٌ ، وَسَعِيدُ بْنُ جَبْرِ ، وَقَتَادَةُ .  
قَالَ عَطَاءٌ : يَأْكُلُ يَدَيْهِ حَتَّى تَذْهَبَا إِلَى الْمَرْفَقَيْنِ ، ثُمَّ تَنْبَتَانِ ، فَلَا يُرَالُ هَكَذَا  
كُلَّمَا نَبَتَ يَدَهُ أَكَلَهَا نَدَامَةً عَلَى مَا فَعَلَ .

قَوْلُهُ تَعَالَى : ( يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ ) الْكَافِرُونَ يَسْكُنُونَ « يَا لَيْتَنِي » ،  
وَأَبُو عَمْرٍو يَحْرِكُهَا ؛ قَالَ أَبُو عَلِيٍّ : وَالْأَصْلُ النَّحْرِيكُ ، لِأَنَّهَا بَازَاءُ الْكَافِ الَّذِي  
لِلخَطَابِ ، إِلَّا أَنَّ حَرْفَ اللَّيْنِ تَكْرَهُ فِيهِ الْحَرَكَةَ ، وَلِذَلِكَ أَسْكَنَ مِنْ أَسْكَنَ ؛  
وَالْمَعْنَى : لَيْتَنِي اتَّبَعْتُهُ فَاتَّخَذْتُ مَعَهُ طَرِيقًا إِلَى الْهُدَى .

قَوْلُهُ تَعَالَى : ( لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا ) فِي الْمَشَارِ إِلَى أَرْبَعَةِ أَقْوَالٍ .

أَحَدُهَا : أَنَّهُ عَنَى أَبُو بَنِي خَلْفٍ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ . وَالثَّانِي : عُقْبَةُ بْنُ  
أَبِي مُعَيْطٍ ، قَالَ أَبُو مَالِكٍ . وَالثَّلَاثُ : الشَّيْطَانُ ، قَالَ مُجَاهِدٌ . وَالرَّابِعُ : أُمِّيَّةُ  
ابْنِ خَلْفٍ ، قَالَ السَّيِّدِي .

فَإِنْ قِيلَ : إِنَّمَا يَكْنَى مَنْ يَخَافُ الْمُبَادَاةَ أَوْ يَحْتَاجُ إِلَى الْمُدَاجَاةِ ، فَمَا وَجْهُ الْكِتَابَةِ ؟  
فَالْجَوَابُ : أَنَّهُ أَرَادَ بِالظَّالِمِ : كُلَّ ظَالِمٍ ، وَأَرَادَ بِفُلَانٍ : كُلَّ مَنْ أَطَاعَ  
فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَأَرْضَنِي بِسَخَطِ اللَّهِ ، وَإِنْ كَانَتْ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي شَخْصٍ ، قَالَ  
ابْنُ قَتَيْبَةَ .

(١) د الطبري ، : ٨/١٩ ، و د أسباب النزول ، للواحيدي : ١٩١ .

قوله تعالى : ( لقد أضلني عن الدين ) أي : صرفني عن القرآن والإيمان به ( بعد إذ جاني ) مع الرسول ، وهاهنا تم الكلام . ثم قال الله تعالى : ( وكان الشيطان للإنسان ) يعني : الكافر ( خذولاً ) يتبرأ [ منه ] في الآخرة .

﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا . وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾

قوله تعالى : ( وقال الرسول ) يعني محمداً ﷺ ، وهذا عند كثير من العلماء أنه يقوله يوم القيامة ؛ فالمعنى : ويقول الرسول يومئذ . وذهب آخرون ، منهم مقاتل ، إلى أن الرسول قال ذلك شاكياً من قومه إلى الله تعالى حين كذبوه<sup>(١)</sup> . وقرأ ابن كثير ، ونافع ، [ وأبو عمرو ] : « إن قومي اتخذوا » بتحريك الياء ؛ وأسكنها عاصم ، وابن عامر ، وحمة ، والكسائي .

وفي المراد بقوله : ( مهجوراً ) قولان .

أحدهما : متروكاً لا يلتفتون إليه ولا يؤمنون به ، وهذا معنى قول

ابن عباس ، ومقاتل .

(١) قال ابن كثير : يقول تعالى مخبراً عن رسوله ونبيه محمد ﷺ أنه قال : « يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً » ، وذلك أن المشركين كانوا لا يسمعون للقرآن ولا يستمعونه ، كما قال تعالى : ( وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه . . . ) الآية [ فصلا : ٢٦ ] ، فكانوا إذا تلى عليهم القرآن أكثروا اللط والكلام في غيره حتى لا يسمعه ، فهذا من هجرانه ، وترك الأيمان به وترك تصديقه ، من هجرانه ، وترك تدبيره وتفهمه ، من هجرانه ، وترك العمل به وامتناع أوامره واجتناب زواجره ، من هجرانه ، والمدلول عنه إلى غيره من شمر أو قول أو غناء أو لهو أو كلام أو طريقة مأخوذة من غيره ، من هجرانه ، قال : فسأل الله الكريم المنان ، القادر على ما يشاء ، أن يخلصنا مما يسخطه ، ويستعملنا فيما يرضيه من حفظ كتابه وفهمه والقيام بمقتضاه آتاء الليل وأطراف النهار على الوجه الذي يحبّه وبرضاه إنه كريم وهاب . اهـ .

والثاني : هَجَرُوا فِيهِ ، أَي : جملوه كالهذيان ، ومنه يقال : فلان يَهْجُرُ في منامه ، أَي : يَهْذِي ، قاله ابن قتبية . وقال الزجاج : الهَجْرُ : ما لا يُنْتَفَعُ به من القول . قال المفسرون : فَمَزَّاهُ اللَّهُ عز وجل ، فقال : ( وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا ) أَي : كما جعلنا لك أعداء من مشركي قومك ، جعلنا لكل نبيٍّ عدوًّا من كفار قومه ؛ والمعنى : لَا يَكْبُرَنَّ هَذَا عَلَيْكَ ، فلك بالأنبياء أسوة ، ( وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ) يَمْنَعُكَ مِنْ عَدُوِّكَ . قال الزجاج : والباء في قوله : ( بِرَبِّكَ ) زائدة ؛ فالمعنى : كفى ربك هادياً ونصيراً .

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ مِجْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا . وَلَا يَأْتُوكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا . الَّذِينَ يُخَشِرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾

قوله تعالى : ( لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ مِجْلَةً وَاحِدَةً ) أَي : كما أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ وَالزَّبُورُ ، فقال الله عز وجل : ( كَذَلِكَ ) أَي : أُنْزِلْنَاهُ كَذَلِكَ متفرقاً ، لأن معنى ما قالوا : لِمَ نُزِّلَ عَلَيْهِ متفرقاً ؟ فقل : إِنَّمَا أُنْزِلْنَاهُ كَذَلِكَ ( لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ) أَي : لِنُثَبِّتَ بِهِ قَلْبَكَ فتزداد بصيرة ، وذلك أَنَّهُ كَانَ يَأْتِيهِ الْوَحْيُ فِي كُلِّ أَمْرٍ وَحَادَةٍ ، فَكَانَ أَقْوَى لِقَلْبِهِ وَأَنُورَ لِبَصِيرَتِهِ وَأَبْعَدَ لَاسْتِجَابَتِهِ ، ( وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ) أَي : أُنْزِلْنَاهُ عَلَى التَّرْتِيلِ ، وَهُوَ التَّمَكُّثُ الَّذِي يُضَادُّ الْعَجَلَةَ .

قوله تعالى : ( وَلَا يَأْتُوكَ بِمَثَلٍ ) يَعْنِي الْمَشْرَكِينَ ( بِمَثَلٍ ) يَضْرِبُونَهُ لَكَ فِي غَاصِمَتِكَ وَإِبْطَالِ أَمْرِكَ ( إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ ) أَي : بِالَّذِي هُوَ الْحَقُّ لَتَرُدَّ بِهِ كَيْدُهُمْ ( وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ) مِنْ مَثَلِهِمْ ؛ وَالتَّفْسِيرُ : الْبَيَانُ وَالْكَشْفُ .

قال مقاتل : ثُمَّ أَخْبَرَ بِمُسْتَقَرِّهِمْ فِي الْآخِرَةِ ، فَقَالَ : ( الَّذِينَ يُخَشِرُونَ عَلَىٰ

وجوهم ) وذلك أن كفار مكة قالوا : إن محمداً وأصحابه مُشرِّق خلق الله ، فنزلت هذه الآية .

قوله تعالى : ( أولئك شرُّ مكاناً ) أي : منزلاً ومصيراً ( وأضلُّ سبيلاً ) ديناً وطريقاً من المؤمنين .

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا . فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا . وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا . وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا . وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴾

قوله تعالى : ( اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا ) .

إن قيل : إنما عاينوا الآيات بعد [ وجود ] الرسالة ، فكيف يقع التكذيب منهم قبل وجود الآيات ؟

فالجواب : أنهم كانوا مكذِّبين أنبياء الله وكُتِّبَهِ المتقدمة ، ومن كَذَّبَ نبيّاً فقد كَذَّبَ سائر الأنبياء ، ولهذا قال : ( وقوم نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ ) ، وقال الزجاج : يجوز أن يكون المراد به نوحٌ وحده ، وقد ذكر بلفظ الجنس ، كما يقال : فلان يركب العوَابَ ، وإن لم يركب إلا دابة واحدة ؛ وقد شرحنا هذا في ( هود : ٥٩ ) عند قوله : « وَعَصَوْا رُسُلَهُ » . وقد سبق معنى التدمير [ الاعراف : ١٣٧ ] .

قوله تعالى : ( وأصحابَ الرِّسِّ ) في الرِّسِّ ثلاثة أقوال .

أحدها : أنها بئر كانت تسمى الرِّسَّ ، قاله ابن عباس في رواية العوفي .

وقال في رواية عكرمة : هي بئر بأذربيجان . وزعم ابن السائب أنها بئر دون اليمامة . وقال السدي : بئر بأنطاكية .

والثاني : أن الرأس قرية من قرى اليمامة ، قاله قتادة .

والثالث : أنها المعدن ، قاله أبو عبيدة ، وابن قتيبة .

وفي تسميتها بالرأس قولان .

أحدهما : أنهم رَسُّوا نبيَّهم في البئر ، قاله عكرمة . قال الزجاج : رَسُّوه ، أي : دَسُّوه فيها .

والثاني : أن كل رَكِيَّة لم تطو فهي رَسٌّ ، قاله ابن قتيبة .

واختلفوا في أصحاب الرأس على خمسة أقوال .

أحدها : أنهم قوم كانوا يعبدون شجرة ، فبعث الله تعالى إليهم نبياً من ولد يهوذا بن يعقوب ، فحفروا له بئراً وألقوه فيها ، فهلكوا ، قاله علي عليه السلام .

والثاني : أنهم قوم كان لهم نبي يقال له : حنظلة بن صفوان ، فقتلوا نبيَّهم فأهلكهم الله ، قاله سعيد بن جبير .

والثالث : أنهم كانوا أهل بئر ينزلون عليها ، وكانت لهم مواشٍ ، وكانوا يعبدون الأصنام ، فبعث الله إليهم شعيباً ، فمادوا في طغيانهم ، فانهارت البئر ، فخُسِفَ بهم وبمنازلهم ، قاله وهب بن منبه .

والرابع : أنهم الذين قتلوا حبيداً النجار ، قتلوه في بئر لهم ، وهو الذي قال : ( يا قوم اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ) [ يس : ٢٠ ] ، قاله السدي .

والخامس : أنهم قوم قتلوا نبيَّهم وأكلوه ، وأول من عمل السحر نساؤهم ، قاله ابن السائب <sup>(١)</sup> .

(١) واختار ابن جرير الطبري أن المراد بأصحاب الرس هم أصحاب الأخدود الذين ذكروا في سورة (البروج) ، والله أعلم .

قوله تعالى : ( وَقرُونَا ) المعنى : وأهلكنا قروناً ( بين ذلك كثيراً ) أي :  
بين عاد وأصحاب الرّس . وقد سبق بيان القرن [ الانعام : ٦ ] . وفي هذه  
القصص تهديد لقريش .

قوله تعالى : ( وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ ) أي : أعذرنا إليه بالوعظة  
وإقامة الحجّة ( وَكُلًّا نَبِّرْنَا ) قال الزجاج : التّعبير : التدمير ، وكل شيء  
كسرته وفتته فقد نبّرتّه ، وكُسارته : التّبر ، ومن هذا قيل لمكسور الزجاج :  
التّبر ، وكذلك تبر الذهب .

﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوَاءً أَفْلَحَ  
يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا . وَإِذَا رَأَوْكَ إِتَّ  
بِتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوعًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا . إِنْ كَادَ  
لَيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ  
يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلَّ سَبِيلًا . أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ  
أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا . أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ  
أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾

قوله تعالى : ( وَلَقَدْ أَتَوْا ) يعني كفار مكة ( على القرية التي أُمطرت مَطَر  
السّوء ) يعني قرية قوم لوط التي رُميت بالحجارة ( أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا ) في  
أسفارهم فيمتبروا ؟ ثم أخبر بالذي جرّأهم على التّكذيب ، فقال : ( بَلْ كَانُوا  
لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ) أي : لا يخافون بشئاً ، هذا قول المفسرين . وقال الزجاج :  
الذي عليه أهل اللغة أن الرّجاء ليس بمعنى الخوف ، وإنما المعنى : بل كانوا لا يرجون  
نواب عمل الخير ، فركبوا المعاصي .

قوله تعالى : ( وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ ) أي : ما يتخذونك ( إِلَّا هُزُؤًا ) أي : مهزوءاً به . ثم ذكر ما يقولون من الاستهزاء : ( أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا ) أي : ليصرفنا عن عبادة آلِهتنا ( لَوْ لَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ) أي : على عبادتها ؛ قال الله تعالى : ( وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ ) في الآخرة ( مَنْ أَضَلُّ ) أي : مَنْ أخطأ طريقاً عن الهدى ، أم ، أم المؤمنون .

ثم عجب نبيّه من جهلهم حين عبدوا مادعاهم إليه الهوى ، فقال : ( أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ ) قال ابن عباس : كان أحدهم يعبد الحجر ، فاذا رأى ما هو أحسن منه رمى به وعبد الآخر . وقال قتادة : هو الكافر لا يهوى شيئاً إلا ركبته . وقال ابن قتيبة : المعنى : يتّبع هواه ويدع الحق ، فهو له كالإله .

قوله تعالى : ( أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ) أي : حفيظاً يحفظه من اتباع هواه . وزعم الكلبي أن هذه الآية منسوخة بآية القتال .

قوله تعالى : ( أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ ) يعني أهل مكة ؛ والمراد : يسمعون سماع طالب الإفهام ( أَوْ يَعْقِلُونَ ) ما يمانون من الحجج والأعلام ( إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ) وفي وجه تشبيههم بالأنعام قولان .

أحدهما : أن الأنعام تسمع الصوت ولا تفقه القول .

والثاني : أنه ليس لها همٌ إلا المأكَل والمشرب .

قوله تعالى : ( بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ) لأن البهائم تهتدي لمراعيها وتنقاد لأربابها وتقبل على المحسن إليها ، وهم على خلاف ذلك .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا . ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا . ﴾



وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا . وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا يَنْفِ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا . لِنُخْصِي بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا وَنُنْقِصَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْآسِيًّا كَثِيرًا . وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا . وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ تَذِيرًا . فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا \*

قوله تعالى : ( أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ ) أي : إلى فعل ربك . وقال الزجاج : معناه : أَلَمْ تَعْلَمْ ، فهو من رؤية القلب ، ويجوز أن يكون من رؤية العين ؛ فالمعنى : أَلَمْ تَرَ إِلَى الظِّلِّ كَيْفَ مَدَّهُ رَبُّكَ ، والظِّلُّ من وقت طلوع الفجر إلى وقت طلوع الشمس ( ولو شاء لجعله ساكنًا ) أي : ثابتًا دائمًا لا يزول ( ثم جعلنا الشمس عليه دليلًا ) فالشمس دليل على الظل ، فلولا الشمس ما عرف أنه شيء ، كما أنه لولا النور ما عرفت الظلمة ، فكل الأشياء تُعرف بأضدادها .

قوله تعالى : ( ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا ) يعني : الظِّل ( قَبْضًا يَسِيرًا ) وفيه قولان . أحدهما : سريعًا ، قاله ابن عباس . والثاني : خفيًا ، قاله مجاهد .

وفي وقت قبض الظل قولان . أحدهما : عند طلوع الشمس يُقبض الظل وتُجمع أجزاؤه المنبسطة بتسليط الشمس عليه حتى تفسخه شيئًا فشيئًا والثاني : عند غروب الشمس يُقبض أجزاء الظل بعد غروبها ، ويختلف كل جزء منه جزءًا من الظلام .

قوله تعالى : ( وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا ) أي : ساترًا بظلمته ، لأن ظلمته تفسى الأشخاص وتشتمل عليها اشتمال اللباس على لابس ( والنَّوْمَ

سُبَّانًا) قال ابن قتيبة : أي : راحة ، ومنه يوم السبت ، لأن الخلق اجتمع يوم الجمعة ، وكان الفراغ منه في يوم السبت ، ف قيل لبني إسرائيل : استريحوا في هذا اليوم ولا تعملوا فيه شيئاً ، فسمي يوم السبت ، أي : يوم الراحة<sup>(١)</sup> ، وأصل السبت : التمدُّد ، ومن تمدَّد استراح . وقال ابن الأنباري : أصل السبت : القَطْع ؛ فالمنى : وجعلنا النوم قَطْعاً لأعمالكم .

قوله تعالى : ( وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً ) فيه قولان . أحدهما : تنتشرون فيه لا ابتغاء الرزق ، قاله ابن عباس . والثاني : تُنَشَّرُ الرُّوحُ باليقظة كما تُنَشَّرُ بالبعث ، حكاه الماوردي .

قوله تعالى : ( وهو الذي أرسل الرياح ) قد شرحناه في ( الأعراف : ٥٧ ) إلى قوله : ( وأنزلنا من السماء ماءً طهوراً ) يعني : المطر . قال الأزهري : الطَّهُّورُ في اللغة : الطاهر المُطَهَّر . والطَّهُّور ما يُتَطَهَّرُ به ، كالوضوء الذي يُتَوَضَّأُ به ، والفَطُّور الذي يُفَطَّرُ عليه .

قوله تعالى : ( لِنُحْيِيَّ بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا ) وقرأ أبو المتوكل ، وأبو الجوزاء ، وأبو جعفر : « مَيِّتًا » بالتشديد . قال الزجاج : لفظ البلدة مؤنث ، وإنما قيل : « مَيِّتًا » لأن معنى البلدة والبلد سواء . وقال غيره : إنما قال : « مَيِّتًا » ، لأنه أراد بالبلدة المكان . وقد سبق معنى صفة البلدة بالموت [ الأعراف : ٥٧ ] ومعنى : « وَنُسْقِيهِ » [ الحجر : ٢٤ ] . وقرأ أبو مجاز ، وأبورجاء ، والضحاك ، والأعمش ، وابن أبي عملة : « وَنُسْقِيهِ » بفتح النون . فأما الأناسي ، فقال الزجاج : هو جمع إنسي ، مثل كرسى وكراسي ؛ ويجوز أن يكون جمع إنسان ، وتكون الباء بدلاً من النون ، الأصل : أناسين مثل سراحين<sup>(٢)</sup> . وقرأ أبو مجاز ،

(١) الذي في صحيح مسلم ، ٢١٤٩/٤ : « خلق التربة يوم السبت... » الحديث . وقال الحافظ —

(٢) سراحين جمع سِرْحَان ، وهو الذئب .

والضحك ، وأبو العالية ، وعاصم الجحدري : « وأناسي » بتخفيف الياء .  
 قوله تعالى : ( ولقد صرّفناه ) يعني المطر ( بينهم ) مرة لهذه البلدة ، ومرة  
 لهذه ( لِيَذْكُرُوا ) أي : لينفكروا في نِعم الله عليهم فيحمدوه . وقرأ  
 حمزة ، والكسائي : « لِيَذْكُرُوا » خفيفة الذال . قال أبو علي : يَذْكُرُ في  
 معنى يتذكر ، ( فأبى أكثرُ الناس إلا كُفُوراً ) وهم الذين يقولون : مُطِرْنَا  
 بنوء كذا وكذا ، كفروا بنعمة الله <sup>(١)</sup> . ( ولو شئنا لَبَعَثْنَا في كل قرية  
 نذيراً ) المعنى : إنا بعثناك إلى جميع القرى لمِظْم كرامتك ، ( فلا تطيع الكافرين ) ،  
 وذلك أن كفار مكة دَعَوْه إلى دين آبائهم ، ( وجاهدِمْ به ) أي بالقرآن ( جهاداً  
 كبيراً ) أي : تاماً شديداً .

﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ  
 أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَنجُوراً . وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ  
 مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا . وَيَعْبُدُونَ  
 مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى  
 رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴾

قوله تعالى : ( وهو الذي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ ) قال الزجاج : أي : خلّى بينهما ؛  
 تقول : مرّجتُ الدابة وأمرّجتُها : إذا خلّيتها ترعى ، ومنه الحديث : « مَرَجَتْ »

— المناوي في شرحه لهذا الحديث : وفيه ردّ زعم اليهود أنه ابتداء في خلق العالم يوم الأحد ، وفرغ يوم الجمعة ،  
 واستراح يوم السبت ، قالوا : ونحن نستريح كما استراح الرب ، وهذا من غيائهم وجهلهم ، إذ التمس  
 لا يتصور إلا على حادث ، ( إنما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ) . اهـ .

(١) روى مسلم في « صحيحه » أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه يوماً على أثر سماء  
 أصابتهم من الليل : « أتدرون ماذا قال ربكم ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : « قال  
 أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته ، فذاك مؤمن  
 بالله كافر بالكوكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا ، فذاك كافر بي مؤمن بالكوكب » .

عُودُهُمْ وَأَمَانَتُهُمْ» <sup>(١)</sup> أي : اختلطت . قال المفسرون : والمعنى أنه أرسلهما في مجاريهما ، فمالتا فيلتقيان ، ولا يختلط المِلْحُ بالمِذْبِ ، ولا المِذْبُ بالمِلْحِ ، وهو قوله : ( هذا ) يعني : أحد البحرين ( عَذْبٌ ) أي : طيبٌ ؛ يقال : عَذْبُ الْمَاءِ يَعَذُّبُ عُذُوبَةً ، فهو عَذْبٌ . قال الزجاج : والفُرَاتُ صفةٌ للمِذْبِ ، وهو أشدُّ الماءِ عُذُوبَةً ، والأُجَاجُ صفةٌ للمِلْحِ ، وهو : المرُّ الشديدُ المرارة . وقال ابن قتيبة : هو أشدُّ الماءِ ملوحةً ، وقيل : هو الذي يُخالطه مرارةٌ ، ويقال : ماءٌ مِلْحٌ ، ولا يقال : مَالِحٌ ، والبرزخ : الحاجز . وفي هذا الحاجز قولان .

أحدهما : أنه مانع من قدرة الله تعالى ، قاله الأَكْثَرُونَ . قال الزجاج : فيها في مرأى العين مختلطان ، وفي قدرة الله منفصلان لا يختلط أحدهما بالآخر . قال أبو سليمان الدمشقي : ورأيت عند عبَّادان من سواد البصرة الماءَ المِذْبَ ينحدر في دجلة نحو البحر ، ويأتي المِذْبُ من البحر ، فيلتقيان ، فلا يختلط أحد الماءين بالآخر ، يرى ماء البحر إلى الخُضرة الشديدة ، وماء دجلة إلى الحُمْرة الخفيفة ، فيأتي المستقي فيغرف من ماء دجلة عَذْباً لا يخالطه شيء ، وإلى جانبه ماء البحر في مكان واحد . والثاني : أن الحاجز : الأرض واليَبَسُ ، وهو قول الحسن ؛ والأول أصح . قوله تعالى : ( وَحِجْرًا مَحْجُورًا ) قال الفراء : أي : حراماً محرماً أن يغلب أحدهما صاحبه .

(١) هو جزء من حديث طويل ، أخرجه أبو داود في « سننه » ، رقم ( ٤٣٤٢ ) وابن ماجه في « سننه » ، رقم ( ٣٩٥٧ ) والحاكم في « مستدركه » ، ٤/٣٥٥ وصححه ، ووافقه الذهبي ، عن عبد الله بن عمرو بن عمرو بن الماض رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « يوشك أن يأتي زمان يثربل فيه الناس غربة ، ويبقى حفالة من الناس قد مَرَّجت عهودهم وأمانتهم ( أي فسدت ) واختلفوا فكانوا هكذا » - وشك بين أصابه - قالوا : فكيف تأمرنا يا رسول الله ، قال : « تأخذون ما ترفعون ، وتدعون ما تنكرون ، وتقبلون على أمر خاصكم ، وتدعون أمر عامكم » .

قوله تعالى : ( وهو الذي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا ) أي : من النطفة بَشَرًا ،  
 أي : إنسانًا ( فجعله كَسَبًا وَصِيْرًا ) أي : ذا نسب وصِيْر . قال علي عليه السلام :  
 النَّسَبُ : ما لا يحل نكاحه ، والصِّيْر : ما يحل نكاحه . وقال الضحاك : النسب  
 سبع ، وهو قوله : ( حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ... ) إلى قوله : ( وَبَنَاتُ الْأَخْتِ ) ،  
 والصِّيْر خمس ، وهو قوله : ( وَأُمَّهَاتُكُمْ اللَّائِي أَرْضَعْنَكُمْ ... ) إلى قوله : ( مِنْ  
 أَصْلَابِكُمْ ) [ النساء : ٣٣ ] . وقال طاووس : الرِّضَاعَةُ من الصِّيْر . وقال ابن قتيبة :  
 « كَسَبًا » أي : قرابة النَّسَب ، « وَصِيْرًا » أي : قرابة النكاح . وكل شيء  
 من قِبَل الزوج ، مثل الأب والاخت ، فهم الأعمام ، واحدُهم كَمًا ، مثل : قَفًا ،  
 وَهَمُو مثل أُو ، وَحَمٌ مهْموز ما كن الميم ، وَحَمٌ مثل أَبٍ . وَحَمَةُ  
 المرأة : أُمُّ زوجها ، لا لغة فيها غير هذه . وكل شيء من قِبَل المرأة ، فهم الْأَخْتَانِ .  
 والصِّيْر يجمع ذلك كله . وحكى ابن فارس عن الخليل ، أنه قال : لا يقال  
 لأهل بيت الرجل إلا أختان ، ولأهل بيت المرأة إلا أصهار . ومن العرب من  
 يجعلهم أصهاراً كلَّهم . والصِّيْر : إذابة الشيء . وذكر الماوردي أن المناكح  
 سَمِيَتْ صِيْرًا ، لاختلاط الناس بها كما يختلط الشيء إذا صِيْر .

قوله تعالى : ( وكان الكافر على رِبِّهِ ظَهِيرًا ) فيه أربعة أقوال .

أحدها : مُعِينًا للشيطان على رِبِّهِ ، لأنَّ عبادته للأصنام معاونة للشيطان .

والثاني : مُعِينًا للمشركين على أن لا يوحِّدوا الله تعالى .

والثالث : مُعِينًا على أولياء رِبِّهِ .

والرابع : وكان الكافر على رِبِّهِ هَيِّنًا ذَلِيلًا ، من قولك : ظَهَرْتُ بِفُلانٍ :

إذا جعلته وراء ظهرك ولم تلفت إليه . قالوا : والمراد بالكافر هاهنا أبو جهل .

زاد السير ٦ م (٧)

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا . قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا . وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا . الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَنَلْ بِهِ خَبِيرًا . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴾

قوله تعالى : ( ما أسألكم عليه ) أي : على القرآن وتبليغ الوحي ( من أجر ) وهذا تأكيد لصِدْقِهِ ، لأنه لو سألهم شيئاً من أموالهم لانتهموه ، ( إلا من شاء ) معناه : لكن من شاء ( أن يتخذ إلى ربه سبيلاً ) يوافق ماله في مرضاته ، فعمل ذلك ، فكانه قال : لا أسألكم لنفسي . وقد سبق تفسير الكلمات التي تلي هذه [ آل عمران : ١٥٩ ، البقرة : ٣٠ ، الأعراف : ٥٤ ] إلى قوله : ( فاسأل به خبيراً ) ، و « به » بمعنى : « عنه » ، قال [ علقمة بن عبدة ] :

فَإِنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَإِنِّي  
بَصِيرٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَيِّبٌ<sup>(١)</sup>  
وفي هاء « به » ثلاثة أقوال .

أحدها : أنها ترجع إلى الله عز وجل . والثاني : إلى اسمه الرحمن ، لأنهم قالوا : لانعرف الرحمن . والثالث : إلى ما ذكر من خلق السموات والأرض وغير ذلك .

وفي « الخبير » أربعة أقوال .

أحدها : أنه جبريل ، قاله ابن عباس . والثاني : أنه الله عز وجل ، والمعنى :

(١) ديوانه : ١١ ، و « مشكل القرآن » : ٤٢٧ ، و « الفرطية » : ٦٣/١٣ ، و « أدب الكاتب » : ٥٥٥ . والأدواء : جمع داء .

سَلِّى فَأَنَا الْخَبِيرُ ، قَالَ بِجَاهِدِ . وَالثَّالِثُ : [ أَنَّهُ ] الْقُرْآنُ ، قَالَ ثَمَرُ . وَالرَّابِعُ : مُسْلِمَةٌ أَهْلُ الْكِتَابِ ، قَالَ أَبُو سَلِيْمَانَ ، وَهَذَا يُخْرِجُ عَلَى قَوْلِهِمْ : لَا نَعْرِفُ الرَّحْمَنَ ، قَقِيلُ : سَلُّوا مُسْلِمَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَاطَبَ مُوسَى فِي النُّورَةِ بِاسْمِهِ الرَّحْمَنُ ، فَعَلَى هَذَا ، الْخُطَابُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَالْمَرَادُ سِوَاهُ .

قَوْلُهُ تَعَالَى : ( وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ) بِعَنِي كُفَّارُ مَكَّةَ ( اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ ) قَالُوا ( وَمَا الرَّحْمَنُ ) قَالَ الْمَفْسُورُونَ : إِنَّهُمْ قَالُوا : لَا نَعْرِفُ الرَّحْمَنَ إِلَّا رَحْمَنَ الْيَمَامَةِ ، فَأَتَكْرَهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى ، ( أُنَسْجِدُ لِمَا تَأْمُرُنَا ) وَقَرَأَ هَمْزَةً ، وَالْكَسَائِيُّ : « بِأَمْرُنَا » بِالْيَاءِ ، أَيْ : لِمَا يَأْمُرُنَا بِهِ مُحَمَّدٌ ، وَهَذَا اسْتِفْهَامٌ لِإِنْكَارٍ ، وَمَعْنَاهُ : لَا نَسْجُدُ لِلرَّحْمَنِ الَّذِي تَأْمُرُنَا بِالسُّجُودِ لَهُ ، ( وَزَادَ ) ذِكْرُ الرَّحْمَنِ ( مُفَوَّرًا ) أَيْ : تَبَاعَدًا مِنَ الْإِيمَانِ .

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَرَأَ مُنِيرًا . وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى : ( تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا ) قَدْ شَرَحْنَاهُ فِي ( الْحَجَرِ : ١٦ ) . وَالْمَرَادُ بِالسَّرَاجِ : الشَّمْسُ . وَقَرَأَ هَمْزَةً ، وَالْكَسَائِيُّ : « سُرْجًا » بَضْمِ السِّينِ وَالرَّاءِ وَإِسْقَاطِ الْأَلْفِ . قَالَ الزَّجَّاجُ : أَرَادَ : الشَّمْسُ وَالْكُوَاكِبُ الْعِظَامُ ؛ وَيَجُوزُ « سُرْجًا » بِتَسْكِينِ الرَّاءِ ، مِثْلَ رُسُلٍ وَرُسُلٍ . قَالَ الْمَاورِدِيُّ : لَمَّا اقْتَرَنَ بَضْوَةُ الشَّمْسِ وَهَجَّ حَرَّتُهَا ، جَعَلَهَا لِأَجْلِ الْحَرَارَةِ سِرَاجًا ، وَلَمَّا عَدِمَ ذَلِكَ فِي الْقَمَرِ جَعَلَهُ نُورًا .

قَوْلُهُ تَعَالَى : ( وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً ) فِيهِ قَوْلَانِ .

أَحَدُهُمَا : أَنْ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا يَخَالِفُ الْآخَرَ فِي اللَّوْنِ ، فَهَذَا أَيْضًا ، وَهَذَا

أسود ، روى هذا المعنى الضحاك عن ابن عباس ، وابن أبي نجيح عن مجاهد ، وبه قال قتادة .

والثاني : أن كل واحد منها يَخْلُفُ صاحبه ، رواه عمرو بن قيس الملائي عن مجاهد ، وبه قال ابن زيد وأهل اللغة ، وأنشدوا قول زهير :

بِهَاتَيْنِ وَالْأَرَامُ يَمْشِينَ خَلْفَةً وَأُطْلَاوُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ بَجْشٍ<sup>(١)</sup>  
أي : إذا ذهبت طائفة جاءت طائفة<sup>(٢)</sup> .

قوله تعالى : ( لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ ) أي : يتعظ ويعتبر باختلافها .  
وقرأ حمزة : « يَذْكُرَ » خفيفة الذال مضمومة الكاف ، وهي في معنى :  
يتذكر ، ( أو أَرَادَ ) شكر الله تعالى فيها .

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا . وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا . وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا . إِنَّهَا سَاعَتْ مُسْتَنْقَرًا وَمُقَامًا . وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾

(١) « شرح ديوان زهير » : ٥ ، و « غرب القرآن » : ٣١٤ ، و « مجاز القرآن » :  
٨٠/٢ ، و « الطبري » : ٣٢/١٩ ، و « القرطبي » : ٦٥/١٣ ، و « مختار الشعر الجاهلي » :  
٢٢٨/١ ، و « اللسان » ، و « التاج » : خلف . والمين ، جمع أعين وعيناء : بقر الوحش ،  
سميت بذلك لسمة أعينها . والآرام : جمع رثم ، وهو الظبي الخالص البياض . وخليفة :  
يخلف بعضها بعضاً . والأطلاء : جمع الطلاء ، وهو الولد من ذوات الظلف . والحشم : المريض .  
(٢) قال ابن كثير : أي : جعلها يتماقبان توقيتاً لعبادة عباده له عز وجل ، فمن فاته  
عمل في الليل استدركه في النهار ، ومن فاته عمل في النهار استدركه في الليل ، وقد جاء في الحديث  
الصحيح « إن الله عز وجل يسطر يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويسطر يده بالنهار ليتوب  
مسيء الليل » . اهـ .



قوله تعالى : ( وعبادُ الرحمن الذين يَمَشُّونَ ) وقرأ عليّ ، وأبو عبد الرحمن السلمي ، وابن السميع : « يَمَشُّونَ » برفع الياء وفتح الميم والشين وبالتشديد . وقال ابن قتيبة : إنما نسبهم إليه لاصطفائه لإيام ، كقوله : ( ناقةُ الله ) [الأعراف: ٧٣] ، ومعنى « هُونًا » : مشياً رويداً <sup>(١)</sup> . ومنه يقال : أُحْبِبَ حبيبك هُونًا ما <sup>(٢)</sup> . وقال مجاهد : يمشون بالوقار والسكينة . ( وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ) أي : سداداً . وقال الحسن : لا يجهلون على أحد ، وإن جهل عليهم حلُّسوا <sup>(٣)</sup> . وقال مقاتل بن حيان : « قالوا سلاماً » أي : قولاً يَسْلَمُونَ فيه من الإثم . وهذه الآية محكمة عند الأكثرين . وزعم قوم أن المراد بها أنهم يقولون للكفار : ليس بيننا وبينكم غير السلام ، ثم نُسخَت بآية السيف .

(١) قال ابن كثير : وليس المراد أنهم يمشون كالرُضَى تصنعاً ورياءً ، فقد كان سيد ولد آدم ﷺ إذا مشى كأنما ينحط من صَبَب ، وكأنما الأرض تطوى له . قال : وقد كره بعض السلف المشي بتضعف وتصنع ، قال : وإنما المراد بالهون هنا : السكينة والوقار ، كما قال رسول الله ﷺ « إذا أتيت الصلاة فلا تأتوها وأنت تسمون » ، وأتتوها وعليكم السكينة والوقار ، فما أدركتم منها فصلوا ، وما فاتكم فأتموا ، اهـ ، والحديث متفق عليه .

(٢) هو من كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما في « الأدب المفرد » للبخاري : « أحب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بفيضك يوماً ما ، وأبغض بفيضك هوناً ما ، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما » ولم يثبت في المرفوع ، وإضافة « ما » إلى الهون تفيد التقليل ، والمعنى : أحب حبيبك حباً مقصداً لا إفراط فيه ، أي : لا تسرف في الحب والبغض ، فمضى أن يصير الحبيب بغيضاً ، والبغيض حبيباً ، فلا تكن مسرفاً في الحب فتندم ، ولا في البغض فتأسف .

(٣) روى الامام أحمد في « السند » ٤٤٥/٥ عن النعمان بن مقرن قال : قال رسول الله ﷺ وسب رجل رجلاً عنده ، قال : فجعل الرجل المسبوب يقول : عليك السلام قال : قال رسول الله ﷺ : « أما إن ملكاً بينكما يذب عنك ، كلما شتمك هذا قال له : بل أنت وأنت أحق به ، وإذا قال له : عليك السلام ، قال : لا ، بل لك ، أنت أحق به » ، قال ابن كثير : وإسناده حسن .

قوله تعالى : ( والذين يَبْتَغُونَ لِرَبِّهِمْ ) قال الزجاج : كل من أدركه الليل فقد بات ، نام أو لم ينام ؛ يقال : بات فلان قَلْبًا ، إنما المبيت إدراك الليل .  
قوله تعالى : ( كان غراماً ) فيه خمسة أقوال متقارب معانيها .

أحدها : دائماً ، رواه أبو سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ <sup>(١)</sup> . والثاني : موجعاً ، رواه الضحاك عن ابن عباس . والثالث : ملحقاً ، قاله ابن السائب ؛ وقال ابن جريج : لا يفارق . والرابع : هلاكاً ، قاله أبو عبيدة : والخامس : أن الغرام في اللغة : أشدُّ العذاب ، قال الشاعر :  
وَيَوْمَ النَّسَارِ وَيَوْمَ الْحِيفِ رَكَنَّا عَذَابًا وَكَانَا غَرَامًا <sup>(٢)</sup>  
قاله الزجاج .

قوله تعالى : ( ساءت مُسْتَقَرًّا ) أي : بسّ موضع الاستقرار وموضع الإقامة هي .

قوله تعالى : ( والذين إذا أنفقوا لم يُسْرِفُوا ولم يَقْتَرُوا ) وقرأ ابن كثير ، وأبو عمرو : « يَقْتَرُوا » مفتوحة الياء مكسورة التاء وقرأ عاصم ، وحزة ، والكسائي : « يَقْتَرُوا » فتح الياء وضم التاء . وقرأ نافع ، وابن عامر : « يَقْتَرُوا » بضم الياء وكسر التاء .

وفي معنى الكلام قولان .

أحدهما : أن الإسراف : مجاوزة الحد في النفقة ، والإقتار : التقصير عما لا بُدَّ

(١) ذكره السيوطي في « الدر » : ٧٧/٥ من رواية عبد بن حميد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٢) البيت لبشر بن أبي خازم كما في « مجاز القرآن » : ٨٠/٢ ، و « الطبري » : ٣٦/١٩ ، و « البحر » : ٥١٣/٦ ، و « روح المساني » : ٤١/١٩ ، و « اللسان » ، و « الباج » : غرم . ونسبه في « اللسان » ، للطرماح .

منه ، ويدل على هذا قولُ عمر بن الخطاب : كفى بالمرء سرافاً أن يأكل كل ما اشتهى .

والثاني : [ أن ] الإسراف : الإفاق في ممصبة الله وإن قل ، والإقتار : منع حق الله تعالى ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، وابن جريج في آخرين .  
قوله تعالى : ( وكان ) يعني الإفاق ( بين ذلك ) أي : بين الإسراف والإقتار ( قواماً ) أي : عدلاً ؛ قال ثعلب : القوام ، بفتح القاف : الاستقامة والعدل ، وبكسرهما : ما يدوم عليه الأمر ويستقر<sup>(١)</sup> .

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا . بُضَاعَةً لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا . إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانُ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾

قوله تعالى : ( والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ) في سبب نزولها ثلاثة أقوال .

أحدها : ما رواه البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود ، قال : سألت رسول الله ﷺ أي الذنب أعظم ؟ قال : « أن تجعلَ لله نداً وهو خلقك » ، قلت : ثم أي ؟ قال : « أن تقتلَ ولدك مخافة أن يطعمَ معك » ، قلت :

(١) قال ابن جرير الطبري : والصواب من القول في ذلك قول من قال : الإسراف في النفقة الذي عناه الله في هذا الموضع : ما جاوز الحد الذي أباحه الله لعباده إلى ما فوته ، والاقتار : ما قصر عما أمر الله به ، والقوام بين ذلك ، قال : وإنما قلنا : إن ذلك كذلك ، لأن المرف والمقتر كذلك ، ولو كان الإسراف والاقتار في النفقة مرخصاً فيها ، ما كنا مذمومين ، ولا كان المرف ولا المقتر مذمومين ، لأن ما أذن الله في فعله ، فغير مستحق فاعله الذم . اهـ .

ثم أي : قال : « أن تُزاني حليلة جارك » ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى تَصْدِيقَهَا « وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ  
مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ... » الْآيَةُ (١) .

والثاني : أن ناساً من أهل الشرك قَتَلُوا فَأَکْثَرُوا وَزَنُوا فَأَکْثَرُوا ، ثم  
أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا : إِنْ الَّذِي تَقُولُ وَتَدْعُو إِلَيْهِ لِحَسَنٌ لَوْ مُنْخَبِرُنَا  
أَنْ لِمَا عَمَلْنَا كَفَارَةً ، فَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ ، إِلَى قَوْلِهِ : « غَفوراً رَحِيماً » ، أَخْرَجَهُ  
مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ (٢) .

والثالث : أن وحشيّاً أتى النبي ﷺ فقال : يا محمد أتيتك مستجيراً فأَجِرْنِي  
حَتَّى أَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ، فقال رسول الله ﷺ : قد كنتُ أَحِبُّ أَنْ أُرَاكَ عَلَى غَيْرِ  
جِوَارٍ ، فَأَمَّا إِذَا أَتَيْتَنِي مُسْتَجِيراً فَأَنْتَ فِي جِوَارِي حَتَّى تَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ، قَالَ :  
فَأَتَيْتِي أَشْرَكَتُ بِاللَّهِ وَقَتَّتُ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ وَزَيْتُ ، فَهَلْ يَقْبَلُ اللَّهُ مِنِّي  
تَوْبَةً ؟ فَصَمَّتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ، فَتَلَاهَا عَلَيْهِ ، فَقَالَ : أَرَى  
شَرْطاً ، فَأَعْلَمْتَنِي لَا أَعْمَلُ صَالِحاً ، أَنَا فِي جِوَارِكَ حَتَّى أَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ، فَزَلَّتْ  
« إِنْ اللَّهُ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ » [ النِّسَاءُ : ٤٨ ] ،  
فَدَعَاهُ فَتَلَاهَا عَلَيْهِ ، فَقَالَ : وَلَعَلَّتَنِي مِمَّنْ لَا يَشَاءُ [ اللَّهُ ] ، أَنَا فِي جِوَارِكَ حَتَّى أَسْمَعَ  
كَلَامَ اللَّهِ ، فَزَلَّتْ : « يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ  
اللَّهِ ... » الْآيَةُ [ الزُّمَرُ : ٥٣ ] ، فَقَالَ : نَعَمْ ، الْآنَ لَا أَرَى شَرْطاً ، فَأَسْلَمَ ، رَوَاهُ  
عَطَاءٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ (٣) ؛ وَهَذَا وَحْشِيٌّ هُوَ قَاتِلُ حِمْرَةٍ ؛ وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ  
الْمَذْكُورِ عَنْهُ نَظَرٌ ، وَهُوَ بَعِيدُ الصَّحَّةِ ، وَالْمَحْفُوظُ فِي إِسْلَامِهِ غَيْرُ هَذَا ، وَأَنَّهُ قَدِيمٌ

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ : ٣٧٨/٨ ، وَمُسْلِمٌ : ٩٠/١ .

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي « كِتَابِ الْإِيمَانِ » : ١١٣/١ ، وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ : ٤٢٢/٨ سَبِيحاً لِنَزُولِ

قَوْلِهِ تَعَالَى : ( قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ... ) فِي سُورَةِ ( الزُّمَرُ : ٥٣ ) .

(٣) هَكَذَا ذَكَرَهُ الْوَاحِدِيُّ فِي « أَسْبَابِ النِّزُولِ » ، ١٩٣ .

مع رسل الطائف فأسلم من غير اشتراط<sup>(١)</sup>. وقوله : ( يَدْعُونَ ) معناه : يَتَّبِعُونَ . وقد سبق بيان قتل النفس بالحق في ( الأنعام : ١٥١ ) .

قوله تعالى : ( يَلْقَى أَثَامًا ) وقرأ سعيد بن جبير ، وأبو المتوكل : « يُلْقَى » برفع الياء وفتح اللام وتشديد القاف مفتوحة . قال ابن عباس : يَلْقَى جزاء . وقال مجاهد ، وعكرمة : هو وادٍ في جهنم . وقال ابن قتبية : يَلْقَى عقوبة ، وأنشد : [ جَزَى اللَّهُ ابْنَ عُرْوَةَ حَيْثُ أَمْسَى عُقُوقًا ] والمعقوق له أَثَامٌ<sup>(٢)</sup> قال الزجاج : وقوله : ( يَلْقَى أَثَامًا ) جزماً على الجزاء . قال أبو عمرو الشيباني : يقال : قد لقي أَثَامَ ذلك ، أي : جزاء ذلك ، وسيبويه والخليل يذهبان إلى أن معناه : يلقي جزاء الأثام . قال سيبويه : وإنما جزم « يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ » لأن مضاعفة العذاب لقي الأثام ، فلذلك جزمت ، كما قال الشاعر :

مَتَى تَأْتِنَا مُتْلِمٌ بَنَا فِي دِيَارِنَا تَجِدُ حَطْبًا جَزْلًا وَنَارًا تَأْجَجًا<sup>(٣)</sup>

لأن الإتيان هو الإلمام ، فجزم « مُتْلِمٌ » لأنه بمعنى « تَأْتِي » . وقرأ الحسن : « يُضَاعَفُ » ، وهو جيد بالغ ؛ تقول : ضاعفت الشيء وضَعَفْتُهُ . وقرأ عاصم : « يُضَاعَفُ » بالرفع على تفسير « يَلْقَى أَثَامًا » كأنَّ قائلًا قال : مَالُيُ الأثَامُ ؟ فقل : يُضَاعَفُ الأثَامُ العذاب . وقرأ أبو المتوكل ، وقتادة ، وأبو حيوة : « يُضَاعَفُ » برفع الياء وسكون الضاد وفتح العين خفيفة من غير ألف . وقرأ أبو حصين الأسدي ، والمعمري عن أبي جعفر مثله ، إلا أن العين مكسورة ، و « العذاب » بالنصب .

(١) انظر البخاري بشرح و الفتح : ٢٨٤/٧ .

(٢) البيت لبهاء بن قيس الكنتاني ، كما في « غريب القرآن » : ٣١٥ ، و « مجاز القرآن » :

٨١/٢ ، و « الطبري » : ٤٠/١٩ ، و « اللسان » : أثم ، ونسبه إلى شافع الهيثي .

(٣) البيت غير منسوب في « القرطبي » : ٧٧/١٣ ، و « مجمع البيان » : ١٢٢/١٩ ،

و « البحر » : ٥١٥/٦ ، و « روح المعاني » : ٤٤/١٩ .

قوله تعالى : ( وَيُخْلِدْ ) وقرأ أبو حيوه ، وقتادة ، والأعشى : « وَيُخْلِدْ »  
 برفع الياء وسكون الخاء وفتح اللام مخففة . وقرأ عاصم الجحدري ، وابن يعمر ،  
 وأبو المتوكل مثله ، إلا أنهم شددوا اللام .

### ﴿ فصل ﴾

ولعلماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية قولان .  
 أحدهما : أنها منسوخة ؛ وفي ناسخها ثلاثة أقوال . أحدها : أنه قوله تعالى :  
 ( وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَمِدِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ ) [النساء : ٩٣] ، قاله ابن عباس .  
 وكان يقول : هذه مكية ، والتي في « النساء » مدنية . والثاني : أنها نسخت  
 بقوله : ( إِنْ اللَّهُ لَا يُغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرَ مَا دُونَ ذَلِكَ . . . ) الآية  
 [النساء : ٤٨] . والثالث : أن الأولى نسخت بالثانية ، وهي قوله : ( إِلَّا  
 مِنْ تَابَ ) .

والقول الثاني : أنها محكمة ؛ والخلود إنما كان لانضمام الشرك إلى القتل  
 والزنا . وفساد القول الأول ظاهر ، لأن القتل لا يوجب تخليداً عند الأكثرين ؛  
 وقد بيناه في سورة ( النساء : ٩٣ ) ، والشرك لا يغفر إذا مات المشرك عليه ،  
 والاستثناء ليس بنسخ .

قوله تعالى : ( إِلَّا مَنْ تَابَ ) قال ابن عباس : قرأنا على عهد رسول الله  
 سفتين : « وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ » ثم نزلت « إِلَّا مَنْ تَابَ » فما  
 رأيت رسول الله ﷺ فرح بشيء فرحه بها ، وبـ « إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا » (١)  
 [ الفتح : ١ ]

(١) ذكره السيوطي في « الدر » ٧٩/٥ من رواية ابن المنذر ، والطبراني ، وابن مردويه —

قوله تعالى : ( فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ) اختلفوا في كيفية هذا التبديل وفي زمان كونه ، فقال ابن عباس : يبدل الله شرهم إيماناً ، وقتلهم إمساكاً ، وزناهم إحصاناً ؛ وهذا يدل على أنه يكون في الدنيا ، ومن ذهب إلى هذا المعنى سعيد بن جبير ، ومجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، وابن زيد . والثاني أن هذا يكون في الآخرة ، قاله سلمان رضي الله عنه ، وسعيد بن المسيّب ، وعلي بن الحسين . وقال عمرو بن ميمون : يبدل الله سيئات المؤمن إذا غفرها له حسنات ، حتى إن العبد يتمنى أن تكون سيئاته أكثر مما هي . وعن الحسن كالثقلين . وروي عن الحسن أنه قال : ودّ قومٌ يوم القيامة أنهم كانوا في الدنيا استكثروا من الذنوب ؛ فقبل : من هم ؟ قال : هم الذين قال الله تعالى فيهم : ( فَأُولَئِكَ يَبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ) ، ويؤكد هذا القول حديث أبي ذر عن النبي ﷺ : « يؤتى بالرجل يوم القيامة ، فيقال : اعرضوا عليه صغار ذنوبه ، فتعرض عليه صغار ذنوبه وتنحى عنه كبارها ، فيقال : عملت يوم كذا ، كذا وكذا ، وهو مُقِرٌّ لا يُنكِر ، وهو مُشْفِقٌ من الكبار ، فيقال : أعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة » ، أخرجه مسلم في « صحيحه » (١) .

— عن ابن عباس رضي الله عنها . وقال الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٨٤/٧ : رواه الطبراني من رواية علي بن زيد عن يوسف بن مهران ، وقد وثق ، وفيها ضعف ، وبقيته رجاله ثقات .

وقد جاء في صحيح البخاري ٤٤٨/٨ أن رسول الله ﷺ قال عندما نزلت سورة (الفتح) « لقد أنزلت عليّ الليلة سورة هي أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس ، ثم قرأ ( إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ) ، ورواه أحمد في « المسند » ، وأترمذي ، والنسائي من طرق عن مالك رحمه الله .

(١) رواه مسلم في « صحيحه » : ١٧٧/١ ولفظه بتمامه عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولاً الجنة ، وآخر أهل النار خروجاً —

﴿ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا . وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا . وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْهَانًا . وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْ لَنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾

قوله تعالى : ( ومن تاب ) ظاهر هذه التوبة أنها عن الذنوب المذكورة . وقال ابن عباس : يعني : ممن لم يقتل ولم يزن ، ( وعمل صالحاً ) فاتي قد قدَّمتهم وفضلتهم على من قاتل نبيي واستحل محارمي .

قوله تعالى : ( فانه يتوب إلى الله متاباً ) قال ابن الأباري : معناه : من أراد التوبة وقصد حقيقتها ، فينبغي له أن يريد الله بها ولا يحاط بها ما يفسدها ؛ وهذا كما يقول الرجل : من تجر فانه يتجر في البز ، ومن ناظر فانه يناظر في النحو ، أي : من أراد ذلك ، فينبغي أن يقصد هذا الفن ؛ قال : ويجوز أن يكون معنى [ هذه ] الآية : ومن تاب وعمل صالحاً ، فان ثوابه وجزائه يمظمان له عند ربه الذي أراد بتوبته ، فلما كان قوله : « فانه يتوب إلى الله متاباً » يؤدِّي عن هذا المعنى ، كفى منه ، وهذا كما يقول الرجل الرجل : إذا تكلمت فاعلم

— منها ، رجل يؤتى به يوم القيامة ، فيقال : اعرضوا عليه صفار ذنوبه ، وارفعوا عنه كبارها ، فتمرض عليه صفار ذنوبه ، فيقال : عملت يوم كذا وكذا ، وكذا كذا ، وعملت يوم كذا وكذا ، كذا كذا ، فيقول : نعم ، لا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تمرض عليه ، فيقال له : فان لك مكان كل سيئة حسنة ، فيقول : رب قد عملت أشياء لا أراها هاهنا ، فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه ، ورواه الطبري ٤٧/١٩ ، وذكره السيوطي في « الدر » : ٧٩/٥ ، وزاد نسبه لأحمد ، وهناد ، والترمذي ، والبيهقي في « الأسماء والصفات » عن أبي ذر رضي الله عنه .



أَنَّكَ نَكَتِمُ الْوَزِيرَ، أَي : نَكَلِمُ مِنْ يَعْرِفُ كَلَامَكَ وَيَجَازِيكَ ، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى :  
( إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكَّرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ )  
[ يونس : ٧١ ] ، أَي : فَانِي أَتَوَكَّلُ عَلَى مَنْ يَنْصُرُنِي وَلَا يُسْلِحُنِي . وَقَالَ قَوْمٌ :  
مَعْنَى الْآيَةِ : فَانِهِ يَرْجِعُ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعاً يَقْبَلُهُ مِنْهُ .

قَوْلُهُ تَعَالَى : ( وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ) فِيهِ ثَمَانِيَةُ أَقْوَالٍ .

أَحَدُهَا : أَنَّهُ الصَّمُّ ؛ رَوَى الضَّحَّاكُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ الزُّورَ ضَمٌّ كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ . وَالثَّانِي : أَنَّهُ الْغِنَاءُ ، قَالَهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَفِيفَةِ ، وَمَكْحُولٌ ؛ وَرَوَى لَيْثٌ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ : لَا يَسْمَعُونَ الْغِنَاءَ . وَالثَّلَاثُ : الشِّرْكُ ، قَالَهُ الضَّحَّاكُ ، وَأَبُو مَالِكٍ . وَالرَّابِعُ : لِمَنْ كَانَ لَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، قَالَهُ عِكْرَمَةُ . وَالْخَامِسُ : الْكَذِبُ ، قَالَهُ قَتَادَةُ ، وَابْنُ جَرِيرٍ . وَالسَّادِسُ : شَهَادَةُ الزُّورِ ، قَالَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ . وَالسَّابِعُ : أَعْيَادُ الْمُشْرِكِينَ ، قَالَهُ الرَّيِّعُ بْنُ أَنَسٍ . وَالثَّامِنُ : مَجَالِسُ الْخَنَا ، قَالَهُ عَمْرُو بْنُ قَيْسٍ <sup>(١)</sup> .

(١) قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ : وَأَوَّلُ الزُّورِ : تَحْسِينُ الشَّيْءِ وَوَصْفُهُ بِخِلَافِ صِفَتِهِ حَتَّى يُجَيَّلَ إِلَى مَنْ يَسْمَعُهُ أَوْ يَرَاهُ أَنَّهُ خِلَافُ مَا هُوَ بِهِ ، وَالشِّرْكُ قَدْ يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ ، لِأَنَّهُ مَحْمُودٌ لِأَهْلِهِ حَتَّى قَدْ ظَنُّوا أَنَّهُ حَقٌّ ، وَهُوَ بَاطِلٌ ، وَيَدْخُلُ فِيهِ الْغِنَاءُ ، لِأَنَّهُ أَيْضاً مِمَّا يَحْسِنُهُ تَرْجِعُ الصَّوْتُ حَتَّى يَسْتَحْلِيَ سَامِعُهُ سَمَاعَهُ ، وَالْكَذِبُ أَيْضاً قَدْ يَدْخُلُ فِيهِ لِتَحْسِينِ صَاحِبِهِ . إِيَّاهُ حَتَّى يَظُنَّ صَاحِبُهُ أَنَّهُ حَقٌّ ، فَكُلُّ ذَلِكَ مِمَّا يَدْخُلُ فِي مَعْنَى الزُّورِ . قَالَ : فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، فَأَوَّلَى الْأَقْوَالِ بِالصَّوَابِ فِي تَأْوِيلِهِ أَنْ يَقَالَ : وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ شَيْئاً مِنَ الْبَاطِلِ ، لَا شُرَكَاءَ وَلَا غِنَاءَ ، وَلَا كَذِباً ، وَلَا غَيْرَهُ ، وَكُلُّ مَا لَزِمَهُ اسْمُ الزُّورِ ، لِأَنَّ اللَّهَ عَمَّ فِي وَصْفِهِ إِيَّاهُمْ أَنَّهُمْ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَخْصَ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ إِلَّا بِحُجَّةٍ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهَا مِنْ خَبَرٍ أَوْ عَقْلِ . اهـ .

وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ » ثَلَاثاً ، قُلْنَا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : « الشِّرْكُ بِاللَّهِ ، وَعَقْوُقُ الْوَالِدِينَ ، وَكَانَ مَتَكَبِّراً فَجَلَسَ فَقَالَ : « أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ ، أَلَا وَشَهَادَةُ الزُّورِ ، فَمَا زَالَ يَكْرُرُهَا حَتَّى قُلْنَا : لَيْتَهُ سَكَتَ .

وفي المراد باللغو هاهنا خمسة أقوال .

أحدها : المعاصي ، قاله الحسن . والثاني : أذى المشركين إيام ، قاله مجاهد .  
والثالث : الباطل ، قاله قتادة . والرابع : الشرك ، قاله الضحاك . والخامس :  
إذا ذكروا النكاح كنوا عنه ، قاله مجاهد . وقال محمد بن علي : إذا ذكروا  
الفروج كنوا عنها .

قوله تعالى : ( مَرُّوا كِرَامًا ) فيه ثلاثة أقوال .

أحدها : مَرُّوا حُلُمَاء ، قاله ابن السائب . والثاني : مَرُّوا مُعْرِضِينَ عنه ،  
قاله مقاتل . والثالث : أن المعنى : إذا مَرُّوا باللغو جاوزوه ، قاله الفراء <sup>(١)</sup> .

قوله تعالى : ( والذين إذا ذُكِّرُوا ) أي : وَعِظُوا ( بآيات ربهم ) وهي  
القرآن ( لم يَخِرُّوا عليها صُماً وَمُحْمِيَّاتًا ) قال ابن قتيبة : لم يتغافلوا عنها كأنهم  
صُمٌّ لم يسمعوها ، عُميٌّ لم يروها . وقال غيره من أهل اللغة : لم يثبتوا على حالتهم  
الأولى كأنهم لم يسمعوا ولم يروا ، وإن لم يكونوا خَرُّوا حقيقة ؛ تقول العرب :  
شتمت فلاناً فقام يبكي ، وقعد يندب ، وأقبل يعتذر ، وظلَّ يتحير ، وإن لم يكن  
قام ولا قعد .

(١) قال ابن جرير الطبري : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي أن يقال : إن الله  
أخبر عن هؤلاء المؤمنين الذين مدحهم بأنهم إذا مروا باللغو مروا كراماً ، واللغو في كلام  
العرب هو كل كلام أو فعل باطل لا حقيقة له ولا أصل ، أو ما يستقبح ، فسبُّ الإنسان  
الإنسان الباطل الذي لا حقيقة له ، من اللغو ، وذكر النكاح بصريح اسمه مما يستقبح في  
بعض الأماكن ، فهو من اللغو ، وكذلك تغليم المشركين آلهتهم من الباطل الذي لا حقيقة  
لها عظموه على نحو ما عظموه ، وسماع النساء ما هو مستقبح في أهل الدين ، فكل ذلك يدخل  
في معنى اللغو ، فلا وجه - إذا كان كل ذلك يلزمه اسم اللغو - أن يقال : عني به بعض ذلك  
دون بعض ، إذ لم يكن لخصوص ذلك دلالة من خبر أو عقل . اهـ .

قوله تعالى : ( هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتَيْنَا ) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وابن عامر ، وحفص عن عاصم : « وَذُرِّيَّتَيْنَا » على الجمع . وقرأ أبو عمرو ، وحمة ، والكسائي ، وأبو بكر ، [ وحفص ] عن عاصم : « وَذُرِّيَّتِنَا » على التوحيد ، ( مُرَّةٌ أَعْيُنٌ » وقرأ ابن مسعود ، وأبو حيوة : « مُرَّاتٍ أَعْيُنٍ » يَمْنُون : من يعمل بطاعتك ففقرَ به أعيننا في الدنيا والآخرة . وسئل الحسن عن قوله : « مُرَّةٌ أَعْيُنٌ » في الدنيا ، أم في الآخرة ؟ قال : لا ، بل في الدنيا ، وأي شيء أقرَّ لعين المؤمن من أن يرى زوجته وولده يُطِيعون الله ، والله ما طلب القوم إلا أن يُطاع الله ففقرَ أعينهم . قال الفراء : إنما قال : « مُرَّةٌ » لأنها فعل ، والفعل لا يكاد يُجمع ، ألا ترى إلى قوله : ( وادْعُوا بُنُورًا كَثِيرًا ) [ الفرقان : ١٤ ] فلم يجمعه ؛ والقُرَّة مصدر ، تقول : قرَّت عينه مُرَّةً ، ولو قيل : مُرَّةٌ عين أو مُرَّاتٍ أعين كان صواباً . وقال غيره : أصل القُرَّة من البرد ، لأن العرب تتأذى بالحرِّ ، وتستروح إلى البرد .

قوله تعالى : ( واجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ) فيه قولان . أحدهما : اجعلنا أئمة يقتدى بنا ، قاله ابن عباس . وقال غيره : هذا من الواحد الذي يراد به الجمع ، كقوله : ( إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ) [ الشعراء : ١٦ ] ، وقوله : ( فَاتَّبِعْهُمْ عِدْوًا لِي ) [ الشعراء : ٧٧ ] .

والثاني : اجعلنا مؤتمنين بالمتقين مقتدين بهم ، قاله مجاهد ؛ فلي هذا يكون الكلام من المقلوب ، فيكون المعنى : واجعل المتقين لنا إماماً <sup>(١)</sup> .

(١) قال ابن كثير : وقد غيّر : اجعلنا هداة مهتدين دعاة إلى الخير ، فأجشوا أن تكون عبادتهم متصلة بعبادة أولادهم وذرياتهم ، وأن يكون هدام متمدياً إلى غيرهم بالنفع ، وذلك أكثر ثواباً وأحسن مأباً . اهـ . وقد ثبت في « صحيح مسلم » عن أبي هريرة رضي الله عنه . قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا مات ابن آدم انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة : إلا من صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » .

﴿ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا . خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا . قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾  
 قوله تعالى : ( أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ ) قال ابن عباس : يعني الجنة .  
 وقال غيره : الغرفة : كل بناء عالٍ مرتفع ، والمراد غرف الجنة ، وهي من الزُّبُرُجْدِ والدُّرِّ والياقوت ، ( بِمَا صَبَرُوا ) على دينهم وعلى أذى المشركين .

قوله تعالى : ( وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا ) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وحفص عن عاصم : « وَيُلَقَّوْنَ » بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف . وقرأ ابن عامر ، وحمة ، والكسائي ، وأبو بكر عن عاصم : « وَيُلَقَّوْنَ » بفتح الياء وسكون اللام وتخفيف القاف ، ( تَحِيَّةً وَسَلَامًا ) قال ابن عباس : يُحَيِّي بِمَعْشَرِهِمْ بَعْضًا بِالسَّلَامِ ، ويرسل إليهم الرَّبُّ عز وجل بالسَّلام . وقال مقاتل : « تَحِيَّةٌ » يعني السلام ، « وَسَلَامًا » أي : سَلَّمَ اللَّهُ لَهُمْ أَمْرَهُمْ وَتَجَاوَزَ عَنْهُمْ <sup>(١)</sup> .

قوله تعالى : ( قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي ) فيه ثلاثة أقوال .  
 أحدها : ما يصنع بكم ، قاله ابن عباس . والثاني : أي وزن يكون لكم عنده ؛ تقول : ما عَباْتُ بفلان ، أي : ما كان له عندي وزن ولا قَدْرٌ ، قاله الزجاج .  
 والثالث : ما يعبأ بمذايكم ، قاله ابن قتيبة .

وفي قوله : ( لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ) أربعة أقوال .

أحدها : لولا إيمانكم ، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس .

(١) قال ابن كثير : أُولَئِكَ يُبْتَدَرُونَ فِيهَا بِالتَّحِيَّةِ وَالْإِكْرَامِ ، وَيُلَقَّوْنَ التَّوْقِيرَ وَالْاحْتِرَامَ ، فَلَهُمُ السَّلَامُ وَعَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ : سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ .

والثاني : لولا عبادتكم ، رواه الضحاك عن ابن عباس .  
والثالث : لولا دعاؤه لإيتاكم لتعبُدوه ، قاله مجاهد ؛ والمراد نفع الخلق ،  
لأن الله تعالى غير محتاج .

والرابع : لولا توحيدكم ، حكاه الزجاج . وعلى قول الأكثرين ليس في الآية  
إضمار ؛ وقال ابن قتيبة : فيها إضمار تقديره : ما يعبأ بعبادكم لولا ما تدعونه من  
الشريك والولد ، ويوضح ذلك [ قوله ] : ( فسوف يكون لزاماً ) يعني :  
العذاب ، ومثله قول الشاعر :

مَنْ شَاءَ دَلَّى النَّفْسَ فِي هُوَةٍ ضَنْكَ وَلَكِنْ مَنْ لَهْ بِالْمَضِيقِ<sup>(١)</sup>  
أي : بالخروج من المضيق . وهل هذا خطاب للمؤمنين ، أو للكفار ؛ فيه قولان .  
فأما قوله تعالى : ( فقد كذبتم ) فهو خطاب لأهل مكة حين كذبوا رسول الله ﷺ ،  
( فسوف يكون ) يعني : نكذبتكم ( لزاماً ) أي : عذاباً لازماً [ لكم ] ؛ وفيه  
ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه قتلهم يوم بدر ، ، فقتلوا يومئذ ، واتصل بهم عذاب الآخرة  
لازماً لهم ، وهذا مذهب ابن مسعود ، وأبي بن كعب ، ومجاهد في آخرين .  
والثاني : أنه الموت ، قاله ابن عباس . والثالث : أن اللزام : القتال ، قاله ابن زيد .



(١) « مشكل القرآن » : ٣٣٩ . و « اللسان » : دلا ، وأيضاً في « اللسان » و « التاج » :  
ضيق ، ورواية الشطر الأول فيها : مَنْ شَاءَ يُدَلِّي النَّفْسَ فِي هُوَةٍ .

زاد المسير ٦ م (٨)

## سورة الشعراء

وهي مكية كلشها ، إلا أربع آيات منها نزلت بالمدينة ، من قوله : ( والشعراء يتبعهم الغاؤون ) [ الشعراء : ٢٢٤ ] إلى آخرها ، قاله ابن عباس ، وقتادة .

### بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ طَسَمَ . نِلَكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ . لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ . إِنْ نَشَأْ نُنزِلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ . وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُخَدَّتٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ . فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤْنَ . أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ . إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ . وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾

قوله تعالى : ( طَسَمَ ) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر : « طَسَمَ » بفتح الطاء وإدغام النون من هجاء « سين » عند الميم . وقرأ حمزة ، والكسائي ، وخلف ، وأبان ، والفضل : « طَسَمَ » و « طِسَمَ » [ النمل ] بأمالة الطاء فيها . وأظهر النون من هجاء « سين » عند الميم حمزة هاهنا وفي ( القصص ) .

وفي معنى « طسم » أربعة أقوال .

أحدها : أنها حروف من كلمات ، ثم فيها ثلاثة أقوال . أحدها : [ ما ]  
رواه علي بن أبي طالب عليه السلام قال : لما نزلت « طسم » قال رسول الله ﷺ :  
« الطاء : طور سيناء ، والسين : الاسكندرية ، والميم : مكة »<sup>(١)</sup> . والثاني :  
[ أن ] الطاء : طيبة ، وسين : بيت المقدس ، وميم : مكة ، [ رواه الضحاك عن  
ابن عباس ] . والثالث : الطاء : شجرة طوبى ، والسين : سدره المنتهى ، والميم :  
محمد ﷺ ، قاله جعفر الصادق .

والثاني : أنه قسم أقسم الله به ، وهو من أسماء الله تعالى ، رواه ابن أبي طلحة  
عن ابن عباس . وقد يئنا كيف يكون مثل هذا من أسماء الله تعالى في فاتحة  
مريم . وقال القرطبي : أقسم الله بطوله وسنائه ومملكه .  
والثالث : أنه اسم للثورة ، قاله مجاهد .

والرابع : : أنه اسم من أسماء القرآن ، قاله قتادة ، وأبوروق<sup>(٢)</sup> . وما بعد

(١) لم يذكر المفسرون أن معنى هذه الحروف ورد في المرفوع ، إلا ما ذكر الطبرسي  
من عداة الامامية الشيعة في تفسيره « مجمع البيان » حيث قال : وروي عن ابن الحنفية عن علي عليه  
السلام عن النبي ﷺ ... فذكره من غير سند ، فلعل المصنف نقل هذا المعنى عنه أو بمن نقل عنه .  
وقد نقل القرطبي هذا المعنى من كلام عبد الله بن محمد بن عقيل ، ولم يذكره مرفوعاً ، وذكر السيوطي  
في « الدر » ٨٢/٥ عن محمد بن كعب القرطبي في قوله تعالى : ( طسم ) قال : الطاء من  
ذي الطول ، والسين من القدوس ، والميم من الرحمن ، وكذلك ذكر الآلوسي في « تفسيره » :  
٥٢/١٩ .

(٢) قال ابن كثير عن الحروف التي في أوائل السور : وقال آخرون : بل إنما ذكرت هذه  
الحروف في أوائل السور التي ذكرت فيها بياناً لآعجاز القرآن ، وأن الخلق عاجزون عن  
معارضته بمثله ، هذا مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها ، قال : وقد حكى  
هذا المذهب الرازي في « تفسيره » عن البرد وجمع من المحققين ، قال : وحكى القرطبي عن —

هذا قد سبق تفسيره [ المائدة : ١٥ ، الكهف : ٦ ] إلى قوله : ( أَلَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ) والمعنى : لعلك قاتل نفسك لتركهم الإيمان .

ثم أخبر أنه لو أراد أن يُنزل عليهم ما يضطرون إلى الإيمان لفعل ، فقال : ( إِنْ نَشَأْ نُنْزِلْ ) وقرأ أبو رزين ، وأبو المتوكل : « إِنْ يَشَأْ يُنْزِلْ » بآلاء فيها ، ( عليهم من السماء آية فظلمت أعناقهم لها خاضعين ) جعل الفعل أولاً للأعناق ، ثم جعل « خاضعين » الرجال ، لأن الأعناق إذا خضعت فأربابها خاضعون . وقيل : لما وصف الأعناق بالخضوع ، وهو من صفات بني آدم ، أخرج الفعل مخرج الآدميين كما بيئنا في قوله : ( والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ) [ يوسف : ٤ ] ، وهذا اختيار أبي عبيدة . وقال الزجاج : قوله : « فظلمت » معناه : فتظلمت ، لأن الجزاء يقع فيه لفظ الماضي في معنى المستقبل ، كقولك : إن تأتني أكرمك ، معناه : أكرمك ؛ وإنما قال : « خاضعين » لأن خضوع الأعناق هو خضوع أصحابها ، وذلك أن الخضوع لما لم يكن إلا بخضوع الأعناق ، جاز أن يخبر عن المضاف إليه ، كما قال الشاعر :

رَأَتْ صَرَ السَّنِينَ أَخَذْنَ مِنِّي كَمَا أَخَذَ السَّرَارُ مِنَ الْهَيْلَالِ (١)

فلما كانت السنين لا تكون إلا بمر ، أخبر عن السنين ، وإن كان أضاف إليها المرور . قال : وجاء في التفسير أنه يعني بالأعناق كبراءهم ورؤساءهم . وجاء في

— الفراء وقطرب نحو هذا ، وقرره الزجاجي في « كشافه » ونصره أتم نصر ، قال : وإليه ذهب الشيخ الإمام العلامة أبو العباس ابن تيمية وشيخنا الحافظ المنجد أبو الحجاج المزي وحكامه لي عن ابن تيمية . اهـ .

(١) البيت للجزير ، ديوانه : ٤٣٦ ، ود مجاز القرآن ، : ٨٣/٢ ود الطبري ، : ٦٢/١٩ ، و اللسان ، : خضع ، ود السرار : الليلة يخفى فيها الهلال آخر الشهر .



اللغة أن أعانهم جماعاتهم ؛ يقال : جاني عُنُق من الناس ، أي : جماعة . وما بعد هذا قد سبق تفسيره [ الأنبياء : ٢ ] إلى قوله : ( أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ ) يعني المكذِبين بالبحث ( كَمْ أَتْبَعْنَا فِيهَا ) بعد أن لم يكن فيها نبات ( من كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ) قال ابن قتيبة : من كل جنس حسن . وقال الزجاج : الزوج : النوع ، والكريم : المحمود .

قوله تعالى : ( إِنَّ فِي ذَلِكَ ) الإِثْبَات ( لآيَةً ) ندل على وحدانية الله وقدرته ( وما كان أكثرهم مؤمنين ) أي : ما كان أكثرهم يؤمن في علم الله ، ( وإنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ ) المنتقم من أعدائه ( الرَّحِيمُ ) بأوليائه .

﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ . قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ . وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَرُونَ . وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ . قَالَ كَلَّا فَإِذْ هَبْنَا بَابَانَانَا لِنُتْلِكَ مِنْكَ مُسْتَخِيمُونَ . فَأَنبَأَ فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ . قَالَ أَلَمْ تُرَبِّكَ فِيمَنَّا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِيمَنَّا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ . وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ . قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ . فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ . وَنِلْكَ نِعْمَةً تَمْنَاهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾

قوله تعالى : ( وَإِذْ نَادَى ) المعنى : وائل هذه القصة على قومك .

قوله تعالى : ( أَنْ يُكَذِّبُونِ ) ياء « يُكَذِّبُونِ » محذوفة ، ومثلها « أَنْ

يَقْتُلُونَ » [ الشعراء : ١٤ ] « سيهدين » [ الشعراء : ٦٢ ] « فهو يهدين » [ الشعراء : ٧٨ ]

« ويسقين » [ الشعراء : ٧٩ ] « فهو يشفين » [ الشعراء : ٨٠ ] « ثم يحين » [ الشعراء : ٨١ ]  
 « كذَّبُون » [ الشعراء : ١١٧ ] « وأطيعون » [ الشعراء : ١٠٨ ] فهذه ثمان آيات  
 أثبتن في الحاليين يعقوب <sup>(١)</sup>.

قوله تعالى : ( وَيَضِيقُ صَدْرِي ) أي تكذيبهم إيتاي ( وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي )  
 للعُقْدَة التي كانت بلسانه . وقرأ يعقوب : « وَيَضِيقُ » « وَلَا يَنْطَلِقُ » نصب  
 القاف فيها ، ( فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ ) المعنى : ليُعِينِي ، فحذف ، لأن في الكلام  
 دليلاً عليه . ( وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ ) وهو القتل الذي وكزه فقضى عليه ؛ والمعنى :  
 ولهم عليّ دعوى ذنب ( فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُون ) به ( قَالَ كَلَّا ) وهو ردع  
 وزجر عن الإقامة على هذا الظن ؛ والمعنى : لن يقتلوك لأنني لاسلطهم عليك ،  
 ( فَاذْهَبَا ) يعني : أنت وأخوك ( بَأَيَاتِنَا ) وهي : ما أعطاها من المعجزة ( إِنَّا )  
 يعني نفسه عز وجل ( معكم ) فأجراها مجرى الجماعة ( مُسْتَعِينُونَ ) نسمع ما يقولان  
 وما يجيبونكما به .

قوله تعالى : ( إِنَّا رُسُلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ) قال ابن قتيبة : الرسول يكون  
 معنى الجميع ، كقوله : ( هَؤُلَاءِ ضَيْفِي ) [ الحجر : ٦٨ ] وقوله : ( ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ  
 طِفْلاً ) [ الحج : ٥ ] . وقال الزجاج : المعنى : إِنَّا رِسَالَةُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ،  
 أي : ذوو رسالة رب العالمين ، قال الشاعر :

لَقَدْ كَذَبَ الْوَاسُونَ مَا بَحْتُ عِنْدَهُمْ

بِسَرٍّ وَلَا أُرْسَلْتُهُمْ بِرَسُولٍ <sup>(٢)</sup>

أي : برسالة .

(١) عبارة ابن الجوزي في كتاب « النشر في القراءات العشر » : ٣٢٣/٢ « أثبت الياء  
 في جميعها يعقوب في الحاليين » .

(٢) البيت لكثير عزة ، وهو في « مجاز القرآن » : ٨٤/٢ ، و « غريب القرآن » :  
 ٣١٦ ، و « الطبري » : ٦٥/١٩ ، و « القرطبي » : ٩٣/١٣ ، و « اللسان » ، و « التاج » : رسل .

قوله تعالى : ( أَنْ أَرْسِلَ ) المعنى : بَأْن أَرْسَلَ ( معنا بني إسرائيل ) أي : أَطْلِقَهُمْ مِنَ الْعَبَادَةِ ، فَأَتَيَاهُ فَبَلَّغَاهُ الرِّسَالَةَ ، فَ ( قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا ) أي : صَبِيًّا صَغِيرًا ( وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ) وفيها ثلاثة أقوال .

أحدها : ثمانى عشرة سنة ، قاله ابن عباس . والثاني : أربعون سنة ، قاله ابن السائب . والثالث : ثلاثون سنة ، قاله مقاتل ، والمعنى : فجازَيْتَنَا عَلَى أَنْ رَبَّيْنَاكَ أَنْ كَفَرْتَ نَعْمَتًا ، وَقَتَلْتَ مَتَى نَفْسًا ، وَهُوَ قَوْلُهُ : ( وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكَ ) وهي قتل النفس . قال الفراء : وَإِنَّمَا تُنْصِبَتِ الْفَاءُ ، لِأَنَّهَا مَرَّةٌ وَاحِدَةٌ ، وَلَوْ أُريدَ بِهَا مِثْلُ الْجُلُوسَةِ وَالْمَشْيَةِ جَازَ كَسْرُهَا .

وفي قوله : ( وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ) قولان .

أحدهما : مِنَ الْكَافِرِينَ لِنَعْمَتِي ، قاله ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، وعطاء ،

والضحَّاك ، وابن زيد .

والثاني : مِنَ الْكَافِرِينَ بِأَهْلِكَ ، كُنْتَ مَعَنَا عَلَى دِينِنَا الَّذِي نَعِيبُ ، قاله الحسن ، والسدي . فعلى الأول : وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ الْآنَ . وعلى الثاني : وَكُنْتَ . وفي قوله : ( وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ) ثلاثة أقوال .

أحدها : مِنَ الْجَاهِلِينَ ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وقتادة . وقال بعض المفسرين : المعنى : إِنِّي كُنْتُ جَاهِلًا لَمْ يَأْتِنِي مِنَ اللَّهِ شَيْءٌ .

والثاني : مِنَ الْخَاطِئِينَ ؛ والمعنى : إِنِّي قَتَلْتُ النَّفْسَ خَطَاً ، قاله ابن زيد .

والثالث : مِنَ النَّاسِينَ ؛ ومثله : ( أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا ) [ البقرة : ٢٨٢ ] ،

قاله أبو عبيدة .

قوله تعالى : ( فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ ) أي : ذَهَبْتُ مِنْ بَيْنِكُمْ ( لَمَّا خِفْتُمْكُمْ ) عَلَى

نفسى إلى مَدِينِ ، وقرأ عاصم الجحدري ، والضحاك ، وابن يعمر : ( لَمَّا ) بكسر اللام وتخفيف الميم ، ( فوهب لي ربِّي حُكْمًا ) وفيه قولان .

أحدهما : النبوة ، قاله ابن السائب . والثاني : العِلْم والفهم ، قاله مقاتل .

قوله تعالى : ( وتلك نعمةً تمنُّها عليّ ) يعني الترية ( أَنْ عِبَّدْتَ بِي إِسْرَائِيلَ ) أي : اتخذتهم عبيداً ؛ يقال : عِبَّدْتُ فلاناً وأعبدته واستعبدته : إذا اتخذته عبداً <sup>(١)</sup> .

وفي « أَنْ » وجهان .

أحدهما : أَنْ تكون في موضع رفع على البدل من « نعمة » .

والثاني : أَنْ تكون في موضع نصب بنزع الخافض ، تقديره : لِأَنْ عِبَّدْتَ ، أو لتعبيدك .

واختلف العلماء في تفسير الآية ، ففسرها قوم على الإنكار ، وقوم على الإقرار .

فنفسرها على الإنكار قال معنى الكلام : أو تلك نعمة ؟ ! على طريق الاستفهام ، ومثله ( هذا ربِّي ) [ الأنعام : ٧٦ ] ، وقوله : ( فهم الخالدون ) [ الأنبياء : ٣٤ ] ، وأنشدوا :

[ لم أنس يوم الرحيل وقفتها      وجفها من دموعها شرق ] <sup>(٢)</sup>

وقولها والركابُ سائرة      تركنا هكذا وتنطلق

(١) قال ابن كثير في قوله : ( وتلك نعمةً تمنُّها عليّ ) : أي : وما أحسنت إليّ ورئيتي مقابل ما أسأت إلى بني إسرائيل فجعلتهم عبيداً وخدماءً تصرفهم في أعمالك ومشاق رعيك ، أفيتبي إحسانك إلى رجل واحد منهم بما أسأت إلى مجموعهم ؟ أي : ليس ما ذكرته شيئاً بالنسبة إلى ما فعلت بهم . اهـ .

(٢) الشطر الأول من هذا البيت زيادة من النسخة الاستنبولية ، وأثبتنا البيت بتمامه

من القرطبي .

وهذا قول جماعة منهم . ثم لهم في معنى الكلام ووجه أربعة أقوال .

أحدها : أن فرعون أخذ أموال بني إسرائيل واستعبدهم وأنفق على موسى منها ، فأبطل موسى النعمة لأنها أموال بني إسرائيل ، قاله الحسن .

والثاني : أن المعنى : إنك لو كنت لا تقتل أبناء بني إسرائيل لكفاني أهلي ، وكانت أمي تستني عن قذفي في اليم ، فكأنك تمنني علي بما كان بلاؤك سببا له ، وهذا قول المبرد ، والزجاج ، والأزهري .

والثالث : أن المعنى : تمنني علي بإحسانك إلي خاصة ، وتنسى إساءتك بتعبيدك بني إسرائيل ؛ قاله مقاتل .

والرابع : أن المعنى : كيف تمنني علي بالترية وقد استعبدت قومي ؛ أو من أهين قومه فقد ذل ، فقد حبط إحسانك إلي بتعبيدك قومي ، حكاه الثعلبي . فأما من فسرها على الإقرار ، فانه قال : عدها موسى نعمة حيث رباه ولم يقتله ولا استعبده . فالمعنى : هي لعمري نعمة إذ ربيتني ولم تستعبدني كاستعبادك بني إسرائيل ؛ ف « أن » تدل على المحذوف ، ومثله في الكلام - أن تضرب بعض عبيدك وتترك الآخر ، فيقول المتروك - : هذه نعمة علي أن ضربت فلانا وتركنتي ، ثم تحذف « وتركنتي » لأن المعنى معروف ، هذا قول الفراء .

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ . قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ . قَالَ لِمَنْ حَوَلَهُ أَلَّا تَسْتَمِعُونَ . قَالَ رَبِّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ . قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ . قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾

قوله تعالى : ( قال فرعونُ وما ربُّ العالمين ) سأله عن ماهية من لا ماهية له ، فأجابه بما يدلُّ عليه من مصنوعاته <sup>(١)</sup> .

وفي قوله : ( إن كنتم موقنين ) قولان .

أحدهما : أنه خلق السموات والأرض .

والثاني : إن كنتم موقنين أن ماتماينونه كما تعابونه ، فكذلك <sup>(٢)</sup> ، فأيقنوا أن <sup>(٣)</sup>

ربَّ العالمين ربُّ السموات والأرض . ( قال ) يعني : فرعون ( لمن حوله ) من أشراف قومه ( ألا تستمعون ) معجباً لهم .

فان قيل : فإين جوابهم ؟

فالجواب : أنه أراد : ألا تستمعون قول موسى ؟ فردَّ موسى ، لأنه المراد

(١) قال ابن كثير : يقول تعالى مخبراً عن كفر فرعون وتمرده وطفيسانه وجحوده في قوله : ( وما ربُّ العالمين ) وذلك أنه كان يقول لقومه : ( ما علمت لكم من إله غيري ) ( فاستخف قومه فأطاعوه ) وكانوا يحسدون الصانع جل وعلا ، ويمتقدون أنه لا رب لهم سوى فرعون ، فلما قال له موسى : ( إني رسول من رب العالمين ) قال له فرعون : ومن هذا الذي تزعم أنه رب العالمين غيري ؟ قال ابن كثير : هكذا فسره علماء الساف وأئمة الخلف حتى قال السدي : هذه الآية كقوله تعالى : ( قال فمن ربكم يا موسى قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ) قال : ومن زعم من أهل المنطق وغيرهم أن هذا سؤال عن الماهية ، فقد غلط ، فإنه لم يكن مقراً بالصانع حتى يسأل عن الماهية ، بل كان جاحداً له بالكلية فيما يظهر وإن كانت الحجة والبراهين قد قامت عليه ، فعند ذلك قال موسى لما سأله عن رب العالمين : ( قال رب السموات والأرض وما بينهما ) أي : خالق جميع ذلك ومالكه والمتصرف فيه وإلهه لا شريك له ، هو الذي خلق الأشياء كلها ، العالم العلوي وما فيه من الكواكب الثواب والسيارات النيرات ، والعالم السفلي وما فيه من بحار وقفار وجبال وأشجار وحيوانات ونبات وثمار ، وما بين ذلك من الهواء والطير ، وما يحتوي عليه الجو ، الجميع عبيد له خاضعون ذليلون ( إن كنتم موقنين ) أي : إن كانت لكم قلوب موقنة ، وأبصار نافذة . اهـ .

(٢) في نسخة الرباط : « أن ماتماينوه كما يعابونه فكذلك » وفي النسخة الاستنبولية : « أن ماتماينونه فكذلك » والتصحيح من الطبري .

(٣) في الأصل : أنه .

بالجواب ، ثم زاد في البيان بقوله : ( رَبِّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ) ، فأعرض فرعون عن جوابه ونسبه إلى الجنون ، فلم يُخفِ موسى بقول فرعون ، واشتغل بتأكيد الحجة ، فد ( قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ) أي : إِنْ كُنْتُمْ ذَوِي عَقُولٍ ، لَمْ يَخَفْ عَلَيْكُمْ مَا أَقُولُ .

﴿ قَالَ لَنْبِتِ اتَّخَذَتْ إِلَٰهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمُسْجُونِينَ . قَالَ أَوْلَوْا جِثَّتْكَ بَشِيءٌ مُبِينٌ . قَالَ فَاتِّبِعْ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ . فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ . وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاطِرِينَ . قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنْ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ . يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَاذًا تَأْمُرُونَ . قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْنَتْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ . يَا ثُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ . فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ . وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ . لَعَلَّنا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ . فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَنَا أَجْرٌ إِنْ كُنَّا نَخُنُّ الْغَالِبِينَ . قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ . قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَتَقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ . فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ . فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ . فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ . قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ . رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾

قوله تعالى : ( أَوْلَوْا جِثَّتْكَ بَشِيءٌ مُبِينٌ ) أي : بأمر ظاهر تعرف به صدقي أنسجني ، وما بعد هذا مفسر في ( الأعراف : ١٠٧ ) إلى قوله : ( فَجُمِعَ

السحرة لميقات يوم معلوم) وهو يوم الزينة ، وكان عيداً لهم ، ( وقيل للناس )  
بمعنى أهل مصر . وذهب ابن زيد إلى أن اجتماعهم كان بالاسكندرية .

قوله تعالى : ( لعلنا نتبع السحرة ) قال الآكثرون : أرادوا سحرة  
فرعون ؛ فالمعنى : لعلنا نتبعهم على أمرهم . وقال : بعضهم : أرادوا موسى وهارون ،  
وإنما قالوا ذلك استهزاء . قال ابن جرير : و « لعل » هاهنا بمعنى « كي » .  
وقوله (١) : ( بزة فرعون ) أي : بعظمته (٢) .

﴿ قَالَ آمَنَتْهُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ أَدْنَى لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي  
عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَا قُطَيْعَنَّ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ  
مِنْ خِلَافٍ وَلَا أَضَلَّيْنَكُمْ أَجْمَعِينَ . قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا  
مُنْقَلِبُونَ . إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ  
الْمُؤْمِنِينَ ﴾

قوله تعالى : ( فسوف تعلمون ) قال الزجاج : اللام دخلت للتوكيد .  
قوله تعالى : ( لا ضير ) أي : لا ضرر . قال ابن قتبية : هو من ضارّه  
يَضُورُهُ وَيَضِيرُهُ ؛ بمعنى : ضره . والمعنى : لا ضرر علينا فيما ينالنا في الدنيا ،  
لأننا نقلب إلى ربنا في الآخرة مؤمنين غفرانه .

قوله تعالى : ( أن كنا ) أي : لأن كنا ( أول المؤمنين ) بآيات موسى  
في هذه الحال .

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِمِائِدِي إِتَّكُمْ مُتَّبِعُونَ .  
فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ . إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ  
قَلِيلُونَ . وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ . وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ . فَأَخْرَجْنَاهُمْ  
(١) في الأصل : كفوله . (٢) أفسوا بزة فرعون ، وهي من آيات الجاهلية .



مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ . كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا  
بَنِي إِسْرَآئِيلَ ﴿٥٣﴾

قوله تعالى : ( إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ ) أي : يَتَّبِعُكُمْ فرعون وقومه .

قوله تعالى : ( إِنَّ هَؤُلَاءِ ) المعنى : وقال فرعون إِنَّ هَؤُلَاءِ ، يعني  
بني إسرائيل ( كَثِيرٌ ذِمَّةٌ ) قال ابن قتيبة : أي : طائفة . قال الزجاج : والشرذمة  
في كلام العرب : القليل . قال المفسرون : وكانوا ستمائة ألف ، وإنما استقلَّهم  
بالإضافة إلى جنده ، وكان جنده لا يُحصى .

قوله تعالى : ( وَإِنَّهُمْ أَنَا لَمُتَّبِعُونَ ) تقول : غاظني الشيء ، إذا أغضبك .  
قال ابن جرير : وذكر أن غيظهم كان لقتل الملائكة من قَتَلَتْ من أبنائهم .  
قال : ويحتمل أن غيظهم لذهابهم بالعواري التي استعاروها من حُلِيِّهم ، ويحتمل  
أن يكون لفراقهم أيام وخروجهم من أرضهم على كُرِه منهم .

قوله تعالى : ( وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو :  
« حَاذِرُونَ » بغير ألف . وقرأ الباقون : « حَاذِرُونَ » بألف . وهل بينهما فرق ؟  
فيه قولان .

أحدهما : أن الحاذر : المستعبد ، والحذر : المنيعة . وجاء في التفسير أن  
معنى حاذرين : مُؤَدُّون ، أي : ذَوُّ أَدَاة ، وهي السلاح ، لأنها أداة الحرب .  
والثاني : أنها لفتان معناها واحد ؛ قال أبو عبيدة : يقال : رجل حَاذِرٌ  
وحَاذِرٌ وحَاذِرٌ . والمقام الكريم : المنزل الحسن .

وفي قوله : ( كَذَلِكَ ) قولان .

أحدهما : كذلك أفضل من عصائي ، قاله ابن السائب . والثاني : الأمر  
كذلك ، أي : كما وصفنا ، قاله الزجاج .

قوله تعالى : ( وأورثناها بني إسرائيل ) وذلك أن الله تعالى ردّهم إلى مصر بعد غرق فرعون ، وأعطاهم ما كان لفرعون وقومه من المساكن والأموال . وقال ابن جرير الطبري : إنما جعل ديار آل فرعون ملكاً لبني إسرائيل ولم يرزقهم إليها لكنه جعل مساكنهم الشام .

﴿ فَأَتَّبِعُوهُمْ مُشْرِقِينَ . فَلَمَّا نَرَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ . قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ . فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اصْرِبْ يَعْصَاكَ الْبَحْرُ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ . وَأَزْلَفْنَا نَمَّ الْآخَرِينَ . وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ . ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ . إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ . وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾

قوله تعالى : ( فَأَتَّبِعُوهُمْ ) قال ابن قتيبة : لحقوهم ( مُشْرِقِينَ ) أي : حين شَرَقَت الشمس ، أي : طلعت ، يقال : أَشْرَقْنَا : دخلنا في الشروق ، كما يقال : أَمْسَيْنَا وَأَصْبَحْنَا . وقرأ الحسن ، وأيوب السَّخْتِيَانِي : « فَأَتَّبِعُوهُمْ » بالتشديد .

قوله تعالى : ( فَلَمَّا نَرَاءَ الْجَمْعَانِ ) وقرأ أبو رجاء ، والنخعي ، والأعمش : « نَرَأَى » بكسر الراء وفتح الهمة ، أي : تقابلا بحيث يرى كل فريق صاحبه . قوله تعالى : ( كَلَّا ) أي : لن يُدْرِكُونَا ( إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ) أي : سيدلّني على طريق النجاة .

قوله تعالى : ( فَانْفَلَقَ ) فيه إضمار « فضرِب فانفلق » ، أي : انشق الماء اثني عشر طريقاً ( فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ ) أي : كل جزء انفرد منه . وقرأ أبو التوكل ، وأبو الجوزاء ، وعاصم الجحدري : « كُلُّ فِلْقٍ » باللام ، ( كَالطَّوْدِ ) وهو الجبل .

قوله تعالى : ( وَأُزْلِفْنَا لَمْ الْآخِرِينَ ) أي : قربنا الآخرين من الفرق ، وهم أصحاب فرعون . وقال أبو عبيدة : « أزلفنا » أي : جمعنا . قال الزجاج : وكلا القولين حسن ، لأن جمعهم تقرب بعضهم من بعض ، وأصل الزلفى في كلام العرب : القُرْبَى . وقرأ ابن مسعود ، وأبي بن كعب ، وأبورجاه ، والضحاك ، وابن عمر : « أزلفنا » بقاء ، وكذلك قرأوا : « وَأُزْلِفَتْ الْجَنَّةُ » [ الشعراء : ٩٠ ] بقاء [ أيضاً ] .

قوله تعالى : ( إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ ) يعني : في إهلاك فرعون وقومه عبرة لمن بعدهم ( وما كان أكثرهم مؤمنين ) أي : لم يكن أكثر أهل مصر مؤمنين ، إنما آمنت آسية ، وخيريل <sup>(١)</sup> مؤمن آل فرعون ، وفئة الماشطة ، ومريم - امرأة دلت موسى على عظام يوسف - ، هذا قول مقاتل . وما أخلطنا به من تفسير كلمات في قصة موسى ، فقد سبق بيانها ، وكذلك ما يفقد ذكره في مكان ، فهو إما أن يكون قد سبق ، وإما أن يكون ظاهراً ، فتنبه لهذا .

﴿ وَانلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ . إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ . قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ . قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ . أَوْ يَنْفَعُوكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ . قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ . قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ . أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ . فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ . الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ . وَالَّذِي يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ . وَإِذَا

(١) قال الآلوسي في « روح المعاني » ، ٥٧/٢٤ : واسمه : قيل : شحان ، بشين معجمة ،

وقيل : خيريل ، بنحاء معجمة مكسورة وراء همزة ساكنة ، وقيل : حزيل ، بنحاء مهملة وزاي معجمة ، وقيل : حبيب .

مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ . وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ . وَالَّذِي أَطْمَعُ  
أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿١﴾

قوله تعالى : ( هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ ) والمعنى : هل يسمعون دعاءكم . وقراً  
سعيد بن جبير ، وابن عمر ، وعاصم الجحدري : « هَلْ يُسْمِعُونَكُمْ » بضم الياء  
وكسر الميم ، ( إِذْ تَدْعُونَ ) قال الزجاج : إن شئت بينت الدال ، وإن شئت  
أدغمتها في التاء وهو أجود في العربية ، لقرب الدال من التاء .

قوله تعالى : ( أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ ) أي : إن عبدتموم ( أَوْ يَضُرُّونَ ) إن لم  
تعبدهم ، فأخبروا عن تقليد آبائهم .

قوله تعالى : ( فَانَّهُمْ عَدُوٌّ لِي ) فيه وجهان .  
أحدهما : أن لفظه لفظ الواحد والمراد به الجميع ؛ فالمعنى : فانهم أعداء لي .  
والثاني : فان كل معبود لكم عدوٌ لي .  
فان قيل : ماوجه وصف الجناد بالمداوة ؟

فالجواب : من وجهين . أحدهما : أن معناه : فانهم عدوٌ لي يوم القيامة إن  
عبدتهم . والثاني : أنه من المقلوب ؛ والمعنى : فإني عدوٌ لهم ، لأن من عاديتهم  
عاداك ، قاله ابن قتيبة <sup>(١)</sup> .

وفي قوله : ( إِنْ لَا رَبَّ الْمَالِينَ ) قولان .  
أحدهما : : أنه استثناء من الجنس ، لأنه علم أنهم كانوا يعبدون الله مع  
آلهتهم ، قاله ابن زيد .

والثاني : أنه من غير الجنس ؛ والمعنى : لكن رب المالين [ ليس كذلك ] <sup>(٢)</sup> ،  
قاله أكثر النحويين .

(١) قال ابن كثير : أي : إن كانت هذه الأصنام شيئاً ، ولها تأثير ، فلتخلص إلي بالساعة ،  
فإني عدوٌ لها لا أبالي بها ولا أفكر فيها . اهـ . (٢) زيادة من « روح المعاني » .

قوله تعالى : ( الَّذِي خَلَقَنِي فَهوَ يَهْدِينِ ) أي : إلى الرشد ، لا مانعُبدون ،  
( وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ) أي : هو رازقي الطعام والشراب <sup>(١)</sup> .

فان قيل : لم قال : « مرضتُ » ، ولم يقل : « أمرضنني » ؟  
فالجواب : أنه أراد الثناء على ربه فأضاف إليه الخير المحض ، لأنه لو قال :  
« أمرضني » لعدَّ قومه ذلك عيباً ، فاستعمل حُسن الأدب ؛ ونظيره قصة الخضر  
حين قال في الميِّب : « فأردتُ » [الكهف: ٧٩] ، وفي الخير المحض : « فأراد ربُّكَ »  
[الكهف : ٨٢] .

فان قيل : فهذا يردُّه قوله : ( وَالَّذِي يُمَيِّنِي ) .

فالجواب : أن القوم كانوا لا يُنكرون الموت ، وإنما يحملون له سبباً سوى  
تقدير الله عز وجل ، فأضافه إبراهيم إلى الله عز وجل ، وقوله : ( ثُمَّ يُحْيِينِ )  
يعني للبعث ، [وهو] <sup>(٢)</sup> أمرٌ لا يُقَرُّون به ، وإنما قاله استدلالاً عليهم ؛ والمعنى :  
أن ما وافقتموني عليه موجب لصحَّة قولي فيما خالفتموني فيه .

قوله تعالى : ( وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي ) يعني : ما محري على  
مثلي من الزَّلَل ؛ والمفسرون يقولون : إنما غنى الكلمات الثلاث التي ذكرناها  
في ( الأنبياء : ٦٣ ) ، ( يومَ الدِّينِ ) يعني : يوم الحشر والحساب ؛ وهذا احتجاج  
على قومه أنه لا تصلحُ الإلهية إلا لمن فعلَ هذه الأفعال .

﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ . وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ  
صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ . وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ . وَاعْفِرْ .

(١) قال ابن كثير : أي : هو خالقي ورازقي بما سخر ويسر من الأسباب الساهرة والأرضية ،  
فساق المزن ، وأنزل الماء وأحيا به الأرض وأخرج به من كل الثمرات رزقاً للعباد ، وأنزل الماء  
عذباً زلالاً يسقيه مما خلق أنعاماً وإناسي كثيراً . اهـ .

(٢) زيادة ليست في الأصل .

لَأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ . وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ . يَوْمَ لَا يَنْتَفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ . إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٥٠﴾  
قوله تعالى : ( هَبْ لِي مُحْكَمًا ) فيه ثلاثة أقوال .

أحدها : النبوة ، قاله أبو صالح عن ابن عباس . والثاني : اللب <sup>(١)</sup> ، قاله  
عكرمة . والثالث : الفهم والملم ، قاله مقاتل . وقد بينّا قوله : ( وألحقني  
بالصالحين ) في سورة ( يوسف : ١٠١ ) ، وبينّا معنى ( لِسَانَ صِدْقٍ ) في  
( مريم : ٥٠ ) والمراد بالآخرين : الذين يأتون بعده إلى يوم القيامة .  
قوله تعالى : ( واغفر لأبي ) قال الحسن : بلغني أن أمّه كانت مسلمة على دينه ،  
فلذلك لم يذكرها .

فان قيل : فقد قال : « اغفر لي ولوالدي » [ إبراهيم : ٤١ ] .  
قيل : أكثر الذكر إنما جرى لأبيه ، فيجوز أن يسأل الغفران لأبويه  
وهي مؤمنة ، فأما أبوه فلا شك في كفره . وقد بينّا سبب استغفاره لأبيه في  
( براءة : ١١٣ ) ، وذكرنا معنى الخزي في ( آل عمران : ١٩٢ ) .  
قوله تعالى : ( يَوْمَ يُبْعَثُونَ ) يعني : الخلائق .  
قوله تعالى : ( إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ) فيه ستة أقوال .  
أحدها : سليم من الشرك ، قاله الحسن ، وابن زيد .  
والثاني : سليم من الشك ، قاله مجاهد .  
والثالث : سليم ، أي : صحيح ، وهو قلب المؤمن ، لأن قلب الكافر  
والمنافق مريض ، قاله سعيد بن المسيب .

والرابع : أن السليم في اللغة : اللديغ ، فالمعنى : كاللديغ من خوف الله تعالى ، قاله الجنيد .

والخامس : سليم من آفات المال والبنين ، قاله الحسين بن الفضل .

والسادس : سليم من البدعة ، مطمئن على السنة ، حكاه الثعالبي .

﴿ وَأَزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ . وَبُرِزَتِ الْجَحِيمُ لِلنَّافِينَ . وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ . مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ . فَكَبَّيْحُوا فِيهَا هُمْ وَالنَّافُونَ . وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ . قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ . تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ . إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ . وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ . فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ . وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ . فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُنْصَرِفِينَ . إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ . وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾

قوله تعالى : ( وَأَزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ) أي : مُقَرَّبَتٌ إِلَيْهِمْ حَتَّى نَظَرُوا إِلَيْهَا ، ( وَبُرِزَتِ الْجَحِيمُ ) أي : أَظْهَرَتْ ( لِلنَّافِينَ ) وَهِيَ الضَّالُّونَ ، ( وَقِيلَ لَهُمْ ) عَلَى وَجْهِ التَّوْبِيخِ ( أَيْنَمَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ ) أي : يَنْصُرُونَكُمْ مِنَ الْعَذَابِ ، أَوْ يَمْتَنِعُونَ مِنْهُ .

قوله تعالى : ( فَكَبَّيْحُوا ) قَالَ السَّيِّدِي : هُمُ الْمُشْرِكُونَ . قَالَ ابْنُ قَتَيْبَةَ : أَتَّقُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ ، وَأَصْلُ الْحَرْفِ « كَبَّيْحُوا » مِنْ قَوْلِكَ : كَبَّيْتُ الْإِنَاءَ ، فَأَبْدَلَ مِنَ الْبَاءِ الْوَسْطَى كَافًا ، اسْتِنْقَالًا لِاجْتِمَاعِ ثَلَاثِ بَاءَاتٍ ، كَمَا قَالُوا : « كُمْكَبُوا » مِنْ « الْكُمَّة » ، وَالْأَصْلُ : « كُمَّمُوا » . وَقَالَ الزَّجَّاجُ :

معناه : طُرح بعضهم على بعض ؛ وحقيقة ذلك في اللغة تكرير الانكباب ، كأنه إذا أُلقيَ يَنكَبُ مَرَّةً بعد مَرَّةٍ حتَّى يَسْتَقِرَّ فيها .

وفي الغاوين ثلاثة أقوال .

أحدها : المشركون ، قاله ابن عباس .

والثاني : الشياطين ، قاله قتادة ، ومقاتل .

والثالث : الآلهة ، قاله السدي . ( وجنود إبليس ) أتباعه من الجن

والإنس . ( قالوا وهم فيها يَخْتَصِمُونَ ) يعني : هم وآهتهم ، ( قاله إن كُنَّا )

قال الفراء : لقد كُنَّا . وقال الزجاج : ما كُنَّا إلا في ضلال .

قوله تعالى : ( إِذْ نُسَوِّيكُمْ ) أي : نَعْدِلُكُمْ بالله في العبادة ، ( وما أضلنا

إلا المُجْرِمُونَ ) فيهم قولان .

أحدهما : الشياطين . والثاني : أولئك الذين اقتَدَوْا بهم ، قال عكرمة : إبليسُ

وابنُ آدَمَ القاتل .

قوله تعالى : ( فالتنا من شافعين ) هذا قولهم إذا شفع الأنبياء والملائكة

والمؤمنون . وروى جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ قال : « إن الرجل

يقول في الجنة : ما فعل صديقي فلان ؟ وصديقه في الجحيم ، فيقول الله عز وجل :

أخرجوا له صديقه إلى الجنة ، فيقول من بقي [ في النار ] : فالتنا من شافعين

ولا صديق حميم » ؛ <sup>(١)</sup> . والحميم : القريب الذي تَوَدُّهُ وَيَوَدُّكَ والمعنى : ما لنا

(١) هذا الحديث ذكره الطبرسي من الامامية الشيعة في تفسيره « مجمع البيان » ولم يخرجه

لأحد ، بل قال : وفي الخبر المأثور عن جابر قال : سمعت رسول الله ﷺ . . . فذكره ،

واستدركنا الزيادة التي بين القوسين منه ، ولعل المصنف رحمه الله نقله عن الطبرسي أو ممن

نقله عنه ، وكذلك ذكره القرطبي في تفسيره عن جابر ولم يخرجه لأحد ، ولم نره ، والله أعلم .



من في قرابة يهيمه أمرنا ، ( فلو أن لنا كزرة ) أي : رجعة إلى الدنيا ( فنكون من المؤمنين ) لتحل لنا الشفاعة كما حلت للموحدين .

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ . إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا . وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴾

قوله تعالى : ( كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ) قال الزجاج : القوم مذكرون ؛ والمعنى : كذبت جماعة قوم نوح .

قوله تعالى : ( إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ ) كانت الأخوة من جهة النسب . بينهم ، لا من جهة الدين ، ( أَلَا تَتَّقُونَ ) عذاب الله بتوحيده وطاعته ، ( إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ) على الرسالة فيما بيني وبين ربكم <sup>(١)</sup> . ( وما أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ) أي : على الدعاء إلى التوحيد .

﴿ قَالُوا أَنُؤْمِنُ مِنْ لَدُنْكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَالُونَ . قَالَ وَمَا عَلَّمِي مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ . وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ الْمُؤْمِنِينَ . إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ . قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ إِلَّا أَنْ نَحْمَدَكَ يَاقُوحُ تَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُرْجُومِينَ ﴾

(١) قال ابن كثير : هذا إخبار من الله عز وجل عن عبده ورسوله نوح عليه السلام ، وهو أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض بعدما عبدت الأصنام والأنداد ، فبعثه الله ناهياً عن ذلك وحذراً من ويل عقابه ، فكذبه قومه فاستمرّوا على ما هم عليه من الأفعال الخبيثة في عبادتهم أصنامهم مع الله تعالى ، ونزل الله تعالى تكذيبهم له منزلة تكذيبهم جميع الرسل ، فلهذا قال : ( كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ، إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ) أي : أَلَا تَخَافُونَ الله في عبادتكم غيره ؟ ! ( إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ) أي : إني رسول من الله إليكم ، آمين فيما بعثني الله به ، أبلغكم رسالات ربي ولا أزيد فيها ولا أنقص منها .

قوله تعالى : ( وَاتَّبِعْكَ الْأَرْضِلُونَ ) وقرأ يعقوب بفتح الهمزة وتسكين التاء وضم العين : « وَاتَّبِعْكَ الْأَرْضِلُونَ » ، وفيهم ثلاثة أقوال .

أحدها : الحاككة ، رواه الضحاك عن ابن عباس .

والثاني : الحاككة والأساكفة ؛ قاله عكرمة .

والثالث : المساكين الذين ليس لهم مال ولا عز ، قاله عطاء . وهذا جهل منهم ، لأن الصناعات لا تنصر في باب الديانات .

قوله تعالى : ( وَمَا عَلَّمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) أي : لم أعلم أعمالهم وصنائعهم ، ولم أكلّف ذلك ، إنما كلّفت أن أدعوم ، ( إِنْ حِسَابُهُمْ ) فيما يعملون ( إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ) بذلك ما عبتوم في صنائعهم ، ( وما أنا بطارد المؤمنين ) أي : ما أنا بالذي لا أقبل إيمانهم لزعمكم أنهم الأردلون .

وفي قوله : ( لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ) ثلاثة أقوال .

أحدها : من المشومين ، قاله الضحاك . والثاني : من المضروبين بالحجارة ، قاله قتادة . والثالث : من المقتولين بالرجم ، قاله مقاتل .

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ . فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ . ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ . إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ . وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾

قوله تعالى : ( فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ ) أي : افض بيني وبينهم قضاء ، يعني : بالعذاب ( وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ ) من ذلك العذاب . والفلّك قد تقدم يسانه [ البقرة : ١٦٤ ] . والمشحون : المملوء ، يقال : شحنت الإناء : إذا ملأته ؛ وكانت

سفينة نوح قد ملئت من الناس والطير والحيوان كلِّه ، ( ثم أغرقنا بعد ) بعد  
نحاة نوح ومن معه ( الباقي ) .

﴿ كَذَبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ .  
إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا . وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ  
مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْمَالِينَ . أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ  
آيَةً تَعْبَثُونَ . وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ . وَإِذَا بَطَشْتُمْ  
بَطْشَتُمْ جَبَّارِينَ . فَانْقُضُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا . وَانْقُضُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ  
بِمَا تَعْلَمُونَ . أَمَدَّكُمْ بِإِنْعَامٍ وَبَنِينَ . وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . إِنِّي أَخَافُ  
عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾

قوله تعالى : ( أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ) وقرأ عاصم الجحدري ، وأبو حيوة ،  
وابن أبي عملة : « بِكُلِّ رِيعٍ » بفتح الراء . قال الفراء : هما لغتان . ثم فيه  
ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه المكان المرتفع ؛ روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال : بكل  
شَرَف . قال الزجاج : هو في اللغة : الموضع المرتفع من الأرض .  
والثاني : أنه الطريق ، رواه الضحاك عن ابن عباس ، وبه قال قتادة .  
والثالث : الفج بين الجبلين ، قاله مجاهد . والآية : العلامة .  
وفيما أراد بهذا البناء ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه أراد : تبنون مالا تسكنون ، رواه عطاء عن ابن عباس ؛  
والمعنى أنه جعل بناءهم ما يستغنون عنه عبثاً .

والثاني : بروج الحمام ، قاله سعيد بن جبير ، ومجاهد .

والثالث: أنهم كانوا يبنون في المواضع المرتفعة ليُشرفوا على المارّة فيَسْخَرُوا منهم وَيَعْبَثُوا بِهِمْ ، وهو معنى قول الضحاك .

قوله تعالى : ( وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ ) فيه ثلاثة أقوال .

أحدها : قصور مشيّدة ، قاله مجاهد . والثاني : مصانع الماء تحت الأرض ، قاله قتادة . والثالث : بروج الحمام ، قاله السدي <sup>(١)</sup> .

وفي قوله : ( لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ) قولان .

أحدهما : كَأَنَّكُمْ تَخْلُدُونَ ؛ قاله ابن عباس ، وأبو مالك .

والثاني : كَيْفَا تَخْلُدُوا ، قاله الفراء ، وابن قتيبة . وقرأ عكرمة ، والنخعي ، وقاتدة ، وابن يعمر : « تُخْلَدُونَ » برفع التاء [ وتسكين الخاء وفتح اللام مخففة . وقرأ عاصم الجحدري ، وأبو حصين ] : « تُخْلَدُونَ » بفتح الخاء وتشديد اللام .

قوله تعالى : ( وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطْشَتُمْ جِبَارِينَ ) المعنى : إِذَا ضَرَبْتُمْ ضَرْبَتَهُم بِالسِّبَاطِ ضَرْبَ الْجِبَارِينَ ، وَإِذَا عَاقَبْتُمْ قَتَلْتُمْ ؛ وَإِنَّمَا أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ ، لِأَنَّهُ صَدَرَ عَنْ ظَلَمٍ ، إِذْ لَوْ ضَرَبُوا بِالسِّيفِ أَوْ بِالسُّوْطِ فِي حَقِّ مَا لِيَمُوا .

وفي قوله : ( عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ) قولان .

أحدهما : مَا عَذَّبُوا بِهِ فِي الدُّنْيَا . والثاني : عَذَابُ جَهَنَّمَ .

(١) قال ابن جرير الطبري : والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن المصانع جمع مَصْنَعَةٍ ، والمرب تسمى كل بناء مصنعة ، وجائز أن يكون ذلك البناء كان قصوراً وحصوناً مشيّدة ، وجائز أن يكون كان مأخذ الماء ، ولا خبر يقطع المذهب بأي ذلك كان ، ولا هو مما يدرك من جهة العقل ، فالصواب أن يقال فيه ما قال الله أنهم كانوا يتخذون مصانع . ٥١ .

﴿ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَسْكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ .  
 إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ . وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ . فَكَذَّبُوهُ  
 فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ .  
 وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ . كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ  
 لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ . إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ . فَاتَّقُوا اللَّهَ  
 وَأَطِيعُوا . وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى  
 رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

قوله تعالى : ( إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ،  
 والكسائي : « خُلُقٌ » بفتح الخاء وتسكين اللام ؛ قال ابن قتيبة : أرادوا اختلاقهم  
 وكذبهم ، يقال : خُلِقْتُ الحديثَ واختلقته ، أي : افعلته ، قال الفراء :  
 والعرب تقول للخرافات : أحاديثُ الخلق . وقرأ عاصم ، وأبو عمرو ، وحمة ،  
 [ وخلف ، ونافع ] : « خُلُقُ الأولين » بضم الخاء واللام . وقرأ ابن عباس ،  
 وعكرمة ، وعاصم الجحدري : « خُلُقٌ » برفع الخاء وتسكين اللام ؛ والمعنى :  
 عادتهم وشأنهم . قال قتادة : قالوا [ له ] : هكذا كان الناس يمشون ماعشوا ،  
 ثم يموتون ، ولا يبت لهم ولا حساب .

قوله تعالى : ( وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ) أي : على ما فعله في الدنيا .

﴿ أَتَشْرَكُونَ فِي مَا هُمْنَا أَمِينٌ . فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . وَزُرُوعٍ  
 وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ . وَتَنَحُّتُونَ مِنَ الْجِبَالِ يُونَا قَارِهِينَ .  
 فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا . وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ . الَّذِينَ  
 يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾

قوله تعالى : ( اُنْتَرَكُونُ فِيمَا هَاهُنَا ) أي : فيما أعطاكم الله في الدنيا  
( آمنين ) من الموت والمذاب .

قوله تعالى : ( طَلَعُهَا هَضِيمٌ ) الطَّلَعُ : الثمر . وفي الهضيم سبعة أقوال .  
أحدها : أنه الذي قد أُنِعَ وبلغ ، رواه العوفي عن ابن عباس . والثاني :  
أنه الذي يتشتم تهشماً ، قاله مجاهد . والثالث : أنه الذي ليس له نوى ، قاله  
الحسن . والرابع : أنه المذئب من الرطب ، قاله سعيد بن جبیر . والخامس :  
الليّن ، قاله قتادة ، والفراء . والسادس : أنه الحمل الكثير الذي يركب بعضه  
بعضاً ، قاله الضحاك . والسابع : أنه الطَّلَعُ قبل أن ينشقَّ عنه [ القشر ] ويتفتح ،  
يريد أنه منضمٌ مُكْتَنَزٌ ، ومنه قيل : رجل أَهْضَمُ الكَشْحَيْنِ ، إذا كان  
مُنْضَمَّيْهِمَا ، قاله ابن قتيبة <sup>(١)</sup> .

قوله تعالى : ( وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ يَوْتًا فَرَهِينَ ) قرأ ابن كثير ، ونافع ،  
وأبو عمرو : « فَارِهينَ » . وقرأ الباقون : « فَارِهينَ » بألف . قال ابن قتيبة :  
« فَارِهينَ » : أَشْرِينَ بِطَرِينِ ، ويقال : الهاء فيه مبدلةٌ من حاء ، أي :  
فَرَحِينِ ، و « الفرحُ » قد يكون السرور ، وقد يكون الأُشْرَ ، ومنه قوله :  
( إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرَحِينَ ) [ القصص : ٧٦ ] أي : الأَشْرِينَ ، ومن قرأ :  
« فَارِهينَ » فهي لغة أخرى ، يقال : فَرِهٌ وفَارِهٌ ، كما يقال : فَرِحٌ وفَارِحٌ ،  
ويقال : « فَارِهينَ » أي : حاذِقين ؛ قال عكرمة : حاذِقِينَ بنَحْتِهَا .

(١) قال ابن جرير الطبري : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : الهضيم : هو  
المتكسر من لينه ورطوبته ، وذلك من قولهم : هضيم فلان حقه : إذا انتقصه وتحيفه ،  
فكذلك الهضم في الطلع ، إنما هو التنقيص منه ، من رطوبته ولينه ، إما بمن الأيدي ،  
وإما بركوب بعضه بعضاً ، وأصله مفعول صرف إلى فيل . اهـ .

قوله تعالى : ( وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ) قال ابن عباس : يعني : المشركين .  
وقال مقاتل : هم التسعة الذين عقروا الناقة .

﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ . مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بَيِّنَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ . قَالَ هَذِهِ نَاقَةُ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ . وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ . فَمَقَرُّوْهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ . فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ . وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ . كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطَ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ . إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا . وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾  
قوله تعالى : ( إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ) قال الزجاج : أي : ممن له سحر ، والسحر : الرِّقَّة ، والمعنى : أنت بشر مثلنا . وجاز أن يكون من المغفلين من السحر ؛ والمعنى : ممن قد سحر مرة بعد مرة <sup>(١)</sup> .

قوله تعالى : ( لَهَا شِرْبٌ ) أي : حظٌّ من الماء . قال ابن عباس : لها شرب معروف لا تحضروه معها ، ولكم شرب لا تحضر معكم ، فكانت إذا كان يومهم حضروا الماء فاقسموه ، وإذا كان يومها شربت الماء كله . وقال قتادة : كانت إذا كان يوم شربها ، شربت ماءهم أول النهار ، وسقتهم اللبن آخر النهار . وقرأ أبي بن كعب ، وأبو المنوكل ، وأبو الجوزاء ، وابن أبي عملة : « لَهَا شِرْبٌ » بضم الشين .

(١) قال ابن جرير الطبري : والصواب من القول في ذلك عندي أن مناه : إنما أنت من المخلوقين الذين يملكون بالطعام والشراب مثلنا ، ولست رباً ولا ملكاً فتطيعك ونظم أنك صادق فيما تقول ، قال : والمسحر : المغفل من السحرة ، وهو الذي له سحرة . ١٥١ .

قوله تعالى : ( فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ) قال ابن عباس : ندموا حين رأوا العذاب على عقربها ، وعذابهم كان بالصيحة .

﴿ أَتَأْتُونَ الذِّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ . وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ . قَالُوا لَنْ نَبْنِيَهُ يَأْلُو طُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ . قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ . رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَمْعَلُونَ . فَتَجَنَّنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ . إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ . ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ . وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ . إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ . وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾

قوله تعالى : ( أَتَأْتُونَ الذِّكْرَانَ ) وهو جمع ذَكَرَ ( مِنَ الْعَالَمِينَ ) أي : من بني آدم ، ( وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ ) [ قال الزجاج : وقرأ ابن مسعود : « ما أصلح لكم ربكم من أزواجكم » ] يعني به الفروج . وقال مجاهد : تركتم أقبال النساء إلى أدبار الرجال .

قوله تعالى : ( بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ) أي : ظالمون معتادون . ( قَالُوا لَنْ نَبْنِيَهُ يَأْلُو ط ) أي : لئن لم تسكت عن نهينا ( لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ) من بلدنا . ( قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ ) يعني : إتيان الرجال ( مِنَ الْقَالِينَ ) قال ابن قتيبة : أي : من المُبَغِضِينَ ، يقال : قَلَيْتُ الرجلَ : إذا أَبْغَضْتَهُ .

قوله تعالى : ( رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَمْعَلُونَ ) أي : من عقوبة عملهم ، ( فَتَجَنَّنَاهُ وَأَهْلَهُ ) وقد ذكرناهم في ( هود : ٨٠ ) ، ( إِلَّا عَجُوزًا ) يعني : امرأته ( فِي الْغَابِرِينَ ) أي : الباقيين في العذاب . ( ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ) أهلكتناهم بِالْخَسْفِ وَالْحَصْبِ ، وهو قوله : ( وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا ) يعني الحجارة .



﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ . إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا . وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ قوله تعالى : ( كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ ) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وابن عامر : « أَصْحَابُ لَيْكَةِ » ها هنا ، وفي ( ص : ١٣ ) بغير همز والهاء مفتوحة ؛ وقرأ الباقون : « الْأَيْكَةِ » بالهمز فيها والالف . وقد سبق هذا الحرف [الحجر : ٧٨] . ( إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ ) إن قيل : لَمْ يَلَمْ يَلَمْ يَلَمْ : أخوهم ، كما قال في ( الأعراف : ٨٥ ) ؟ فالجواب : أن شعيباً لم يكن من نسل أصحاب الأيكة ، فلذلك لم يقل : أخوهم ، وإنما أرسل إليهم بعد أن أرسل إلى مَدْيَنَ ، وهو من نسل مَدْيَنَ ، فلذلك قال هناك : أخوهم ، هذا قول مقاتل بن سليمان . وقد ذكرنا في سورة ( هود : ٩٤ ) عن محمد بن كعب القرظي ، أن أهل مَدْيَنَ عَذَّبُوا بِمَذَابِ الظُّلَّةِ ، فإن كانوا غير أصحاب الأيكة كما زعم مقاتل ، فقد تساووا في المذاب ، وإن كان أصحاب مَدْيَنَ هم أصحاب الأيكة <sup>(١)</sup> ، وهو مذهب ابن جرير الطبري كان حذف ذكر الأخ تخفيفاً ، والله أعلم .

(١) قال ابن كثير : هؤلاء - بني أصحاب الأيكة - هم أهل مَدْيَنَ على الصحيح ، وكان نبي الله شعيب من أنفسهم ، وإنما لم يقل ها هنا : أخوهم شعيب ، لأنهم نسبوا إلى عبادة الأيكة ، وهي شجرة ، وقيل : شجر ملتف كالفيضة ، كانوا يعبدونها ، فلها لا قال : ( كذب أصحاب الأيكة المرسلين ) لم يقل : إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهم شعيب ، وإنما قال : ( إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ ) فقطع نسب الأخوة بينهم للمعنى الذي نسبوا إليه وإن كان أخاهم نسباً . قال : ومن الناس من لم يظن لهذه النكتة فظن أن أصحاب الأيكة غير أهل مَدْيَنَ ، فزعم أن شعيباً عليه السلام بشه الله إلى أمثين ، ومنهم من قال : ثلاث أمم . ١٥١ .

فأهل مَدْيَنَ ، وأصحاب الرس ، وأصحاب الأيكة ، هم قوم شعيب ، وما ذكر في بعض —

﴿ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ . وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ . وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ . وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِيلَ الْأَوَّلِينَ ﴾  
قوله تعالى : ( ولا تكونوا من المخسرين ) أي : من الناقصين للكيل ، يقال : أخسرتُ الكَيْلَ والوزن : إذا نقصته . وقد ذكرنا القسطاس في ( بي إسرائيل : ٣٥ ) .

قوله تعالى : ( واتقوا الذي خلقكم والجيلة ) أي : وخلق الجيلة . وقيل : المعنى : واذكروا ما نزل بالجيلة ( الأولين ) . وقرأ الحسن ، وأبو مجلز ، وأبو رجاء ، وابن عمر ، وابن أبي عملة : « والجيلة » برفع الجيم والباء جميعاً مشددة اللام . وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي ، والضحاك ، وعاصم الجحدري : بكسر الجيم وتسكين الباء وتحقيف اللام . قال ابن قتيبة : الجيلة : الخلق ، يقال : جِيل فلان على كذا ، أي : مُخْلَق ، قال الشاعر :

والموتُ أعظمُ حادثٍ مما يمرُّ على الجيلة<sup>(١)</sup>

﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ . وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ . فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ . قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ . فَكَذَّبُوهُ

— الأحاديث أن أصحاب الأبيكة وقوم مدين أمثان بمث الله اليها شعبياً ، قال ابن كثير : هو غريب ، وفي رفعه نظر ، والأشبه أن يكون موقوفاً ، والصحيح أنهم أمة واحدة وصفوا في كل مقام بشيء ، ولهذا وعظ هؤلاء ، وأمر بوفاء المكيال والميزان كما في قصة مدين سواء بسواء ، فدل على أنهم أمة واحدة . ٥١ .

(١) البيت غير منسوب في « غريب القرآن » : ٣٢٠ ، و « مجمع البيان » : ١٧٨/١٩ ،

« و القرطبي » : ١٣/١٢٦ وفيه « فبا » بدل « بما » .

فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ . إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ . وَإِنَّ رَبَّكَ لَكَلِمٍ  
الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٨٦﴾

قوله تعالى : ( فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا ) <sup>(١)</sup> قال ابن قتيبة : أي قطعة ( من السماء ) ، و « كِسْفٌ » جمع « كِسْفَةٍ » ، [ كما ] يقال : قَطَعَ وَ قِطْمَةً . قوله تعالى : ( رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ) أي : من نقصان الكيل والميزان ؛ والمعنى : إنه يُجازيكم إن شاء ، وليس عذابكم بيدي ، ( فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظُّلَّةِ ) قال المفسرون : بعث الله عليهم حرًّا شديدًا ، فأخذ بأفاسهم ، فخرجوا من البيوت هربًا إلى البرِّيَّةِ ، فبعث الله عليهم سحابة أظلمت من الشمس ، فوجدوا لها بردًا ، ونادى بعضهم بعضًا ، حتى إذا اجتمعوا تحتها ، أرسل الله عليهم نارًا ، فكان ذلك من أعظم العذاب . والظُّلَّةُ : السحابة التي أظلمت .

﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ . عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ . بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ . وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ . أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَوُا بَنِي إِسْرَائِيلَ . وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ . فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴾

قوله تعالى : ( وَإِنَّهُ ) يعني القرآن ( لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . نَزَلَ بِهِ

(١) قال ابن جرير الطبري ١٥/١٦١ : اختلفت القراء في قراءة قوله : ( كِسْفًا ) قراءته عامة قراء الكوفة والبصرة بسكون السين ، وقراء ذلك عامة قراء أهل المدينة وبعض الكوفيين ( كِسْفًا ) بفتح السين ، ثم قال : وأولى الفراءتين في ذلك بالصواب عندي قراءة من قرأ بسكون السين ، لأن الذين سألوا رسول الله ﷺ ذلك ، لم يقصدوا في مسألتهم إياه ذلك أن يكون بحد معلوم من القِطْع ، إنما سألوا أن يسقط عليهم السماء قِطْعًا ، وبذلك جاء التأويل أيضًا عن أهل التأويل . اهـ .

الرُّوحُ الْأَمِينُ) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وحفص عن عاصم : « نَزَلَ بِهِ » الرُّوحُ الْأَمِينُ » بالرفع . وقرأ ابن عامر ، وحزمة ، والكسائي ، وأبو بكر عن عاصم : « نَزَلَ » مشددة الزاي « الرُّوحُ الْأَمِينُ » بالنصب . والمراد بالروح الأمين جبريل ، وهو أمين على وحي الله تعالى إلى أنبيائه ، ( على قلبك ) قال الزجاج : معناه : نزل عليك فوعاه قلبك ، فثبت ، فلا تنساه أبداً .

قوله تعالى : ( لَتَسْكُوبَنَّ مِنَ الْمُنْذَرِينَ ) أي : ممن أُنذِر بآيات الله المكذِّبين ، ( بلسان عربي مبين ) قال ابن عباس : بلسان قريش ليفهموا ما فيه .

قوله تعالى : ( وإِنَّ فِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ) وقرأ الأعمش : « زُبُرٍ » بتسكين الباء . وفي هاء الكناية قولان .

أحدهما : أنها ترجع إلى القرآن ؛ والمعنى : وإن ذكر القرآن وخبره ، هذا قول الأكثرين (١) .

والثاني : أنها تعود إلى رسول الله ﷺ ، قاله مقاتل . والزُّبُرُ : الكتب .

قوله تعالى : ( أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وعاصم ، وحزمة ، والكسائي : « أولم يكن لهم » بالياء « آيَةٌ » بالنصب . وقرأ ابن عامر ، وابن أبي عملة : « تكن » بالياء « آيَةٌ » بالرفع . وقرأ أبو عمران الجوني ، وقتادة : « تكن » بالياء « آيَةٌ » بالنصب قال الزجاج : إذا قلت : « يكن » بالياء ، فالاختيار نصب « آيَةٌ » ويكون « أن » اسم كان ، ويكون « آيَةٌ » خبر كان ، المعنى : أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ عِلْمٌ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَقٌّ ، وَأَنَّ نَبُوَّتَهُ حَقٌّ ۚ آيَةٌ » أي : علامة موضحة ، لأن العلماء الذين آمنوا من بني إسرائيل

وجدوا ذِكْرَ النبي ﷺ مكتوباً عندم في التوراة والإنجيل . ومن قرأ « أو لم تكن » بالتاء « آية » جمل « آية » هي الاسم ، و « أن يعلمه » خبر « تكن » . ويجوز أيضاً « أو لم تكن » بالتاء « آية » بالنصب ، كقوله : ( ثم لم تكن فتنتهم ) [ الأنعام : ٢٣ ] وقرأ الشعبي ، والضحاك ، وعاصم الجحدري : « أن تَعْلَمَهُ » بالتاء . قال ابن عباس : بث أهل مكة إلى اليهود وهم بالمدينة يسألونهم عن محمد ﷺ ، فقالوا : إن هذا كزمانه ، وإنا لنجد في التوراة صفته ، فكان ذلك آية لهم على صدقه <sup>(١)</sup> .

قوله تعالى : ( على بعض الأعجمين ) قال الزجاج : هو جمع أعجم ، والأعجمي عجماء ، والأعجم : الذي لا يُفصِّح ، وكذلك الأعجمي ؛ فأما العجمي : فالذي من جنس العجم ، أفصح أو لم يُفصِّح .

قوله تعالى : ( ما كانوا به مؤمنين ) أي : لو قرأه عليهم أعجمي لقالوا : لا نطقه هذا ، فلم يؤمنوا .

﴿ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ . لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ . فَيَأْتِيهِمْ بَفْئَةٌ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ . ﴾

(١) قال ابن جرير الطبري : يقول تعالى ذكره : أولم يكن لهؤلاء المرضى عما يأتيك يا محمد من ذكر ربك دلالة على أنك رسول رب العالمين ، أن يعلم حقيقة ذلك وصحته علماء بني اسرائيل . وقال ابن كثير : أوليس يكفهم من الشاهد الصادق على ذلك ، أن العلماء من بني اسرائيل يجدون ذكر هذا القرآن في كتبهم التي يدرسونها ، والمراد : المدول منهم الذين يصترفون بما في أيديهم من صفة محمد ﷺ ومبته وأمه ، كما أخبر بذلك من آمن منهم ، كمبد الله بن سلام ، وطلحان الفارسي عن أدركه منهم ومن شاكلهم ، قال الله تعالى : ( الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندم في التوراة والإنجيل . . . ) الآية [ الأعراف : ١٥٧ ] . ١٠١ .

زاد المسير ٦ م (١٠)

فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ . أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَمْجِلُونَ . أَفَرَأَيْتَ  
 إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ . ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ . مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ  
 مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ . وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ .  
 ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٢﴾

قوله تعالى : ( كذلك سلكناه ) قد شرحناه في ( الحجر : ١٢ ) . والجرمون  
 هاهنا : الشركون .

قوله تعالى : ( لا يؤمنون به ) قال القراء : المعنى : كي لا يؤمنوا . فأما  
 العذاب الأليم ، فهو عند الموت . ( فيقولوا ) عند نزول العذاب ( هل نحن  
 مُنْظَرُونَ ) أي : مؤخرون لنؤمن ونصدق . قال مقاتل : فلمّا أوعدهم  
 رسول الله ﷺ بالعذاب ، قالوا : فتي هو ؟ تكذيباً به <sup>(١)</sup> ، فقال الله تعالى :  
 ( أفبعذابنا يستمجلون ) .

قوله تعالى : ( أفأريت إن متعناهم سنين ) قال عكرمة : مُهْمَر الدنيا .  
 قوله تعالى : ( ثم جاءهم ما كانوا يُوعَدُونَ ) أي : من العذاب . ( وما أهلكنا  
 من قرية ) بالعذاب في الدنيا ( إلا لها مُنْذِرُونَ ) يعني : رسلاً تنذروهم العذاب .  
 ( ذِكْرَى ) أي : موعظة وتذكيراً .

﴿ وَمَا نَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ . وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ .  
 لَهُمْ عَنِ السَّمْعِ أَلْغَزُؤُونَ ﴾

قوله تعالى : ( وما نزلت به الشياطين ) سبب نزولها أن قريشاً قالت : إنا

(١) في « جمع البيان » للطبرسي « تكذيباً له » ، ولعل المصنف رحمه الله نقل قول قتادة هذا

من الطبرسي ، أو عن نقل عنه الطبرسي .

تحيي بالقرآن الشياطين فتلقيه على [ لسان ] محمد ، فزلات هذه الآية ، قاله مقاتل <sup>(١)</sup> .  
 قوله تعالى : ( وما ينبغي لهم ) أي : أن ينزلوا بالقرآن ( وما يستطيعون ) أن  
 يأتوا به من السماء ، لأنهم قد حيل بينهم وبين السمع بالملائكة والشهب . ( إنهم  
 عن السمع ) أي : عن الاستماع للوحي من السماء ( لمزولون ) فكيف ينزلون  
 به ؟ ! وقال عطاء : عن سماع القرآن لمحجوبون ، لأنهم يرجعون بالنجوم .  
 ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ . وَأَنْذِرْ  
 عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ . وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ  
 الْمُؤْمِنِينَ . فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ . وَتَوَكَّلْ  
 عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ . الَّذِي بَرَأَكَ حِينَ تَقُومُ . وَتَقْلُبُكَ فِي  
 السَّاجِدِينَ . إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

قوله تعالى : ( فلا تدع مع الله إلها آخر ) قال ابن عباس : يحذر به غيره ،  
 يقول : أنت أكرم الخلق علي ، ولو اتخذت من دوني إلها لمذبذبك .  
 قوله تعالى : ( وأنذر عشيرتك الأقربين ) روى البخاري ومسلم من حديث  
 أبي هريرة قال : قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله « وأنذر عشيرتك الأقربين »  
 فقال : « يا معشر قريش : اشتروا أنفسكم من الله ، لا أغني عنكم من الله شيئا ،  
 يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئا ، يا عباس بن عبد المطلب  
 لا أغني عنك من الله شيئا ، يا صفيئ عممة رسول الله لا أغني عنك من الله  
 شيئا ، يا فاطمة بنت محمد سكتني ما شئت ما أغني عنك من الله شيئا » <sup>(٢)</sup> .

(١) وهو كذلك في « مجمع البيان » للطبري .

(٢) رواه البخاري ٣٨٦/٨ ومسلم ١٩٢/١ والطبري ١١٩/١٩ وذكره السيوطي في « الدر ،  
 ٩٥/٥ وزاد نسبه لأحمد ، وعبد بن حميد ، والترمذي ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ،  
 وابن مردويه ، والبيهقي في « الشعب » وفي « الدلائل » .

وفي بعض الألفاظ : « سَلُّوني مِن مَّالي ما شِئتم » <sup>(١)</sup> . وفي لفظ : « غير  
 أَنْ لَكُمْ رَحِمًا سَأُبْلِثُهَا بِبِلَالِهَا » <sup>(٢)</sup> . ومعنى قوله : ( عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ) :  
 رهطك الأدنين . ( فَإِنْ عَصَوْكَ ) يعني : المشيرة ( فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا  
 تَعْمَلُونَ ) من الكفر . ( وَتَوَكَّلْ عَلَى الْمَرْحُومِ ) أي : ثق به وفوض أمرك  
 إليه ، فهو عزيز في نِقْمَتِهِ ، رحيم لم يعجل بالعقوبة . وقرأ نافع ، وابن عامر :  
 « فَتَوَكَّلْ » بالقاء ، وكذلك [ هو ] <sup>(٣)</sup> في مصاحف أهل المدينة والشام  
 ( الذي يراك حين تقوم ) فيه ثلاثة أقوال .

أحدها : حين تقوم إلى الصلاة ، قاله ابن عباس ، ومقاتل ، والثاني : حين  
 تقوم من مقامك ، قاله أبو الجوزاء . والثالث : حين تحلو ، قاله الحسن .  
 قوله تعالى : ( وَتَقَلِّبُكَ ) أي : ونرى تقلبك ( في الساجدين ) وفيه  
 ثلاثة أقوال .

أحدها : وتقلبك في أصلاب الأنبياء حتى أخرجك ، رواه عكرمة عن  
 ابن عباس .

والثاني : وتقلبك في الركوع والسجود والقيام مع المصلين في الجماعة ؛  
 والمعنى : يراك وحدك ويراك في الجماعة ، وهذا قول الأكثرين منهم قتادة .

(١) رواه مسلم في « صحيحه » بهذا اللفظ ١٩٢/١ .

(٢) رواه مسلم أيضاً بهذا اللفظ ١٩٢/١ ، قال الامام النووي في « شرح مسلم » ٨٠/٣ « بِلَالِهَا »  
 ضبطناه بفتح الباء الثانية وكسرها ، وهما وجهان مشهوران ذكرهما جماعات من العلماء ، وقال :  
 قال القاضي عياض : روينا بالكسر ، قال : ورأيت للخطابي أنه بالفتح ، وقال صاحب « المطالع »  
 روينا بكسر الباء وفتحها ، من بِلْثَةٍ يَبْلِثُهَا ، والليل الماء . ومعنى الحديث : سألها ،  
 شئت قطعة الرحم بالحرارة ، ووصلها باطفاء الحرارة ببرودة ، قال : ومنه : بَلِّثُوا أَرْحَامَكُمْ ،  
 أي : صلوا . اهـ .

(٣) زيادة من « القرطبي » .



والثالث : ونصرفك في ذهابك وبعثك في أصحابك المؤمنين ، قاله الحسن <sup>(١)</sup> .

﴿ هَلْ أَنْبَيْتُكُمْ عَلَىٰ مَنْ نَزَّلُ الشَّيَاطِينَ . نَزَّلُوا عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ . يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴾

قوله تعالى : ( هل أنبئكم على من نزل الشياطين ) هذا ردٌ عليهم حين قالوا : إنما يأتيه بالقرآن الشياطين . فأما الأفَّاك فهو الكذاب ، والأثيم : الفاجر ؛ قال قتادة : وهم الكهنة .

قوله تعالى : ( يُلْقُونَ السَّمْعَ ) أي : يُلْقُونَ ما سمعوه من السماء إلى الكهنة .

وفي قوله : ( وأكثُرُهُم كاذبون ) فولان .

أحدهما : أنهم الشياطين . والثاني : الكهنة .

﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْفَأْوَنُ . أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ . وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

(١) قال ابن جرير الطبري : وأولى الأقوال في ذلك بتأويله ، قول من قال : تأويله : ويرى تقلبك مع الساجدين في صلاتهم معك ، حين تقوم معهم وتركع وتسجد ، لأن ذلك هو الظاهر من معناه ، ثم قال : فتأويل الكلام إذن : وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم إلى صلاتك ، ويرى تقلبك في المؤمنين بك فيها بين قيام وركوع وسجود وجلس .

ثم قال في تلمة الآية : وقوله : ( إنه هو السميع العليم ) يقول تعالى ذكره : إن ربك هو السميع تلاوتك يا محمد وذكرك في صلاتك ماتلو وتذكر ، العليم بما تعمل فيها ويعمل فيها من تقلب فيها معك مؤتمًا بك ، يقول : فرئل فيها القرآن ، وأقم حدودها ، فانك برأى من ربك وسميع . ا هـ .

الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا  
وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿١﴾

قوله تعالى : ( والشعراء يتَّبِعهم الفأولون ) وقرأ نافع : « يتَّبِعهم » بسكون  
التاء ؛ والوجهان حسنان ، يقال : تَبِعْتُ وَانْبَعْتُ ، مثل حقرتُ واحتقرتُ .  
وروى العوفي عن ابن عباس ، قال : كان رجلاً على عهد رسول الله ﷺ قد  
تَهَاجى ، فكان مع كل واحد منهما عُقَاة من قومه ، فقال الله : « والشعراء يتَّبِعهم  
الفأولون » (١) . وفي رواية أخرى عن ابن عباس ، قال : هم شعراء المشركين .  
قال مقاتل : منهم عبد الله بن الزبيري ، وأبو سفيان بن حرب ، وهيرة  
ابن أبي وهب المخزومي في آخرين ، قالوا : نحن نقول مثل قول محمد ، وقالوا  
الشعر ، فاجتمع إليهم عُقَاة من قومهم يستمعون أشعارهم ويرَوُون عنهم (٢) .  
وفي الفأولين ثلاثة أقوال .

أحدها : الشياطين ، قاله مجاهد ، وقتادة . والثاني : السفهاء ، قاله الضحاك .  
والثالث : المشركون ، قاله ابن زيد .

قوله تعالى : ( أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ) هذا مثل بمن  
يَهِيم في الأودية ؛ والمعنى أنهم يأخذون في كل فنٍّ من لغو وكذب وغير  
ذلك ؛ فيمدحون بباطل ويذمُّون بباطل ، ويقولون : فعلنا ، ولم يفعلوا (٣) .

(١) الطبري ١٩/١٢٧ ، وذكره السيوطي في « الدر » ، ٩٩/٥ وزاد نصه لابن أبي حاتم ،  
وابن مردويه .

(٢) ذكر قول مقاتل هذا الطبرسي في « مجمع البيان » . وعبد الله بن الزبيري أسلم بعد ذلك ،  
وكذلك أبو سفيان .

(٣) قال ابن كثير : قال الحسن البصري : قد والله رأينا أوديتهم التي يخوضون فيها ، مرة  
في شتمة فلان ، ومرة في مديحة فلان . قال : قال قتادة : الشاعر يمدح قومًا بباطل ، ويذم  
قومًا بباطل . اهـ .

قوله تعالى : ( إِنْ لَا الَّذِينَ آمَنُوا ) قال ابن عباس : لما نزل ذمُّ الشعراء ، جاء كعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة ، وحسان بن ثابت ، فقالوا : يا رسول الله ، أنزل الله هذا وهو يعلم أننا شعراء ، فنزلت هذه الآية <sup>(١)</sup> . قال المفسرون : وهذا الاستثناء لشعراء المسلمين الذين مدحوا رسول الله ﷺ وذموا من هجاه <sup>(٢)</sup> ، ( وذكروا الله كثيراً ) أي : لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله ولم يجعلوا الشعر همهم . وقال ابن زيد : وذكروا الله في شعرهم . وقيل : المراد بالذكر : الشعر في طاعة الله عز وجل .

قوله تعالى : ( وَاِنتَصَرُوا ) أي : من المشركين ( مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ) لأن المشركين بدؤوا بالهجوم . ثم أوعدهم شعراء المشركين ، فقال : ( وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا ) أي : أشركوا وهجوا رسول الله ﷺ والمؤمنين ( أي مُنْقَلَبِ )

(١) قال ابن كثير : هذه السورة مكية ، فكيف يكون سبب نزول هذه الآيات في شعراء الأنصار ؟ وفي ذلك نظر ، ولم يتقدم - أي في سبب النزول - إلا مراسلات لا يعتمد عليها ، والله أعلم . اهـ .

(٢) قال ابن كثير : ولكن هذا الاستثناء يدخل فيه شعراء الأنصار وغيرهم حتى يدخل فيه من كان متلبساً من شعراء الجاهلية بدم الإسلام وأهله ثم تاب وأناب ورجع وأقنع وعمل صالحاً وذكر الله كثيراً في مقابلة ما تقدم من الكلام السيئ - فإن الحسنات يذهبن السيئات - وامتنح الإسلام وأهله في مقابلة ما كان يذمه ، كما قال عبد الله بن الزبير حين أسلم :  
يا رسول الله إن لسانى راتق ما فتقت إذ أنا ببور  
إذ أجاري الشيطان في سنن النوى  
ي ومن مال ميسله مشور

قال : وكذلك أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب كان من أشد الناس عداوة للنبي ﷺ وهو ابن عمه ، وأكثرهم له هجواً ، فلما أسلم لم يكن أحد أحب إليه من رسول الله ﷺ ، وكان يمدح رسول الله ﷺ بمدحهم ، ويتولاه بمدحهم ، ثم قال ابن كثير : ولهذا قال تعالى : ( إِنْ لَا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً ) قيل : معناه : ذكروا الله كثيراً في كلامهم ، وقيل : في شعرهم ، قال : وكلاهما صحيح مكفّر لما سبق . اهـ .

يَنْقَلِبُونَ (١) قال الزجاج : « أي » منصوبة بقوله : « ينقلبون » لا بقوله : « سيعلم » ، لأن « أيًا » وسائر أسماء الاستفهام لا يعمل فيها ما قبلها . ومعنى الكلام : إنهم ينقلبون إلى نارٍ يخلّدون فيها .

وقرأ ابن مسعود ، وبجاهد عن ابن عباس ، وأبو المتوكل ، وأبو رجاء : « أي مُتَقَلَّبٍ يَنْقَلِبُونَ » بتاءين مفتوحتين وبقافين على كل واحدة منهما نقطتان وتشديد اللام فيها . وقرأ أبي بن كعب ، وابن عباس ، وأبو العالية ، وأبو مجاز ، وأبو عمران الجوني ، وعاصم الجحدري : « أي مُنْقَلَتٍ يَنْقَلِبُونَ » بالفاء فيها وبنونين ساكنين وبتاءين . وكان شريح يقول : سيعلم الظالمون حظّ من نقصوا ، إنّ الظّالم يَنْتَظِرُ العقاب ، وإنّ المظلوم ينتظر النصر .



(١) قال ابن جرير الطبري : وقوله : ( وسيعلم الذين ظلموا ) يقول تعالى ذكره : وسيعلم الذين ظلموا أنفسهم بشرّهم بالله من أهل مكة ( أي منقلب ينقلبون ) يقول : أي مرجع يرجعون إليه ، وأي معاد يمودون إليه بعد مماتهم ، فانهم يصيرون إلى نارٍ لا يطفأ سمرها ، ولا يسكن لها . اهـ .

وقال ابن كثير : والصحيح أن هذه الآية عامة في كل ظالم . اهـ . وفي « صحيح » مسلم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال : « اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة » .

# سورة النمل

وهي مكية كلها باجماعهم

## بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ طس ﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ . هُدًى وَبُشْرَى  
لِّلْمُؤْمِنِينَ . الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ  
بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ . إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زِينَتًا لَّهُمْ  
أَعْمَالُهُمْ فَهُمْ يَمْنَهُونَ . أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ  
فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخِسُونَ . وَإِنَّكَ أَتَلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ  
حَكِيمٍ عَلِيمٍ . إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا  
بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَدَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ . فَلَمَّا جَاءَهَا  
نُودِيَ أَنَّ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ  
الْعَالَمِينَ ﴿

قوله تعالى : ( طس ) فيه ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه قسم أقسم الله به ، وهو من أسمائه ، رواه ابن أبي طلحة عن  
ابن عباس . وفي رواية أخرى عنه ، قال : هو اسم الله الأعظم .

والثاني : اسم من أسماء القرآن ، قاله قتادة .

والثالث : الطاء من اللطيف ، والسين من السميع ، حكاه الثعلبي <sup>(١)</sup> .

قوله تعالى : ( وَكِتَابٍ مُبِينٍ ) وقرأ أبو المتوكل ، وأبو عمران ، وابن أبي عبة : « وَكِتَابٌ مِينٌ » بالرفع فيهما .

قوله تعالى : ( وَبُشْرَى ) أي : بشرى بما فيه من الثواب المصدقين <sup>(٢)</sup> .

قوله تعالى : ( زِينًا لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ ) أي : حببنا إليهم قبيح فعلهم . وقد يئنا حقيقة التزيين والعمه في ( البقرة : ١٥ ، ٢١٢ ) . وسوء العذاب : شديده .

قوله تعالى : ( هُمُ الْآخُسُونَ ) لأنهم خسروا أنفسهم وأهلهم وصاروا إلى النار .

قوله تعالى : ( وَإِنَّكَ كَتَلَقَّى الْقُرْآنَ ) قال ابن قتية : أي : يلقي عليك فتلقاه أنت ، أي : تأخذه . ( إذ قال موسى ) المعنى : اذكر إذ قال موسى .

قوله تعالى : ( بِشَاهِبِ قَبَسٍ ) قرأ عاصم ، وحمة ، والكسائي ، ويعقوب إلا زيدا : « بشهاب » بالتثوين . وقرأ الباقر على الإضافة غير منون . قال الزجاج : من نون الشهاب ، جعل القبس من صفة الشهاب ، وكل أبيض ذي نور ، فهو شهاب . فأما من أضاف ، فقال الفراء : هذا مما يضاف إلى نفسه إذا اختلفت الأسماء ، كقوله : ( وَلَدَارُ الْآخِرَةِ ) [يوسف : ١٠٩] . قال ابن قتية : الشهاب : النار ، والقبس : النار مُقْبَسٌ ، يقال : قَبَسْتُ النارُ قَبْسًا ، واسم ما قَبَسْتُ : قَبَسٌ .

(١) انظر التلخيص الذي في أول سورة ( الشعراء ) وما قاله العلماء عن الحروف التي في أوائل السور .

(٢) قال ابن كثير في قوله تعالى : ( هدى وبشرى للمؤمنين ) : إنما تحصل الهداية والبشارة من القرآن لمن آمن به واتبعه وصدقته وعمل بما فيه وأقام الصلاة المكتوبة وآتى الزكاة المفروضة وأيقن بالدار الآخرة والبعث بعد الموت والجزاء على الأعمال خيرا وشرها والجنة والنار . اهـ .

قوله تعالى : ( تَصْطَلُّونَ ) أي : تستدفنون ، وكان الزمان شتاء .

قوله تعالى : ( فَلَمَّا جَاءَهَا ) أي : جاء موسى النار ، وإنما كان نوراً فاعتقده

ناراً ، ( نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ ) فيه ثلاثة أقوال .

أحدها : أن المعنى : قُدِّسَ مَنْ فِي النَّارِ ، وهو الله عز وجل ، قاله

ابن عباس ، والحسن ؛ والمعنى : قُدِّسَ مَنْ نَادَاهُ مِنَ النَّارِ ، لا أَنْ الله عز وجل  
يَحُلُّ فِي شَيْءٍ .

والثاني : أن « مَنْ » زائدة ؛ والمعنى : بوركت النار ، قاله مجاهد .

والثالث : أن المعنى : بُورِكَ عَلَى مَنْ فِي النَّارِ ، أو فِيمَنْ فِي النَّارِ ؛ قال

الفراء : والعرب تقول : باركه الله ، وبارك عليه ، وبارك فيه ، بمعنى واحد ،

والتقدير : بُورِكَ مَنْ فِي طَلَبِ النَّارِ ، وهو موسى ، فحذف المضاف . وهذه

تحية من الله تعالى لموسى بالبركة ، كما حيّا إبراهيم بالبركة على السنة الملائكة حين

دخلوا عليه ، فقالوا : ( رَحِمَهُ اللهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ) [هود : ٧٣] .

فخرج في قوله : ( بُورِكَ ) قولان .

أحدهما : قُدِّسَ . والثاني : مِنْ الْبَرَكَاتِ .

وفي قوله : ( وَمَنْ حَوْلَهَا ) ثلاثة أقوال .

أحدها : الملائكة ، قاله ابن عباس ، والحسن . والثاني : موسى والملائكة ،

قاله محمد بن كعب . والثالث : موسى ؛ فالمعنى : بُورِكَ فِيمَنْ يَطْلُبُهَا وهو قريب منها .

﴿ يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ . وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا

رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي

لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ . إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ

سُوٍّ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ . وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ يَمْضَاءً  
مِنْ غَيْرِ سُوٍّ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا  
قَوْمًا فَاسِقِينَ . فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ .  
وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ  
كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿

قوله تعالى : ( إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ ) الهاء عماد في قول أهل اللغة ؛ وعلى قول السدي :  
هي كناية عن المنادي ، لأن موسى قال : مَنْ هذا الذي يناديني ؟ فقبل :  
« إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ » .

قوله تعالى : ( وَأَلْقِ عَصَاكَ ) في الآية محذوف ، تقديره : فألقاها فصارت  
حيةً ، ( فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ ) قال الفراء : الجانّ : الحية التي ليست  
بالمظيمة ولا بالصغيرة .

قوله تعالى : ( وَلَمْ يُعَقِّبْ ) فيه قولان .

أحدهما : لم يلتفت ، قاله قتادة . والثاني : لم يرجع ، قاله ابن قتيبة ، والزجاج .  
قال ابن قتيبة : وأهل النظر يرون أنه مأخوذ من العقّب .

قوله تعالى : ( إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ) أي : لا يخافون عندي .  
وقيل : المراد : في الموضع الذي يوحى إليهم فيه ، فكأنه نبّهه على أن من آمنه  
الله بالنبوة من عذابه لا ينبغي أن يخاف من حية .

وفي قوله : ( إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ) ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه استثناء صحيح ، قاله الحسن ، وقاتدة ، ومقاتل ؛ والمعنى :  
إلا من ظلم منهم فإنه يخاف . قال ابن قتيبة : علم الله تعالى أن موسى مُسْتَشْعِرٌ



خِيفَةً مِّنْ ذَنْبِهِ فِي الرَّجُلِ الَّذِي وَكَزَهُ ، فَقَالَ : « إِلَّا مَن ظَلَمَ مُنَّمٌ بَدَّلَ حُسْنًا » أي : توبة وندماً ، فانه يخاف ، وإني غفور رحيم .

والثاني : أنه استثناء منقطع ؛ والمعنى : لكن من ظلمَ فانه يخاف ، قاله ابن السائب ، والزجاج <sup>(١)</sup> . وقال الفراء : « مَن » مستثناة من الذين تركوا في الكلام ، كأنه قال : لا يخاف لدي المرسلون ، إنما الخوف على غيرهم ، إلا من ظلمَ ، فتكون « مَن » مستثناة . وقال ابن جرير : في الآية محذوف ، تقديره : إلا من ظلمَ ، فمن ظلمَ ثم بدَّلَ حُسْنًا .

والثالث : أن « إِلَّا » بمعنى الواو ، فهو كقوله : ( لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ) [ البقرة : ١٥٠ ] ، حكاه الفراء عن بعض النحويين ، ولم يرضه .

وقرأ أبي بن كعب ، وسعيد بن جبير ، والضحاك ، وعاصم الجحدري ، وابن يعمر : « أَلَا مَن ظَلَمَ » بفتح الهمزة وتخفيف اللام .

وللمفسرين في المراد بالظلم هاهنا قولان .

أحدهما : المعاصي . والثاني : الشرك . ومعنى « حُسْنًا » : توبة وندماً .  
 وقرأ ابن مسعود ، والضحاك ، وأبو رجا ، والأعمش ، وابن السميع ، وعبد الوارث عن أبي عمرو : « حَسَنًا » بفتح الحاء والسين . ( بَعْدَ سُوءٍ ) أي : بعد إساءة . وقيل : الإشارة بهذا إلى أن موسى وإن كان [ قد ] ظلم نفسه بقتل القبطي ، فإن الله يغفر له ، لأنه ندم على ذلك وتاب .

(١) قال ابن كثير : هذا استثناء منقطع ، وفيه بشارة عظيمة للبشر ، وذلك أن من كان على عمل سيئ ، ثم أظلم عنه ورجع وتاب وأتاب ، فإن الله يتوب عليه ، كما قال تعالى : ( وإني لنفار لئن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى ) [ طه : ٨٢ ] وقال تعالى : ( ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ... ) الآية [ النساء : ١١٠ ] ، والآيات في هذا كثيرة جداً . اهـ .

قوله تعالى : ( وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ ) الْجَيْبُ حَيْثُ جَيْبٌ مِنْ الْقَمِيصِ ، أَي : قُطِع . قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ : إِنَّمَا أَمَرَ بِادْخَالِهِ يَدَهُ فِي جَيْبِهِ ، لِأَنَّهُ كَانَ عَلَيْهِ حِينَئِذٍ مِدْرَعَةٌ مِنْ صُوفٍ لَيْسَ لَهَا كُفْمٌ . وَالسُّوْءُ : الْبَرَصُ .

قوله تعالى : ( فِي تِسْعِ آيَاتٍ ) <sup>(١)</sup> قَالَ الزَّجَّاجُ : « فِي » مِنْ صَلَوةٍ قَوْلُهُ : « وَأَنْتَ عَصَاكَ » « وَأَدْخِلْ يَدَكَ » ، فَالتَّأْوِيلُ : أَظْهَرَ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ فِي تِسْعِ آيَاتٍ . وَ « فِي » بِمَعْنَى « مِنْ » ، فَتَأْوِيلُهُ : مِنْ تِسْعِ آيَاتٍ ؛ تَقُولُ : خَذْ لِي عَشْرًا مِنْ الْإِبِلِ فِيهَا فَحْلَانِ ، أَي : مِنْهَا فَحْلَانِ . وَقَدْ شَرَحْنَا الْآيَاتِ فِي ( بِي إِسْرَائِيلَ : ١٠١ ) !

قوله تعالى : ( إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ) أَي : مُرْسَلًا إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ، فَحَذَفَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ مَعْرُوفٌ . ( فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً ) أَي : بَيِّنَةً وَاضِحَةً ، وَهُوَ كَقَوْلِهِ : ( وَأَتَيْنَا نُوحًا الْبَاقَةَ مُبْصِرَةً ) [ الْإِسْرَاءُ : ٥٩ ] وَقَدْ شَرَحْنَاهُ .

قوله تعالى : ( قَالُوا هَذَا أَيُّ هَذَا الَّذِي نَرَاهُ عِيَانًا ) ( سِحْرٌ مُبِينٌ ) . ( وَجَعَدُوا بِهَا ) أَي : أَنْكَرُوهَا ( وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ) أَنْهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، ( ظُلْمًا ) أَي : شِرْكَاءَ ( وَعُلُوًّا ) أَي : تَكْبَرًا . قَالَ الزَّجَّاجُ : الْمَعْنَى : وَجَعَدُوا بِهَا ظُلْمًا وَعُلُوًّا ، أَي : تَرْفَعًا عَنْ أَنْ يُؤْمِنُوا بِمَا جَاءَ بِهِ مُوسَى وَهُمْ يَمَامُونَ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ .

(١) قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ عَنِ الْآيَاتِ التَّسْعِ : وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَعُكْرِمَةُ وَالشَّعْبِيُّ : هِيَ : يَدُهُ ، وَعَصَاهُ ، وَالسِّنِينَ ، وَتَقْصُ الثَّمَرَاتِ ، وَالطُّوفَانَ ، وَالْجُرَادَ ، وَالْقُمَّلَ ، وَالضَّفَادِعَ ، وَالْدَّمَ ، ثُمَّ قَالَ : وَهَذَا الْقَوْلُ ظَاهِرٌ جَلِيٌّ حَسَنٌ قَوِيٌّ . اهـ . وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ آتَيْنِ مِنْ تِسْعِ آيَاتٍ ، وَهُمَا الْمَصَا وَالْبِدْ ، وَيَبْنِي الْآيَاتِ الْبَاقِيَّاتِ فِي سُورَةِ ( الْأَعْرَافِ : ١٣٣ ) وَفَصَّلْنَاهَا .

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ . وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مِنْتُمْ أَنْطِقَ الطَّيْرَ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ . وَخَرَجَ سُلَيْمَانُ يُجُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ . حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ . فَنَبِّئْهُمْ صَاحِبَكُمِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾

قوله تعالى : ( ولقد آتينا داود وسليمان علما ) قال المفسرون : علما بالقضاء وبكلام الطير والدواب وتسبيح الجبال ( وقالوا الحمد لله الذي فضّلنا ) بالنبوة والكتاب وإلانة الحديد وتسخير الشياطين والجن والإنس ( على كثير من عباده المؤمنين ) قال مقاتل : كان داود أشدّ تعبدًا من سليمان ، وكان سليمان أعظم مُلكًا منه وأفطن .

قوله تعالى : ( وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ ) أي : ورث نبوته وعلمه ومُلُكه ، وكان لداود تسعة عشر ذكراً ، فخصّ سليمان بذلك ، ولو كانت وراثته مال لكان جميع أولاده فيها سواء .

قوله تعالى : ( وقال ) يعني سليمان لبني إسرائيل ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مِنْتُمْ أَنْطِقَ الطَّيْرَ ) قرأ أبي بن كعب : « عَلِمْنَا » بفتح العين واللام . قال الفراء : « مَنْطِقَ الطَّيْرِ » : كلام الطير كما نطق إذا فهم ، قال الشاعر :

عَجِبْتُ لَهَا أَنِّي يَكُونُ غَنَاؤُهَا فَصِيحًا وَلَمْ تَقْفَرْ بِمَنْطِقِهَا قَلًا (١)  
ومعنى الآية : فهمنا ما تقول الطير . قال قتادة : والنمل من الطير . ( وأوتينا  
من كلّ شيء ) قال الزجاج : أي : من كل شيء يجوز أن يؤتاه الأنبياء والناس .  
وقال مقاتل : أعطينا الملك والنبوة والكتاب والرياح ومنطق الطير ، وسخرت  
لنا الجن والشياطين .

وروى جعفر بن محمد عن أبيه ، قال : أُعطي سليمان ملك مشارق الأرض  
ومغاربها ، فلك سبعمائة سنة وستة أشهر ، وملك أهل الدنيا كلهم من الجن والإنس  
والشياطين والذباب والطيور والسباع ، وأُعطي علم كل شيء ومنطق كل شيء ،  
وفي زمانه صُنعت الصنائع العجيبة ، فذلك قوله : ( عَلَّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتَيْنَا  
مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ) (٢) .

قوله تعالى : ( إِنَّ هَذَا ) يعني : الذي أُعطينا ( لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ) أي :  
الزيادة الظاهرة على ما أُعطي غيرنا . ( وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ ) أي : جُمع له  
كل صنف من جنده على حدة ، وهذا كان في مسير له ، ( فَهُمْ يُوزَعُونَ )  
قال مجاهد : يُجَبَسُ أَوْ لُتُّهُمْ عَلَى آخِرِهِمْ . قال ابن قتبية : وأصل الوزع : الكف  
والمنع . يقال : وزعت الرجل ، أي : كففته ، ووزع الجيش : الذي يكفهم  
عن التفرق ، ويرد من شدتهم .

قوله تعالى : ( حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا ) أي : أشرفوا ( عَلَىٰ وَادِي النَّمْلِ ) وفي  
موضعه قولان .

(١) البيت لحُميد بن ثور ، وهو في «اللسان» و«التاج» : قفر ، وبمعنى بالمنطق بكاءها .

(٢) ذكر هذا المعنى الطبرسي في «مجمع البيان» عن الواحدي ، من طريق محمد بن  
جعفر بن محمد عن أبيه ، وذكره السيوطي أيضاً في «الدر» : ١٠٣/٥ . ولبه للحاكم ثم قال :  
قال الذهبي : هذا باطل .

أحدهما : أنه بالطائف ، قاله كعب . والثاني : بالشَّام ، قاله قتادة <sup>(١)</sup> .  
 قوله تعالى : ( قَالَتْ نَمْلَةٌ ) وَغَرَّ أَبُو مجاز ، وأبو رجاء ، وعاصم الجحدري ،  
 وطلحة بن مصرف : « نَمْلَةٌ » ضم الميم ؛ أي : صاحت بصوت ، فلما كان  
 ذلك الصوت مبهوماً عثر عنه بالقول ؛ ولما نطق النمل كما ينطق بنو آدم ،  
 أجري مجرى الآدميين ، ف قيل : ( ادخلوا ) ، وألهم الله تلك النملة معرفة سليمان  
 مُستَهِزاً له ، وقد ألهم الله النمل كثيراً من مصالحها تزيد به على الحيوانات ، فمن  
 شأنها مكسر كل حبة تدثرها قطعتين لثلاث تنبت ، إلا الكزبرة فإنها  
 تنبت من ثلث . لانها تنبت إذا كُسرت قطعتين ، فسبحان من ألهمها هذا !  
 تلك النملة قولان .

سليمان : كعب بن لؤي ، كعب بن لؤي ، كعب بن لؤي ، قال نوف الشامي <sup>(٢)</sup> : كان النمل في زمن  
 سليمان .  
 والثاني : أنه بضم الميم .

( ادخلوا ) : كعب بن لؤي ، وأبو المتوكل ، وعاصم الجحدري :  
 « مسكنكم » ، أبو جهم .

قوله تعالى : ( ادخلوا مسكنكم ) الحطيم : الكسر . وقرأ أبي بن كعب ،  
 وأبو رجاء : « ادخلوا مسكنكم » بغير ألف بعد اللام . وقرأ ابن مسعود :

(١) قال ابن كثير : ومن قال من المفسرين : إن هذا الوادي كان بأرض الشام أو بغيره  
 وإن هذه النملة كانت ذات جناحين كالذباب أو غير ذلك من الأقوال فلا حاصل لها .

(٢) هو نوف بن فضالة الجعفي البجلي ، إمام أهل دمشق في عصره ، من رجال الحديث ،  
 ورد ذكره في « الصحيحين » ، وكان راوياً للقصص ، وهو ابن زوجة كعب الأحماسي ،  
 توفي سنة ٩٥ هـ .

« لَا يَحِطُّمَنَّكُمْ » بفتح الياء وسكون الحاء وتخفيف الطاء وسكون الميم وحذف النون . وقرأ عمرو بن العاص ، وأبان : « يَحِطُّمَنَّكُمْ » بفتح الياء وسكون الحاء والنون ساكنة أيضاً والطاء خفيفة . وقرأ أبو المتوكل ، وأبو جاز : « لَا يَحِطُّمَنَّكُمْ » بفتح الياء وكسر الحاء وتشديد الطاء والنون جميعاً . وقرأ ابن السميع ، وابن يعمر ، وعاصم الجحدري : « يُحِطُّمَنَّكُمْ » برفع الياء وسكون الحاء وتخفيف الطاء وتشديد النون . والحِطُّمُ : الكسر ، والحِطَامُ : ما تحطَّم . قال مقاتل : سمع سليمان كلامها من ثلاثة أميال .

وفي قوله : ( وهم لا يشعرون ) قولان .

أحدهما : وأصحاب سليمان لم يشعروا بكلام النملة ، قاله ابن عباس .

والثاني : وأصحاب سليمان لا يشعرون بمكانكم ، لأنها علمت أنه ملك

لا نبي فيه ، وأنهم لو علموا بالنمل ما توطئوهم ، قاله مقاتل .

قوله تعالى : ( فتبسم ضاحكاً ) قال الزجاج : « ضاحكاً » منصوب ، حال مؤكدة ، لأن « تبسم » بمعنى « ضحك » . قال المفسرون : تبسم تعجباً ممَّا قالت ، وقيل : من تنأها عليه . وقال بعض العلماء : هذه الآية من عجائب القرآن ، لأنها بلفظة « يا » نادت « أيها » نبهت « النمل » عينت « ادخلوا » أمرت « مساكنكم » نصت « لا يحطمنكم » حذرت « سليمان » خصت « وجنوده » عمت « وهم لا يشعرون » عذرت .

قوله تعالى : ( وقال رب أوزعني ) قال ابن قتيبة : ألممني ، أصل الإيزاع : الإغراء بالشيء ، يقال : أوزعته بكذا ، أي : أغريته به ، وهو موزع بكذا ، ومولع بكذا . وقال الزجاج : نأويله في اللغة : كُفِّنِي عن الأشياء إلا عن شكر نعمتك ، والمعنى : كُفِّنِي عما يُباعِدُ منك ، ( وأن أعمل ) أي :

وَأَلْهِمْنِي أَنْ أَعْمَلَ (صالحاً ترضاه) قال المفسرون : إنما شكر الله عز وجل لأن  
الريح أبلغت إليه صوتها ففهم ذلك .

﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ  
الْمُنَاقِبِينَ . لَا أَعْدِبْنَاهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ  
مُبِينٍ . فَكَتَّ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ  
مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ . إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ  
كُلِّ نَبِيٍّ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ . وَجَدْنَاهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ  
لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ  
السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ . أَأَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُمْلُونَ . اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ  
رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾

قوله تعالى : ( وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ ) التفقد : طلب ما غاب عنك ؛ والمعنى  
أنه طلب ما فقد من الطير ؛ والطير اسم جامع للجنس ، وكانت الطير تصحب  
سليمان في سفره تُظِلُّه بأجنحتها ( فقال مالي لا أرى الهدهد ) قرأ ابن كثير ،  
وعاصم ، والكسائي : « مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْهَدَ » بفتح الياء . وقرأ نافع ،  
وأبو عمرو ، وابن عامر ، وحزرة بالسكون ، والمعنى : ما للهدهد [ لا أراه ] ؛ تقول  
العرب : مالي أراك كثيراً ، أي : مالك ؛ فهذا من المقلوب الذي معناه معلوم .  
قال المفسرون : لما فصل سليمان عن وادي النمل ، وقع في قفر من الأرض ،  
فمطش الجيش فسألوه الماء ، وكان الهدهد يدلُّه على الماء ، فاذا قال له : ها هنا  
الماء ، شققت الشياطين الصخر وفجرت العيون قبل أن يضربوا أبيتهم ، وكان  
الهدهد يرى الماء في الأرض كما يرى الماء في الزجاج ، فطلبه يومئذ فلم يجده .

وقال بعضهم : إنما طلبه لأن الطير كانت تُظِلُّهم من الشمس ، فأُخِلَّ الهدد بمكانه ، فطلعت الشمس عليهم من الخلل .

قوله تعالى : ( أَمْ كَانَ ) قال الزجاج : معناه : بل كان .

قوله تعالى : ( لَا عَذَابَ لَهُ عَذَاباً شديداً ) فيه ستة أقوال .

أحدها : نف ريشه ، قاله ابن عباس ، والجمهور . والثاني : تنفه وتشميسه ، قاله عبد الله بن شداد . والثالث : شد رجله وتشميسه ، قاله الضحاك . والرابع : أن يطليه بالقطران ويشمسّه ، قاله مقاتل بن حيان . والخامس : أن يودعه القفص والسادس : أن يفرّق بينه وبين إلفه ، حكاهما الثعلبي .

قوله تعالى : ( أَوْ لِيَأْتِيَنِّي ) وقرأ ابن كثير : « لِيَأْتِيَنِّي » بنونين ، وكذلك هي في مصاحفهم . فأما السلطان ، فهو الحجّة ، وقيل : العذر .

وجاء في التفسير أن سليمان لما نزل في بعض مسيره ، قال الهدد : إنه قد اشتغل بالنزول فأرتفع أنا إلى السماء فأنظر إلى طول الدنيا وعرضها ، فارتفع فرأى بسطاناً بلقيس ، فال إلى الخُضرة فوقع فيه ، فاذا هو بهدد قد لقيه ، فقال : من أين أقبلت ؟ قال : من الشام مع صاحبي سليمان ، فن أين أنت ؟ قال : من هذه البلاد ، وملكها امرأة يقال لها : بلقيس ، فهل أنت مُنطلق معي حتى ترى مُلكها ؟ قال : أخاف أن يتفقّدني سليمان وقت الصلاة إذا احتاج إلى الماء ، قال : إن صاحبك يسره أن تأتيه بخبر هذه الملكة ، فانطلق معه ، فنظر إلى بلقيس ومُلكها ، ( فكث غير بعيد ) قرأ الجمهور بضم الكاف ، وقرأ عاصم بفتحها ، وقرأ ابن مسعود : « فتمكّث » بزيادة تاء ؛ والمعنى : لم يلبث إلا يسيراً حتى جاء ، فقال سليمان : ما الذي أبطأ بك ؟ ( فقال أَحَطَّتْ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ ) أي : علمت شيئاً من جميع جهاته مما لم تعلم [ به ] ( وجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ ) قرأ ابن كثير ،



وأبو عمرو : « سَبَأٌ » نصباً غير مصروف ، وقرأ الباقون خفضاً منوناً . وجاء في الحديث عن رسول الله ﷺ أن سبأ رجل من العرب <sup>(١)</sup> . وقال قتادة : هي أرض باليمن يقال لها : مأرب . وقال أبو الحسن الأخفش : إن شئت صرفت « سبأ » فجعلته اسم أيهم ، أو اسم الحي ، وإن شئت لم تصرف فجعلته اسم القبيلة ، أو اسم الأرض . قال الزجاج : وقد ذكر قوم من النحويين أنه اسم رجل . وقال آخرون : الاسم إذا لم يُدْرَ ما هو لم يُصرف ؛ وكلا القولين خطأ ، لأن الأسماء حقها الصرف ، وإذا لم يُعلم هل الاسم للمذكر أم للمؤنث ، فحقه الصرف حتى يُعلم أنه لا ينصرف ، لأن أصل الأسماء الصرف . وقول الذين قالوا : هو اسم رجل ، غلط ، لأن سبأ هي مدينة تُعرف بمأرب من اليمن ، بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام ، فن لم يصرفه جعله اسم مدينة ، ومن صرفه فلائته اسم البلد ، فيكون مذكراً سمي بمذكّر .

فوله تعالى : ( بنياً يقين ) أي : بنجر صادق ، ( إني وجدت امرأة تملكهم ) يعني بلقيس ( وأوتيت من كل شيء ) قال الزجاج : معناه : من كل شيء يُعطاه الملوك ويؤتاه الناس . والعرش : سرير الملك . قال قتادة : كان عرشها من ذهب ، قوائمه من جواهر مكلّل بالؤلؤ ، وكان أحد أبويها من الجن ، وكان مؤخر أحد قدميها مثل حافر الدابة . وقال مجاهد : كان قدمها كحافر الحمار . وقال ابن السائب : لم يكن بقدميها شيء ، إنما وقع الجن فيها عند سليمان بهذا القول ، فلما جعل لها الصرح بان له كذبهم . قال مقاتل : كان ارتفاع عرشها

(١) روى الترمذي في سننه ١٥٤/٢ عن فروة بن مسيك المرادي قال : قال رجل : يا رسول الله ! وما سبأ ، أرض أو امرأة ؟ قال : « ليس بأرض ولا امرأة ، ولكنه رجل ولد عشرة من العرب . . . » الحديث . قال الترمذي : هذا حديث غريب حسن . ورواه الطبري ٧٦/٢٢ . وقال الحافظ ابن حجر في « الإصابة » في ترجمة فروة بن مسيك عن هذا الحديث : وأخرجه ابن سعد ، وأبو داود ، والترمذي ، وابن السكن مطولاً ومختصراً .

ثمانين ذراعاً في عرض ثمانين ، وكانت أمها من الجن . قال ابن جرير : وإنما صار هذا الخبر عُذراً للهدد ، لأن سليمان كان لا يرى لأحد في الأرض مملكة سواه ، وكان مع ذلك يحب الجهاد ، فلما دله الهدد على مملكة كثيرة ، وعلى قوم كفره يجاهد ، صار ذلك عُذراً له .

قوله تعالى : ( أَلَّا يَسْجُدُوا ) قرأ الآكثرون : « ألا » بالتشديد . قال الزجاج : والمعنى : وزيت لهم الشيطان ألا يسجدوا ، أي : فصدّم لئلا يسجدوا . وقرأ ابن عباس ، وأبو عبد الرحمن السلمي ، والحسن ، والزهري ، وقتادة ، وأبو العالية ، وحמיד الأعرج ، والاعمش ، وابن أبي حبة ، والكسائي : « ألا يسجدوا » مخففة ، على معنى : ألا يهولوا . اسجدوا ، فيكون في الكلام إضمار « هؤلاء » ويُكتفى منها بـ « يا » ، ويكون الوقف « ألا يا » والابتداء « اسجدوا » ؛ قال القراء : فلي هذه القراءة هي سجدة ، وعلى قراءة من شدد لا ينبغي لها أن تكون سجدة . وقال أبو عبيدة : هذا أمر من الله مستأنف ، يعني : ألا يا أيها الناس اسجدوا . وقرأ ابن مسعود ، وأبي : « هلاً يسجدوا » بهاء .

قوله تعالى : ( الذي يُخْرِجُ الْخَبَّءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) قال ابن قتيبة : أي : المُسْتَتِرُ فيها ، وهو من خَبَّاتُ الشيء : إذا أخفيتها ، ويقال : خبء السموات : المطر ، وخبء الأرض : النبات . وقال الزجاج : كل ما خبأته فهو خبء ، فالخبء : كل ما غاب ؛ فالمعنى : يعلم الخبء في السموات والأرض . وقال ابن جرير : « في » بمعنى « من » ، فتقديره : يُخْرِجُ الْخَبَّءَ مِنَ السَّمَوَاتِ . قوله تعالى : ( وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ) قرأ حفص [ عن ] عاصم ، والكسائي بالتاء فيها . وقرأ الباقر بالباء . قال ابن زيد : من قوله : ( أَحْطَتُ ) إلى قوله : ( الْعَظِيمِ ) كلام الهدد . وقرأ الضحاك ، وابن عيصن : « الْعَظِيمِ » برفع الميم .

﴿ قَالَ سَتَنْظُرُونَ أَصَدَقْتَهُ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ . إِذْ هَبْ  
بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ .  
قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا إِنِّي أَتِي الْقِيَامَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ . إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ  
وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَآتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾

فلما فرغ الهدهد من كلامه ( قال سَتَنْظُرُونَ ) فيما أخبرتنا به ( أَصَدَقْتَهُ )  
فيما قلت ( أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ) وإنما شكَّ في خبره ، لأنه أنكر أن يكون  
لغيره في الأرض سلطان . ثم كتب كتاباً وخضعه بخاتمه ودفعه إلى الهدهد وقال :  
( اذهب بكتابي هذا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ) قرأ ابن كثير ، وابن عامر ، والكسائي :  
« فَأَلْقَيْهِ » موصولة بيا . وقرأ أبو عمرو ، وعاصم ، وأبو جعفر ، وهمة :  
« فَأَلْقِهْ » بسكون الهاء ، وروى قالون عن نافع كسر الهاء من غير إشباع ؛  
ويعني إلى أهل سبأ ، ( ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ ) فيه قولان .

أحدهما : أعرض . والثاني : انصرف ، ( فانظر ماذا يرجعون ) أي :  
ماذا يردُّون من الجواب .

فإن قيل : إذا تولَّى عنهم فكيف يعلم جوابهم ؟ فمنه جوابان .

أحدهما : أن المعنى : ثم تولَّى عنهم مستتراً من حيث لا يرونك ، فانظر ماذا  
يردُّون من الجواب ، وهذا قول وهب بن منبه .

والثاني : أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا ، تقديره : فانظر ماذا يرجعون ثم  
تولَّى عنهم ، وهذا من ذهب ابن زيد .

قال قتادة : أتاها الهدهد وهي نائمة فألقى الكتاب على نحرها فقرأته وأخبرت  
قومها . وقال مقاتل : حمله في منقاره حتى وقف على رأس المرأة ، فرفرف ساعة

والناس ينظرون ، فرقت رأسها فألقى الكتاب في حجرها ، فلما رأت الخاتم  
أرعدت وخضعت وخضع من معها من الجنود .

واختلفوا لأيّ علّة سمّته كريماً على سبعة أقوال .

أحدها : لأنه كان غتوماً ، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس . والثاني :  
لأنها ظنّته من عند الله عز وجل ، روي عن ابن عباس أيضاً . والثالث : أن  
معنى قولها : « كريمٌ » : حسن ما فيه ، قاله قتادة ، والزجاج . والرابع : لكرم  
صاحبه ، فانه كان ملكاً ، ذكره ابن جرير . والخامس : لأنه كان مهيباً ، ذكره  
أبو سليمان الدمشقي . والسادس : لتسخير الهدهد لحمله ، حكاه الماوردي . والسابع :  
لأنها رأت في صدره « بسم الله الرحمن الرحيم » ، حكاه الثعلبي .

قوله تعالى : ( إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ ) أي : إن الكتاب من عنده ( وإِنَّهُ ) أي :  
وإنَّ المكتوب ( بسم الله الرحمن الرحيم . أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ ) أي : لا تكبروا .  
وقرأ ابن عباس : « تَعْلَمُونَ » بفنّ معجمة ( وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ) أي : متقادين  
طائمين . ثم استشارت قومها ، ف ( قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ ) يعني الأشراف ، وكانوا  
ثلاثمائة وثلاثة عشر قائداً ، كل رجل منهم على عشرة آلاف . وقال ابن عباس :  
كان معها مائة ألف قبيل <sup>(١)</sup> ، مع كل قبيل مائة ألف . وقيل : كانت جنودها  
ألف ألف ومائتي ألف .

« قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا  
حَتَّى تَشْهَدُونِ . قَالُوا نَحْنُ أَوْلَا قُوَّةً وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ  
إِلَيْكَ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ . قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً

(١) القبيل ، بفتح فسكون : ملك من ملوك حمير دون الملك الأعظم ، وجمعه أقوال ، وأقبيل .

أَفْسَدُوا هَذِهِ وَأَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَنْسَلُونَ . وَلَئِنْ  
مُرْسِلَتِي لَأَهْلِي بِهِدْيَةٍ كَفَاطِرَةٍ لِّمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٣﴾

قوله تعالى : ( أَفْتُونِي فِي أَمْرِي ) أي : يَتَّبِعُوا لِي مَا أَفْعَلُ ، وَأَشِيرُوا عَلَيَّ .  
قال الفراء : جعلت المشورة مُفْتِيًا ، وذلك لما رُئِيَ لِسَمَةِ اللِّسَةِ .

قوله تعالى : ( مَا كُنْتُ قَاصِمَةً أَمْرًا ) أي : فاعلته ( حتى كَشَّهَدُونَ )  
أي : تَحْتَمِلُونَ ؛ والمعنى : إِلَّا شِئْئُكُمْ وَمَشُورَتَكُمْ .  
( نَالُوا نَحْنُ أَوْ لَوْ قُوَّةً ) فيه قولان .

أحدهما : أنهم أرادوا تَقْوِيَّةَ فِي الْأَبْدَانِ . والثاني : كثرة العدد والبأس  
والشجاعة في الحرب .

وفيما أرادوا بذلك أقول قولان . أحدهما : تفويض الأمر إلى رأيها .  
والثاني : تدريض منهم بالقتال إِنْ أَمَرْتَهُمْ .

ثم قالوا : ( وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ ) أي : فِي الْقَتْلِ وَتَرْكِهِ . ( قَالَتْ إِنْ الْمُلُوكُ  
إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً ) قال الزجاج : المعنى : إِذَا دَخَلُوهَا عَشْوَةً عَنْ قِتَالٍ وَغَلَبَةٍ .

قوله تعالى : ( أَفْسَدُوهَا ) أي : خَرَّبُوهَا ( وَجَعَلُوا أَعِزَّةً أَهْلَهَا أَذِلَّةً ) أي :  
أَهَانُوا أَشْرَافَهَا لِيَسْتَقِيمَ لَهُمُ الْأَمْرُ . ومعنى الكلام : أنها حَذَّرَتْهُمْ مَسِيرَ سُلَيْمَانَ إِلَيْهِمْ  
وَدَخُولَهُ بِلَادَهَا .

قوله تعالى : ( وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ) فيه قولان .

أحدهما : أنه من تصديق الله تعالى لقولها ، قاله الزجاج .

والثاني : من تمام كلامها ؛ والمعنى : وَكَذَلِكَ يَفْعَلُ سُلَيْمَانُ وَأَصْحَابُهُ إِذَا دَخَلُوا  
بِلَادَنَا ، حَكَاهُ الْمَلُورْدِيُّ .

قوله تعالى : ( وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ ) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : إِنَّمَا أُرْسِلْتُ الْهَدِيَّةَ لِتَعْلَمَ أَنَّهُ إِنْ كَانَ نَبِيًّا لَمْ يُرَدِّ الدُّنْيَا ، وَإِنْ كَانَ مَلِكًا فَسِيرَضِي بِالْحَمَلِ ، وَأَنَّهُمَا بَعَثَتْ ثَلَاثَ لَبَنَاتٍ مِنْ ذَهَبٍ فِي كُلِّ لَبْنَةٍ مِائَةُ رطل ؛ وَيَاقُوتَةُ حَمْرَاءُ طُولُهَا شِبْرٌ مَثْقُوبَةٌ ، وَثَلَاثِينَ وَصِيفًا وَثَلَاثِينَ وَصِيفَةً ، وَالْبَسْتَنُ لِبَاسٌ وَاحِدٌ حَتَّى لَا يُعْرِفَ الذَّكَرُ مِنَ الْأُنْثَى ، ثُمَّ كَتَبْتُ إِلَيْهِ : إِنِّي قَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ هَدِيَّةً فَأَقْبَلُهَا ، وَبَعَثْتُ إِلَيْكَ يَاقُوتَةَ طُولُهَا شِبْرٌ ، فَأَدْخَلَ فِيهَا خِيطًا وَاخْتَمَّ عَلَى طَرَفِي الْخِيطِ بِخَاتَمِكَ ، وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ ثَلَاثِينَ وَصِيفًا وَثَلَاثِينَ وَصِيفَةً ، فَيُزَيِّنُ الْجَوَارِي وَالْعِلْمَانُ ؛ فَجَاءَ أَمِيرُ الشَّيَاطِينِ فَأَخْبَرَهُ بِمَا بَعَثْتُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : انْطَلِقْ قَافِرْشَ عَلَى طَرِيقِ الْقَوْمِ مِنْ بَابِ مَجْلِسِي ثَمَانِيَةَ أَمْيَالٍ فِي ثَمَانِيَةَ أَمْيَالٍ [ لَبْنًا ] مِنَ الذَّهَبِ ؛ فَانْطَلَقَ ، فَبَعَثَ الشَّيَاطِينُ ، فَقَطَعُوا اللَّسِينَ مِنَ الْجِبَالِ وَطَلَّوهُ بِالذَّهَبِ وَفَرَشُوهُ ، وَنَصَبُوا فِي الطَّرِيقِ أَسَاطِينَ الْيَاقُوتِ الْأَحْمَرِ ، فَلَمَّا جَاءَ الرَّسُلُ ، قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : كَيْفَ تَدْخُلُونَ عَلَى هَذَا الرَّجُلِ ثَلَاثَ لَبَنَاتٍ ، وَعِنْدَهُ مَا رَأَيْتُمْ ؟ فَقَالَ رَئِيسُهُمْ : إِنَّمَا نَحْنُ رُسُلٌ ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ ، فَوَضَعُوا اللَّسِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ : أَعْمِدُونِي عَالٍ ؛ ثُمَّ دَعَا ذَرَّةً <sup>(١)</sup> فَرَبَطَ فِيهَا خِيطًا وَأَدْخَلَهَا فِي ثَقْبِ الْيَاقُوتَةِ حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ طَرَفِهَا الْآخَرِ <sup>(٢)</sup> ، ثُمَّ جَمَعَ بَيْنَ طَرَفِي الْخِيطِ فَخَتَمَ عَلَيْهِ وَدَفَعَهَا إِلَيْهِمْ ، ثُمَّ مَيَّزَ بَيْنَ الْعِلْمَانِ وَالْجَوَارِي ، هَذَا كُلُّهُ مَرْوِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ <sup>(٣)</sup> . وَقَالَ مُجَاهِدٌ : جَعَلَتْ لِبَاسَ الْعِلْمَانِ لِلْجَوَارِي وَلِبَاسَ الْجَوَارِي لِلْعِلْمَانِ ، فَيُزَيِّرُهُمْ وَلَمْ يَقْبَلْ هَدِيَّتَهَا .

(١) الذَّرَّةُ : صَفَارُ النَّمْلِ ، وَاحَدَتُهُ ذَرَّةٌ .

(٢) وَفِي بَعْضِ التَّفْسِيرِ : فَجَاءَتِ الْأَرْضُ فَأَخَذَتْ شَعْرَةً فِي فِيهَا . وَدَخَلَتْ فِيهَا حَتَّى خَرَجَتْ مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ .

(٣) قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ : وَاللهُ أَعْلَمُ أَكَانَ ذَلِكَ ، أَمْ لَا ، وَأَكْثَرُهُ مَاخُوذٌ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَنْظُرْ إِلَى مَا جَاؤُوا بِهِ بِالْكَلْبَةِ ، وَلَا اعْتَقَى بِهِ ، بَلْ أَعْرَضَ عَنْهُ .

وفي عدد الوصائف والوصفاء خمسة أقوال .

أحدها : ثلاثون وصيفاً وثلاثون وصيفة ، وقد ذكرناه عن ابن عباس .  
والثاني : خمسمائة غلام وخمسمائة جارية ، قاله وهب . والثالث : مائتا غلام ومائتا جارية ، قاله مجاهد . والرابع : عشرة غلمان وعشر جوارٍ ، قاله ابن السائب .  
والخامس : مائة وصيف ومائة وصيفة ، قاله مقاتل .

وفي ما ميّزهم به ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه أمرهم بالوضوء ، فبدأ الغلام من مرفقه إلى كفه ، وبدأت الجارية من كفها إلى مرفقها ، فيّزّم بذلك ، قاله سعيد بن جبير .  
والثاني : أن الغلمان بدؤوا بنفسل ظهور السّواعد قبل بطونها ، والجواري على عكس ذلك ، قاله قتادة .

والثالث : أن الغلام اغترف يده ، والجارية أفرغت على يدها ، قاله السدي .  
وجاء في التفسير أنها أمرت الجواري أن يكلّمن سايمان بكلام الرجال ، وأمرت الرجال أن يكلّموه كلام النساء ، وأرسلت قدحاً نسأله أن يملأها ماء ليس من [ ماء ] السماء ولا من ماء الأرض ، فأجرى الخيل وملاه من عرقها <sup>(١)</sup> .

قوله تعالى : ( فَنَظَرَتْ بِمَرِّ جَعِجِجٍ مَّرْسَلُونَ ) أي : بقبُول أم برد .  
قال ابن جرير : وأصل « بِمَرِّ » : بما ، وإنما أُسقطت الألف لأن العرب إذا كانت « ما » بمعنى « أي » ثم وصلوها بحرف خافض ، أسقطوا ألفها ، تفريقاً بين الاستفهام والخبر ، كقوله : ( عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ؟ ) [ النبا : ١ ] و ( قالوا فيم كنتم ؟ ) [ النساء : ٩٧ ] ، وربما أثبتوا فيها الألف كما قال الشاعر :

(١) قال الآلوسي عن مثل هذه الأخبار : وكل ذلك أخبار لا يدرى صحتها ولا كذبها ، ولعل في بعضها ما يميل القلب إلى القول بكذبه ، والله أعلم .

عَلَى مَا قَامَ يَشْتُمُنَا لَنِيمَ كَخِيزِيرٍ تَمَرَّغَ فِي رَمَادٍ ١  
 ﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنَ قَالَ أُنْمِدُونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَنِي اللَّهُ خَيْرٌ  
 مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيَتِكُمْ تَفْرَحُونَ . إِرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ  
 بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ .  
 قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ .  
 قَالَ عَفَرْتُ مِنْ آلِجَنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ  
 وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ . قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ  
 أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ  
 قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَشْكُرْ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ  
 فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾  
 قوله تعالى : ( فلما جاء سليمان ) قال الزجاج : لما جاء رسولها ، ويجوز : فلما  
 جاء برثها .

قوله تعالى : ( أُنْمِدُونَنِي بِمَالٍ ) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو :  
 « أُنْمِدُونَنِي » بنون وياء في الوصل . وروى المسيبي عن نافع : « أُنْمِدُونِي »  
 بنون واحدة خفيفة وياء في الوصل والوقف . وقرأ عاصم ، وابن عامر ، والكسائي :  
 « أُنْمِدُونَنِي » بنون وياء في الوصل والوقف . وقرأ حمزة : « أُنْمِدُونَنِي بِمَالٍ »  
 بنون واحدة مشددة ووقف على الياء .

قوله تعالى : ( فَمَا آتَانِي اللَّهُ ) قرأ ابن كثير ، وابن عامر ، وحمزة ،  
 والكسائي ، وأبو بكر عن عاصم : « فَمَا آتَانِي اللَّهُ » بكسر النون من غير ياء .  
 وقرأ أبو عمرو ، ونافع ، وحفص عن عاصم : « آتَانِي » بفتح الياء . وكاشم

(١) البيت لحسان بن ثابت ، ديوانه : ١٤٣ ، ود الطبري : ١٩ / ١٥٦ ، ود القرطبي : ١٣ / ٢٠٠ .



فتحوا الناء غير الكسائي ، فانه أمالها من « آتاني الله » ، وأمال حمزة : « أنا آتيك به » أتمّ النون شيئاً من الكسر ، والمعنى : فآتاني الله ، أي : من النبوة والملك ( خيرٌ مما آتاكم ) من المال ( بل أنتم بهديتكم تفرحون ) يعني إذا أهدى بعضكم إلى بعض فرح ، فأما أنا فلا ، ثم قال للرسول : ( إرجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبلَ ) أي : لا طاقة ( لهم بها ولنُخرجنهم منها ) يعني بلديهم . فلما رجعتُ رسلها إليها بالخبر ، قالت : قد علمتُ أنه ليس بملك ومالنا به طاقة ، فبعثتُ إليه : إني قادمة عليك بملوك قومي لأنظر ما تدعو إليه ، ثم أمرتُ بعرشها فجعل وراء سبعة أبواب ، ووكّلتُ به حرساً يحفظونه ، وشخصتُ إلى سليمان في اثني عشر ألف ملك ، تحت يدي كل ملك منهم ألف . وكان سليمان مريباً لا يُبتدأ بشيء حتى يسأل عنه ، فجلس يوماً على سرير ملكه فرأى رجلاً قريباً منه ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : بلقيس قد نزلت بهذا المكان ، وكان قدر فرسخ ، وقد كان بلغه أنها احتاطت على عرشها قبل خروجها ، ف ( قال يا أيُّها الملأ أيكم يأتيني بعرشها ) ، وفي سبب طلبه له خمسة أقوال .

أحدها : ليحل صدق الهدهد ، قاله ابن عباس .

والثاني : ليحل ذلك دليلاً على صدق نبوته ، لأنها خلّفته في دارها واحتاطت عليه ، فوجدته قد تقدّمها ، قاله وهب بن منبه<sup>(١)</sup> .

والثالث : ليختبر عقلها وفطنتها ، أترفه أم تُنكره ، قاله سعيد بن جبير .

والرابع : لأن صفته أعجبه ، فخشي أن تُسلم فيحرم عليه مالها ، فأراد أخذه قبل ذلك ، قاله قتادة .

والخامس : ليرىها قدرة الله تعالى وعظم سلطانه ، حكاه الثعلبي .

(١) وهذا هو أولى الأقوال بالصواب كما قال ابن جرير الطبري .

قوله تعالى : ( قال عَفْرِيْتُ من الجِنَّ ) قال أبو عبيدة : العَفْرِيْتُ من كل جِنَّ أو إنس : الفائق المبالغ الرئيس . وقال ابن قتيبة : العَفْرِيْتُ : الشديد الوثيق . وقال الزجاج : العَفْرِيْتُ : النافذ في الأمر ، المبالغ فيه مع مُخْبِت ودهاء .  
 وقرأ أبي بن كعب ، والضحاك ، وأبو العالية ، وابن يعمر ، وعاصم الجحدري : « قال عَفْرِيْتُ » بفتح العين وكسر الراء . وروى ابن أبي شريح عن الكسائي : « عَفْرِيَّةٌ » بفتح الياء وتخفيفها ؛ وروى عنه أيضاً تشديدها وتنوين الهاء على التأنيث . وقرأ ابن مسعود ، وابن السميع : « عِفْرَاةٌ » بكسر العين وفتح الراء وبألف من غير ياء .

قوله تعالى : ( قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ ) أي : من مجلسك ؛ ومثله « فِي مَقَامِ آمِينَ » [الدخان : ٥١] . وكان سليمان يجلس للقضاء بين الناس من وقت الفجر إلى طلوع الشمس ، وقيل : إلى نصف النهار . ( وإِتي عليه ) أي : على حله ( لِقَوِي ) .

وفي قوله : ( آمين ) قولان .

أحدهما : آمين على ما فيه من الجوهر والدرّة وغير ذلك ، قاله ابن السائب .  
 والثاني : آمين أن لا آتيك بشيء بدلاً منه ، قاله ابن زيد .  
 قال سليمان : أريد أسرع من ذلك . ( قال الذي عنده عِلْمٌ من الكتاب ) وهل هو إنسي أم ملك ، فيه قولان .

أحدهما : إنسي ، قاله ابن عباس ، والضحاك ، وأبو صالح . ثم فيه أربعة أقوال . أحدها : أنه رجل من بني إسرائيل ، واسمه آصف بن برخيا ، قاله مقاتل . قال ابن عباس : دعا آصف - وكان آصف يقوم على رأس سليمان بالسيف - فبعث الله الملائكة فحملوا السرير تحت الأرض يَحْدُون الأرض خدّاً ، حتى انخرقت

الأرض بالسريبر بين يدي سليمان . والثاني : أنه سليمان عليه السلام ، وإنما قال له رجل : أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك ، فقال : هات ، قال : أنت النبي ابن النبي ، فان دعوت الله جاءك ، فدعا الله فجاءه ، قاله محمد بن المكندر . والثالث : أنه الخضر ، قاله ابن لهيعة <sup>(١)</sup> . والرابع : أنه عابد خرج يومئذ من جزيرة في البحر فوجد سليمان فدعا فأُتي بالعرش ، قاله ابن زيد .

والقول الثاني : أنه من الملائكة . ثم فيه قولان . أحدهما : أنه جبريل عليه السلام . والثاني : ملك من الملائكة أيد الله به سليمان ، حكاهما الثعلبي .

وفي العِلْم الذي عنده من الكتاب ثلاثة أقوال . أحدها : أنه اسم الله الأعظم ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، والجمهور . والثاني : أنه عِلْم كتاب سليمان إلى بلقيس . والثالث : أنه عِلْم ما كتب الله لبني آدم ، وهذا على أنه ملك ، حكى القولين الماوردي .

وفي قوله : ( قبل أن يرتد إليك طرفك ) أربعة أقوال . أحدها : قبل أن يأتيك أقصى ما تنظر إليه ، قاله سميد بن جبير . والثاني : قبل أن ينتهي طرفك إذا مددته إلى مداه ، قاله وهب . والثالث : قبل أن يرتد طرفك حسيراً إذا أدمت النظر ، قاله مجاهد . والرابع : بمقدار ما تفتح عينك ثم تطرف ، قاله الزجاج . قال مجاهد : دعا فقال : يا ذا الجلال والإكرام . وقال ابن السائب : إنما قال : يا حي يا قيوم . قوله تعالى : ( فلما رآه ) في الكلام محذوف ، تقديره : فدعا الله [ فأُتي ]

(١) قال ابن كثير عن هذا القول : وهو غريب جداً .

به ، فلمَّا رآه ، يعني : سليمان ( مستقِرٌّ ) عنده ) أي : ثابتًا بين يديه ( قال هذا )  
يعني : التمكن من حصول المراد .

قوله تعالى : ( أَشْكُرْ أَمْ أَكْفُرْ ) فيه قولان .

أحدهما : أَشْكُرْ على السريرِ إِذْ أُتيتُ به ، أَمْ أَكْفُرْ إِذَا رَأَيْتُ مَنْ هُوَ  
دُونِي فِي الدُّنْيَا أَعْلَمَ مِنِّي ، قاله ابن عباس .

والثاني : أَشْكُرْ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيَّ ، أَمْ أَكْفُرْ نِعْمَتَهُ بِتَرْكِ الشُّكْرِ لَهُ ،

قاله ابن جرير .

﴿ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرُ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ  
الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ . فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَ كَأَنَّهُ  
هُوَ وَأَوْنَيْنَا الْعِذَمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ . وَبَعْدَهَا مَا كَانَتْ  
تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَاذِبِينَ . قِيلَ لَهَا ادْخُلِي  
الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ  
صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ  
مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

قوله تعالى : ( قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا ) قال المفسرون : كانت الشياطين أن  
يتزوج سليمان بلقيس فتغشى إليه أسرار الجن ، لأن أمها كانت جنية ، فلا يفكرون  
من تسخير سليمان وذريته ، فأسأوا الثناء عليها وقالوا : إن في عقلها شيئاً ،  
وإن رجلها كحافر الحمار ، فأراد سليمان [ أن ] يختبر عقلها بتذكير عرشها ، وينظر إلى  
قدميها بيناء الصرح . قال ابن قتيبة : ومعنى « نَكِّرُوا » : غَيِّرُوا ، يقال :  
نَكَّرْتُ الشَّيْءَ فَغَيَّرْتُهُ ، أي : غَيَّرْتُهُ فَغَيَّرْتُهُ .

والمفسرين في كيفية تغييره ستة أقوال .

أحدها : أنه زيد فيه ونقص منه ، رواه العوفي عن ابن عباس .

والثاني : أنهم جعلوا صفائح الذهب التي كانت عليه مكان صفائح الفضة ،  
وصفائح الفضة مكان صفائح الذهب ، والياقوت مكان الزبرجد ، والذرّ مكان  
اللؤلؤ ، وقامتّي الزبرجد مكان قاتمّي الياقوت ، قاله ابن عباس أيضاً .

والثالث : أنهم نزعوا ما عليه من فصوصه وجواهره ، روي عن ابن عباس أيضاً .

والرابع : أنهم جعلوا ما كان منه أحمر أخضر ، وما كان أخضر أحمر ، قاله مجاهد .

والخامس : أنهم جعلوا أسفله أعلاه ، ومُقدّمه مؤخره ، وزادوا فيه ،  
ونقصوا منه ، قاله قتادة .

والسادس : أنهم جعلوا فيه تماثيل السمك ، قاله أبو صالح .

وفي قوله : ( كأنه هو ) قولان .

أحدهما : أنها لما رأتها جعلت تعرف وتُنكر ، ثم قالت في نفسها :  
من أين يَخْلُصُ إلى ذلك وهو في سبعة آيات والحرس حوله ؟ ! ثم قالت : كأنه  
هو ، قاله أبو صالح عن ابن عباس . وقال قتادة : شبهته برشها . وقال السدي :  
وجدت فيه ما تعرفه فلم تُنكر ، ووجدت فيه ما تُنكره فلم تُثبت ، فلذلك  
قالت : كأنه هو .

والثاني : أنها عرفته ، ولكنها شبهت عليهم كما شبهوا [ عليها ] ، فلو أنهم  
قالوا : هذا عرشك ، لقلت : نعم ، قاله مقاتل . قال المفسرون : فليل لها : فانه  
عرشك ، فما أغنى عنك إغلاق الأبواب ؟ !

وفي قوله : ( وأوتينا العليم ) ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه قول سليمان ، قاله مجاهد . ثم في معناه قولان . أحدهما : وأوتينا العلم بالله وقدرته على ما يشاء من قبل هذه المرأة . والثاني : أوتينا العلم بإسلامها وحبها طائفة من قبل حبها وكُنَّا مُسْلِمِينَ لله .

والقول الثاني : أنه من قول بلقيس ، فأنها لما رأت عرشها ، قالت : قد عرفتُ هذه الآية ، وأوتينا العلم بصحة نبوة سليمان بالآيات المتقدمة ، نعي أمر الهدد والرسل التي بُعثت من قبل هذه الآية ، وكُنَّا مُسْلِمِينَ منقادين لأمرك قبل أن نجي .

والثالث : أنه من قول قوم سليمان ، حكاه الماوردي .

قوله تعالى : ( وصدّها ما كانت تعبد من دون الله ) قال الفراء : معنى الكلام : هي عاقلة ، إنَّها صدّها عن عبادة الله عبادتها الشمس والقمر ، وكان عادة من دين آبائها ؛ والمعنى : وصدّها أن تعبد الله ما كانت تعبد ، قال : وقد قيل : صدّها سليمان ، أي : منها ما كانت تعبد . قال الزجاج : المعنى : صدّها عن الإيمان العادة التي كانت عليها ، لأنها نشأت ولم تعرف إلا قوماً يعبدون الشمس ، ويؤمنون بعبادتها بقوله : ( إنَّها كانت من قوم كافرين ) وقرأ سعيد بن جبير ، وابن أبي عمير : « أنها كانت » بفتح الهمزة .

قوله تعالى : ( قيل لها ادخلي الصرح ) قال المفسرون : أمر الشياطين فبنوا له صرحاً كهيئة السطح من زجاج .

وفي سبب أمره بذلك ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه أراد أن يريها مُلكاً هو أعزُّ من مُلكها ، قاله وهب بن منبه .  
والثاني : أنه أراد أن ينظر إلى قدمها من غير أن يسألها كشفها ، لأنه

قيل له : إن رجلها كحافر الحمار ، فأمر أن يُهيأ لها بيت من قوارير فوق الماء ،  
ووضع سرير سليمان في صدر البيت ، هذا قول محمد بن كعب القرظي .

والثالث : أنه فعل ذلك ليختبرها كما اختبرته بالوصائف والوصفاء ، ذكره  
ابن جرير . فأما الصَّرح ، فقال ابن قتيبة : هو القصر ، وجمعه : صروح ، ومنه  
قول الهذلي :

[ على طَرُقٍ كَنُحُورِ الرِّكَا ب ] نَحْسَبُ أَعْلَامَهُنَّ الصُّرُوحَ<sup>(١)</sup>  
قال : ويقال : الصَّرحُ بلاطٌ اتَّخَذَ لها من قوارير ، وجعل تحتها ماءً وسَمَك .  
قال مجاهد : كانت بركة من ماء ضرب عليها سليمان قوارير . وقال مقاتل : كان  
قصرًا من قوارير يبي على الماء وتحت السَّمَك .

قوله تعالى : ( حَسِبْتَهُ لُجَّةً ) وهي : مُعْظَمُ الماء ( وكَشَفْتَهُ )  
ساقِيئَهَا لدخول الماء ، فناداها سليمان ( إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ ) أي : مَمْلُوسٌ ( مِنْ  
قَوَارِيرَ ) أي : مِنْ زُجَاجٍ ؛ فلمت حينئذ أن مُلْكُ سليمان من الله تعالى ،  
ف ( قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ) أي : بعبادة غيرك<sup>(٢)</sup> . وقيل : ظننت  
في سليمان أنه يريد تنريقها في الماء ، فلما علمت أنه صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ قالت : رَبِّ

(١) البيت لبأبي ذؤيب الهذلي ، وهو في «ديوان الهذليين» : ١٣٦/١ ، و «غريب القرآن» :

٣٢٥ ، و «اللسان» و «التاج» : صرح .

(٢) قال ابن كثير في التفسير : والنرض أن سليمان عليه السلام اتخذ قصرًا عظيمًا منيفًا  
من زجاج لهذه الملكة ليربها عظيمة سلطانه وتمكُّنه ، فلما رأت ما آتاه الله وجلالة ما هو فيه ،  
وتبصّرت في أمره ، انقادت لأمر الله تعالى ، وعرفت أنه نبي كريم ، وملك عظيم ، وأسلمت  
لله عز وجل وقالت : ( رب إني ظلمت نفسي ) أي : بما سلف من كفرها وشركها وعبادتها  
وقومها للشمس من دون الله ( وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ) أي : متابعة لدين سليمان  
في عبادته لله وحده لا شريك له الذي خلق كل شيء فقدره تقديرًا . اهـ .

لِإِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي بِذَلِكَ الظَّنِّ ، وَأَسَلْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ ، ثُمَّ تَزَوَّجَهَا سُلَيْمَانُ .  
وقيل : إنه رَدَّهَا إِلَى مَمْلَكَتِهَا وَكَانَ يَزُورُهَا فِي كُلِّ شَهْرٍ مَرَّةً وَيَقِيمُ عِنْدَهَا ثَلَاثَةَ  
أَيَّامٍ ، وَأَنَّهُ وَلَدَتْ مِنْهُ . وقيل : إنه زَوَّجَهَا بِبَعْضِ الْمُلُوكِ وَلَمْ يَتَزَوَّجَهَا هُوَ (١) .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ  
فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ . قَالَ يَاقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ  
الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ . قَالُوا اطَّيَّرْنَا  
بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُفْتَنُونَ ﴾  
قوله تعالى : ( فإذا هم فريقان ) أي : مؤمن وكافر ( يختصمون ) وفيه قولان .  
أحدهما : أنه قولهم : ( أنتم تعلمون أن صالحا مرسل من ربه ... )  
الآيات [ الأعراف : ٧٥ - ٨٠ ] .

والثاني : أنه قول كل فريق منهم : الحق معي .

قوله تعالى : ( لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ ) وذلك حين قالوا : إن كان  
ما أتيتنا به حقًا فأتينا بالمداب . وفي السيئة والحسنة قولان .

أحدهما : أن السيئة : المذاب ، والحسنة : الرحمة ، قاله مجاهد .

والثاني : [ أن ] السيئة : البلاء ، والحسنة : العافية ، قاله السدي .

قوله تعالى : ( لولا ) أي : هلا ( تستغفرون الله ) من الشرك ( لعلكم  
ترحمون ) فلا تعذبون . ( قالوا اطَّيَّرْنَا ) قال ابن قتبية : المعنى : تطيَّرتنا  
وتشاءمتنا ( بك ) ، فأدغمت التاء في الطاء ، وأثبتت الألف ، ليسلم السكونُ

(١) قال ابن كثير في « البداية والنهاية » ٢٤/٢ بعد أن ذكر القولين : والأول أشهر وأظهر . وقال الآلوسي في « روح المعاني » ١٨٩/١٩ : والمشهور أنه عليه السلام تزوجها ،  
وإليه ذهب جماعة من أهل الأخبار .



لَمَّا بَعْدَهَا . وَقَالَ الزَّجَاجُ : الْأَصْلُ : تَطَيَّرْنَا ، فَأَدْنَعْتَ التَّاءَ فِي الطَّاءِ ، وَاجْتَلَبْتَ  
الْأَلِفَ لِسُكُونِ الطَّاءِ ؛ فَإِذَا ابْتَدَأْتَ قُلْتَ : أَطَيَّرْنَا ، وَإِذَا وَصَلْتَ لَمْ تَذْكُرِ  
الْأَلِفَ وَتَسْقُطُ لِأَنَّهَا أَلِفٌ وَصَلٌ ، [ وَإِنَّمَا ] تَطَيَّرُوا بِهِ ، لِأَنَّهُمْ قَطَعُوا وَجَاعُوا ،  
فَ ( قَالَ ) لَهُمْ ( طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ ) ، وَقَدْ شَرَحْنَا هَذَا الْمَعْنَى فِي ( الْأَعْرَافِ : ١٣١ ) .  
وَفِي قَوْلِهِ : ( مُتَفَتِّنُونَ ) ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ .

أَحَدُهَا : مُنْتَخِبُونَ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ . وَالثَّانِي : مُتَصَرِّفُونَ عَنْ  
دِينِهِمْ ، قَالَهُ الْحَسَنُ . وَالثَّلَاثُ : مُتَبَلِّغُونَ بِالطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ ، قَالَهُ قَتَادَةُ .

﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ نِسَاءٌ رَهْطٌ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ  
وَلَا يُصْلِحُونَ . قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ  
لَوْلِيَّتِهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ . وَمَكْرُؤًا مَكَرًا  
وَمَكْرَنًا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ . فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ صَافِيَةٌ  
مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَرْنَاَهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ . فَتِلْكَ بَيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ  
بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ  
آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى : ( وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ ) وَهِيَ الْحِجْرُ الَّتِي نَزَلَهَا صَالِحٌ ( نِسَاءٌ رَهْطٌ  
يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ) يُرِيدُ : فِي أَرْضِ الْحِجْرِ ، وَفُسَادُهُمْ : كُفْرُهُمْ  
وَمَعَاصِيهِمْ ، وَكَانُوا يَسْفِكُونَ الدِّمَاءَ وَيَتَّبِعُونَ عَلَى الْأَمْوَالِ وَالْفُرُوجِ ، وَهُمْ الَّذِينَ  
عَمِلُوا فِي قَتْلِ النَّاقَةِ . وَرَوَى عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ وَعَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ قَالَا : كَانَ  
فُسَادُهُمْ كَسْرُ الدِّرَاهِمِ وَالْدَنَانِيرِ ، ( قَالُوا ) فِيمَا بَيْنَهُمْ ( تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ ) أَيِ : احْلَفُوا  
بِاللَّهِ ( لَنُبَيِّتَنَّهُ ) أَيِ : لَنَقْتُلَنَّ صَالِحًا ( وَأَهْلَهُ ) لَيْلًا ( ثُمَّ لَنَقُولَنَّ ) وَقَرَأَ  
حَمْزَةً ، وَالْكَسَائِيُّ : « لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ » بِالتَّاءِ فِيهَا . وَقَرَأَ مُجَاهِدٌ ،

وأبورجاء ، وحيد بن قيس : « كَيْبَيْتُنَّةُ » ياء وتاء مرفوعين « ثم لَيْقُوْلُنَّ » ياء مفتوحة وقاف مرفوعة وواو ساكنة ولام مرفوعة ( لَوَيْتِه ) أي : لولي دمه إن سألنا عنه ( ماشهدنا ) أي : ما حضرنا ( مَهْلِكَ أَهْلِهِ ) قرأ الأكثرون بضم الميم وفتح اللام ؛ والمَهْلِكُ يجوز أن يكون مصدراً بمعنى الإهلاك ، ويجوز أن يكون الموضع . وروى أبو بكر ، وأبان عن عاصم : بفتح الميم واللام ، يريد الملاك ؛ يقال : هَلَكَ يَهْلِكُ مَهْلَكًا . وروى عنه حفص ، والمفضل : بفتح الميم وكسر اللام ، وهو اسم المكان ، على معنى : ماشهدنا موضع هلاكهم ؛ فهذا كان مكرم ، فجازاهم الله عليه فأهلكهم .  
وفي صفة إهلاكهم أربعة أقوال .

أحدها : أنهم أتوا دار صالح شاهرين سيوفهم ، فرمتهم الملائكة بالحجارة فقتلهم ، [ قاله ابن عباس .

والثاني : رماهم الله بصخرة فقتلهم ، قاله قتادة ] .

والثالث : أنهم دخلوا غاراً ينتظرون مجيء صالح ، فبعث الله صخرة سدَّت باب الغار ، قاله ابن زيد .

والرابع : أنهم نزلوا في سفح جبل ينتظر بعضهم بعضاً ليأتوا دار صالح ، فجثم عليهم الجبل فأهلكهم ، قاله مقاتل .

قوله تعالى : ( أَنَا دَمَّرْنَاهُمْ ) قرأ عاصم ، وحمزة ، والكسائي : « أَنَا دَمَّرْنَاهُمْ » بفتح الالف . وقرأ الباقر بكسرها . فن كسر استأنف ، ومن فتح ، فقال أبو علي : فيه وجهان .

أحدهما : أن يكون بدلاً من ( عاقبةُ مكرم ) <sup>(١)</sup>

(١) في الأصل : عاقبة أمرهم .

والثاني : أن يكون محمولاً على مبتدأ مضمّر ، كأنه قال : هو أنّا دمرناهم .  
 قوله تعالى : ( قَتَلْتَ يَوْثَهُمْ خَاوِيَةً ) قال الزجاج : هي منصوبة على الحال ؛  
 المعنى : فانظر إلى يوثهم خاوية .

﴿ وَلَوْ طَا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَنَا تُونَ الْفَاحِشَةِ وَأَنْتُمْ مُبْصِرُونَ .  
 أَنْيْكُمْ لَنَأْتِيَنَّوَنَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ  
 تَجْهَلُونَ . قَدْ كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ  
 مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَتَطَهَّرُونَ . فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ  
 قَدَرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ . وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ  
 الْمُنْذَرِينَ ﴾

قوله تعالى : ( أَنَا تُونَ الْفَاحِشَةِ وَأَنْتُمْ مُبْصِرُونَ ) فيه قولان .  
 أحدهما : وأنتم تعلمون أنّها فاحشة . والثاني : وبعضكم يُبْصِرُ بعضاً .  
 قوله تعالى : ( بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ) قال ابن عباس : تجهلون القيامة  
 وعاقبة المصيان .

قوله تعالى : ( قَدَرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ ) أي : جعلناها بتقديرنا وقضائنا  
 عليها من الباقيين في المذاب . وقرأ أبو بكر عن عاصم : « قَدَرْنَاهَا » خفيفة ،  
 وهي في معنى المشددة . وبأقي القصة قد تقدم تفسيره [ هود : ٧٧ ] .

﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى اللَّهُ خَيْرُ  
 أَمَّا يُشْرِكُونَ . أَمِنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ  
 السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا  
 شَجَرَهَا ؕ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ مُمَّ قَوْمٌ يَمْدِلُونَ . أَمِنْ جَمَلِ الْأَرْضِ

قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَشْهَادًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا وَجَعَلَ بَيْنَ  
الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ بَلَّ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٠﴾

قوله تعالى : ( قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ) هذا خطاب لرسول الله ﷺ ، أَمَرَ أَنْ  
يُحْمَدَ اللَّهُ عَلَى هَلَاكِ الْأُمَمِ الْكَافِرَةِ ، وَقِيلَ : عَلَى جَمِيعِ نِعَمِهِ ، ( وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ ،  
الَّذِينَ اصْطَفَى ) فِيهِمْ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ .

أَحَدُهَا : الرَّمْلُ ، رَوَاهُ أَبُو صَالِحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ . وَرَوَى عَنْهُ عِكْرَمَةُ ،  
قَالَ : اصْطَفَى إِبْرَاهِيمَ بِالْخُلَّةِ ، وَمُوسَى بِالْكَلامِ ، وَمُحَمَّدًا بِالرُّؤْيَا (١) .

(١) رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ ٤٨/٢٧ عَنْ عِكْرَمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَذَكَرَهُ السَّيُوطِيُّ فِي « الدَّرَجَاتِ »  
٢٣٠/٢ وَزَادَ نِسْبَتَهُ لِلطَّبْرَانِيِّ فِي « السَّنَةِ » عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ . وَهَذَا رَأْيُ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَقَدْ  
رَوَى مُسْلِمٌ فِي « صَحِيحِهِ » ١٥٨/١ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : ( مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ) ، ( وَلَقَدْ رَأَى زَلَّةً  
أُخْرَى ) قَالَ : رَأَى بَفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ . وَفِي مُسْلِمٍ ١٥٨/١ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : ( مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ  
مَا رَأَى ) قَالَ : رَأَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ سِتْمَانَةُ جَنَاحٍ ، وَرَوَى مُسْلِمٌ ١٥٨/١ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ :  
( وَلَقَدْ رَأَى زَلَّةً أُخْرَى ) قَالَ : رَأَى جِبْرِيلَ . قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ : وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا  
يُبَيِّنُ الرُّؤْيَا لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ ، وَيُسْتَشْهِدُ بِهَذِهِ الْآيَةِ ، وَتَابِعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ ، وَقَدْ  
خَالَفَهُ جَمَاعَاتٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَالتَّابِعِينَ وَغَيْرِهِمْ ، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ : وَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ  
أَحْمَدُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ( وَلَقَدْ رَأَى زَلَّةً أُخْرَى ) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ) قَالَ :  
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « رَأَيْتُ جِبْرِيلَ وَلَهُ سِتْمَانَةُ جَنَاحٍ . . . » الْحَدِيثُ ، ثُمَّ قَالَ : وَهَذَا  
إِسْنَادٌ جَيِّدٌ قَوِي . هـ . وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي « صَحِيحِهِ » ١٥٩/١ عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ : كُنْتُ مَتَكِنًا  
عِنْدَ عَائِشَةَ فَقَالَتْ : يَا أَبَا عَائِشَةَ ، ثَلَاثٌ مِنْ تَكَلُّمٍ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفَرِيَةَ ، قُلْتُ :  
مَا هُنَّ ؟ قَالَتْ : مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفَرِيَةَ ، قَالَ : وَكُنْتُ  
مَتَكِنًا فَجُلَسْتُ فَقَالَتْ : يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْظِرِي وَلَا تَسْجُلِي ، أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ( وَلَقَدْ  
رَأَى بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ ) ( وَلَقَدْ رَأَى زَلَّةً أُخْرَى ) ؟ فَقَالَتْ : أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ  
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : « إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ  
الْمَرَّتَيْنِ ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمَ خُلُقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ » ، فَقَالَتْ : أَوَلَمْ تَسْمَعْ —

والثاني : أنهم أصحاب محمد ﷺ ، رواه أبو مالك عن ابن عباس ، وبه قال السدي .

والثالث : أنهم الذين وحدوه وآمنوا به ، رواه عطاء عن ابن عباس .

والرابع : أنه محمد ﷺ ، قاله ابن السائب .

قوله تعالى : ( اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ) قال أبو عبيدة : مجازه : أو ما يشركون<sup>(١)</sup> ، وهذا خطاب للمشركين ؛ والمعنى : الله خير لمن عبده ، أم الأصنام لعابديها ؛ والمعنى الكلام : أنه لما قص عليهم قصص الأمم الخالية ، أخبرهم أنه نجى عابديه ، ولم تمنن الأصنام عنهم .

قوله تعالى : ( أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ ) تقديره : أمّا يشركون خير ، أمَّن خلق السموات ( والأرض ) وأنزل لكم من السماء ماءً فأنبئنا به حدائق ذات بهجة ) ؛ فأمّا الحدائق ، فقال ابن قتيبة : هي البساتين ، واحدها : حديقة ، سميت بذلك لأنه يُحْدَقُ عليها ، أي : يُحْظَرُ ، والبهجة : الحسن .

قوله تعالى : ( ما كان لكم أن تُنْبِئُوا شَجَرَهَا ) أي : ما ينبغي لكم ذلك [ لأنكم ] لا تقدرُونَ عليه . ثم قال مستفهماً مُنْكَرِراً عليهم : ( أإله مع الله ) ؛ أي : ليس معه

— أن الله يقول : ( لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ) أولم تسمع أن الله يقول : ( وما كان لبشر أن بكلمته الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بأذنه ما يشاء إنه عليّ حكيم ) ؛ قالت : ومن زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئاً من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية ، والله يقول : ( يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ) قالت : ومن زعم أنه يُخْبِر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية ، والله يقول : ( قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله ) . وانظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ، للحافظ ابن حجر المصقلاني : ٤٦٦/٨ ، ٤٦٩ .

(١) كذا الأصل ، وفي « مجاز القرآن » : ٩٥/٢ : « الله خيرٌ أمّا تُشْرِكُونَ » ، مجازه :

أم ما تشركون ، أي : أم الذي تشركون به ، فأدغمت اللام في الميم فقِيلَتْ .

إله ( بل هم ) يعني : كفار مكة ( قوم يَسْتَدِلُّونَ ) وقد شرحناه في فاتحة ( الأنعام ) . ( أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا ) أي : مُسْتَقَرًّا لَا تَعْبُدُ بِأَهْلِهَا ( وَجَعَلَ خَلَالَهَا ) أي : فيما بينها ( أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي ) أي : جبالاً نوابت ( وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ) أي : مانعاً من قدرته بين المذنب والمُتَعَبِّدِ أَنْ يَخْطَا ، ( بل أكثرهم لَا يَعْلَمُونَ ) قَدْرَ عَظَمَةِ اللَّهِ .

﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ خَلْفَاءَ الْأَرْضِ ۗ إِلَٰهُ ۚ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ۚ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ إِلَٰهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۚ أَمَّنْ يَبْدُوُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ إِلَٰهُ مَعَ اللَّهِ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۚ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ۚ بَلْ أَدَارِكُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا ۚ بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ۚ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاءُنَا أُنْثَا لَمْ نُخْرَجُونَ ۚ لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ ۚ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۚ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ۚ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ ۖ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۚ قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ

صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْمَلُونَ . وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦٣﴾

قوله تعالى : ( أَمَّنْ يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ ) وهو : المكروب المجهود ؛ ( وَيَكْشِفُ السُّوءَ ) يعني الضرر <sup>(١)</sup> ( وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ) أي : يُهلك قرناً وينشئ آخرين <sup>(٢)</sup> ، و ( تَذَكَّرُونَ ) بمعنى تَتَعَذَّبُونَ . وقرأ أبو عمرو بالإياء ، والباقون بالياء . ( أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ ) أي : يُرشدكم إلى مقاصدكم إذا سافرتم ( فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ) وقد يَتَنَاهَا فِي ( الْأَنْعَامِ : ٦٣ ، ٩٧ ) وشرحنا ما يليها من الكلمات فيما مضى [ الأعراف : ٥٧ ويونس : ٤ ] إلى قوله : ( وَمَا يَشْعُرُونَ ) يعني مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ( أَبَانَ يُنْعَثُونَ ) أي : متى يُنْعَثُونَ بعد موتهم .

(١) قال ابن كثير : ينبئه تعالى أنه هو المدعو عند الشدائد ، المرجو عند النوازل ، كما قال تعالى : ( وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مِنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهَ ) وقال تعالى : ( ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ) وهكذا قال هاهنا : ( أَمَّنْ يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَا ) أي : مَنْ هُوَ الَّذِي لَا يُلْجَأُ الْمُضْطَرُّ إِلَّا إِلَيْهِ ، والذي لا يكشف ضرر المضروبين سواه ؟ .

(٢) قال ابن كثير : أي أمة بعد أمة وجيلاً بعد جيل وقوماً بعد قوم ، ولو شاء لأوجدكم كلهم في وقت واحد ولم يجعل بعضهم من ذرية بعض ، بل لو شاء خلقتهم كلهم أجمعين كما خلق آدم من تراب ، ولو شاء أن يجعلهم بعضهم من ذرية بعض ولكن لا يميت أحداً حتى تكون وفاة الجميع في وقت واحد ، لكانت تضيق عنهم الأرض وتضيق عليهم معاشهم وأكسابهم ويتضرر بعضهم ببعض ، ولكن اقتضت حكمته وقدرته أن يخلقهم من نفس واحدة ، ثم يكرم غاية الكثرة وينذرهم في الأرض ويجعلهم قروناً بعد قرون وأما بعد أمم حتى يتقضي الأجل وتفرغ البرية ، كما قدر ذلك تبارك وتعالى وكما أحصاهم وعداهم عدداً ، ثم بقيم القيامة ووفي كل عامل عمله إذا بلغ الكتاب أجله ، ولهذا قال : ( أَمَّنْ يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَا وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهَ ) أي : يقدر على ذلك ، أو إلّاه مع الله بعد هذا ، وقد علم أن الله هو المتفرد بفعل ذلك وحده لا شريك له ؟ ! اهـ .

قوله تعالى : ( بَلْ أَذْرَكَ عَلِمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو : « بَلْ أَذْرَكَ » قال مجاهد : « بَلْ » بمعنى « أَمْ » والمعنى : لم يُدْرِكْ عَلِمُهُمْ ، وقال الفراء : المعنى : هل أدرك عَلِمُهُمْ عِلْمُ الْآخِرَةِ ؛ فعلى هذا يكون المعنى : إنهم لا يقفون في الدنيا على حقيقة العِلْمِ بِالْآخِرَةِ . وقرأ نافع ، وابن عامر ، وعاصم ، وحمة ، والكسائي : « بَلْ أَدَارَكَ » على معنى : بل تدارك ، أي : تابع وتلاحق ، فأدغمت الراء في الدال . ثم في معناها قولان .

أحدهما : بل تكامل عِلْمُهُمْ يوم القيامة لأنهم مبعوثون ، قاله الزجاج . وقال ابن عباس : ما جهلوه في الدنيا ، عِلِمُوهُ فِي الْآخِرَةِ .

والثاني : بل تدارك ظَنَّهُمْ و حَدَّثَهُمْ فِي الْحُكْمِ عَلَى الْآخِرَةِ ، فتارة يقولون : إنها كائنة ، وتارة يقولون : لا تكون ، قاله ابن قتيبة . وروى أبو بكر عن عاصم : « بَلْ أَدْرَكَ » على وزن افتعل من أدركت .

قوله تعالى : ( بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا ) أي : بل هم اليوم في شك من القيامة ( بَلْ هُمْ مِنْهَا شَكُّونَ ) قال ابن قتيبة : أي : من عِلْمِهَا . وما بعد هذا قد سبق بيانه [ النحل : ١٢٧ ، المؤمنون : ٣٥ ، ٨٢ ] إلى قوله : ( متى هذا الوعد ) يعنون : العذاب الذي تعدنا . ( قُلْ عسى أن يكون رَدِفَ لَكُمْ ) قال ابن عباس : قَرُبَ لَكُمْ . وقال ابن قتيبة : تَبِعَكُمْ ، واللام زائدة ، كأنه قال : رَدِفَكُمْ . وفي ما تبعم مما استجلوه قولان .

أحدهما : يوم بدر . والثاني : عذاب القبر .

قوله تعالى : ( وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ ) قال مقاتل : على أهل مكة حين لا يجعل عليهم بالعذاب .

قوله تعالى : ( وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ ) أي : ما تخفيه



( وما يُتْلون ) بالسنتهم من عداوتك وخلافك ؛ والمعنى أنه يجازيهم عليه .  
 ( وما مِن غائبة ) أي : وما من جملة غائبة ، ( إلا في كتاب ) يعني اللوح المحفوظ ؛  
 والمعنى : إن عِلْمَ ما يستجلونه من المذاب يَتَيْنُ عند الله وإن غاب عن الخلق .  
 ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقْضِي عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي  
 هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ . وَإِنَّهُ لَهْدَى وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ . إِنَّ رَبَّكَ  
 يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ . فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ  
 إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ . إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمِعُ الصُّمَّ  
 الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ . وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمِّيَّ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ  
 إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ . وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ  
 عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا  
 بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾

( إن هذا القرآن يَقْضِي على بني إسرائيل ) وذلك أن أهل الكتاب اختلفوا فيما  
 بينهم فصاروا أحزاباً يظن بعضهم على بعض ، فزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه ،  
 فلو أخذوا به لسلخوا . ( إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ ) يعني بين بني إسرائيل  
 ( بِحُكْمِهِ ) وقرأ أبو المتوكل ، وأبو عمران الجوني ، وعاصم الجحدري : « بِحِكْمِهِ »  
 بكسر الحاء وفتح الكاف .

قوله تعالى : ( إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى ) قال المفسرون : هذا مثلُ ضربه  
 الله للكفار فشبههم بالموتى .

قوله تعالى : ( وَلَا تَسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ ) وقرأ ابن كثير : « وَلَا يَسْمَعُ  
 الصُّمُّ » بفتح ميم « يَسْمَعُ » ، وضم ميم « الصُّمُّ » .  
 قوله تعالى : ( إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ) أي : أن الصُّمَّ إذا أدبروا عنك ثم

نَادَيْتَهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا ، فَكَذَلِكَ الْكَافِر . ( وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْمُعْمِر ) أي : [ مَا أَنْتَ ]  
بِمُرْشِدٍ مِنْ أَعْمَاءِ اللَّهِ عَنْ الْهَدْيِ ، ( إِنْ تُسْمِعْ ) إِسْمَاعٍ إِفْهَامٍ ( إِلَّا مَنْ )  
يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا ) .

قوله تعالى : ( وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ ) « وقع »  
بمعنى « وجب » .

وفي المراد بالقول ثلاثة أقوال .

أحدها : المذاب ، قاله ابن عباس . والثاني : الغضب ، قاله قتادة . والثالث :  
الحجّة ، قاله ابن قتبية . ومتى ذلك ؟ فيه قولان .

أحدهما : إذا لم يأمرُوا بِمَعْرُوفٍ ، ولم ينهَوْا عَنْ مَنكَرٍ ، قاله ابن عمر ،  
وأبو سعيد الخدري .

والثاني : إذا لم يُرَجَّ صلاحُهُمْ ، حكاه أبو سليمان الدمشقي ، وهو معنى قول  
أبي العالية . والإشارة بقوله : ( عَلَيْهِمْ ) إلى الكفار الذين تخرج الدابة عليهم .  
وللمفسرين في صفة الدابة أربعة أقوال .

أحدها : أنها ذات وبر وريش ، رواه حذيفة بن اليمان عن رسول الله  
ﷺ <sup>(١)</sup> . وقال ابن عباس : ذات زغب وريش لها أربع قوائم .

والثاني : أن رأسها رأس ثور ، وعينها عين خنزير ، وأذنها أذن فيل ،  
وقرنها قرن إبل <sup>(٢)</sup> ، وصدرها صدر أسد ، ولونها لون نمر ، وخاصرتها خاضرة هري ،  
وذنبها ذنب كبش ، وقوائمها قوائم بعير ، بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعاً ، رواه  
ابن جريج عن أبي الزبير .

(١) « الطبري » : ١٥/٢٠ ، قال ابن كثير : ورواه ابن جرير من رواية حذيفة بن اليمان  
مرفوعاً ، وأن ذلك في زمن عيسى بن مريم وهو يطوف بالبيت ، ثم قال : وإسناده لا يصح .  
(٢) بكسر الهمزة وضمة : ذكر الأفعال .

والثالث : أن وجهها وجه رجل ، وسأر خلقها كخلق الطير ،  
قاله وهب .

والرابع : أن لها أربع قوائم وزغباً وريشاً وجناحين ، قاله مقاتل .  
وفي المكان الذي تخرج منه خمسة أقوال .

أحدها : من الصفا . روى حذيفة بن البيان عن النبي ﷺ [ أنه ] قال :  
« بينما عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون ، تضطرب الأرض تحتهم ، وينشق  
الصفا ممّا يلي المسمى ، وتخرج الدابة من الصفا ، أول ما يبدو منها رأسها ،  
ملئمة ذات وبر وريش ، لن يدركها طالب ، ولن يفوتها هارب » <sup>(١)</sup> . وفي  
حديث آخر عن النبي ﷺ أنه قال : « طولها ستون ذراعاً » <sup>(٢)</sup> ، وكذلك قال  
ابن مسعود : تخرج من الصفا . وقال ابن عمر : تخرج من صدع في الصفا  
كجري الفرس ثلاثة أيام وما خرج ثلثها . وقال عبد الله بن عمر : تخرج الدابة  
فيَمَسُّ رأسها السحاب ورجلاها في الأرض ما خرجتا .

والثاني : أنها تخرج من شِعْب أجياد ، روي عن النبي ﷺ <sup>(٣)</sup> ، وعن  
ابن عمر مثله .

والثالث : تخرج من بعض أودية تهامة ، قاله ابن عباس .

والرابع : من بحر سدوم ، قاله وهب بن منبه .

(١) هو الحديث الذي تقدم من رواية ابن جرير الطبري الذي قال فيه ابن كثير :  
إسناده لا يصح .

(٢) ذكره الطبرسي في « مجمع البيان » عن حذيفة مرفوعاً ولم يذكر من رواه ، والله أعلم .

(٣) ذكره السيوطي في « الدر » ١١٧/٥ من رواية ابن مردويه ، واليبقي في « البعث »

عن أبي هريرة رضي الله عنه .

والخامس : أنها تخرج بتهامة بين الصفا والمروة ، حكاها الزجاج . وقد روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « تخرج الدابة معها خاتم سليمان ، وعصا موسى ، تقبل وجه المؤمن بالمصا وتحطم أنف الكافر بالخاتم ، حتى إن أهل البيت ليجتمعون ، فيقول هذا : يا مؤمن ، ويقول هذا : يا كافر » <sup>(١)</sup> . وروى عن النبي ﷺ أنه قال : « كَسِمَ المؤمن بين عينيه وتكتب بين عينيه : مؤمن ، وكَسِمَ الكافر بين عينيه وتكتب بين عينيه : كافر » <sup>(٢)</sup> ، وتصرخ ثلاث صرخات يسميها من بين الخافقين » <sup>(٣)</sup> . وقال حذيفة بن أسيد : إن للدابة ثلاث خرجات ، خرجة في بعض البوادي ثم تنكتم ، وخرجة في بعض القرى ثم تنكتم ، فينما الناس عند أشرف المساجد - يعني المسجد الحرام - إذ ارتفعت الأرض ، فانطلق الناس هرباً ، فلا يفوتونها ، حتى إنها لتأتي الرجل وهو يصلي ، فنقول : أتموذا بالصلاة ، والله ما كنت من أهل الصلاة ، فتخطمهُ ، وتجلو وجه المؤمن <sup>(٤)</sup> . وقال عبد الله بن عمرو :

(١) رواه الطبري : ١٥/٢٠ وفي سنده علي بن زيد بن جدعان ، وهو ضعيف . ورواه الترمذي : ١٥٠/٢ وحسنه ، وذكره السيوطي في « الدر » : ١١٦/٥ وزاد نسبه لأحمد ، وأبي داود الطيالسي ، وعبد بن حميد ، وابن النضر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، والبيهقي في « البث » عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) ذكره الطبري في « مجمع البيان » من رواية حذيفة مرفوعاً بهذا اللفظ ، ولم ينسبه لأحد ، ورواه الطبري من رواية حذيفة بن اليان مرفوعاً بلفظ : كَسِمَ الناس : مؤمن ، وكافر ، أما المؤمن فتترك وجهه كأنه كوكب دري ، وتكتب بين عينيه : مؤمن ، وأما الكافر فتنتك بين عينيه نقطة سوداء : كافر ، وإسناده لا يضح ، كما قال ابن كثير .

(٣) ذكره السيوطي في « الدر » : ١١٧/٥ من رواية ابن مردويه ، والبيهقي في « البث » عن أبي هريرة مرفوعاً .

(٤) رواه الطبري : ١٤/٢٠ من طريقين عن حذيفة بن أسيد موقوفاً ، ورواه أبو داود الطيالسي مرفوعاً من حديث حذيفة بن أسيد ، وذكره السيوطي في « الدر » : ١١٦/٥ من حديث —

إِنهَا تَنَكَّتُ فِي وَجْهِ الْكَافِرِ نُكْتَةً سَوْدَاءَ فَتَفْشُو فِي وَجْهِهِ فَيَسْوَدُّ وَجْهُهُ ،  
وَتَنَكَّتُ فِي وَجْهِ الْمُؤْمِنِ نُكْتَةً يَبْضَاءَ فَتَفْشُو فِي وَجْهِهِ حَتَّى يَبْيَضَّ وَجْهُهُ ،  
فَيَعْرِفُ النَّاسُ الْمُؤْمِنَ وَالْكَافِرَ ، وَلَكَّأَنِّي بِهَا قَدْ خَرَجْتُ فِي عَقَبِ رَكْبٍ  
مِنَ الْحَاجِّ <sup>(١)</sup> .

قوله تعالى : ( تَكَلِّمُهُمْ ) قرأ الآكثرون بتشديد اللام ، فهو من الكلام .  
وفياً تَكَلِّمُهُمْ به ثلاثة أقوال .

أحدها : أنها تقول لهم : إنَّ الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون ، قاله قتادة .  
والثاني : تَكَلِّمُهُمْ بيطلان الأديان سوى دين الإسلام ، قاله السدي .  
والثالث : تقول : هذا مؤمن ، وهذا كافر ، حكاه الماوردي .

وقرأ ابن أبي عبلة ، والجحدري : بتسكين الكاف وكسر اللام [ وفتح التاء ] ،  
فهو [ من ] الكَلَم ؛ قال ثعلب : والمعنى : تجرحهم . وسئل ابن عباس عن القراءتين ،  
فقال : كل ذلك والله تفعله ، تُكَلِّمُ الْمُؤْمِنَ ، وَتَكَلِّمُ الْفَاجِرَ وَالْكَافِرَ ، أي : تجرحه .  
قوله تعالى : ( أَنْ النَّاسَ ) قرأ عاصم ، وحمة ، والكسائي بفتح الهمزة ،  
وكسرها الباقون ؛ فمن فتح أراد : تَكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ ، وهكذا قرأ ابن مسعود ،  
وأبو عمران الجوني : « تَكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ » بزيادة باء مع فتح الهمزة ؛ ومن  
كسر ، فلأنَّ معنى « تَكَلِّمُهُمْ » : تقول لهم : إنَّ الناس ، والكلام قول .

— حذيفة بن أسيد مرفوعاً ، وزاد نسبته لبيد بن حديد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والحاكم ،  
وابن مردويه ، والبيهقي في « البعث » .

(١) رواه الطبري : ١٥/٢٠ بمناه عن عبد الله بن عمر موقوفاً وروى الفقرة الأخيرة منه ، وهي  
قوله : « ولكأني بها قد خرجت في عقب ركب من الحاج » عن عبد الله بن عمرو ، وذكره السيوطي في  
« الدرر » بمناه ١١٥/٥ من رواية عبد بن حميد عن عبد الله بن عمرو .

زاد السير ٦ م (١٣)

﴿ وَيَوْمَ نَخْشِرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بَيِّنَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ . حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِنِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ دَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ . أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَنَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

قوله تعالى : ( وَيَوْمَ نَخْشِرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا ) الفوج : الجماعة من الناس كالزمرة ، والمراد به : الرؤساء والمتبوعون في الكفر ، مُحشروا وأُقيمت الحجة عليهم . وقد سبق معنى ( يُوزَعُونَ ) [ النمل : ١٧ ] . ( حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا ) إلى موقف الحساب ( قَالَ ) الله تعالى لهم : ( أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِنَا ) هذا استفهام إنكار عليهم ووعيد لهم ، ( وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا ) فيه قولان .

أحدهما : لم تعرفوها حق معرفتها .

والثاني : لم تُحيطوا عِلْمًا بيطْلانها . والمعنى : إنكم لم تفكروا في صحتها ، ( أَمْ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ) في الدنيا فيما أمرتكم به ونهيكم عنه ١٩ .

قوله تعالى : ( وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ ) قد شرحناه آنفاً [ النمل : ٨٢ ] ( بِمَا ظَلَمُوا ) أي : بما أشركوا ( فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ) بحجة عن أنفسهم . ثم احتج عليهم بالآية التي تلي هذه . ومعنى قوله : ( وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ) أي : يُبْصِرُ فِيهِ لَا بُتَاءَ الرِّزْقِ .

﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوَةٍ دَاخِرِينَ . وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْتَقَنَ كُلَّ

ثُمَّ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ . مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا  
وَمَنْ مِنْ قَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ . وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ  
وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

قوله تعالى : ( وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ) قال ابن عباس : هذه النفخة الأولى .

قوله تعالى : ( فَقَزَعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ) [قال المفسرون :

المعنى : فيفزع مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ] ، والمراد أنهم ماتوا ، بلغ بهم الفزع  
إلى الموت .

وفي قوله : ( إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ) ثلاثة أقوال .

أحدها : أنهم الشهداء ، قاله أبو هريرة ، وابن عباس ، وسعيد بن جبير .

والثاني : جبريل وميكائيل وإسرافيل ومَلَكُ الموت ، ثم إن الله تعالى يميّتهم

بعد ذلك ، قاله مقاتل .

والثالث : أنهم الذين في الجنة من الحور وغيرهن ، وكذلك مَنْ فِي النَّارِ ،

لأنهم 'خلقوا للبقاء' ، ذكره أبو إسحاق ابن شاقلا من أصحابنا <sup>(١)</sup> .

قوله تعالى : ( وَكُلُّ ) أي : من الأحياء الذين ماتوا ثم أُحْيُوا ( أَتَوْهُ )

وقرأ بحزة ، وحفص عن عاصم : « أَتَوْهُ » بفتح التاء مقصورة ، أي : يأتون الله

يوم القيامة ( دَاخِرِينَ ) قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة : صاغرين . قال

أبو عبيدة : « كُلُّ » لفظه لفظ الواحد ، ومعناه يقع على الجميع ، فهذه الآية في موضع جمع .

قوله تعالى : ( وَتَرَى الْجِبَالَ ) قال ابن قتيبة : هذا يكون إذا نُفِخَ فِي

الصُّورِ ، تُجْمَعُ الْجِبَالُ وتُسَيَّرُ ، فهي لكثرتها تُحَسَبُ ( جَامِدَةً ) أي : واقفة

(١) هو أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن عمر بن حمدان بن شاقلا البزار الحنبلي المتوفى

( ٣٦٩ هـ ) ترجمته في د طبقات الحنابلة ، لابن أبي يعلى ١٢٨/٢ .

( وهي كَمُرٌ ) أي : تسير سير السحاب ، وكذلك كل جيش عظيم يحسبه الناظر من بعيد واقفاً وهو يسير ، لكثرته ، قال الجعدي يصف جيشاً :  
بَارِعْنَ مِثْلَ الطَّوْدِ تَحْسَبُ أَنَّهُمْ

وُقُوفٌ لِحَاجٍ وَالرَّكَابُ تُهَمَلِجُ<sup>(١)</sup>

قوله تعالى : ( صُنِعَ اللَّهُ ) قال الزجاج : هو منصوب على المصدر ، لأن قوله : ( وَتَرَى الْجِبَالِ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً ) دليل على الصنعة ، فكأنه قال : صنع الله ذلك صنعا ، ويجوز الرفع على معنى : ذلك صُنِعَ الله . فأما الإتيان ، فهو في اللغة : إحكام الشيء .

قوله تعالى : ( إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر : « يفعلون » بالياء . وقرأ نافع ، وعاصم ، وحمة ، والكسائي بالتاء . قوله تعالى : ( مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ ) قد شرحنا الحسنة والسيدة في آخر ( الأنعام : ١٦٠ ) .

قوله تعالى : ( فله خير منها ) فيه قولان .

أحدهما : فله خير منها يصل إليه ، وهو الثواب ، قاله ابن عباس ، والحسن ، وعكرمة .

والثاني : فله أفضل منها ، لأنه يأتي بحسنة فيعطى عشر أمثالها ، قاله زيد ابن أسلم .

قوله تعالى : ( وَمَنْ فَرَغَ يَوْمَئِذٍ ) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر : « مَنْ فَرَغَ يَوْمَئِذٍ » مضافاً . وقرأ عاصم ، وحمة ، والكسائي : « مَنْ فَرَغَ » بالتثنية « يَوْمَئِذٍ » بفتح الميم . وقال الفراء : الإضافة أعجب

(١) البيت للناطقة الجعدي ، وهو في « مشكل القرآن » : ٥ ، و « الطبري » : ٢٠/٢١ ،

و « جمع البيان » : ٢٥٧/٢٠ ، و « القرطبي » : ٢٤٢/١٣ ، و « البحر » : ١٠٠/٧ .



إِلَيَّ فِي الرِّمِيَةِ ، لِأَنَّهُ فَرَعَ مَعْلُومٌ ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ : ( لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ ) [الأنبياء : ١٠٣] فَصِيرُهُ مَعْرِفَةٌ ، فَإِذَا أَصْنَفْتَ مَكَانَ الْمَعْرِفَةِ كَانَ أَحَبُّ إِلَيَّ . وَاخْتَارَ أَبُو عُبَيْدَةَ قِرَاءَةَ التَّنْوِينِ وَقَالَ : هِيَ أَعْمُ اثْنَتَاوَيْلَيْنِ ، فَيَكُونُ الْأَمْنُ مِنْ جَمِيعِ فَرَاعِ ذَلِكَ الْيَوْمِ . قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارَسِيُّ : إِذَا نَوَّنَ جَازَ أَنْ يُعْنَى بِهِ فَرَاعٌ وَاحِدٌ ، وَجَازَ أَنْ يُعْنَى بِهِ الْكَثْرَةُ ، لِأَنَّهُ مُصَدَّرٌ ، وَالْمُصَادَرُ تَدُلُّ عَلَى الْكَثْرَةِ وَإِنْ كَانَتْ مُفْرَدَةً الْأَلْفَاظُ ، كَقَوْلِهِ : ( إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ) [لقمان : ١٩] ، وَكَذَلِكَ إِذَا أَضْيَفَ جَازَ أَنْ يُعْنَى بِهِ فَرَاعٌ وَاحِدٌ ، وَجَازَ أَنْ يُعْنَى بِهِ الْكَثْرَةُ ؛ وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ ، الْقِرَاءَتَانِ سَوَاءٌ ، فَإِنْ أُرِيدَ بِهِ الْكَثْرَةُ ، فَهُوَ شَامِلٌ لِكُلِّ فَرَاعٍ يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَإِنْ أُرِيدَ بِهِ الْوَاحِدُ ، فَهُوَ الْمَشَارُ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ : ( لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ ) [الأنبياء : ١٠٣] . وَقَالَ ابْنُ السَّائِبِ : إِذَا أُطْبِقَتِ النَّارُ عَلَى أَهْلِهَا فَرَعُوا فَرَاعَةً لَمْ يَفْزَعُوا مِثْلَهَا ، وَأَهْلُ الْجَنَّةِ آمَنُونَ مِنْ ذَلِكَ الْفَرَاعِ .

قَوْلُهُ تَعَالَى : ( وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ ) قَالَ الْمَفْسُورُونَ : هِيَ الشَّرِكُ ( فَكَبَّتْ وَجُوهُهُمْ ) يُقَالُ : كَبَبْتُ الرَّجُلَ : إِذَا أَلْقَيْتَهُ لَوَجْهِهِ ؛ وَتَقُولُ لَهُمْ خَزَنَةُ جَهَنَّمَ : ( هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ) أَيِ : إِلَّا جَزَاءَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الشَّرِكِ .

﴿ إِنَّمَا أَمِرتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمِرتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ . وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُسْتَذِرِينَ . وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيَّرَ بِكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾

قوله تعالى : ( إِنَّمَا أُمِرْتُ ) المعنى : قل للمشركين : إِنَّمَا أُمِرْتُ ( أَنْ  
أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا ) وقرأ ابن مسعود ، وأبو عمران الجوني : « التي  
حَرَّمَهَا » ، وهي مكة ، وتحريمها : تعظيم حرمتها بالمنع من القتل فيها والسبي والكف  
عن صيدها وشجرها <sup>(١)</sup> ، ( وله كُلُّ شَيْءٍ ) لأنه خالقه ومالكه ، ( وَأُمِرْتُ  
أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ) أي : من المخلصين لله بالتوحيد ، ( وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ )  
عليكم ( فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ) أي : فله ثواب اهتدائه ( وَمَنْ ضَلَّ )  
أي : أخطأ [ طريق ] الهدى ( فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ ) أي : ليس  
عليّ إلا البلاغ ؛ وذكر المفسرون أن هذا منسوخ بآية السيف . ( وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ )  
أي : قُلْ لِمَنْ ضَلَّ : الحمد لله الذي وفقنا لقبول ما امتنع منه ( سيرىكم آياته ) .  
ومتى يريهم ؛ فيه قولان .

أحدهما : في الدنيا . ثم فيها <sup>(٢)</sup> ثلاثة أقوال . أحدها : أن منها الدخان والشقاق القمر ،  
وقد أرام ذلك ، رواه أبو صالح عن ابن عباس . والثاني : سيرىكم آياته [ فتعرفونها ] <sup>(٣)</sup>  
في السماء ، وفي أنفسكم ، وفي الرزق ، قاله مجاهد . والثالث : القتل يدر ، قاله مقاتل .  
والثاني : سيرىكم آياته في الآخرة فتعرفونها على ما قال في الدنيا ،  
قاله الحسن .

(١) قال ابن كثير : وقوله : ( الذي حَرَّمَهَا ) أي : الذي إذا صارت حراماً شرعاً  
وقدراً بتحريمه لها ، كما ثبت في « الصحيحين » عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ  
يوم فتح مكة : « إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض ، فهو حرام بحرمه الله  
إلى يوم القيامة ، لا يعضد شوكه ، ولا ينقش صيده ، ولا يلقت لقطته إلا من عرفها ،  
ولا يحتلى خلاها . » الحديث بتمامه . اهـ . وهو في البخاري ٤/٤٢ ، ومسلم ٢/٩٨٦ ، ومعنى « لا يعضد » :  
لا يقطع ، وقوله : « ولا يحتلى خلاها » : الخلا : الرطب من النبات ، واختلاؤه : قطعه واحتشاشه .  
(٢) أي : الآيات . (٣) زيادة من الطبري .

قوله تعالى : ( وما ربك بغافل عما تعملون )<sup>(١)</sup> وقرأ نافع ، وابن عامر ،  
وحفص عن عاصم : « تعملون » بالتاء ، على معنى : قل لهم . وقرأ الباقر بن الباقون بالياء ،  
على أنه وعيد لهم بالجزاء على أعمالهم .




---

(١) قال ابن جرير الطبري : وقوله : ( وما ربك بغافل عما تعملون ) : يقول تعالى ذكره :  
وما ربك يا محمد بغافل عما يعمل هؤلاء المشركون ، ولكن لهم أجل م بالنعوة ، فإذا بلغت فلا يستأخرون  
ساعة ولا يستقدمون ، قال : يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ : فلا يحزنك تكذيبهم إياك ،  
فاني من وراء إهلاكهم ، وإني لهم بالمرصاد ، فأيقن لنفسك بالنصر ، ولمدوك بالذل والخزي . اهـ .

## سورة القصص

وهي مكتبة كلها غير آية منها، وهي قوله : ( إن الذي فرض عليك القرآن ) [القصص : ٨٥] فانها نزلت عليه وهو بالجحفة في وقت خروجه للهجرة ، هذا قول ابن عباس . وروي عن الحسن ، وعطاء ، وعكرمة : أنها مكتبة كلها . وزعم مقاتل : أن فيها من المدني ( الذين آتيناكم الكتاب من قبله هم به يؤمنون ) [القصص : ٥٢] إلى قوله : ( لا تبغى الجاهلين ) [القصص : ٥٥] . وفيها آية ليست بمكية ولا مدنية وهي قوله : ( إن الذي فرض عليك القرآن ) [القصص : ٨٥] نزلت بالجحفة .

### بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ طسم . تلك آيات الكتاب المبين . تتلوها عليكم من نبي موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون . إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستخفي نساءهم إنه كان من المفسدين . ويريد أن ننزل عسى الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ويري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ﴾

قوله تعالى : ( طَسَمَ ) قد سبق تفسيره [ الشعراء ] .

قوله تعالى : ( إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ ) أي : طغى وتجبر في أرض مصر ( وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ) أي : فرقاً وأصنافاً في خدمته ( يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ ) وهم بنو إسرائيل ، واستضعافه إياهم : استعبادهم ، ( إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ) بالقتل والعمل بالمعاصي . ( يَذَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ ) وقرأ أبو رزين ، والزهرى ، وابن محيصن ، وابن أبي عملة : « يَذَّبِحُ » بفتح الياء ومكون الذال خفيفة .

قوله تعالى : ( وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ ) أي : نُنعم ( عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا ) وهم بنو إسرائيل ، ( وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً ) يُقتدى بهم في الخير ؛ وقال قتادة : « وُلَاةٌ وَمُلُوكٌ » ( وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ) لِمُلْكِ فِرْعَوْنَ بعد غرقه .

قوله تعالى : ( وَنُرِيَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا ) وقرأ حمزة ، والكسائي ، وخلف : « وَبَرِيَّ » بياء مفتوحة وإمالة الألف التي بعد الراء « فِرْعَوْنُ وَهَامَانُ وَجُنُودُهُمَا » بالرفع . ومعنى الآية : أنهم أخبروا أن هلاكهم على يَدَيَّ رجل من بني إسرائيل ، فكانوا على وجل منهم ، فأراهم الله ما كانوا يحذرون .

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَنقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ . قَالَتِ قَطْطُهُ آلُ فِرْعَوْنَ لَيْسَ كُونُ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ . وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتْ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عسىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا بَشِيرُونَ ﴾

قوله تعالى : ( وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ ) فيه ثلاثة أقوال .

أحدها : أَنَّهُ إلهام ، قاله ابن عباس . والثاني : أَنَّ جبريل أُنْهَاهَا بِذَلِكَ ،

قاله مقاتل . والثالث : أنه كان رؤيا منام ، حكاه الماوردي . قال مقاتل : واسم أم موسى « يوخابذ » .

قوله تعالى : ( أَنْ أَرْضِعِيهِ ) قال المفسرون : كانت امرأة من القوابل مصافية لأم موسى ، فلما وضعت تولدت أمرها ثم خرجت فراها بعض الميون فجاؤوا ليدخلوا على أم موسى ، فقالت أخته : يا أمّاه هذا الحرس بالباب ، فقلت موسى في خرقه ووضعت في التنّور وهو مسجّر ، فدخلوا ثم خرجوا ، فقالت لأخته : أين الصبي ؟ قالت : لا أدري ، فسمعت بكاء من التنّور فاطلعت وقد جعل الله عليه النّار برّداً وسلاماً <sup>(١)</sup> ، فأرضعته بعد ولادته ثلاثة أشهر ، وقيل : أربعة أشهر ، فلما خافت عليه صنعت له التابوت <sup>(٢)</sup> .

وفي قوله : ( فَاذَا خِفْتِ عَلَيْهِ ) قولان .

أحدهما : إذا خِفْتِ عليه القتل ، قاله مقاتل .

والثاني : إذا خِفْتِ [ عليه ] أَنْ يصيح أو يبكي فيسمع صوته ، قاله

ابن السائب .

وفي قوله : ( وَلَا تَخَافِي ) قولان .

(١) هذه القصة ذكرها بعض المفسرين مصدرة بكلمة « روي » ، ولم يذكروا من خرجها ولا من

رويت عنه ، ولعلها من الاسرائيليات ، والله أعلم .

(٢) وألقته في اليم - أي البحر - وهو النيل . قال ابن جرير الطبري : وأولى قول

قيل في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذكره أمر أم موسى أن ترضعه ، فإذا خافت عليه من عدو الله فرعون وجنده ، أن تلقية في اليم ، وجائز أن تكون خافهم عليه بعد أشهر من ولادها إياه ، وأي ذلك كان ، فقد فعلت ما أوحى الله إليها فيه ، ولا خبر قامت به حجة ، ولا فطرة في العقل لبيان أي ذلك كان من أيّ ، فأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال كما قال جل ثناؤه ، قال : واليم الذي أمرت أن تلقية فيه هو النيل . اهـ .

أحدهما : أن يفرق ، قاله ابن السائب . والثاني : أن يضيع ، قاله مقاتل <sup>(١)</sup> .  
وقال الأصمعي : قلت لأعرابية : ما أفصحك فقالت : أو بعد هذه الآية  
فصاحة وهي قوله : « وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه ، فإذا خفت عليه فألقيه  
في اليم ، ولا تخافي ولا تحزني ، إننا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين » جمع فيها  
بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين ؛

قوله تعالى : ( فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ ) الالتقاط : إصابة الشيء من غير طلب .  
والمراد بآل فرعون : الذين تولوا أخذ التابوت من البحر .

وفي الذين التقطوه ثلاثة أقوال .

أحدها : جوارى امرأة فرعون ، قاله السدي . والثاني : ابنة فرعون ،  
قاله محمد بن قيس . والثالث : أعوان فرعون ، قاله ابن إسحاق .  
قوله تعالى : ( لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا ) أي : ليصير بهم الأمر إلى ذلك ،  
لا أنهم أخذوه لهذا ، وهذه اللام تسمى لام العاقبة ، وقد شرحناها في ( يونس : ٨٨ ) .  
والمفسرين في معنى الكلام قولان .

أحدهما : ليكون لهم عدوًّا في دينهم وحزنا لما يصنمه بهم .  
والثاني : عدوًّا لرجالهم وحزنا على نساءهم ، فقتل الرجال بالفرق ، واستعبد  
النساء . ( وقالت امرأة فرعون ) وهي آسية بنت مزاحم ، وكانت من بني إسرائيل  
تزوجها فرعون : ( قُرَّةُ عَيْنٍ ) قال الزجاج : رفع « قُرَّةُ عَيْنٍ » على إضمار  
« هو » . قال المفسرون : كان فرعون لا يولد له إلا البنات ، فقالت : ( عسى

---

(١) قال ابن جرير الطبري : وقوله : ( ولا تخافي ولا تحزني ) يقول : لا تخافي على ولدك  
من فرعون وجنده أن يقتلوه ، ولا تحزني لفراقه .

أَنْ يَنْقُضَا ) فَتُصِيبُ مِنْهُ خَيْرًا ( أَوْ تَتَّخِذَهُ وَلَدًا ) ، ( وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ) فِيهِ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ .

أحدها : لَا يَشْعُرُونَ أَنََّّهُ عَدُوٌّ لَهُمْ ، قَالَه مجاهد . والثاني : أَنَّ هَلَاكَهُمْ عَلَى يَدَيْهِ ، قَالَه قتادة . والثالث : لَا يَشْعُرُ بِنُزُولِ إِسْرَائِيلَ أَنَّهَا التَّقْطِنَاءُ ، قَالَه محمد ابن قيس . والرابع : لَا يَشْعُرُونَ أَنِّي أَفْعَلُ مَا أُرِيدُ لَا مَا يَرِيدُونَ ، قَالَه محمد ابن إسحاق <sup>(١)</sup> .

﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِنْ كَادَتْ تُتْبِدِي بِهِ كَوْلًا إِنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْكِمِينَ . وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ . وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ . فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلَنَعْلَمَنَّ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ قوله تعالى : ( وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ) فِيهِ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ .

أحدها : فَارِغًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ ذِكْرِ مُوسَى ، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس ، وبه قال مجاهد ، وعكرمة ، وقتادة ، والضحاك .

والثاني : أَصْبَحَ فُؤَادُهَا فَزَعًا ، رواه الضحاك عن ابن عباس ، وهي قِرَاءَةُ أَبِي رَزِين ، وَأَبِي الْعَالِيَةِ ، وَالضَّحَّاك ، وَقَتَادَةَ ، وَعَاصِمِ الْجَحْدَرِيِّ ، فَانْهَمَ قُرُؤُوا : « فَزَعًا » بِزَايٍ مَجْنُوعَةٍ .

والثالث : فَارِغًا مِنْ وَحِينَا بِفَسِيَانِهِ ، قَالَه الحسن ، وابن زيد .

(١) قال ابن جرير الطبري : والصواب من القول في ذلك قول من قال : معنى ذلك : وفرعون وآله لَا يَشْعُرُونَ بِمَا هُوَ كَاتِبٌ مِنْ هَلَاكِهِمْ عَلَى يَدَيْهِ .



والرابع : فارغاً من الحزن ، لِعِلْمِهَا أَنَّهُ لَمْ يُقْتَلْ ، قاله أبو عبيدة . قال ابن قتيبة : وهذا من أعجب التفسير ، كيف يكون كذلك والله يقول : ( لولا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا ) ؟ ! وهل يُرَبِّطُ إِلَّا عَلَى قَلْبِ الْجَاذِعِ الْحَزُونَ ؟ ! قوله تعالى : ( إِنْ كَادَتْ تُتْبِدِي بِهِ ) في هذه الهاء قولان .

أحدهما : أنها ترجع إلى موسى . ومتى أرادت هذا ؟ فيه ثلاثة أقوال . أحدها : أنه حين فارقتنه ؛ روى سعيد بن جبير عن ابن عباس [ أنه ] قال : كادت تقول : يَا بُنَيَّاه . قال قتادة : وذلك من شدة وجدها . والثاني : حين مُحِلَّتْ لِرِضَاعِهِ ثُمَّ كَادَتْ تَقُولُ : هو ابني ، قاله السدي . والثالث : أَنَّهُ لَمَّا كَبُرَ وَسَمِعَتِ النَّاسَ يَقُولُونَ : موسى بن فرعون ، كادت تقول : لا بل هو ابني ، قاله ابن السائب .

والقول الثاني : أنها ترجع إلى الوحي ؛ والمعنى : إِنْ كَادَتْ تُتْبِدِي بِالْوَحْيِ ،

حكاه ابن جرير .

قوله تعالى : ( لَوْلا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا ) قال الزجاج : المعنى : لولا ربطنا على قلبها ، وَالرَّبُّطُ : إلهام الصبر وتشديد القلب وتقويته .

قوله تعالى : ( لِيَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ) أي : من المُصَدِّقِينَ بوعد الله . ( وَقَالَتْ لِأَخْتِهِ مُقْصِيَه ) قال ابن عباس : مُقْصِي أَثَرِهِ وَاطْلُيْهِ هَل تَسْمَعِينَ لَهُ ذِكْرًا ، [ أي ] : أحيي هو ، أو قد أكلته السواب ؟ ونسيت الذي وعدها الله فيه . وقال وهب : إِنَّمَا قَالَتْ لِأَخْتِهِ : مُقْصِيَه ، لِأَنَّهَا سَمِعَتْ أَنَّ فِرْعَوْنَ قَدْ أَصَابَ صَبِيًّا فِي تَابُوتٍ . قال مقاتل : واسم أخته : مريم . قال ابن قتيبة : ومعنى « مُقْصِيَه » : مُقْصِي أَثَرَهُ وَاتَّبَعِيهِ ( فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ ) أي : عن

«بَعْدَ مِنْهَا عَنْهُ وَإِعْرَاضٍ ، لثَلَاثَ يَفْطَنُوا ، وَ الْمَجَانِبَةُ مِنْ هَذَا . وَقَرَأَ أَبِي  
ابن كعب ، وَأَبُو بَجَلَز : « عَنْ جَنْابِ » يَفْتَحُ الْجِيمَ وَالنُّونَ وَبِأَلْفٍ بَعْدَهَا .  
وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودَ ، وَأَبُو عَمْرَانَ الْجَوْنِي : « عَنْ جَانِبِ » يَفْتَحُ الْجِيمَ وَكَسَرَ  
النُّونَ وَبَيْنَهُمَا أَلْفٌ . وَقَرَأَ قَتَادَةُ ، وَأَبُو الْعَالِيَةِ ، وَعَاصِمُ الْجَحْدَرِي : « عَنْ جَنْبِ »  
يَفْتَحُ الْجِيمَ وَإِسْكَانَ النُّونَ مِنْ غَيْرِ أَلْفٍ .

قوله تعالى : ( وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ) فِيهِ قَوْلَانِ .

أحدهما : وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ أَنَّهُ عَدُوٌّ لَهُمْ ، قَالَ مُجَاهِدٌ .

وَالثَّانِي : لَا يَشْعُرُونَ أَنَّهَا أُخْتُهُ ، قَالَ السَّيِّدِي .

قوله تعالى : ( وَحَرَّامُنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعُ ) وَهِيَ جَمْعُ مُرَضِعٍ ( مِنْ قَبْلِ )

أَي : مِنْ قَبْلِ أَنْ نَرُدَّاهُ عَلَى أُمِّهِ ، وَهَذَا تَحْرِيمٌ مَنَعٌ ، لَا تَحْرِيمٌ شَرْعٌ . قَالَ  
الْمُفَسِّرُونَ : بَقِيَ ثَمَانِيَةُ أَيَّامٍ وَلِيَالِيَهُنَّ ، كَلَّمَا أَبِي بِمُرَضِعٍ لَمْ يَقْبَلْ نَدِيهَا ، فَاهْتَمُّهُمْ  
ذَلِكَ وَاشْتَدَّ عَلَيْهِمْ ( فَقَالَتْ ) لَهَا أُخْتُهُ : ( هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ  
لَكُمْ ) فَقَالُوا لَهَا : نَعَمْ ، مَنْ تِلْكَ ؟ فَقَالَتْ : أُمِّي ، قَالُوا : وَهَلْ لَهَا ابْنٌ ؟  
قَالَتْ : ابْنُ هَارُونَ . فَلَمَّا جَاءَتْ قَبِيلَ نَدِيهَا . وَقِيلَ : إِنَّهَا لَمَّا قَالَتْ : ( وَهُمْ لَهُ  
نَاصِحُونَ ) قَالُوا : لِمَلِكٍ تَرْفِينُ أَهْلَهُ ، قَالَتْ : لَا ، وَلَكِنِّي إِنَّمَا قُلْتُ : وَهُمْ  
لِلْمَلِكِ نَاصِحُونَ .

قوله تعالى : ( فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ ) . قَدْ شَرَحْنَاهُ فِي ( طه : ٤٠ ) .

قوله تعالى : ( وَلَيَعْلَمَنَّ أَنْ وَعَدَ اللَّهُ ) بِرَدِّ وَلِهَا ( حَقٌّ ) وَهَذَا عَلِيمٌ  
عَيَّانٌ وَمَشَاهِدَةٌ ( وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ) أَنَّ اللَّهَ وَعَدَهَا أَنْ يَرُدَّاهُ إِلَيْهَا .

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ  
 نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ . وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا  
 فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ  
 فَاسْتَفَانَهُ الَّذِي مِّنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِّنْ عَدُوِّهِ فَوَكَّزَهُ  
 مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالِ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ  
 مُّبِينٌ . قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ  
 الْغَفُورُ الرَّحِيمُ . قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا  
 لِلْمُجْرِمِينَ ﴾

( وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ) قد فسرنا هذه الآية في سورة ( يوسف : ٢٢ ) ، وكلامُ  
 المفسرين في لفظ الآيتين متقارب ، إلا أنهم فرقوا بين بلوغ الأشدِّ وبين  
 الاستواء ؛ فأما بلوغ الأشدِّ ، فقد سلف بيانه [ الانعام : ١٥٢ ] .  
 وفي مدة الاستواء لهم قولان .

أحدهما : أنه أربعون سنة ، قاله مجاهد ، وقتادة ، وابن زيد .  
 والثاني : ستون سنة ، ذكره ابن جرير . قال المفسرون : مكث عند أمِّه  
 حتى قطمته ، ثم ردَّته إليهم ، فنشأ في حِجْر فرعون وامراته واتخذاه ولداً .  
 قوله تعالى : ( ودخل المدينة ) فيها قولان .

أحدهما : أنها مصر . والثاني : مدينة بالقرب من مصر .  
 قال السدي : ركب فرعون يوماً وليس عنده موسى ، فلما جاء موسى  
 ركب في إثره فأدركه المقيِّل في تلك المدينة . وقال غيره : لما توهَّم فرعون  
 في موسى أنه عدوه أمر باخراجه من مدينته ، فلم يدخل إلا بعد أن كبير  
 فدخلها يوماً ( على حين غفلة من أهلها ) .

وفي ذلك الوقت أربعة أقوال .

أحدها : أنه كان يوم عيد لهم ، وكانوا قد اشتغلوا فيه بلهوهم ، قاله علي عليه السلام .

والثاني : أنه دخل نصف النهار ، رواه جماعة عن ابن عباس ، وبه قال سعيد ابن جبير .

والثالث : بين المغرب والمشاء ، قاله وهب بن منبه .

والرابع : أنهم لما أخرجوه لم يدخل عليهم حتى كبر ، فدخل على حين غفلة عن ذكره ، لأنه قد نسي أمره ، قاله ابن زيد .

قوله تعالى : ( هذا من شيعته ) أي : من أصحابه من بني إسرائيل ( وهذا من عدوه ) أي : من أعدائه من القبط ، والعدو يذكر الواحد وللجمع . قال الزجاج : وإنما قيل في الغائب : « هذا » و « هذا » ، على جهة الحكاية للحضرة ؛ والمعنى : أنه إذا نظر إليهما الناظر قال : هذا من شيعته ، وهذا من عدوه . قال المفسرون : وإن القبطي كان قد سخر الإسرائيلي أن يحمل خطباً إلى مطبخ فرعون ( فاستغاثه ) أي : فاستنصره ، ( فوكزه ) قال الزجاج : الوكز : أن يضربه بجميع كفه <sup>(١)</sup> . وقال ابن قتيبة : « فوكزه » أي : لكزه ، يقال : وكزته ولكزته ولهزته : إذا دفعتنه ، ( ففضى عليه ) أي : قتله ؛ وكل شيء فرغت منه فقد قضيته وقضيت عليه . والمفسرين فيما وكزه به قولان .

أحدهما : كفه ، قاله مجاهد . والثاني : عصاه ، قاله قتادة .

فلما مات القبطي ندم موسى لأنه لم يرد قتله ، و ( قال هذا من عمل الشيطان ) أي : هو الذي هيّج غضبي حتى ضربت هذا ، ( إنه عدو )

(١) كذا الأصل ، والذي في اللسان ، عن الزجاج : الوكز : أن يضرب بجمع كفه ، وهو كذلك في كتب اللغة .

لأبن آدم ( مُضِلٌّ ) له ( مُبِينٌ ) عداوته . ثم استغفر فـ ( قال رب إني ظَلَمْتُ نَفْسِي ) أي : بقتل هذا ، ولا ينبغي لني أن يقتل حتى يُؤْمَرَ . ( قال رب بما أُنمِتَ عليّ ) بالمغفرة ( فلن أكون ظهيراً للمُجْرِمِينَ ) قال ابن عباس : عوناً للكافرين . وهذا يدلُّ على أن الإسرائيليين الذي أعانه موسى كان كافراً .

﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ . فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْطَشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَامُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ . وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَفْصَا الْمَدِينَةِ يَسْمَى قَالَ يَامُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنْكَ لَكِ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾

قوله تعالى : ( فأصبح في المدينة ) وهي التي تتل بها القبطي ( خائفاً ) على نفسه ( يترقب ) أي : ينتظر سوءاً يناله منهم ويخاف أن يقتل به ( فإذا الذي استنصره بالأمس ) وهو الإسرائيلي ( يستصرخه ) أي : يستغيث به على قبطي آخر أراد أن يسخره أيضاً ( قال له موسى ) في هاء الكناية قولان .

أحدهما : أنها ترجع إلى القبطي . والثاني : إلى الإسرائيليين ، وهو أصح . فعلى الأول يكون المعنى : ( إِنَّكَ لَغَوِيٌّ ) بنسخيرك وظلمك . وعلى الثاني فيه قولان .

أحدهما : أن يكون الغويُّ بمعنى المُتَوَيِّ ، كالأليم والوجيع بمعنى المولم زاد المسير ٦ م (١٤)

والموجع ؛ والمعنى : إِنَّكَ لَمْ تُضِلْ حين قُلتُ بِالْأَمْسِ رجلاً بسببك ، وتدعوني اليوم إلى آخر .

والثاني : أن يكون الغوي بمعنى الفاوي ؛ والمعنى : إِنَّكَ غَاوٍ في قتالك من لا تطبق دفع شره عنك .

قوله تعالى : ( فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا ) أي : بالقبطي ( قال ياموسى ) هذا قول الإسرائيليين من غير خلاف علمناه بين المفسرين ؛ قالوا : لَمَّا رَأَى الإسرائيلِيُّ غَضَبَ مُوسَى عَلَيْهِ حين قال [ له ] : « إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ » وَزَادَ قَدْ هَمَّ أَنْ يَبْطِشَ بِالْفِرْعَوْنِيِّ ، ظَنَّ أَنَّهُ يَرِيدُهُ فَخَافَ عَلَى نَفْسِهِ فَ ( قال ياموسى أريد أن تقتلني ) وكان قوم فرعون لم يعلموا مَنْ قَانِلُ الْقِبطِي ، إِلَّا أَنَّهُمْ أَتَوْا إِلَى فِرْعَوْنَ فَقَالُوا : إِنْ بِي إِسْرَائِيلُ قَتَلُوا رَجُلًا مِنَّا فَخُذْ لَنَا بِحَقِّنَا ، فَقَالَ : ابْنُونِي قَاتِلَهُ وَمَنْ يَشْهَدُ عَلَيْهِ لَأَخْذَ لَكُمْ حَقَّكُمْ ، فَبَيْنَا هُمْ يَطُوفُونَ وَلَا يَدْرُونَ مَنْ الْقَاتِلُ ، وَقَعَتْ هَذِهِ الْخُصُومَةُ بَيْنَ الإِسْرَائِيلِيِّ وَالْقِطْبِيِّ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي ، فَلَمَّا قَالَ الإِسْرَائِيلِيُّ لِمُوسَى : « أُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ » انْطَلَقَ الْقِطْبِيُّ إِلَى فِرْعَوْنَ فَأَخْبَرَهُ أَنَّ مُوسَى هُوَ الَّذِي قَتَلَ الرَّجُلَ ، فَأَمَرَ بِقَتْلِ مُوسَى ، فَعَلِمَ بِذَلِكَ رَجُلٌ مِنْ شِيعَةِ مُوسَى فَأَتَاهُ فَأَخْبَرَهُ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ : ( وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يُسَمَّى ) . فَأَمَّا الْجَبَّارُ ، فَقَالَ السَّيْدِي : هُوَ الْقَتَّالُ ، وَقَدْ شَرَحْنَاهُ فِي ( هُود : ٥٩ ) ، وَأَقْصَى الْمَدِينَةِ : آخِرُهَا وَأَبْجَدُهَا ، وَيُسَمَّى ، بِمَعْنَى يُسْرِعُ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : وَهَذَا الرَّجُلُ هُوَ مُؤْمِنٌ آلِ فِرْعَوْنَ ، وَسَيَّئِي الْخِلَافِ فِي اسْمِهِ فِي سُورَةِ ( الْمُؤْمِنِينَ : ٢٨ ) . فَأَمَّا الْمَلَأُ ، فَهِيَ الْوُجُوهُ مِنَ النَّاسِ وَالْأَشْرَافُ . وَفِي قَوْلِهِ : ( يَا مَعْرُونُ بِكَ ) ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ .

أحدها : يتشاورون فيك ليقتلوك ، قاله أبو عبيدة . والثاني : يهْمُونَ بك ،

قاله ابن قتيبة . والثالث : يأمر بعضهم بعضاً بقتلك ، قاله الزجاج .

﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ . وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ . وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْتَقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءَ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ . فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَكَّلَى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ . فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَآصَ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ . قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ . قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا قَبْلَ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلُكَ عَلَيْكَ فَتَعَدُّنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ . قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾

قوله تعالى : ( فخرج منها ) أي : من مصر ( خائفاً ) وقد مضى تفسيره

[ القصص : ١٨ ] .

قوله تعالى : ( نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ) يعني المشركين أهل مصر .

( وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ ) قال ابن قتيبة : أي : تَجَاهَ مَدْيَنَ

ونحوها ، وأصله : اللِّقَاءُ ، وزيدت فيه التاء ، قال الشاعر :

[أَمَلْتُ خَيْرَكَ هَلْ نَأْتِي مَوَاعِدُهُ] فاليوم قَصَّرَ عَنْ تِلْقَائِكَ الْأَمَلُ<sup>(١)</sup>  
أي : عن لقاءك .

قال المفسرون : خرج خائفاً بغير زاد ولا ظهر<sup>(٢)</sup> ، وكان بين مصر ومَدِينِ  
مسيرة ثمانية أيام ، ولم يكن له بالطريق عِلْمٌ ، ف ( قال عسى ربِّي أن يَهْدِيَنِي  
مَبْوَأَ السَّبِيلِ ) أي : قَصْدَهُ . قال ابن عباس : لم يكن له عِلْمٌ بالطريق إِلَّا حَسَنُ  
ظَنِّهِ بِرَبِّهِ . وقال السدي : بعث الله له مَلَكاً فدلَّه ، قالوا : ولم يكن له في  
طريقه طعام إِلَّا ورق الشجر ، فورد ماء مَدِينِ وخُضْرَةُ البقل تراهي في بطنه  
من الهُزَال ؛ والأُمَّة : الجماعة ، وم الرعاة ، ( يَسْتَفُونَ ) مواشيهم ( ووجد  
مِنْ دُونِهِمْ ) أي : مِنْ سِوَى الْأُمَّةِ ( امرأتين ) وهما ابنتا شعيب ؛ قال مقاتل :  
واسم الكبرى : صبورا<sup>(٣)</sup> والصغرى : عبداً ( تذودان ) قال ابن قتيبة : أي :  
تَكْفُفَانِ غَنَمَهُمَا ، فحذف الغنم اختصاراً . قال المفسرون : وإنما فَعَلْنَا ذَلِكَ لِيَقْرُغَ  
الناس وتخلو لهما البئر ، قال موسى : ( ماخِطُبُكُما ) أي : ماشأنكما لاتسقيان ؟  
( قالتا لاتسقي ) وقرأ ابن مسعود ، وأبو الجوزاء ، وابن يعمر ، وابن السميعف :  
« لاتسقي » برفع النون ( حتى بُصِّدِرَ الرَّعَاءُ ) وقرأ أبو عمرو ، وابن عامر ،  
وأبو جعفر : « يَبْصُدُّرَ » بفتح الياء وضم الدال ، أي : حتى يرجع الرَّعَاءُ . وقرأ  
الباقون : « يُبْصَدِرُ » بضم الياء وكسر الدال ، أرادوا : حتى يَرُدُّ الرَّعَاءُ غَنَمَهُمْ  
عن الماء . والرَّعَاءُ : جمع راعٍ ، كما يقال : صاحب وصِحاب . وقرأ عكرمة ،

(١) البيت للراعي النبطي ، وهو في « غريب القرآن » : ٣٣١ ، و « الصحاح » و « اللسان »

و « التاج » : لقي .

(٢) الظُّهْر : الدابة التي يركب ظهرها من حمل ونحوه .

(٣) في الآلومي : صفوراء ، وقيل : صفوريا . وفي « الكشاف » اسم الكبرى : صفراء ،

واسم الصغرى : صفراء . والله أعلم بذلك ، ولا يتعلق بمعرفة اسميها حكم شرعي .



وسميد بن جبير ، وابن يعمر ، وعاصم الجحدري : « الرِّعَاء » بضم الراء ، والمعنى : نحن امرأتان لانستطيع أن نزاحم الرجال ( وأبونا شيخ كبير ) لا يَتَدَر أن يسقي ماشيته من الكبير ؛ فلذلك احتججنا نحن إلى أن نسقي ، وكانت على تلك البئر صخرة عظيمة ، فاذا فرغ الرِّعاء من سقيهم أعادوا الصخرة ، فتأتي المرأتان إلى فضول حياض الرِّعاء فتسقيان غنمهما . ( فسقى لهما ) موسى .

وفي صفة ماصنع قولان .

أحدهما : أنه ذهب إلى بئر أخرى عليها صخرة لا يقتلها إلا جماعة من الناس ، فاقتلها وسقى لهما ، قاله عمر بن الخطاب <sup>(١)</sup> ، وشريح .  
والثاني : أنه زاحم القوم على الماء ، وسقى لهما ، قاله ابن إسحاق ، والمعنى : سقى غنمها لأجلها .

( ثم تولَّى ) أي : انصرف ( إلى الظِّلِّ ) وهو ظل شجرة ( فقال ربِّ إِنِّي لِمَا اللام بمعنى إلى ، فتقديره : إِنِّي إلى ما ) أُنزِلْتُ إِلَيَّ مِنْ خَيْبَرٍ فَقِيرٌ ( وأراد بالخير : الطعام <sup>(٢)</sup> . وحكى ابن جرير أنه أسمع المرأتين

(١) قال السيوطي في « الدر » ١٢٤/٥ : أخرج الفريابي ، وابن أبي شيبة في « المصنف » وعبد بن حميد ، وابن النذر ، وابن أبي حاتم ، والحاكم وصححه ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : إن موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ، فلما فرغوا أعادوا الصخرة على البئر ، ولا يطيق رفعها إلا عشرة رجال ، فاذا هو بامرأتين ، قال : ما خطبكما ، فحدثناه ، فأثني الصخرة فرفعا وحده ، ثم استقى ، فلم يستق إلا دلوأ واحداً حتى رويت الغنم . . . الحديث بطوله ، وقد ذكره ابن كثير في « تفسيره » من رواية ابن أبي شيبة مختصراً هكذا ، وقال : إسناده صحيح .

(٢) قال ابن كثير : قال ابن عباس : سار موسى من مصر إلى مدين ليس له طعام إلا البقل وورق الشجر ، وكان حافياً ، فلما وصل إلى مدين حتى سقطت نعل قدميه ، وجلس في الظل وهو صفوة الله من خلقه وإن بطنه للاسق بظلمه من الجوع ، وإن خضرة البقل لترى من داخل جوفه ، وإنه ل يحتاج إلى شق ثمرة .

هذا الكلام تمريراً أن تُطعمهما . ( فجاءته إحداهما ) المعنى : فلما شربت غنمها رجعتا إلى أبيهما فأخبرناه خبر موسى ، فبعت إحداهما تدعو موسى . وفيها قولان . أحدهما : الصنري . والثاني : الكبرى . فجاءته ( تمشي على استحياء ) قد سترت وجهها بكم درعها .

وفي سبب استحيائها ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه كان من صفاتها الحياء ، فهي تمشي مشي من لم يعتد الخروج والدخول .

والثاني : لأنها دعت له لتكافئه ، وكان الأجل عندها أن تدعوه من غير مكافأة .  
والثالث : لأنها رسول أبيها .

فوله تعالى : ( لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ) قال المفسرون : لما سمع موسى هذا القول كرهه وأراد أن لا يتبعها ، فلم يجد بُدّاً للجهنم الذي به من اتباعها ، فتبعها ، فكانت الريح تضرب ثوبها فيصف بعض جسدها ، فناداه : يا أمة الله ، كوني خلقي ودُلّيني الطريق <sup>(١)</sup> ( فلما جاءه ) أي : جاء موسى شميماً ( وقصص

(١) قال السيوطي في تنمية الحديث الذي تقدم من رواية الفريابي ، وابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والحاكم وصححه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « فرجت المراتن إلى أبيهما ، فحدثناه ، وتولّى موسى عليه السلام إلى الظل فقال : ( رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير ) قال : ( فجاءته إحداهما تمشي على استحياء ) واضمة ثوبها على وجهها ليست بسلع من الناس خراجة ولاجة ، ( قالت : إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا ) فقام معها موسى عليه السلام ، فقال : امشي خلقي وانمي لي الطريق فاني أكره أن تصيب الريح ثيابك فتصف جسدي . الخ . وذكره ابن كثير من رواية ابن أبي حاتم مختصراً إلى قوله : خراجة ولاجة ، وقال : هذا إسناد صحيح . وقال : قال الجوهري : السلف من الرجال : الجسور ، ومن النساء : الجرئة السليطة ، ومن النوق : الشديدة . اهـ .

عليه القصص ) أي : أخبره بأمره من حين ولد والسبب الذي أخرجه من أرضه ( قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين ) أي : لا سلطان لفرعون بأرضنا ولسنا في مملكته . ( قالت إحداها ) وهي الكبرى : ( يا ابت استأجره ) أي : اتخذه أجيراً ( إن خير من استأجرت القوي الأمين ) أي : خير من استعملت على عملك من قوتي على عملك وأدّى الأمانة ؛ وإنّما سمّته قوياً ، لرفعه الحجر عن رأس البئر ، وقيل : لأنّه استقى بدلوا لا يثق بها إلا العدد الكثير من الرجال ، وسمّته أميناً ، لأنّه أمرها أن تمشي خلفه . وقال السدي : قال لها شعيب : قد رأيت قوته ، فإيّد بك بأمانته ؛ فحدثته . قال المفسرون : فرغب فيه شعيب ، فقال له : ( إني أريد أن أنكحك ) أي : أزوّجك ( إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثمانى حجج ) قال الفراء : تأجرني وتأجرني ، بضم الجيم وكسرهما ، ائتمان . قال الزجاج : والمعنى : تكون أجيراً لي ثمانى سنين ( فان أتممت عشراً فإني عندك ) أي : فذلك تفضل منك ، وليس بواجب عليك . قوله تعالى : ( وما أريد أن أشق عليك ) أي : في العشر ( ستجدني إن شاء الله من الصالحين ) أي : في حُسن الصّحبة والوفاء بما قلت . ( قال ) له موسى ( ذلك بيني وبينك ) أي : ذلك الذي وصفت وشرطت عليّ فنك ، وما شرطت لي من تزويج إحداها فلي ، فالأمر كذلك بيننا . وتم الكلام هاهنا . ثم قال : ( أيّها الأجلين ) يعني : الثّاني والعشر . قال أبو عبيدة : « ما » زائدة . قوله تعالى : ( قضيت ) أي : أتممت <sup>(١)</sup> ( فلا عدوان عليّ ) أي : لا سبيل عليّ ؛ والمعنى : لا نعتد عليّ بأن نلتزم مني أكثر منه ( والله على ما نقول وكيل ) قال الزجاج : أي : والله شاهدنا على ما عقد بعضنا على بعض .

(١) قال ابن كثير هذا وقد دل الدليل على أن موسى عليه السلام إنما فعل أكل الأجلين —

واختلف العلماء في هذا الرجل الذي استأجر موسى على أربعة أقوال .  
أحدها : أنه شعيب نبي الله ﷺ ، وعلى هذا أكثر [أهل] <sup>(١)</sup> التفسير ، وفيه أثر عن النبي ﷺ يدل عليه <sup>(٢)</sup> ، وبه قال وهب ، ومقاتل .  
والثاني : أنه صاحب مدين ، واسمه يثري ، قاله ابن عباس .  
والثالث : رجل من قوم شعيب ، قاله الحسن .  
والرابع : أنه يثرون ابن أخي شعيب ، رواه عمرو بن مرة عن أبي عبيدة  
ابن عبد الله بن مسعود ، وبه قال ابن السائب <sup>(٣)</sup> .  
واختلفوا في التي تزوجها موسى من الابنتين على قولين .  
أحدهما : الصغرى ، روي عن ابن عباس . والثاني : الكبرى ، قاله مقاتل .

— وأنها ، قال : وقال البخاري عن سعيد بن جبير قال : سألت يهودي من أهل الحيرة : أي  
الأجلين قضى موسى ؟ فقلت : لأدري حتى أقدم على حنتر العرب فأسأله ، فقدمت على ابن عباس  
رضي الله عنها فسألته ، فقال : قضى أكثرهما وأطيبها ، إن رسول الله إذا قال فعل . أ . ه .  
(١) زيادة ليست في الأصل .

(٢) من رواية ابن أبي حاتم عن عتبة بن النذر ، وسنده ضعيف .

(٣) قال ابن كثير : وقد اختلف المفسرون في هذا الرجل من هو على أقوال . أحدها :  
أنه شعيب التي عليه السلام الذي أرسل إلى أهل مدين ، وهذا هو المشهور عند كثير من  
العلماء . قال : وقال آخرون : بل كان ابن أخي شعيب ، وقيل : رجل مؤمن من قوم  
شعيب ، قال : وقال آخرون : كان شعيب قبل زمان موسى عليه السلام بمدة طويلة ، لأنه  
قال لقومه : ( وما قوم لوط منكم ببعيد ) وقد كان هلاك قوم لوط في زمن الخليل عليه  
السلام بنص القرآن ، وقد علم أنه كان بين الخليل وموسى عليها السلام مدة طويلة تزيد على  
أربعمائة سنة كما ذكره غير واحد ، قال : وما قيل : إن شعيباً عاش مدة طويلة ، إنما هو  
- والله أعلم - احتراز من هذا الاشكال ، ثم من المقوي لكونه ليس بشعيب أنه لو كان إياه  
لأوشك أن ينص على اسمه في القرآن هاهنا ، وما جاء في بعض الأحاديث من التصريح  
بذكره في قصة موسى ، لم يصح إسناده ، قال : ثم من الموجود في كتب بني إسرائيل أن هذا الرجل  
اسمه يثرون ، والله أعلم . أ . ه .

وفي اسم التي تزوجها ثلاثة أقوال .

أحدها : صفوريا ، حكاه أبو عمران الجوني . والثاني : صفورة ، قاله شعيب

الجبائي . والثالث : صبورا ، قاله مقاتل .

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّمَلِّي آتِيَكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ . فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَأْمُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ . وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهْتَزُّ كَانَتْهَا حَافًى وَلَيْسَ يُدِيرُهَا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَأْمُوسَىٰ أَقْبَلَ وَلَا نَخَفَ . إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ . أَسَلُّكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ . قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ مَنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ . وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ . قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾

قوله تعالى : ( فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ ) روى ابن عباس رضي الله عنها

عن رسول الله ﷺ أنه سئل : أي الأجلين قضى موسى ، قال : « أوفاهما

وأطيبهما » <sup>(١)</sup> . قال مجاهد : مكث بعد قضاء الأجل عندهم عشرة

(١) روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنها أنه سئل : أي الأجلين قضى موسى ،

فقال : قضى أكثرهما وأطيبهما ، إن رسول الله إذا قال فعل . وذكره السيوطي في « الدر » —

أُخْر<sup>(١)</sup>. وقال وهب بن منبه : أقام عندهم بعد أن أدخل عليه امرأته ستين<sup>(٢)</sup> ، وقد سبق تفسير هذه الآية [ طه : ١٠ ] إلى قوله : ( أَوْ جَذْوَةٍ ) وقرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، والكسائي : « جَذْوَةٍ » بكسر الجيم . وقرأ عاصم بفتحها . وقرأ حمزة ، وخلف ، والوليد عن ابن عامر بضمها ، وكلها لغات . قال ابن عباس : الجنوة : قطعة حطب فيها نار ، وقال أبو عبيدة : قطعة غليظة من الحطب ليس فيها لهب ، وهي مثل الجذمة من أصل الشجرة ، قال ابن مقبل :  
بَاتَتْ حَوَاطِبُ لَيْلَى يَلْتَمِسْنَ لَهَا

جَزَلَ الْجَذَاغِرَ خَوَّارٍ وَلَا دَعِيرَ<sup>(٣)</sup>

والدَّعِيرُ : الذي قد نُخِرَ ، ومنه رجل داعر ، أي : فاسد .

قوله تعالى : ( نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ ) وهو : جانبه ( الأيمن ) وهو الذي عن يمين موسى ( في البُقعة ) وهي القطعة من الأرض ( المباركة ) بتكليم الله موسى فيها ( مِنْ الشَّجَرَةِ ) أي : من ناحيتها . وفي تلك الشجرة قولان . أحدهما : [ أنها ] شجرة المنّاب ، قاله ابن عباس .

والثاني : عوسجة ، قاله قتادة ، وابن السائب ، ومقاتل .

— ١٣٦/٥ وزاد نسبه لسعيد بن منصور ، وابن أبي شيبة في « المصنف » وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن مردويه من طرق عن ابن عباس رضي الله عنها . قال ابن كثير : وقد استفاد هذا أيضاً من الآية الكريمة حيث قال تعالى : ( فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ ) أي : الأكمل منها ، والله أعلم .

(١) قال ابن كثير : وهذا القول لم أره لغيره ، وقد حكاه عنه ابن أبي حاتم ، وابن جرير ، فاته أعلم . وذكره السيوطي في « الدرر » ١٢٧/٥ ، وزاد نسبه لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٢) في النسخة الاستنبولية : ستين .

(٣) البيت في « مجاز القرآن » : ١٠٣ ، و « الطبري » : ٧٠/٢٠ ، و « مجمع البيان » : ٢٨٤/٢٠ ، و « القرطبي » : ٢٨١/١٣ ، و « اللسان » ، و « التاج » : دعر . والجذا جمع جذوة .

وما بعد هذا قد سبق بيانه [النمل : ١٠] إلى قوله : ( إناك من الآمنين ) أي :  
من أن ينالك مكروه .

قوله تعالى : ( أَسْأَلُكَ يَدَكَ ) أي : أَدْخِلْهَا ، ( وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ )  
قد فسرنا الجناح في ( طه : ٢٢ ) إلا أن بعض المفسرين خالف بين تفسير اللفظين ،  
فشرحناه . وقال ابن زيد : جناحه : الذراع والمضد والكف . وقال الزجاج :  
الجناح هاهنا : المضد ، ويقال لليد كليتها : جناح . وحكى ابن الأنباري عن القراء  
أنه قال : الجناح هاهنا : العصا . قال ابن الأنباري : الجناح للإنسان مشبه بالجناح  
للطائر ، ففي حال مُشَبِّهٍ العَرَبُ رَجُلِي الْإِنْسَانِ بِجَنَاحِي الطَّائِرِ ، فيقولون : قد  
مضى فلان طائراً في جناحيه ، يمتنون ساعياً على قدميه ، وفي حال يجعلون المضد  
منه بمنزلة جناحي الطائر ، كقوله : « واضمُّمُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ » ، وفي حال  
يجعلون العصا بمنزلة الجناح ، لأن الإنسان يدفع بها عن نفسه كدفع الطائر عن  
نفسه بجناحه ، كقوله : « واضمُّمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهَبِ » ، وإنما يوقع  
الجناح على هذه الأشياء تشبيهاً واستمارة ، كما يقال : قد مُصَّ جَناحُ الْإِنْسَانِ ،  
وقد مُطْعَمَ يده ورجله : إذا وقعت به جائحة أبطلت تصرفه ؛ ويقول الرجل  
للرجل : أنت يدي ورجلي ، أي : أنت مَنْ به أَصِلُ إِلَى عَمَلِي ، قال جرير :  
سَأَشْكُرُ أَنْ رَدَدْتَ إِلَيَّ رِيشِي وَأَثْبَتَ الْقَوَادِمَ فِي جَنَاحِي <sup>(١)</sup>  
وقالت امرأة من العرب ترثي زوجها الأغر :

يَا عِصْمِي فِي النَّسَائِبَاتِ وَيَا رُكْنِي [الأغر] وَيَا يَدِي الْيَمْنَى  
لَا صُنْتُ وَجْهًا كُنْتُ صَاحِبَهُ أَبَدًا وَوَجْهَكَ فِي التَّرَى يَبْنَى  
فَأَمَّا الرَّهَبُ ، فقرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو : « مِنَ الرَّهَبِ » بفتح

الراء والهاء . وقرأ حمزة ، والكسائي ، وأبو بكر عن عاصم : « من الرّهْب »  
 بضم الراء وسكون الهاء . وقرأ حفص [ وأبان ] عن عاصم : « من الرّهْب »  
 بفتح الراء وسكون الهاء [ وهي قراءة ابن مسعود ، وابن السميع ] . وقرأ  
 أبيّ بن كعب ، والحسن ، وقتادة : بضم الراء والهاء . قال الزجاج : الرّهْب ،  
 والرّهْب بمعنى واحد ، مثل الرّشْد ، والرّشْد . وقال أبو عبيدة : الرّهْب والرّهْبَة  
 بمعنى الخوف والفرق . وقال ابن الأثير : الرّهْب ، والرّهْب ، والرّهْب ،  
 مثل الشغل ، والشغل ، والشغل ، والبخل ، والبخل ، والبخل ، وتلك لغات  
 ترجع إلى معنى الخوف والفرق .

وللمفسرين في معنى هذه الآية ثلاثة أقوال .

أحدها : أنّه لما هرب من الحيّة أمره الله أن يضمّ إليه جناحه ليذهب  
 عنه الفزع . قال ابن عباس : المعنى : اضم يدك إلى صدرك من الخوف ولا خوف  
 عليك . وقال مجاهد : كلّ من فزع فضمّ جناحه إليه ذهب عنه الفزع .  
 والثاني : أنّه لما هاله بياض يده وشماها ، أمر أن يدخلها في جيبه ،  
 فعادت إلى حالتها الأولى .

والثالث : أن معنى الكلام : سَكَنَ رَوْعَكَ ، وثَبَّتْ جَأَشَكَ . قال  
 أبو علي : ليس يراد به الضمّ بين الشيتين ، إنما أمر بالعمز [ على ما أمر به ]  
 والجدّ فيه ، ومثله : اشدّد حيازك الموت .

قوله تعالى : ( فذاتك ) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو : « فذاتك » بالنشيد .  
 وقرأ الباقون : « فذاتك » بالتخفيف . قال الزجاج : التشديد تنية « ذلك » ،  
 والتخفيف تنية « ذاك » ، فجعل اللام في « ذلك » بدلاً من تشديد النون في  
 « ذاتك » ، ( بُرْهَانَان ) أي : بيانان اثنان . قال المفسرون : « فذاتك » يعني



العصا والبذ ، حُجَّتَانِ مِنَ اللَّهِ لِمُوسَى عَلَى صِدْقِهِ ، ( إِلَى فِرْعَوْنَ ) أَي : أَرْسَلْنَا بِهِاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ إِلَى فِرْعَوْنَ <sup>(١)</sup> . وقد سبق تفسير ما بهد هذا [ الثراء : ١٤ ] إلى قوله : ( هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا ) أَي : أَحْسَنُ يَانًا ، لِأَنَّ مُوسَى كَانَ فِي لِسَانِهِ أَثَرُ الْجُرَّةِ الَّتِي تَنَاوَلَهَا ، ( فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا ) قَرَأَ الْأَكْثَرُونَ : « رِدْءًا » بِسُكُونِ الدَّالِ وَبَعْدَهَا هَمْزَةٌ . وَفَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ : « رِدَا » بِفَتْحِ الدَّالِ وَأَلْفٍ بَعْدَهَا مِنْ غَيْرِ تَنْوِينٍ وَلَا هَمْزٍ ؛ وَقَرَأَ نَافِعٌ كَذَلِكَ إِلَّا أَنَّهُ نَوَّنَ . وَقَالَ الزَّجَاجُ : الرِّدُّ : الْعَوْنُ ، بِقَالَ : رَدَّاهُ أَرَدُوهُ رِدْءًا : إِذَا أَعْتَنَهُ .

قوله تعالى : ( يُصَدِّقُنِي ) قَرَأَ عَاصِمٌ ، وَهَمْزَةٌ : « يُصَدِّقُنِي » بِضَمِّ الْقَافِ . وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِسُكُونِ الْقَافِ . قَالَ الزَّجَاجُ : مَنْ جَزَمَ « يُصَدِّقُنِي » فَعَلَى جَوَابِ الْمَسْأَلَةِ : أَرْسِلْهُ يُصَدِّقُنِي ؛ وَمَنْ رَفَعَ ، فَالْمَعْنَى : رِدْءًا مُصَدِّقًا لِي . وَأَكْثَرُ الْمُفْسِّرِينَ عَلَى أَنَّهُ أَشَارَ بِقَوْلِهِ : « يُصَدِّقُنِي » إِلَى هَارُونَ ؛ وَقَالَ مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ : لَكِي يُصَدِّقُنِي فِرْعَوْنَ .

قوله تعالى : ( سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ) قَالَ الزَّجَاجُ : الْمَعْنَى : سَنُمِيزُكَ بِأَخِيكَ ، وَلَفْظُ الْعَضُدِ عَلَى جِهَةِ الْمَثَلِ ، لِأَنَّ الْيَدَ قِيَامُهَا عَضُدُهَا ، وَكُلُّ مُعِينٍ فَهُوَ عَضُدٌ ، ( وَنَجْعَلُ لَكَ مُلْكًا ) أَي : حُجَّةً يَتَنَبَّهُ . وَقِيلَ لِلزَّيْتِ : السَّالِيطُ ، لِأَنَّهُ يُسْتَضَاءُ بِهِ ؛ وَالسُّلْطَانُ : أَبْيَنُ الْحُجَجِ .

قوله تعالى : ( فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكَا ) أَي : يَقْتُلُ وَلَا أَدْنَى .

(١) قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ : وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ( فَذَانِكَ بَرَهَاتَانِ مِنْ رَبِّكَ ) يَعْنِي إِقَاءَ الْعَصَا وَجَمْلَهَا حِيَةً تَسْمَى ، وَإِدْخَالَ يَدِهِ فِي جَيْهِ فَتَخْرُجُ بَيَاضٌ مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ ، دَلِيلَانِ قَاطِعَانِ وَاضِحَانِ عَلَى قُدْرَةِ الْفَاعِلِ الْخِتَارِ وَصَحَّةِ نَبْوَةٍ مِنْ جَرَى هَذَا الْخَارِقِ عَلَى يَدَيْهِ ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى : ( إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَكِهِ ) أَي : وَقَوْمِهِ مِنَ الرُّؤَسَاءِ وَالْكَبَرَاءِ وَالْأَتْبَاعِ ، ( لَهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ) أَي : خَارِجِينَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ مُخَالِفِينَ لِأَمْرِهِ وَدِينِهِ . ٥١ .

وفي قوله : ( بآياتنا ) ثلاثة أقوال .

أحدها : أن المعنى : تمنعان منهم بآياتنا وحُججنا فلا يصلُّون إليكما .

والثاني : أنه متعلِّق بما بعده ، فالمعنى : بآياتنا أنما ومن اتَّبِعَكُمَا الْغَالِبُونَ ، أي : تَغْلِبُونَ بآياتنا .

والثالث : أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا ، تقديره : ونجعل لكما سلطانًا بآياتنا فلا يصلُّون إليكما .

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ . وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾

قوله تعالى : ( ما هذا إلا سِحْرٌ مُّفْتَرًى ) أي : ما هذا الذي جئتنا به إلا سِحْرٌ افتريته من قبل نفسك ولم يُبَيِّنْ به ( وما سَمِعْنَا بِهَذَا ) الذي تدعوننا إليه ( في آبائنا الأولين ) ، ( وقال موسى ربِّي أعلم ) وقرأ ابن كثير : « قال موسى » بلا واو ، وكذلك هي في مصاحفهم ( بمن جاء بالهُدَى ) أي : هو أعلم بالحقِّ منَّا ، ( ومن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ ) وقرأ حمزة ، والكسائي ، وخلف ، [ والمفضل ] : « يكون » بالياء ، والباقون بالتاء .

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ . وَاسْتَكَثِرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُم إِلَيْنَا لَا يُرْجَمُونَ . فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانَظَرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ .

وَجَمَعْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يُنصَرُونَ .  
وَأَنْبَعَثْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ \*  
قوله تعالى : ( فَأَوْقِدْ لِي يَاهَامَانُ عَلَى الطِّينِ ) قال ابن قتيبة : المعنى :  
اصنع لي الآجر ( فاجعل لي صرحاً ) أي : قصرأ عالياً . وقال الزجاج : الصرح :  
كلُّ بناءٍ منسج صرّفع . وجاء في التفسير أنّه لما أمر هامان - وهو وزيره -  
ببناء الصرح ، جمع المال والفعلة حتى اجتمع خمسون ألف بناء سوى الاتباع ،  
فرفعوه وشيّدوه حتى ارتفع ارتفاعاً لم يبلغه ببناء أحد قط ، فلما تمّ ارتقى  
فرعون فوقه ، وأمر بنشابة فرمى بها نحو السماء ، فردّت وهي متلطخة باللحم ،  
فقال : قد قتلتُ إله موسى <sup>(١)</sup> ، فبعث الله تعالى جبريلَ فضربه بجناحه <sup>(٢)</sup> فقطعه  
ثلاث قطع ، فوقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت ألف ألف رجل ، ووقعت  
قطعة أخرى في البحر ، وأخرى في المغرب <sup>(٣)</sup> .

قوله تعالى : ( لَعَلِّي أَطْلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى ) أي : أصعد إليه وأشرفُ  
عليه ( وَإِنِّي لَا أَظُنُّهُ ) يعني موسى ( من الكاذبين ) في ادّعائه إلهاً غيبي . وقال  
ابن جرير : الظنُّ : أظنُّ موسى كاذباً في ادّعائه أنّ في السماء ربّاً أرسله .  
( واستكبر هو وجنوده في الأرض ) يعني أرض مصر ( بنير الحق ) أي : بالباطل  
والظلم ( وظنوا أنّهم إلينا لا يُرجعون ) بالبعث للجزاء . قرأ ابن كثير ،  
وأبو عمرو ، وعاصم ، وابن عامر : « بُرْجَمُونَ » برفع الياء ؛ وقرأ نافع ،  
وحمزة ، والكسائي : بفتحها .

(١) ذكر هذا الخبر بنحوه القرطبي في تفسيره ، ولم يزه لأحد ، وذكره الطبري  
مختصراً عن السدي ، وكذلك السيوطي من رواية ابن أبي حاتم عن السدي .

(٢) أي : فضرب الصرح بجناحه .

(٣) قال القرطبي بمد أن ذكره : والله أعلم بصحة ذلك .

قوله تعالى : ( وجعلناهم ) أي : في الدنيا ( أئمة ) أي : قادة في الكفر يأتهم بهم العتاة ( يدعون إلى النار ) لأن من أطاعهم دخلها ؛ و « يُنصرون » بمعنى : يُغلبون من المذاب . وما بعد هذا مفسر في ( هود : ٦٠ ، ٩٩ ) .

قوله تعالى : ( من المقبوحين ) أي : من المبعدين للمعونين ؛ قال أبو زيد : يقال : قبح الله فلانا ، أي : أبغده من كل خير . وقال ابن جريج : معنى الآية : وأبغضناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة لعنة أخرى ، ثم استقبل الكلام ، فقال : ثم من المقبوحين <sup>(١)</sup> .

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ . وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ . وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَلَاثًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوَا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ . وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ . وَلَوْ لَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

قوله تعالى : ( من بعد ما أهلكنا القرون الأولى ) يعني قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ( بصائر للناس ) أي : ليبصروا به ويهتدوا .

(١) قال ابن كثير : أي : وشرع الله لعنتهم ولعنة ملكهم فرعون على السنة المؤمنين من عباده المتبعين لرسوله كما أنهم في الدنيا ملمونون على السنة الأنبياء وأتباعهم ، كذلك ( ويوم القيامة من المقبوحين ) .

قوله تعالى : ( وما كنت بجانب الغربي ) قال الزجاج : أي : وما كنت بجانب الجبل الغربي .

قوله تعالى : ( إذ قضينا إلى موسى الأمر ) أي : أحكمنا الأمر معه بإرساله إلى فرعون وقومه ( وما كنت من الشاهدين ) لذلك الأمر ؛ وفي هذا بيان لصحة نبوة نبينا ﷺ ، لأنهم يعلمون أنه لم يقرأ الكتب ، ولم يشاهد ما جرى ، فلولا أنه أوحى إليه ذلك ، ما علم<sup>(١)</sup> .

قوله تعالى : ( ولكننا أنشأنا قروناً ) أي : خلقنا أمماً من بعد موسى ( فتطاول عليهم العمر ) أي : طال إيمانهم فانسوا عهد الله وتركوا أمره ؛ وهذا

(١) قال ابن كثير : يقول تعالى منبهاً على برهان نبوة محمد ﷺ حيث أخبر بالنيب الماضية خبراً كان سامعاً شاهداً وراءه لا تقدم ، وهو رجل أمي لا يقرأ شيئاً من الكتب ، نشأ بين قوم لا يعرفون شيئاً من ذلك ، كما أنه لا أخبره عن مريم وما كان من أمرها ، قال تعالى : ( وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون ... ) الآية ، أي : وما كنت حاضراً لذلك ، ولكن الله أوحى إليك ، وهكذا لما أخبره عن نوح وقومه وما كان من إحياء الله له وإغراق قومه ، ثم قال تعالى : ( تلك من أنباء النيب نوحيها إليك وما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين ... ) الآية ، وقال في آخر السورة : ( ذلك من أنباء القرى قصصه عليك ) وقال بعد ذكر قصة يوسف : ( ذلك من أنباء النيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون ... ) الآية ، وقال في سورة ( طه ) : ( كذلك نقص عليك من أنباء ماقد سبق ... ) الآية ، وقال ها هنا بعد ما أخبر عن قصة موسى من أولها إلى آخرها وكيف كان ابتداء إحياء الله إليه وتكليمه له : ( وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر ) يعني : ما كنت يا محمد بجانب الجبل الغربي الذي كلم الله موسى من الشجرة التي هي شرقية على شاطئ الوادي ( وما كنت من الشاهدين ) لذلك ، ولكن الله سبحانه وتعالى أوحى إليك ذلك ليكون حجة وبرهاناً على قرون قد تطاول عهدها ونسوا حجج الله عليهم وما أوحاه إلى الأنبياء المتقدمين . ٥١ .

زاد للسير ٦ م (١٥)

يدل على أنه قد عهد إلى موسى وقومه عهد في أمر محمد ﷺ ، وأمرُوا بالإيمان به ، فلمَّا طال إِمهالُهم ، أعرَضُوا عن مراعاة المهود ، ( وما كنتَ قلوباً ) أي : مقيماً ( في أهل مَدْيَنَ ) فتعلَّم خبر موسى وشعيب وابنتيه فقتلوا ذلك على أهل مكة <sup>(١)</sup> ( ولكنَّا كنَّا مرسلين ) أرسلناكَ إلى أهل مكة وأخبرناكَ خبر المتقدمين ، ولولا ذلك ما علمته . ( وما كنتَ بجانب الطُّور ) أي : بناحية الجبل الذي كلَّم عليه موسى ( إذ نادَيْنا ) موسى وكلَّمناه ، هذا قول الأكثرين ؛ وقال أبو هريرة : كان هذا النداء : يا أمة محمد ، أعطيتكم قبل أن تسألوني ، وأستجيب لكم قبل أن تدعوني <sup>(٢)</sup> .

قوله تعالى : ( ولكن رحمة من ربك ) قال الزجاج : المعنى : لم تُشاهد قصص الأنبياء ، ولكنَّا أوحيناها إليك ونقصناها عليك ، رحمة من ربك . ( ولولا أن نصيهم مصيبة ) جواب « لولا » مخوف ، تقديره : لولا أنهم يحتجّون بترك الإرسال إليهم لما جئناهم بالمعقوبة . وقيل : لولا ذلك لم نحتج إلى إرسال الرسل ومؤاظة الاحتجاج .

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوْ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُمْ لَكَافِرُونَ . قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا

(١) قال ابن كثير : وما كنت مقيماً في أهل مدين تنلو عليهم آياتنا حين أخبرت عن نبئها شعيب وما قال لقومه وما ردوا عليه ، ولكن نحن أوحينا إليك ذلك .

(٢) رواه الطبري والنسائي ، وفي سنده حمزة الزيات ، قال الحافظ ابن حجر عنه : صدوق زاهد ربما وم ، وذكره السيوطي في « الدرر » وزاد نسبه للفرجاني ، وابن أبي حاتم ، والحاكم ، وابن مردويه ، وأبي نعيم والبيهقي ممّا في « الدلائل » .

لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ  
بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . وَلَقَدْ وَصَّلْنَا  
لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ . الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ  
قَبْلِهِ ثُمَّ بِهِ يُوَسِّئُونَ . وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ  
مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ . أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ  
مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَؤْنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ  
يُنْفِقُونَ . وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا  
وَأَلَيْكُمُ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿

قوله تعالى : ( فلما جاءهم ) يعني أهل مكة ( الحق من عندنا ) وهو محمد  
عليه السلام والقرآن ( قالوا لولا ) أي : هلا ( أوتي ) محمد من الآيات ( مثل  
ما أوتي موسى ) كالعصا واليد . قال المفسرون : أمرت اليهود قريشاً أن تسأل  
محمداً مثل ما أوتي موسى ، فقال الله تعالى : ( أولم يكفروا بما أوتي موسى )  
أي : فقد كفروا بآيات موسى ، و ( قالوا ) في المشار إليهم قولان . أحدها :  
اليهود . والثاني : قريش . ( سحران ) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ،  
وابن عامر : « سحران » . ( تظَاهَرَا ) أي : تماونا . وروى العباس الأنصاري  
عن أبي عمرو : « تَظَاهَرَا » بتشديد الظاء .

وفيمن عَنُوا ثلاثة أقوال .

أحدها : موسى ومحمد ، قاله ابن عباس ، والحسن ، وسعيد بن جبير ؛ فلي  
هذا هو من قول مشركي العرب .

والثاني : موسى وهارون ، قاله مجاهد ؛ فلي هذا هو من قول اليهود لهما في

ابتداء الرسالة .

والثالث : محمد وعيسى <sup>(١)</sup> ، قاله قتادة ؛ فلي هذا هو من قول اليهود الذين لم يؤمنوا بنبينا .

وقرأ عاصم ، وحمة ، والكسائي : « سحران » وفيه ثلاثة أقوال .  
أحدها : التوراة والفرقان ، قاله ابن عباس ، والسدي .  
والثاني : الإنجيل والقرآن ، قاله قتادة .

والثالث : التوراة والإنجيل ، قاله أبو مجاز ، وإسماعيل ابن أبي خالد . ومعنى الكلام : كل سحر منها يقوي الآخر ، فنُسب الظاهر إلى السحرين توسعاً في الكلام ، ( وقالوا إنّنا بكل كافرين ) ينعون ما تقدم ذكره على اختلاف الأقوال ، فقال الله لنبية ( قل ) لكفار مكة ( فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منها ) أي : من التوراة والقرآن ، ( إن كنتم صادقين ) أنّها ساحران . ( فان لم يستجيبوا لك ) أي : فان لم يأتوا بمثل التوراة والقرآن ، ( فاعلم أنّهم يتبعون أهواءهم ) أي : أنّ ما ركبوه من الكفر لم يحملهم عليه حجة ، وإنما آثروا فيه الهوى ( ومن أضل ) أي : ولا أحد أضل ( ممن اتبع هواه بغير هدى ) أي : بغير رشاد ولا بيان جاء ( من الله ) . ( ولقد وصلنا لهم القول ) وقرأ الحسن ، وأبو المتوكل ، وابن يعمر : « وصلنا » بتخفيف الصاد .

وفي المشار إليهم قولان .

أحدهما : أنهم قريش ، قاله الآكثرون ، منهم مجاهد .

والثاني : اليهود ، قاله رفاعة القرظي .

والمعنى : أنزلنا القرآن يتبع بعضه بعضاً ، ويُخبر عن الأمم الخالية كيف عذبوا لهم يتعظون .

( الذين آتيناكم الكتاب ) وفيهم ثلاثة أقوال .

(١) قال ابن كثير : وهذا فيه بُد ، لأن عيسى لم يجز له ذكر هاهنا ، والله أعلم . ٥١ .



أحدها : أنهم مؤمنو أهل الكتاب ، رواه العوفي عن ابن عباس ، وبه قال مجاهد .

والثاني : مسلمو أهل الإنجيل ، روى مسند بن جبير عن ابن عباس أن أربعين من أصحاب النجاشي قدِموا على رسول الله ﷺ فشهدوا معه أحداً ، فنزلت فيهم هذه الآية (١) .

والثالث : مسلمو اليهود ، كعبد الله بن سلام وغيره ، قاله السدي .

قوله تعالى : ( مِنْ قَبْلِهِ ) أي : من قبل القرآن ( هُمْ بِهِ ) في هاء الكناية قولان . أحدها : أنها ترجع إلى محمد ﷺ ، لأن ذكره كان مكتوباً [ عندهم ] في كتبهم ، فأمنوا به . والثاني : إلى القرآن .

قوله تعالى : ( وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ ) يعني القرآن ( قَالُوا آمَنَّا بِهِ ) ، ( إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ ) أي : من قبل نزول القرآن ( مُسْلِمِينَ ) أي : مُخْلِصِينَ لِهَذَا مَصَدِّقِينَ بِمُحَمَّدٍ ، وذلك لأن ذكره كان في كتبهم فأمنوا به ( أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرًا مَرَّتَيْنِ ) في المشار إليهم قولان .

أحدها : أنهم مؤمنو أهل الكتاب ، وهذا قول الجمهور ، وهو الظاهر (٢) ،

(١) قال السيوطي في أسباب النزول ، ٢١٠ : رواه الطبراني في الأوسط ، بسند فيه من لا يعرف عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين : رجل من أهل الكتاب آمن بنية وأدرك النبي ﷺ فأمن به واتبعه وصدقه ، فله أجران ، وعبد ملوك أدى حق الله تعالى وحق سيده ، فله أجران ، ورجل كانت له أمة ففداها فأحسن غذاها ، ثم أدبها فأحسن أدبها ، ثم أعقبا وتزوجها ، فله أجران » متفق عليه ، واللفظ لمسلم . وذكره السيوطي في الدر ، ١٣٣/٥ ، وزاد نسبته لأحمد ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ، وابن مردويه ، والبيهقي .

وفيا صبروا عليه قولان . أحدهما : أنهم صبروا على الكتاب الأول ، وصبروا على  
على اتباعهم محمداً ، قاله قتادة ، وابن زيد . والثاني : أنهم صبروا على الإيمان  
بمحمد قبل أن يُبْعَثَ ، ثم على اتباعه حين بُعث ، قاله الضحاك .  
والقول الثاني : أنهم قوم من المشركين أسلموا ، فكان قومهم يؤذونهم ،  
فصبروا على الأذى ، قاله مجاهد .

قوله تعالى : ( ويدركون بالحسنة السيئة ) فيه أقوال قد شرحناها في  
( الرعد : ٢٢ ) .

قوله تعالى : ( وإذا سَمِعُوا اللَّحْنَ ) فيه ثلاثة أقوال .  
أحدها : الأذى والسب ، قاله مجاهد . والثاني : الشرك ، قاله الضحاك .  
والثالث : أنهم قوم من اليهود آمنوا ، فكانوا يسمون ماغيّر اليهود من صفة  
رسول الله ﷺ فيكرهون ذلك ويُمِرُّون عنه ، قاله ابن زيد . وهل هذا  
منسوخ ، أم لا ؟ فيه قولان .

وفي قوله : ( وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ) قولان .  
أحدهما : لنا ديننا ولكم دينكم . والثاني : لنا حِلْمُنَا ولكم سَفَهُكُمْ .  
( سلام عليكم ) قال الزجاج : لم يريدوا التحية ، وإنما أرادوا : بيننا وبينكم  
الْمُتَارَكَةُ ، وهذا قبل أن يؤمر المسلمون بالقتال . وذكر المفسرون أن هذا  
منسوخ بآية السيف .

وفي قوله : ( لا تبتغي الجاهلين ) ثلاثة أقوال .  
أحدها : لا تبتغي دين الجاهلين . والثاني : لا تطلب مجاورتهم . والثالث :  
لا تريد أن تكون مُجْهَلًا .

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ . وَقَالُوا إِنَّ تَبِيعَ الْهُدَىٰ مَعَكَ تُتَخَطَّفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ تُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجَنَّبُوا إِلَيْهِ فَوَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَنِلَكَ مَسَاكِينُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾

قوله تعالى : ( إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ) قد ذكرنا سبب نزولها عند قوله : ( مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ) [الثوبة : ١١٣] ، وقد روى مسلم فيما انفرد به عن البخاري من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ لعمري : « قل : لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة » ، فقال : لولا أن تميرني نساء قريش ، يقرن : إنما حمله على ذلك الجزع ، لاقررت بها عينك ، فأنزله عز وجل : « إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ » <sup>(١)</sup> . قال الزجاج : أجمع المفسرون أنها نزلت في أبي طالب .

(١) رواه مسلم في « صحيحه » ٥٥/١ ، ولفظه : « لولا أن تميرني قريش ، يقولون : إنما حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك ، وليس عند مسلم كلمة « نساء » . وذكره السيوطي في « الدر » ١٣٣/٥ ، وزاد نسبه لعبد بن حميد ، والترمذي ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، والبيهقي في « الدلائل » ، وقد انفرد مسلم بروايته بهذا اللفظ مختصراً ، ورواه البخاري في « صحيحه » ٣٨٩/٨ ومسلم في « صحيحه » ٥٤/١ بأطول منه باختلاف يسير في روايتهما : عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة ، جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة ، فقال : « أي عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله » فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية : أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يمرضها عليه ويبيدانه بذلك المقالة ، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم : على ملة عبد المطلب ، —

وفي قوله : ( مَنْ أَحْبَبَ ) قولان .

أحدهما : من أحببت هدايته . والثاني : من أحببت له قرابته .

( ولكن الله يهدي من يشاء ) أي : يُرشد لدينه من يشاء ( وهو أعلم بالمهتدين ) أي : من قدر له الهدى .

قوله تعالى : ( وقالوا إن تتبع الهدى معك ) قال ابن عباس في رواية العوفي : هم ناس من قريش قالوا ذلك <sup>(١)</sup> . وقال في رواية ابن أبي مليكة : إن الحارث بن عامر بن نوفل قال ذلك <sup>(٢)</sup> . وذكر مقاتل أن الحارث بن عامر قال لرسول الله ﷺ : إنا نعلم أن الذي تقول حق ، ولكن يمنعنا أن تتبع [ الهدى ] معك مخافة أن تخطئنا العرب من أرضنا <sup>(٣)</sup> ، يمنون مكة . ومعنى الآية : إن اتبعناك على دينك خفنا العرب لمخافتنا إياها . والتخطئ : الانزاع بسرعة ؛ فرد الله عليهم قولهم ، فقال : ( أَوَلَمْ تُنْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا ) أي : أَوَلَمْ تُسَكِّنْهُمْ

— وأبي أن يقول : لا إله إلا الله ، قال : فقال رسول الله ﷺ : والله لاستغفرون لك ما لم أنه عنك ، فأرسل الله ( ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين .. ) وأرسل الله في أبي طالب فقال رسول الله ﷺ : ( إنك لاتهدي من أحببت ، ولكن الله يهدي من يشاء ) ، واللفظ البخاري ، وأورده السيوطي في « الدر » ٢٨٢/٣ وزاد نسبه لابن أبي شيبة ، وأحمد ، والنسائي ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه ، والبيهقي في « الدلائل » .

(١) رواه الطبري ٩٤/٢٠ ، وذكره السيوطي في « الدر » ١٣٤/٥ ، وزاد نسبه لابن أبي حاتم ، وابن مردويه .

(٢) رواه الطبري ٩٤/٢٠ ، وأورده السيوطي في « الدر » ١٣٤/٥ ، وزاد نسبه للنسائي ، وابن المنذر . وذكر الحافظ ابن كثير عن رواية النسائي عن ابن أبي مليكة ، قال : قال عمرو بن شعيب عن ابن عباس ، ولم يسمه منه .

(٣) ذكر هذا المعنى الطبري في « جمع البيان » ولم ينسبه لمقاتل ولا غيره ، بل ذكره بلفظ « وقيل » . وذكره القرطبي عن ابن عباس ، ولم يذكر من رواه عنه ، والله أعلم .

حَرَمًا وَنَجَلَهُ مَكَانًا لَهُمْ ، وَمَعْنَى ( آمِنًا ) : ذُو أَمْنٍ يَأْمَنُ فِيهِ النَّاسُ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ كَانَ يُغَيِّرُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ ، وَأَهْلُ مَكَّةَ آمِنُونَ فِي الْحَرَمِ مِنَ الْقَتْلِ وَالسَّبْيِ وَالْفَارَةِ ، أَيِ : فَكَيْفَ يَخَافُونَ إِذَا أَسْلَمُوا وَهُمْ فِي حَرَمِ آمْنٍ ١١ ( يُجْبَى ) [ قَرَأَ نَافِعٌ : « مُجْبَى » بِالْثَاءِ ] ، أَيِ : تُجْمَعُ إِلَيْهِ وَتُحْمَلُ مِنْ [ كُلِّ ] النُّوَاحِي الثَّمَرَاتِ ، ( رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا ) أَيِ : مِنْ عِنْدِنَا ( وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ ) يَعْنِي أَهْلَ مَكَّةَ ( لَا يَعْلَمُونَ ) أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي فَعَلَ بِهِمْ ذَلِكَ فَيَشْكُرُونَهُ . وَمَعْنَى الْآيَةِ : إِذَا كُنْتُمْ آمِنِينَ فِي حَرَمِي تَأْكُلُونَ رِزْقِي وَتَعْبُدُونَ غَيْرِي ، فَكَيْفَ تَخَافُونَ إِذَا عَبَدْتُمُوَنِي وَآمَنْتُمْ بِي ١٢ ثُمَّ خَوَّفَهُمْ عَذَابَ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ فَقَالَ : ( وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرْتُمْ مَعِيشَتَهَا ) قَالَ الزَّجَاجُ : « مَعِيشَتَهَا » مَنْصُوبَةٌ بِاسْقَاطِ « فِي » ، وَالْمَعْنَى : بَطَرْتُمْ فِي مَعِيشَتِهَا ، وَالْبَطَرُ : الطُّغْيَانُ فِي الزَّعْمَةِ . قَالَ عَطَاءٌ : عَاشُوا فِي الْبَطَرِ فَأَكَلُوا رِزْقَ اللَّهِ وَعَبَدُوا الْأَصْنَامَ .

قوله تعالى : ( فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ يُمْسِكْنِ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : لَمْ يَسْكُنْهَا إِلَّا الْمَسَافِرُونَ وَمَارُ الطَّرِيقِ يَوْمًا أَوْ سَاعَةً ، وَالْمَعْنَى : لَمْ يُمْسِكْنِ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا سُكُونًا قَلِيلًا ( وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ) أَيِ : لَمْ يَحْلُفْهُمْ أَحَدٌ بَعْدَ هَلَاكِهِمْ فِي مَنَازِلِهِمْ ، فَبَقِيَتْ خَرَابًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ .

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ . وَمَا أُوْتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ . أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾ ( وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى ) يَعْنِي الْقُرَى الْكَافِرَ أَهْلِهَا ( حَتَّى يَبْعَثَ

في أمّتها ( أي : في أعظمها ( رسولا ) ، وإنما خصّ الأعظم ببعثة الرسول ، لأن الرسول إنّما يُبعث إلى الأشراف ، وأشراف القوم ملوكهم ، وإنما يسكنون المواضع التي هي أمّ ماحولها . وقال قتادة : أم القرى : مكة ، والرسول : محمد . قوله تعالى : ( يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ) قال مقاتل : يخبرهم الرسول أنّ العذاب نازل بهم إن لم يؤمنوا .

قوله تعالى : ( وما كنّا مُهلِكِي القرى إلّا وأهلها ظالمون ) أي : بظلمهم أهلهم . وظلمهم : شرّهم . ( وما أوتيتُم من شيء ) أي : ما أعطيتُم من مال وخير ( فتنازع الحياة الدنيا ) تتمتعون به أيام حياتكم ثم يفنى وينقضي ، ( وما عند الله ) من الثواب ( خير وأبقى ) أفضل وأدوم لأهله ( أفلا تَعْقِلُونَ ) أنّ الباقي أفضل من الفاني ١٢

قوله تعالى : ( أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً ) اختلف فيمن نزلت على أربعة أقوال . أحدها : أنها نزلت في رسول الله ﷺ وأبي جهل <sup>(١)</sup> . والثاني : في عليّ وحمة عليهما السلام ، وأبي جهل <sup>(٢)</sup> . والقولان مرويان عن مجاهد . والثالث : في المؤمن والكافر ، قاله قتادة <sup>(٣)</sup> . والرابع : في عمّار والوليد بن المغيرة ، قاله السدي <sup>(٤)</sup> .

(١) د الطبري ، : ٩٧/٢٠ عن مجاهد ، وفي سننه الحكم بن عبد الله المجلي ، ثقة له أوهام ، وأبان بن تطلب ، ثقة تكلم فيه للتبليغ .

(٢) د الطبري ، : ٩٧/٢٠ عن مجاهد ، والواحدي في « أسباب النزول » ، : ١٩٤ . وفي سننه أبان بن تطلب .

(٣) ذكر ذلك البغوي والخازن عن قتادة ، ولم ينسباه إلى أحد . وذكر نحوه بأطول منه السيوطي في « الدر » ، : ١٣٥/٥ عن قتادة من رواية عبد بن حميد ، وابن أبي حاتم .

(٤) ذكره الواحدي في « أسباب النزول » ، : ١٩٤ عن السدي ، ولم يميزه لأحد . —

وفي الوعد الحسن قولان . أحدهما : الجنة . والثاني : النصر .

قوله تعالى : ( فهو لاقيه ) أي : مُصِيبُهُ وَمُذْرِكُهُ ( كَمَنْ مَتَعْنَاهُ متاع الحياة الدنيا ) أي : كمن هو ممتّع بشيء يفتى ويزول عن قريب ( ثم هو يوم القيامة من المُحْضَرِّين ) فيه قولان . أحدهما : من المُحْضَرِّين في عذاب الله ، قاله قتادة . والثاني : من المُحْضَرِّين للجزاء ، حكاه الماوردي .

﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ . قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِبْرَاءَنَا يَعْْبُدُونَ . وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأُوا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يُهْتَدُونَ . وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ . فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ . فَأَمَّا مَنْ نَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَحَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴾

قوله تعالى : ( ويوم يناديهم ) أي : ينادي الله تعالى المشركين يوم القيامة ( فيقول أين شركائي ) هذا على حكاية قولهم ؛ والمعنى : أين شركائي في قولكم ؟ ! ( قال الذين حَقَّ عليهم القول ) أي : وجب عليهم العذاب ، وهم رؤساء الضلالة ،

---

— قال القرطبي : قال القشيري : والصحيح أنها نزلت في المؤمن والكافر على التعميم ، ونقل عن الطلي أنه قال : وبالجمله فانها نزلت في كل كافر متع في الدنيا بالغاية والتي وله في الآخرة النار ، وفي كل مؤمن صبر على بلاء الدنيا ثقة بوعده الله ، وله في الآخرة الجنة . وقال ابن كثير : والظاهر أنها عامة .

وفيه قولان . أحدهما : أنهم رؤوس المشركين . والثاني : أنهم الشياطين ( ربنا هؤلاء الذين أغوينا ) يننون الاتباع ( أغويناهم كما غوينا ) أي : أضلناهم كما ضلنا ( تبرأنا إليك ) أي : تبرأنا منهم إليك ؛ والمعنى أنهم يتبرأ بعضهم من بعض ويصيرون أعداء . ( وقيل ) لكفار بني آدم ( ادعوا شركاءكم ) أي : استغيثوا بأهلكم لتخلصكم من العذاب ( فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ) أي : فلم يجيبوهم إلى نصرهم ( وأروا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون ) قال الزجاج : جواب « لو » محذوف ؛ والمعنى : لو [ أنهم ] كانوا يهتدون لما اتبعوهم ولما أروا العذاب .

قوله تعالى : ( ويوم يناديهم ) أي : ينادي الله الكفار ويسألهم ( فيقول ماذا أجبتم المرسلين ) . ( فسميت عليهم الأنبياء ) وقرأ أبو رزين العقيلي ، وقبادة ، وأبو العالية ، وأبو التوكل ، وعاصم الجحدري : « فَعُصِمَت » برفع المين وتشديد الميم . قال المفسرون : خفيت عليهم الحجج ، وسميت أنبياء ، لأنها أخبار مخبر بها . قال ابن قتيبة : والمعنى : عموا عنها - من شدة الهول - فلم يجيبوا ، و « الأنبياء » هاهنا : الحجج .

قوله تعالى : ( فهم لا يتساءلون ) فيه ثلاثة أقوال . أحدها : لا يسأل بعضهم بعضاً عن الحجة ، قاله الضحاك . والثاني : أن المعنى : سكتوا فلا يتساءلون في تلك الساعة ، قاله الفراء . والثالث : لا يسأل بعضهم بعضاً أن يحمل عنه شيئاً من ذنوبه ، حكاه الماوردي .

( فأما من تاب ) من الشرك ( وآمن ) أي : صدق بتوحيد الله ( وعمل صالحاً ) أدَّى الفرائض ( فعسى أن يكون من المفلحين ) و « عسى » من الله واجب .



﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ . وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ . وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾

قوله تعالى : ( وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ) روى الموفى عن ابن عباس في قوله : « وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ » قال : كانوا يحملون لآلهتهم خير أموالهم في الجاهلية . وقال مقاتل : نزلت في الوليد بن المغيرة حين قال : « لولا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرَبَتَيْنِ عَظِيمٍ » [الزخرف: ٣١] <sup>(١)</sup> ؛ والمعنى أنه لا تُبْعَثُ الرسل باختيارهم . قال الزجاج : والوقف الجيد على قوله : « وَيَخْتَارُ » وتكون « ما » نفيًا ؛ والمعنى : ليس لهم أن يختاروا على الله ؛ ويجوز أن تكون « ما » بمعنى « الذي » ، فيكون المعنى : ويختار الذي لهم فيه الخيرة بمّا يتعبّدون به ويدعوم إليه <sup>(٢)</sup> ؛ قال الفراء : والعرب تقول لِمَا تَخْتَارُهُ : أُعْطِنِي الْخَيْرَةَ وَالْخَيْرَةَ وَالْخَيْرَةَ ، قال تلمب : كلها لغات .

قوله تعالى : ( مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ ) أي : ما تخفي من الكفر والعداوة ( وَمَا يُعْلِنُونَ ) بالسنتهم .

(١) ذكره السيوطي في « أسباب النزول » : ١٩٣ من رواية ابن المنذر عن قتادة ، والله أعلم .

(٢) قال ابن كثير : وقد اختار ابن جرير أن « ما » هاهنا بمعنى الذي ، تقديره : ويختار الذي لهم فيه خيرة ، قال : وقد احتج بهذا السلك طائفة المعتزلة على وجوب مراعاة الأصلح ، ثم قال ابن كثير : والصحيح أنها نافية كما نقله ابن أبي حاتم عن ابن عباس وغيره أيضاً ، فإن المقام في بيان انفراد تعالى بالخلق والتقدير والاختيار ، وأنه لا نظير له في ذلك ، ولهذا قال : ( سبحان الله وتعالى عما يشركون ) أي : من الأصنام والأنداد التي لا تخلق ولا تختار شيئاً . اهـ .

قوله تعالى : ( له الحمد في الأولى والآخرة ) [ أي ] : يَحْمَدُهُ أوليأؤه في الدنيا

وَيَحْمَدُونَهُ في الجنة ( وله الحكم ) وهو الفصل بين الخلائق . والسَّرمَد : الدائم .

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمُ بَصِيَاءٌ أَفَلَا تَسْمَعُونَ . قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمُ اللَّيْلُ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ . وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ . وَتَزْعُمَانِ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَانُوا بَرَاهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾

قوله تعالى : ( أَفَلَا تَسْمَعُونَ ) أي : سماع فهم وتبول فتستدلوا بذلك

على وحدانية الله تعالى ؟ ! ومعنى ( تَسْكُنُونَ فِيهِ ) : تستريحون من الحركة

والتَّصَبُّب ( أَفَلَا تُبْصِرُونَ ) ما أنتم عليه من الخطأ والضلالة ؟ ! ثم أخبر أن الليل

والنهار رحمة منه . وقوله : ( لَتَسْكُنُوا فِيهِ ) يعني في الليل ( وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ) أي : لتلتبسوا من رزقه بالمعاش في النهار ( وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ) الذي

أنعم عليكم بهما .

قوله تعالى : ( وَتَزْعُمَانِ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ) أي : أخرجنا من كل أمة

رسولها الذي يشهد عليها بالتبليغ ( فَقُلْنَا هَانُوا بَرَاهَانَكُمْ ) أي : حُجَّتْكُمْ على ما كنتم

تعبُدون من دوني ( فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ ) أي : عَلِمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

( وَضَلَّ عَنْهُمْ ) أي : بَطُلَ في الآخرة ( مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ) في الدنيا من الشركاء .

﴿إِنْ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَنَيْنَا عَلَيْهِمْ بَنِينَ وَأَتَيْنَاهُ مِنْ الْكُتُورِ مَا إِنْ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ . وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُقْسِدِينَ ﴾  
قوله تعالى : ( إِنْ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى ) أي : من عشيرته ؛ وفي نسبه إلى موسى ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه كان ابن عمه ، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس ، وبه قال عبد الله بن الحارث ، وإبراهيم ، وابن جريج .  
والثاني : ابن خالته ، رواه عطاء عن ابن عباس .  
والثالث : أنه كان عمّ موسى ، قاله ابن إسحاق <sup>(١)</sup> .  
قال الزجاج : « قَارُونَ » اسم أعجمي لا ينصرف ، ولو كان « فاعولاً » من العربية من « قرنت الشيء » لا ينصرف .

قوله تعالى : ( فَبَنَيْنَا عَلَيْهِمْ بَنِينَ ) فيه خمسة أقوال . أحدها : أنه جعل لبني إسرائيل جُعللاً على أن تقتل موسى بنفسها ، ففعلت ، فاستحلفها موسى على ما قالت ، فأخبرته بقصتها ، فكان هذا بنيها ، قاله ابن عباس . والثاني : أنه بنى بالكفر بالله تعالى ، قاله الضحاك . والثالث : بالكبر ، قاله قتادة . والرابع : أنه زاد في طول نيابه شبراً ، قاله عطاء الخراساني ، وشهر بن حوشب . والخامس : أنه كان يخدم فرعون فتمدّى على بني إسرائيل وظلمهم ، حكاه الماوردي .

(١) قال ابن كثير : قال ابن جريج : وأكثر أهل العلم على أنه كان ابن عمه ، والله أعلم .

وفي المراد بمفتاحه خزان .

أحدهما : أنها مفاتيح الخزائن التي تفتح بها الأبواب ، قاله مجاهد ، وقتادة .  
وروي الأعمش عن خيشة قال : كانت مفاتيح قارون وقرستين بنلاً ، وكانت  
من جلود ، كل مفتاح مثل الأصبع .

والثاني : أنها خزائنه ، قاله السدي ، وأبو صالح ، والضحاك . قال الزجاج :  
وهذا الأشبه أن تكون مفاتيحه خزائن ماله ؛ وإلى نحو هذا ذهب ابن قتيبة .  
قال أبو صالح : كانت خزائنه تُحمل على أربعين بنلاً .

قوله تعالى : ( لَتَنْوُوْا بِالْمُصْبَةِ ) أي : تُثقلهم وتُميلهم . ومعنى الكلام :  
لَتَنْسِيَهُ الْمُصْبَةَ ، فلما دخلت الباءُ في « المُصْبَةِ » انفتحت التاء ، كما تقول : هذا  
يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ، وهذا يُذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ، وهذا اختيار الفراء ، وابن قتيبة ،  
والزجاج في آخرين . وقال بعضهم : هذا من المقلوب ، وتقديره : ما إن  
المُصْبَةُ لَتَنْوُوْا بمفتاحه ، كما يقال : إنها لَتَنْوُوْا بها عجيزتها ، أي : هي تنوُوْ  
بعجيزتها ، وأنشدوا :

فَدَيْتُ بِنَفْسِي وَمَالِي وَمَا آلُوكَ إِلَّا مَا أُطِيقُ<sup>(١)</sup>

أي : فديت بنفسي وبمالي نفسه ، وهذا اختيار أبي عبيدة ، والأخفش . وقد  
يُسَمَّى معنى المُصْبَةِ في سورة (يوسف : ٨) ، و [ في ] المراد بها [ هاهنا ] ستة أقوال .  
أحدها : أربعون رجلاً ، رواه العوفي عن ابن عباس . والثاني : ما بين الثلاثة إلى  
المشرة ، رواه الضحاك عن ابن عباس . والثالث : خمسة عشر ، قاله مجاهد .  
والرابع : فوق المشرة إلى الأربعين ، قاله قتادة . والخامس : سبعون رجلاً ، قاله  
أبو صالح . والسادس : ما بين الخمسة عشر إلى الأربعين ، حكاه الزجاج .

(١) البيت في « مجاز القرآن » : ٧٩/٢ ، و « الطبري » : ١٠٨/٢٠ .

قوله تعالى : ( إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ ) في القائل له قولان . أحدهما : أنهم المؤمنون من قومه ، قاله السدي . والثاني : أنه قول موسى له ، حكاه الماوردي .

قوله تعالى : ( لَا تَفْرَحْ ) قال ابن قتيبة : المعنى : لا تأشُرْ ، ولا تَبْطُرْ ، قال الشاعر :

ولستُ بِمِفْرَاحٍ إِذَا الدَّهْرُ سَرَّني وَلَا جازِعٍ مِنْ صَرْفِهِ الْمُتَحَوِّلِ<sup>(١)</sup>  
أي : لستُ بِأَشِيرٍ ، فأمَّا السرورُ ، فليس بِمَكْرُوهٍ . ( إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ  
الْفَرَحِينَ ) وقرأ أبو رجاء ، وأبو حيوة ، وعاصم الجحدري ، وابن أبي عملة :  
« الفارحين » [ بألف ] .

قوله تعالى : ( وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ ) أي : اطلب فيما أعطاك الله من  
الأموال . وقرأ أبو المتوكل ، وابن السميع : « وَاتَّبِعْ » بتشديد التاء وكسر  
الباء بعدها وعين ساكنة غير معجمة ( الدار الآخرة ) وهي : الجنة ؛ وذلك يكون  
بانفاقه في رضى الله تعالى وشكر المنعم به ( وَلَا تَنْسَ نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا )  
فيه ثلاثة أقوال . أحدها : أن يعمل في الدنيا للآخرة ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ،  
والجمهور . والثاني : أن يُقدِّم الفضل ويُعسك ما يُغنيه ، قاله الحسن . والثالث :  
أن يستغني بالحلال عن الحرام ، قاله قتادة .

وفي معنى : « وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ » ثلاثة أقوال حكاه الماوردي .  
أحدها : أعطِ فضل مالك كما زادك على قدر حاجتك . والثاني : أحسن فيما

(١) البيت لمؤدبة بن خَشْرَم السُّدْرِي ، وهو في « غريب القرآن » : ٣٣٥ ،  
و « البحر المحيط » : ١٣٢/٧ ، و « القرطبي » : ٣١٣/١٣ ، و « الكامل » : ١٢٤٨/٣ ،  
و « عيون الأخبار » : ١٧٦/٢ و ٢٨١ ، و « حاشية البحري » : ١٢٠ ، و « حاشية  
ابن الشجري » : ١٣٧ .

اقترض عليك كما أحسن في إتمامه إليك . والثالث : أحسن في طلب الحلال  
كما أحسن إليك في الإحلال <sup>(١)</sup> .

قوله تعالى : ( وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ ) فتمثل فيها بالمعاصي .

﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَهَنَّمَ وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾

قوله تعالى : ( إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ ) يعني المال ( على علم عِنْدِي ) فيه خمسة أقوال .  
أحدها : على علم عِنْدِي بصنعة الذهب ، رواه أبو صالح عن ابن عباس ؛  
قال الزجاج : وهذا لا أصل له ، لأن الكيمياء باطل لا حقيقة له . والثاني : برضى الله  
عني ، قاله ابن زيد <sup>(٢)</sup> . والثالث : على خير علمه الله عِنْدِي ، قاله مقاتل . والرابع :  
إنما أُعْطِيْتُهُ لفضل علمي ، قاله الزراء . قال الزجاج : ادَّعى أنه أُعْطِيَ المال لعلمه  
بالتوراة . والخامس : على علم عِنْدِي بوجوه المكاسب ، حكاه الماوردي .

(١) قال ابن جرير الطبري : وأحسن في الدنيا إتفاق مالك الذي آتاه الله في وجوهه  
وسبله ، كما أحسن الله إليك فوسَّع عليك منه وبسط لك فيها . وقال ابن كثير : أي : أحسن  
إلى خلقه كما أحسن هو إليك .

(٢) قال ابن كثير : وقد أجاد في تفسير هذه الآية الامام عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، فانه  
قال في قوله : ( قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ) قال : لولا رضى الله عني ومعرفة بفضلي ،  
ما أعطاني هذا المال ، وقرأ ( أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ  
أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَهَنَّمَ ... ) الآية ، قال : وهكذا يقول من قلَّ عليه إذا رأى مَنْ  
وسَّع الله عليه : لولا أن يستحق ذلك لما أعطى . اهـ . وقال ابن جرير الطبري : ولو كان الله  
يؤتي الأموال من يؤتيه لفضل فيه وخير عنده ، ولرضاه عنه ، لم يكن يهلك من أهلك من  
أرباب الأموال الذين كانوا أكثر منه مالاً ، لأن من كان الله عنه راضياً ، فحال أن يهلكه الله  
وهو عنه راض ، وإنما يهلك من كان عليه سائطاً . اهـ .

قوله تعالى : ( أُولَئِكَ يَعْلَمُونَ ) يعني قارون ( أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ ) بالذاب  
( مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ ) في الدنيا حين كذبوا رُسُلَهُمْ ( مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ  
قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَهَنَّمَ ) للأموال .

وفي قوله : ( وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ) ثلاثة أقوال . أحدها :  
لَا يُسْأَلُونَ لِيُعْلَمَ ذَلِكَ مِنْ قِبَلِهِمْ وَإِنْ سَأَلُوا سَوَّالٌ تَوَيْخٌ ، قاله الحسن .  
والثاني : أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَعْرِفُهُمْ بِسِيَاهِهِمْ فَلَا تُسْأَلُهُمْ عَنْ ذُنُوبِهِمْ ، قاله مجاهد . والثالث :  
يَدْخُلُونَ النَّارَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ، قاله قتادة . وقال السدي : يَعْذَّبُونَ وَلَا يُسْأَلُونَ  
عَنْ ذُنُوبِهِمْ .

﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ  
الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَكُنْ عَظِيمٌ . وَقَالَ  
الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ تَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا  
وَلَا يُلْقِهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾

قوله تعالى : ( فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ) قال الحسن : في ثيابٍ حمراء وصفرة ؛  
وقال عكرمة : في ثيابٍ مُعَصْفَرَةٍ . وقال وهب بن منبه : خرج على بطةٍ شبيهة  
عليها سرج أحمر من أَرْجُوانٍ ، ومعه أربعة آلاف مقاتل ، وثلاثمائة وصيفة عليهن  
الحلي والزينة على بنال بيض . قال الزجاج : الأَرْجُوان في اللغة : صَبِغٌ أحمر .  
قوله تعالى : ( لَكُنْ عَظِيمٌ ) أي : كُنْ نَصِيبٌ وافٍ من الدنيا .

[ وقوله ] : ( وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ) قال ابن عباس : يعني الأَحْبَارَ مِنْ  
بَنِي إِسْرَائِيلَ . وقال مقاتل : الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ بِمَا وَعَدَ اللَّهُ فِي الْآخِرَةِ قَالُوا  
لِلَّذِينَ تَمَنَّوْا مَا أُوتِيَ [ قَارُونُ ] ( وَيَلَكُمْ تَوَابُ اللَّهِ ) أي : مَا عِنْدَهُ مِنَ الْجَزَاءِ ( خَيْرٌ لِمَنْ  
آمَنَ ) مِمَّا أُعْطِيَ قَارُونُ <sup>(١)</sup> .

(١) قال ابن كثير : أي جزاء الله لعباده المؤمنين الصالحين في الدار الآخرة خير مما يرون ، —

قوله تعالى : ( وَلَا يُلْقَاهَا ) قال أبو عبيدة : لا يوفق لها ويرزقها . وقرأ أبي بن كعب ، وابن أبي عمير : « وَلَا يُلْقَاهَا » بفتح الياء وسكون اللام وتخفيف القاف . وفي المشار إليها ثلاثة أقوال .

أحدها : أنها الأعمال الصالحة ، قاله مقاتل . والثاني : أنها الجنة ، والمعنى : لا يُعطاهما في الآخرة إلا الصابرون على أمر الله ، قاله ابن السائب .

والثالث : أنها الكلمة التي قالوها ، وهي قولهم : « ثواب الله خير » ، قاله الفراء <sup>(١)</sup> .

﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ . وَأَصْبَحَ السَّيِّئِينَ تَمَنُّوا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَسْتَطِعُ اللَّهُ بِغَيْبِهِ أَنْ يَنْبُذَهُمْ أَيْنَ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مِنْ اللَّهِ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيُنَكِّتُهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾

قوله تعالى : ( فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ ) <sup>(٢)</sup> لما أمر قارونُ البغي

— قال : كما جاء في الحديث الصحيح : « يقول الله تعالى : أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، اقرؤوا إن شئتم : ( فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ) » . اهـ .

(١) قال ابن جرير الطبري : وقوله : ( وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصابرون ) يقول : ولا يلقيها ، أي : ولا يوفق لغيرها . وهي كلمة ، والمعنى : لا يُعطاهما في الآخرة إلا الصابرون على أمر الله ، وهي قوله : ( خير لمن آمن وعمل صالحا ) قال : والماء والألف كناية عن الكلمة ، وقال : ( إِلَّا الصابرون ) يعني بذلك : الذين صبروا عن طلب زينة الحياة الدنيا ، وآثروا ما عند الله من جزيل ثوابه على صالحات الأعمال ، على لذات الدنيا وشهواتها ، فجدوا في طاعة الله ، ورفضوا الحياة الدنيا . اهـ .

(٢) وفي « صحيح البخاري » : ٣٨١/٦ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن —



بقذف موسى على ما سبق شرحه [القصص : ٧٦] غضب موسى فدعا عليه ، فأوحى الله تعالى إليه : إني قد أمرت الأرض أن تطيعك فَرَّهَا ؛ فقال موسى : يا أرض خُذِيهِ ، فأخذته حتى غيبت سريره ، فلما رأى ذلك ناشده بالرَّحْم ، فقال : خُذِيهِ ، فأخذته حتى غيبت قدميه ؛ فما زال يقول : خُذِيهِ ، حتى غيبتهُ ، فأوحى الله تعالى إليه : يا موسى ما أظفأك ، وعزَّتي وجلالي لو استغاث بي لأغته <sup>(١)</sup> . قال ابن عباس : فحُصِفَتْ به الأرضُ إلى الأرض السفلى . وقال سَمُرَةُ بْنُ جُنْدَبٍ : إِنَّهُ يُخَسَفُ به كلُّ يوم قامة ، فتبلغ به الأرض السفلى يوم القيامة <sup>(٢)</sup> . وقال مقاتل : فلما هلك قارون قال بنو إسرائيل : إِنَّمَا أَهْلَكَهُ موسى ليأخذ ماله وداره ، فَخَسَفَ اللَّهُ بداره وماله بعده بثلاثة أيام .

قوله تعالى : ( يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ) أي : يَمْنُونَهُ مِنْ اللَّهِ ( وما كان من الْمُسْتَنْصِرِينَ ) أي : من المستعين بمَّا نزل به . ثم أعلَمْنَا أَنَّ الْمُتَمَنِّينَ مكانه ندموا على ذلك التَمَنِّي بِالْآيَةِ التي تلي هذه .

— رسول الله ﷺ قال : « بينا رجل يجر إزاره من الخلاء ، خسف به ، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة » وفي « صحيح مسلم » : ١٦٥٤/٣ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « بينا رجل يتبختر ، يمشي في بُرديه قد أعجبته نفسه ، فحُصِفَ الله به الأرض ، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة » .

(١) رواه الطبري بنحوه : ١١٧/٢٠ وفي سنده رجل مجهول ، وذكر نحوه السيوطي في « الدر » مطولاً من رواية عبد الرزاق وابن أبي حاتم عن عبد الله بن الحارث ، ومختصراً من رواية أحمد في « الزهد » عن عون بن عبد الله القاري ، والله أعلم .

(٢) ذكره السيوطي في « الدر » : ١٣٨/٥ من رواية ابن أبي حاتم من طريق قتادة عن سمرة بن جندب ، قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » : ورواه الطبري في « التاريخ » من طريق سميد بن أبي عروبة عن قتادة قال : ذكر لنا . . . فذكره .

وقوله : ( كَلُفَّ بَنَا ) الاكثرون على ضم الخاء وكسر السين . وقرأ يعقوب ، والوليد عن ابن عامر ، وحفص ، وأبان عن عاصم : بفتح الخاء والسين .  
فأما قوله : « وَيَنَّكَ » فقال ابن عباس : معناه : ألم تر ، وكذلك قال أبو عبيدة ، والكسائي . وقال الفراء : « وَيَنَّكَ أَنْ » في كلام العرب تقرير ، كقول الرجل : أما ترى إلى صنع الله وإحسانه ، أنشدني بعضهم :  
وَيَنَّكَ أَنْ مَنْ يَكُنْ لَهُ نَشَبٌ يُحْ

بَبْ وَمَنْ يَفْتَقِرْ يَمِشْ عَيْشَ ضَرْ

وقال ابن الأنباري : في قوله : « وَيَنَّكَ أَنَّهُ » ثلاثة أوجه .

إن شئت قلت : « وَيَنَّكَ » حرف ، و « أَنَّهُ » حرف ؛ والمعنى : ألم تر أَنَّهُ ، والدليل على هذا قول الشاعر :

سَالَتَنِي الطَّلَاقُ أَنْ رَأَتَنِي قُلْ مَالِي قَدْ جِثْمَانِي بِشُكْرِ<sup>(١)</sup>  
وَيَنَّكَ أَنْ مَنْ يَكُنْ لَهُ نَشَبٌ يُحْ بَبْ وَمَنْ يَفْتَقِرْ يَمِشْ عَيْشَ ضَرْ

والثاني : أن يكون « وَيَنَّكَ » حرفاً ، و « أَنَّهُ » حرفاً . والمعنى : ويليكَ اعلم أَنَّهُ ، فحذفت اللام ، كما قالوا : قم لأباك ، يريدون : لأبائك ، وأنشدوا :

أَبَانَمَوْتُ الَّذِي لَا بُدَّ أَنْ يَ مُلَاقٍ لَا أَبَاكَ تُخَوِّفِينِي<sup>(٢)</sup>  
أَرَادَ : لَا أَبَاكَ ، فحذفت اللام .

(١) البيتان لزيد بن عمرو بن نفيل القرشي ، وهما في د مجاز القرآن ، : ١١٢/٢ ، ود الطبري ، : ١٢٠/٢٠ ، ود القرطبي ، : ٣١٨/١٣ ، ود سيويه ، : ٢٩٠/١ ، والبيت الثاني في د مشكل القرآن ، : ٤٠١ ، وفي د الصحاح ، ود اللسان ، ود التاج ، : ويا ، ونسبته فيها لزيد بن عمرو ، أو لنبه بن الحجاج .

(٢) البيت لأبي حنيفة الثميري ، وهو في د الصحاح ، ود اللسان ، ود التاج ، : أبي .

والثالث : أن يكون « وَيَ » حرفاً ، و « كَأَنَّهُ » حرفاً ، فيكون معنى « وَيَ » التعجب ، كما تقول : وَيَ لِمَ فعلت كذا وكذا ، ويكون معنى « كَأَنَّهُ » : أَظُنُّه وأعلمه ، كما تقول في الكلام : كَأَنَّكَ بالْفَرَجِ قد أَقْبَلْ ؛ فمعناه : أَظُنُّ الْفَرَجَ مُقْبِلاً . وإنما وصلوا الياء بالكاف في قوله : « وَيَكُنْزُهُ » لأنَّ الكلام بهما كَثُرَ ، كما جعلوا « يَا ابْنَ أُمِّ » في المصحف حرفاً واحداً ، وهما حرفان [ طه : ٤٤ ] . وكان جماعة منهم يعقوب ، يعقوف على « وَيَكْ » في الحرفين ، ويتدوون « أَنْ » و « أَنَّهُ » في الموضعين . وذكر الزجاج عن الخليل أنه قال : « وَيَ » مفصولة من « كَأَنَّ » ، وذلك أنَّ القوم تَنَدَّمُوا فقالوا : « وَيَ » متندِّمين على ما سلف منهم ، وكلُّ مَنْ تَدَمَّ فَاظْهَرَ ندامته قال : وَيَ . وحكى ابن قتيبة عن بعض العلماء أَنَّهُ قال : معنى « وَيَكُنْ » : رحمة لك ، بلغة حَمِيرٍ <sup>(١)</sup> .

قوله تعالى : ( لَوْلا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ) أي : بالرحمة والمعافة والإيمان ( لَخَسَفَ بِنَا ) .

(١) قال ابن جرير الطبري : وأولى الأقوال في ذلك بالصحة ، أن معناه : ألم تر ، ألم تعلم ، ثم قال : وإذا كان ذلك هو الصواب ، فتأويل الكلام : وأصبح الذين تمَنَّوْا مكان قارون وموضعه من الدنيا بالأمس ، يقولون لما عاينوا ما أحلَّ الله به من نعمته : ألم تر يا هذا أن الله ييسر الرزق لمن يشاء من عباده فيوسِّع عليه لا لفضل منزلته عنده ولا لكرامته عليه ، كما كان ييسر من ذلك لقارون ، لا لفضله ولا لكرامته عليه ( ويقدر ) يقول : وبضيق على من يشاء من خلقه ذلك وينثر عليه لاهوائه ولا استخفايه عمله . اهـ . وقد ضعف ابن جرير قول من قال : معناه : « ويلك اعلم أن » ، وقال ابن كثير : والظاهر أنه قوي ، ولا يشكل على ذلك إلا كتابتها في المصاحف متصلة « وَيَكُنْ » وقال : والكتابة أمر وضمي اصطلاحاً ، والمرجع إلى اللفظ العربي ، والله أعلم . اهـ .

﴿ نِلِكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

قوله تعالى : ( نِلِكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ ) يعني الجنة ( نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ ) وفيه خمسة أقوال . أحدها : أنه البُغْي ، قاله سعيد بن جبير . والثاني : الشَّرَفُ والعِزُّ ، قاله الحسن . والثالث : الظُّنْم ، قاله الضحاك . والرابع : الشَّرِك ، قاله يحيى بن سلام . والخامس : الاستكبار عن الإيمان ، قاله مقاتل .

قوله تعالى : ( وَلَا فَسَادًا ) فيه قولان . أحدهما : العمل بالمعاصي ، قاله عكرمة . والثاني : الدُّعَاءُ إلى غير عبادة الله ، قاله ابن السائب <sup>(١)</sup> .

قوله تعالى : ( وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ) أي : العاقبة المحمودة لهم .

قوله تعالى : ( مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ ) قد فسرناه في سورة ( النمل : ٨٩ ) .

(١) قال ابن كثير : يخبر تعالى أن الدار الآخرة ونعيمها المقيم الذي لا يحول ولا يزول ، جعلها لعباده المؤمنين المتواضعين الذين لا يريدون علواً في الأرض ، أي : رفعة على خلق الله وتماظلاً عليهم وتجشراً بهم ، ولا فساداً فيهم . اهـ . وروى ابن جرير الطبري عن علي رضي الله عنه قال : إن الرجل ليمجه من شرك نفعه أن يكون أجود من شرك صاحبه ، فيدخل في قوله : ( نِلِكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ) . اهـ . قال ابن كثير : وهذا محمول على ما إذا أراد بذلك الفخر والتطاول على غيره ، فإن ذلك مذموم ، كما ثبت في « الصحيح » عن النبي ﷺ أنه قال : « إنه أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد ، وأما إذا أحب ذلك لمجرد التجميل ، فهذا لا بأس به ، فقد ثبت أن رجلاً قال : يا رسول الله إني أحب أن يكون ردائي حسناً ، ونعلي حسنة ، أفن الكبر ذلك ؟ فقال : « لا ، إن الله جميل يحب الجمال » .

قوله تعالى : ( فلا يُجزى الذين عملوا السيئات ) يريد الذين أشركوا ( إلا ما كانوا يعملون ) أي : إلا جزاء عملهم من الشرك ، وجزاؤه النار . ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ . وَمَا كُنْتُ تَرْجُو أَنَّ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنِّي رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ . وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾

قوله تعالى : ( إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ ) قال مقاتل : خرج رسول الله ﷺ من النار ليلاً ، فضى من وجهه إلى المدينة فسار في غير الطريق مخافة الطَّابِ ؛ فلما أَمِنَ رجع إلى الطريق فنزل الجُحْفَةَ بين مكة والمدينة ، ففرغ الطريق إلى مكة ، فاشتاق إليها ، وذكر مولده ، فأناه جبريل فقال : أنشتاق إلى بلدك ومولدك ؛ قال : نعم ؛ قال : فان الله تعالى يقول : ( إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ ) ، فنزلت هذه الآية بالجُحْفَةِ (١) . وفي معنى « فَرَضَ عَلَيْكَ » ثلاثة أقوال . أحدها : فرض عليك العمل

(١) ذكر ذلك القرطبي في « تفسيره » عن مقاتل أيضاً ، وخرجه السيوطي في « الدرر » : ١٣٩/٥ من رواية ابن أبي حاتم عن الضحاك بنحوه . وقال ابن كثير بعد أن أورد رواية ابن أبي حاتم عن الضحاك : وهذا من كلام الضحاك يقتضي أن هذه الآية مدنية وإن كان مجموع السورة مكياً ، والله أعلم . اهـ .

بالقرآن ، قاله عطاء بن أبي رباح ، وابن قتيبة . والثاني : أعطاك القرآن ، قاله مجاهد . والثالث : أنزل عليك القرآن ، قاله مقاتل ، والفراء ، وأبو عبيدة .

وفي قوله : ( لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ ) أربعة أقوال .

أحدها : إلى مكة ، رواه العوفي عن ابن عباس ، وبه قال مجاهد في رواية ، والضحاك . قال ابن قتيبة : مَعَادُ الرَّجُلُ : بلده ، لأنه يتصرف [ في البلاد ويَضْرِبُ في الأرض ] <sup>(١)</sup> ثم يعود إلى بلده .

والثاني : إلى معادك من الجنة ، رواه عكرمة عن ابن عباس <sup>(٢)</sup> ، وبه قال الحسن ، والزهري . فان اعترض على هذا فقيل : الرد يقتضي أنه قد كان فيما رُدَّ إليه ؛ فنه ثلاثة أجوبة . أحدها : أنه لما كان أبوه آدم في الجنة ثم أخرج ، كان كأنَّ ولده أُخرج منها ، فاذا دخلها فكأنه أُعيد . والثاني : أنه دخلها ليلة المعراج ، فاذا دخلها يوم القيامة كان ردًّا إليها ، ذكرهما ابن جرير . والثالث : أن العرب تقول : رجع الأمر إلى كذا ، وإن لم يكن له كَوْنٌ فيه قط ، وأنشدوا :

[ وما المرءُ إِلَّا كالشَّهابِ وضوئِهِ ]

يَحْوَرُ رَمَادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعٌ <sup>(٣)</sup>

وقد شرحنا هذا في قوله : ( وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ) [ البقرة : ٢٨٠ ] .

(١) زيادة من « مشكل القرآن » .

(٢) رواه الطبري : ١٣٤/٢٠ وفي مسنده ضعف .

(٣) البيت للبيد بن ربيعة العامري ، وهو في ديوانه : ١٦٩ ، و « البحر » : ٤٤٤/٨ ،

و « اللسان » ، و « التاج » : حور .

والثالث : لَرَادُّكَ إِلَى الْمَوْتِ ، رواه سميد بن جبير عن ابن عباس ، وبه قال أبو سميد الخدري <sup>(١)</sup> .

والرابع : لَرَادُّكَ إِلَى الْقِيَامَةِ بِالْبَيْتِ ، قاله الحسن ، والزهرى ، ومجاهد في رواية ، والزجاج <sup>(٢)</sup> .

ثم ابتدأ كلاماً بِرُدِّهِ به على الكفار حين نسبوا النبي ﷺ إلى الضلال ، فقال : ( قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى ) ؛ والمعنى : قد علم أنني جئت بالهدى ، وأنكم في ضلال مبين . ثم ذكَّره نِعْمَةً ، فقال : ( وَمَا كُنْتُ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ ) أي : أن تكون نبياً وأن يوحى إليك القرآن ( إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ) قال الفراء : هذا استثناء منقطع ، والمعنى : إِلَّا أَنْ رَبِّكَ رَحِمَكَ فَأَنْزَلَهُ عَلَيْكَ ( فَلَا تَكُونَنَّ ظَهيراً لِلْكَافِرِينَ ) أي : عوناً لهم على دينهم ، وذلك أَنَّهُمْ دَعَوْهُ إِلَى دِينِ آبَائِهِ فَأُمِرَ بِالْإِحْتِرَازِ مِنْهُمْ ؛ والخطاب بهذا وأمثاله له ، والمراد أهل دينه اثلاً يُظَاهِرُوا الْكُفَّارَ وَلَا يُوَافِقُوهُمْ .

قوله تعالى : ( كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ) فيه قولان .

(١) قال ابن جرير الطبري : والصواب من القول في ذلك عندي قول من قال : لَرَادُّكَ إِلَى عَادَتِكَ مِنَ الْمَوْتِ ، أو إِلَى عَادَتِكَ حَيْثُ وُلِدْتَ . اهـ .

(٢) قال ابن كثير : وجه الجمع بين هذه الأقوال ، أن ابن عباس فسر ذلك تارة برجوعه إلى مكة ، وهو الفتح الذي هو عند ابن عباس أمانة على اقتراب أجل النبي ﷺ ، كما فسر ابن عباس سورة ( إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ) إلى آخر السورة : أنه أجل رسول الله ﷺ فني إليه ، وكان ذلك بحضور عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ووافقه عمر على ذلك وقال : لا أعلم منها غير الذي نظم ، ولهذا فسر ابن عباس تارة أخرى قوله : ( لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ ) بالموت ، وتارة بيوم القيامة الذي هو بعد الموت ، وتارة بالجنة التي هي جزاءه ومصيره على أداء رسالة الله وإبلاغها إلى الثقلين : الانس والجن ، ولأنه أكل خلق الله ، وأفصح خلق الله ، وأشرف خلق الله على الإطلاق . اهـ .

أحدهما : إلا ما أريدَ به وجهه ، رواه عطاء عن ابن عباس ، وبه قال الثوري .  
والثاني : إلا هو ، قاله الضحاك ، وأبو عبيدة .

قوله تعالى : ( لَهُ الْحُكْمُ ) أي : الفصل بين الخلائق في الآخرة دون  
غيره ( وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ) في الآخرة <sup>(١)</sup> .




---

(١) قال ابن جرير الطبري : وإليه تردون من بعد عاتكم فيقضي بينكم بالعدل فيجازي  
مؤمنكم جزاءهم ، وكفاركم ما وعدهم . اهـ .



# سورة العنكبوت

## فصل في نزولها

روى العوفي عن ابن عباس أنها مكية، وبه قال الحسن ، وقتادة ، وعطاء ، وجابر بن زيد ، ومقاتل . وفي رواية عن ابن عباس أنها مدنية . وقال هبة الله [ ابن سلامة ] المفسر : نزل من أولها إلى رأس العشر بعكة ، وباقيها بالمدينة . وقال غيره عكس هذا : نزل العشر بالمدينة ، وباقيها بعكة .

## بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ اَلَمْۤ اَحْسِبَ النَّاسُۢ اَنْ يُّشْرَكَوْا اَنْ يَقُوْلُوْا اٰمَنَّا وَاَمْ لَا يُفْقَهُوْنَ . وَلَقَدْ فْتَنَّا الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللّٰهُ الَّذِيْنَ صَدَقُوْا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَٰذِبِيْنَ . اَمْ حَسِبَ الَّذِيْنَ يَعْمَلُوْنَ السَّيِّئَاتِ اَنْ يَّسْبِقُوْنَا سَاءَ مَا يَحْكُمُوْنَ ﴾

قوله تعالى : ( اَلَمْۤ اَحْسِبَ النَّاسُۢ اَنْ يُّشْرَكَوْا ) في سبب نزولها  
ثلاثة أقوال .

أحدهما : أَنَّهُ لَمَّا أُمِرَ بِالْهَجْرَةِ ، كَتَبَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى إِخْوَانِهِمْ بِعَمَّةٍ أَنَّهُ لَا يَقْبَلُ مِنْكُمْ إِسْلَامَكُمْ حَتَّى تُهَاجِرُوا ، فَخَرَجُوا نَحْوَ الْمَدِينَةِ فَأَدْرَكَهُمُ الْمُشْرِكُونَ فَرَدُّوهُمْ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ عَشْرَ آيَاتٍ ، فَكَتَبُوا إِلَيْهِمْ يَخْبِرُونَهُمْ بِمَا نَزَلَ فِيهِمْ ، فَقَالُوا : نَخْرُجُ ، فَإِنْ اتَّبَعْنَا أَحَدًا قَاتَلْنَاهُ ، فَخَرَجُوا فَاتَّبَعَهُمُ الْمُشْرِكُونَ فَقَاتَلُوهُمْ ، فَهُمْ مِمَّنْ قُتِلَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ نَجَّى ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِمْ : « ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ الَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا » [التحل : ١١٠] ، هَذَا قَوْلُ الْحَسَنِ ، وَالشَّعْبِيِّ (١) .

وَالثَّانِي : أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي عُمَارِ بْنِ يَاسِرٍ إِذْ كَانَ يَمْذُبُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، قَالَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُبَيْدٍ بْنُ مُعْمِرٍ (٢) .

وَالثَّلَاثُ : أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي مِهْجَعِ مَوْلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ حِينَ قُتِلَ يَبْدَرُ ، فَجَزَعَ عَلَيْهِ أَبَوَاهُ وَامْرَأَتُهُ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَبَوَيْهِ وَامْرَأَتِهِ هَذِهِ الْآيَةَ (٣) .

قَوْلُهُ تَعَالَى : ( أَحْسِبِ النَّاسُ ) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : يَزِيدُ بِالنَّاسِ : الَّذِينَ آمَنُوا بِعَمَّةٍ ، كَمَيْثَاشِ بْنِ أَبِي رَيْعَةَ ، وَعُمَارِ بْنِ يَاسِرٍ ، وَسَلَمَةَ بْنِ هِشَامٍ ، وَغَيْرِهِمْ . قَالَ الزَّجَّاجُ : لَفْظُ الْآيَةِ اسْتِخْبَارٌ ، وَمَعْنَاهُ مَعْنَى التَّقْرِيرِ وَالتَّوْيِخِ ؛ وَالْمَعْنَى : أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتَرَكَوا بِأَنْ يَقُولُوا : آمَنَّا ، وَلِأَنْ يَقُولُوا : آمَنَّا ، أَيْ : أَحْسِبُوا أَنْ يُقْنَعَ مِنْهُمْ بِأَنْ يَقُولُوا : إِنَّا مُؤْمِنُونَ ، فَقَطْ ، وَلَا يُتَحَنَّنُونَ بِمَا يَبَيِّنُ

(١) رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ : ١٢٩/٢٠ عَنْ الشَّعْبِيِّ ، وَذَكَرَهُ السَّيُوطِيُّ فِي « الدَّر » : ١٤١/٥ ، وَزَادَ نِسْبَتَهُ لِبَدِّ بْنِ حَمِيدٍ ، وَابْنِ الْمُنْذَرِ ، وَابْنِ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ الشَّعْبِيِّ .

(٢) « الطَّبْرِيُّ » : ١٢٩/٢٠ ، وَأَوْرَدَهُ السَّيُوطِيُّ فِي « الدَّر » : ١٤١/٥ ، وَزَادَ نِسْبَتَهُ لِابْنِ سَعْدٍ ، وَابْنِ أَبِي حَاتِمٍ ، وَابْنِ عَسَاكِرٍ .

(٣) ذَكَرَهُ الْوَاحِدِيُّ فِي « أَسْبَابِ النُّزُولِ » : ١٩٥ عَنْ مِقَاتِلٍ ، بِدُونِ سَنَدٍ . وَقَالَ الْخَافِضُ ابْنُ خُبَرٍ فِي « تَخْرِيجِ الْكُتُبِ » : ١٢٧ : ذَكَرَهُ الثَّلَاطِي عَنْ مِقَاتِلٍ ، قَالَ : وَسَنَدُهُ إِلَى مِقَاتِلٍ فِي أَوَّلِ كِتَابِهِ .

حقيقة إيمانهم ، ( وهم لا يُفْتَنُونَ ) أي : لا يُخْتَبَرُونَ بما يُعَلِّمُ به صِدْقُ إيمانهم من كذبه .

والمفسرين فيه قولان . أحدهما : لا يُفْتَنُونَ في أنفسهم بالقتل والتعذيب ، قاله مجاهد . والثاني : لا يُبْتَلَوْنَ بالأوامر والنواهي .

قوله تعالى : ( ولقد فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ) أي : ابتليناهم واختبرناهم ، ( فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ ) فيه ثلاثة أقوال .

أحدها : فَلْيُزَيِّنْ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا في إيمانهم عند البلاء ، إذا صبروا لقضائه ، وَلْيُزَيِّنْ الكاذبين في إيمانهم إذا شكوا عند البلاء ، قاله مقاتل .  
والثاني : فَلْيُمَيِّزَنَّ ، لَأَنَّهُ [ قد ] عَلِمَ ذلك مِنْ قَبْلُ ، قاله أبو عبيدة .  
والثالث : فَلْيُظْهِرَنَّ ذلك حتى يوجد معلوماً ، حكاه الثعلبي <sup>(١)</sup> .

وقرأ عليّ بن أبي طالب ، وجعفر بن محمد : « فَلْيُعْلِمَنَّ اللَّهُ »  
« وَلْيُعْلِمَنَّ الكاذبين » « وَلْيُعْلِمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلْيُعْلِمَنَّ المنافقين »  
[ النكبت : ١١ ] بضم الياء وكسر اللام .

قوله تعالى : ( أَمْ حَسِبَ ) أي : أَيْحَسَبَ ( الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ )

(١) قال ابن كثير : ومناه : أن الله سبحانه وتعالى لا بد أن يبتلي عباده المؤمنين بحسب ما عندهم من الإيمان ، كما جاء في الحديث الصحيح : « أشد الناس بلاء الأنبياء ، ثم الصالحون ، ثم الأمثل فالأمثل » ، يبتلي الرجل على حسب دينه ، فإن كان في دينه صلابة زيد له في البلاء ، قال : وهذه الآية كقوله تعالى : ( أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَا يَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ) قال : ومثله في سورة ( براءة ) وقال في سورة ( البقرة ) : ( أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمِبِينَ ) والضراء وزرلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب ) قال : ولهذا قال هاهنا : ( ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ) أي : الذين صدقوا في دعوى الإيمان بمن هو كاذب في قوله ودعواه . والله سبحانه وتعالى يعلم ما كان ، وما يكون ، وما لم يكن لو كان كيف يكون ، وهذا مجمع عليه عند أئمة السنة والجماعة . اهـ .

يعني الشِّرْك (أَنْ يَسْبِقُونَا) أي : يَفُوتُونَا وَيُنْجِزُونَا (سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) أي : بُسَّ مَا حَكَمُوا لِأَنفُسِهِمْ حِينَ ظَنُّوا ذَلِكَ . قال ابن عباس : عني بهم الوليد ابن المغيرة ، وأبا جهل ، والمص بن هشام ، وغيرهم .

﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . وَمَنْ جَاهَدْ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ . وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

قوله تعالى : ( مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ ) قد شرحناه في آخر ( الكهف ) ( فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ ) يعني الأجل المضروب للبعث ؛ والمعنى : فليمثل لذلك اليوم ( وهو السميع ) لما يقول ( العليم ) بما يعمل . ( وَمَنْ جَاهَدْ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ) أي : إن ثوابه إليه يرجع .

قوله تعالى : ( لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ) أي : لَنُبْطِلَنَّهَا حَتَّى تَصِيرَ عِزْلَةً مَا لَمْ يَعْمَلْ ( وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ) أي : بأحسن أعمالهم ، وهو الطاعة ، ولا نجزيهم بمساوى أعمالهم .

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴾

قوله تعالى : ( وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ) وقرأ أبي بن كعب ، وأبو مجلز : وعاصم الجحدري : « إحساناً » بألف . وقرأ ابن مسعود ، وأبو رجاء : « حَسَنًا » بفتح الحاء والسين .

روى أبو عثمان الشَّهْدِي عن سَمَدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، قَالَ : فِي أَنْزَلَتْ هَذِهِ  
الْآيَةَ ، كُنْتُ رَجُلًا بَرًّا بِأَبِي ، فَلَمَّا أَسْلَمْتُ قَالَتْ : يَا سَمَدُ ! مَا هَذَا الَّذِي  
الَّذِي قَدْ أَحْدَمْتَ ، لَتَدْعَ عَنْ دِينِكَ هَذَا أَوْ لَا آكُلُ وَلَا أَشْرَبُ حَتَّى أَمُوتَ فَتُحْيِيَ  
بِي فَيَقَالَ : يَا قَاتِلَ أُمِّهِ ، قُلْتُ : لَا تَفْعَلِي يَا أُمَّهُ ، إِنِّي لَا أَدْعُ دِينِي هَذَا لَشَيْءٍ ،  
قَالَ : فَكُنْتُ يَوْمًا وَلِيلَةً لَا تَأْكُلُ ، فَأَصْبَحْتُ قَدْ جُهِدْتُ ، ثُمَّ مَكُنْتُ يَوْمًا  
آخَرَ وَلِيلَةً لَا تَأْكُلُ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ قُلْتُ : تَعْلَمِينَ وَاللَّهِ يَا أُمَّهُ لَوْ كَانَتْ لَكَ  
مِائَةُ نَفْسٍ فَخَرَجْتُ نَفْسًا نَفْسًا مَا تَرَكْتُ دِينِي هَذَا لَشَيْءٍ ، فَكُلِّي ، وَإِنْ  
شِئْتَ لَا تَأْكُلِي ، فَلَمَّا رَأَتْ ذَلِكَ أَكَلَتْ ، فَأَنْزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةَ <sup>(١)</sup> . وَقِيلَ :  
إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي عِيَّاشِ بْنِ أَبِي رِيْعَةَ ، وَقَدْ جَرَى لَهُ مَعَ أُمِّهِ نَحْوُ هَذَا <sup>(٢)</sup> . وَذَكَرَ  
بَعْضُ الْمَفْسِرِينَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ ، وَالتِّي فِي ( لِقَان : ١٥ ) وَفِي ( الْأَحْقَاف : ١٥ )  
نَزَلْنَ فِي قِصَّةِ سَمَدٍ <sup>(٣)</sup> .

(١) رَوَاهُ بِهَذَا السِّيَاقِ الْوَاحِدِي فِي « أَسْبَابِ النُّزُولِ » : ١٩٥ مِنْ رَوَايَةِ أَبِي عُثْمَانَ الشَّهْدِي  
عَنْ سَمَدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَفِي سَنَدِهِ ضَعْفٌ ، وَذَكَرَهُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي سُورَةِ ( لِقَان ) مِنْ رَوَايَةِ  
أَبِي الْقَاسِمِ الطَّبْرَانِيِّ ، وَفِي سَنَدِهِ ضَعْفٌ وَانْقِطَاعٌ ، وَأَوْرَدَهُ السُّيُوطِيُّ فِي « الدَّرَجَاتِ » : ١٦٥/٥ فِي سُورَةِ  
( لِقَان ) وَزَادَ نِسْبَتَهُ لِأَبِي يَمْلَى ، وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ ، وَابْنُ عَسَاكِرٍ . وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ عِنْدَ تَفْسِيرِ  
هَذِهِ الْآيَةِ فِي سُورَةِ ( الزُّكُوتِ ) : ١٥٠/٢ عَنْ سَمَدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ : أَنْزَلَتْ فِي أَرْجِ  
آيَاتٍ ، فَذَكَرَ قِصَّتَهُ ، وَقَالَتْ أُمُّ سَمَدٍ : أَلَيْسَ قَدْ أَمَرَ اللَّهُ بِالْبِرِّ ، وَاللَّهُ لَا أَطْعِمُ طَعَامًا ، وَلَا أَشْرَبُ  
شَرَابًا حَتَّى أَمُوتَ أَوْ تُكْفَرُ ، قَالَ : فَكَانُوا إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَطْمَوْهَا شَجَرُوا فَاها ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ  
الْآيَةُ : ( وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ، وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي ... ) الْآيَةُ . وَمَعْنَى : شَجَرُوا  
فَاها : فَتَحَوْهُ ، وَهَذَا الْحَدِيثُ قَالَ عَنْهُ التِّرْمِذِيُّ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ، وَرَوَاهُ بَعْضُهُ أَحْمَدُ ،  
وَمُسْلِمٌ ، وَأَبُو دَاوُدَ ، وَالنَّسَائِيُّ .

(٢) قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي « تَخْرِيجِ الْكَشَافِ » ، ٤٧ : ذَكَرَ الْقِصَّةَ بِطَوَّلِهَا التَّمْلِي  
بِدُونِ سَنَدٍ ، وَالْوَاحِدِيُّ عَنْ ابْنِ الْكَلْبِيِّ ، وَالطَّبْرِيُّ عَنْ السَّيِّدِ .

(٣) قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي « تَخْرِيجِ الْكَشَافِ » ، ١٢٧ : ذَكَرَهُ الْوَاحِدِيُّ ، وَالتَّمْلِي ، —

زَادَ السَّيْرُ ٦ م (١٧)

قال الزجاج : مَنْ قرأ : « حُسْنًا » فعناه : ووصينا الإنسان أن يفعل بوالديه ما يَحْسُنُ ، ومن قرأ : « إِحْسَانًا » فعناه : ووصينا الإنسان أن يُحْسِنَ إلى والديه ، وكان « حُسْنًا » أعمَّ في البرِّ .

( وإن جاهدك ) قال أبو عبيدة : مجاز هذا الكلام مجاز المختصر الذي فيه ضمير ، والمعنى : وقتلناه : وإن جاهدك .

قوله تعالى : ( لِنُشْرِكَ بِكَ ) معناه : لنشرك بك شريكاً لا تعلمه لي وليس لأحد بذلك علم ، ( فلا تُطْمِئِنَّا ) .

قوله تعالى : ( لَنُدْخِلَنَّهُم فِي الصَّالِحِينَ ) أي : في زمرة الصالحين في الجنة . وقال مقاتل : « في » بمعنى « مع » .

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَمَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَمَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاء نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ . وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴾

قوله تعالى : ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ ) اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال .

أحدها : أنها نزلت في المؤمنين الذين أخرجهم المشركون إلى بدر فارتدوا ، رواه عكرمة عن ابن عباس <sup>(١)</sup> .

— والواقدي هكذا بغير سند ، والقصة في « صحيح مسلم » من حديث سميد بن أبي وقاص بنير هذا السياق . اهـ . يعني به الحديث الذي تقدم : أنزلت في أربع آيات . . .

(١) ذكره الواحدي بدون سند : ١٩٦ وهو في « الطبري » بأطول منه : ١٣٣/٢٠ عن عكرمة عن ابن عباس مسنداً ، وذكره السيوطي في « أسباب النزول » بنحو رواية الطبري : ٢/٢٥٥ ، وزاد نسبته لابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، والبيهقي في « سننه » عن ابن عباس .

والثاني : نزلت في قوم كانوا يؤمنون بالسنتهم ، فاذا أصابهم بلاء من الله أو مصيبة في أنفسهم وأموالهم افتتنوا ، قاله مجاهد <sup>(١)</sup> .

والثالث : نزلت في ناس من المنافقين بمكة ، كانوا يؤمنون ، فاذا أودوا وأصابهم بلاء من المشركين رجعوا إلى الشرك ، قاله الضحاك <sup>(٢)</sup> .

والرابع : أنها نزلت في عيَّاش بن أبي ربيعة ، كان أسلم ، فضاف على نفسه من أهله وقومه ، فخرج من مكة هارباً إلى المدينة ، وذلك قبل قدوم رسول الله ﷺ إلى المدينة ، فجزعت أمه فقالت لأخويه أبي جهل والحارث ابني هشام - وهما أخواه لأمه - : والله لا آوي بيتاً ولا آكل طعاماً ولا أشرب شراباً حتى تأتياني به ، فخرجا في طلبه فظفرا به ، فلم يزلوا به حتى تابعهما وجاءا به إليها ، فقيّدنه ، وقالت : والله لا أحلّك من ونافك حتى تكفر بحمد ، ثم أقبلت تجلّده بالسِّياط وتمذّبه حتى كفر بحمد عليه السلام جزعاً من الضرب ، فنزلت [فيه] هذه الآية ، ثم هاجر بمعدّ وحسن إسلامه ، هذا قول ابن السائب ، ومقاتل . وفي رواية عن مقاتل أنّهما جلّدها في الطريق مائتي جلدة ، فقبّرأ من دين محمد ، فنزلت هذه الآية <sup>(٣)</sup> .

قوله تعالى : ( فاذا أُوذِيَ في الله ) أي : ناله أذى أو عذاب بسبب إيمانه ( جعل فتنة الناس ) أي : ما يصيبه من عذابهم في الدنيا ( كعذاب الله ) في

(١) د الطبري ، : ١٣٢/٢٠ ، وذكره السيوطي في « الدر » : ١٤٢/٥ ، وزاد نُسبته للفرايبي ، وابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٢) د الطبري ، : ١٣٢/٢٠ .

(٣) قال الحافظ ابن حجر في « تخرّيج الكشف » ، ٤٧ : ذكر القصة بطولها الثعلبي بدون سند ، والواحدي عن ابن الكلبي ، ورواها الطبري من طريق أسباط عن السدي بتغيير يسير ولم يسم الحارث ، فقال : ومعه رجل من بني عامر .

الآخرة ؛ وإنما ينبغي للمؤمن أن يصبر على الأذى في الله تعالى لما يرجو من ثوابه<sup>(١)</sup> ( ولئن جاء نصرٌ من ربك ) يعني دولة المؤمنين ( ليقولن ) يعني المنافقين للمؤمنين ( إننا كنا معكم ) على دينكم ، فكذبهم الله عز وجل وقال : ( أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين ) من الإيمان والنفاق . وقد فسرنا الآية التي تلي هذه في أول السورة .

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ وَلِيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْفَالَهُمْ ﴾ وَأَنْفَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿

قوله تعالى : ( اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا ) يعنيون : ديننا . قال مجاهد : هذا قول كفار قريش لمن آمن من أهل مكة ، قالوا لهم : لا تُبِعَتْ نحن ولا أنتم فاتَّبِعُونَا ، فإن كان عليكم شيء فهو علينا .

قوله تعالى : ( وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ ) قال الزجاج : هو أمر في تأويل الشرط والجزاء ، يعني : إن اتَّبِعْتُمْ سَبِيلَنَا حَمَلْنَا خَطَايَاكُمْ . وقال الأخفش : كأنهم أمروا أنفسهم بذلك . وقرأ الحسن : « وَلِنَحْمِلْ » بكسر اللام . قال ابن قتبية : الواو زائدة ، والمعنى : لنحمل خطاياكم .

قوله تعالى : ( إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ) أي : فيما ضمنوا من حمل خطاياهم .

(١) قال ابن كثير : يقول تعالى مخبراً عن صفات قوم من المكذبين الذين يدعون الإيمان بالاستتم ولم يثبت في قلوبهم ، بأنهم إذا جاءتهم حجة وفتنة في الدنيا ، اعتقدوا أن هذا من قطة الله تعالى بهم ، فارتدوا عن الإسلام ، ولهذا قال تعالى : ( ومن الناس من يقول آمنا فإذا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جُمِلَ فِي الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا ) ثم قال : قال ابن عباس : يعني فتنته أن يرتد عن دينه إذا أُوذِيَ فِي اللَّهِ ، وكذا قال غيره من علماء السلف . اهـ .



قوله تعالى : ( وَلِيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ ) أي : أوزار أنفسهم ( وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ ) أي : أوزاراً مع أوزارهم ، وهي أوزار الذين أضلّوهم ، وهذا كقوله : ( لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ) [ النحل : ٢٥ ] ( وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ) سؤال نوبيخ وتقريع ( عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ) من الكذب على الله عز وجل ؛ وقال مقاتل : عن قولهم : نحن الكفلاء بكل نبيمة نصيبكم من الله عز وجل .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ . فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَمَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾

قوله تعالى : ( وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ) في هذه القصة تسليّة للنبي ﷺ حيث أعلم أن الأنبياء قد ابتلوا قبله ، وفيها وعيد شديد لمن أقام على الشرك ، فأنهم وإن أمهلوا ، فقد أمهل قوم نوح أكثر ثم أخذوا .  
قوله تعالى : ( فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ) اختلفوا في مُعْمَر نوح على خمسة أقوال .

أحدها : بُعث بعد أربعين سنة ، وعاش في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم ، وعاش بعد الطوفان ستين سنة ، رواه يوسف بن مهران عن ابن عباس <sup>(١)</sup> .  
والثاني : أنه لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ، وعاش بعد ذلك سبعين عاماً ، فكان مبلغ مُعْمَره ألف سنة وعشرين سنة ، قاله كعب الأحبار .

(١) قال السيوطي في « الدر » ١٤٣/٥ : أخرج ابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : بعث الله نوحاً وهو ابن أربعين سنة ، ولبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله ، وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس وفشوا .

والثالث : أنه بُعث وهو ابن خمسين وثلاثمائة ، فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ، ثم عاش بعد ذلك خمسين وثلاثمائة ، قاله عون بن أبي شداد <sup>(١)</sup> .  
والرابع : أنه لبث فيهم قبل أن يدعوهم ثلاثمائة سنة ، [ ودعاهم ثلاثمائة سنة ] <sup>(٢)</sup> ولبث بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة ، قاله قتادة <sup>(٣)</sup> . وقال وهب ابن منبه : بُعث الحسين سنة .

والخامس : أن هذه الآية يثبت مقدار عمره كلفه ، حكاه الماوردي <sup>(٤)</sup> .  
فان قيل : ما فائدة قوله : « إلا خمسين عاماً » ، فهلاً قال : تسعمائة وخمسين ؟  
فالجواب : أن المراد به تكثير العدد ، وذكر الألف أفخم في اللفظ ، وأعظم للعدد .

قال الزجاج : تأويل الاستثناء في كلام العرب : التوكيد ، تقول : جاءني إخوتك إلا زيدا ، فتؤكد أن الجماعة جاؤوا ، وتنقص زيدا . واستثناء نصف الشيء قبيح جداً لا تتكلم به العرب ، وإنما تتكلم بالاستثناء كما تتكلم بالنقصان ، تقول : عندي درهم ينقص قيراطاً ، فلو قلت : ينقص نصفه ، كان الأولى أن تقول : عندي نصف درهم ، ولم يأت الاستثناء في كلام العرب إلا قليلاً من كثير .  
قوله تعالى : ( فأخذهم الطوفان ) فيه ثلاثة أقوال .

أحدها : الموت ، زوت عائشة عن رسول الله ﷺ في قوله : « فأخذهم الطوفان » قال : « الموت » <sup>(٥)</sup> .

(١) قال ابن كثير عن هذا القول : غريب رواه ابن أبي حاتم ، وابن جرير .

(٢) زيادة من تفسير ابن كثير .

(٣) قال ابن كثير : وهذا قول غريب ، وظاهر السياق من الآية أنه مكث في قومه

يدعوم إلى الله ألف سنة إلا خمسين عاماً .

(٤) قال ابن كثير : وقول ابن عباس أقرب ، والله أعلم اهـ ، يريد به القول الأول هنا .

(٥) رواه الطبري : ٥١/١٣ ، وفي سنده المنهال بن خليفة المجلي ، وهو ضعيف ، وفيه —

والثاني : المطر ، قاله ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، وقتادة . قال ابن قتيبة :

هو المطر الشديد .

والثالث : الفرق ، قاله الضحاك .

قال الزجاج : الطوفان من كل شيء : ما كان كثيراً مطيافاً بالجماعة كليتها ،

فالفرق الذي يشتمل على المدن الكثيرة : طوفان ، وكذلك القتل الذريع ، والموت

الجارف : طوفان .

قوله تعالى : ( وهم ظالمون ) قال ابن عباس : كافرون .

قوله تعالى : ( وجعلناها ) يعني السفينة ، قال قتادة : أبقاها الله آية للناس

بأعلى الجودي . قال أبو سليمان الدمشقي : وجاز أن يكون أراد : الفعلة التي فعلها

بهم من الفرق ( آية ) ، أي عبرة ( للعالمين ) [ بملهم ] .

﴿ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ

لَكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا

وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ

لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ

مُرجعون . وَإِن مِّنْ كَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى

الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾

قوله تعالى : ( وإبراهيم ) قال الزجاج : هو معطوف على نوح ، والمعنى :

أرسلنا إبراهيم .

قوله تعالى : ( ذلکم ) يعني عبادة الله ( خير لكم ) من عبادة الأوثان ،

— الحجاج بن أرطاة ، وهو صدوق كثير الخطأ والتدليس ، والحديث ذكره ابن كثير : ٢/٢٤٠

من رواية ابن مردويه بنحوه ، وقال عنه : حديث غريب . اهـ .

(إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) ما هو خير لكم مما هو شر لكم ؛ والمعنى : ولكنكم لا تعلمون .  
 (إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا) قال الفراء : « إِنَّمَا » في هذا الموضع حرف واحد ، وليست على معنى « الذي » ، وقوله : ( وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ) مردود على « إِنَّمَا » ، كقولك : إِنَّمَا تَفْعَلُونَ كَذَا ، وَإِنَّمَا تَفْعَلُونَ كَذَا . وقال مقاتل : الأوثان : الأصنام . قال ابن قتيبة : واحدها وثن ، وهو ما كان من حجارة أو جص .

قوله تعالى : ( وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ) وقرأ ابن السميع ، وأبو المثلث : « وَتَخْلُقُونَ » بزيادة تاء . ثم فيه قولان . أحدهما : تَخْلُقُونَ كذباً في زعمكم أَنَّهَا آلهة . والثاني : تصنعون الأصنام <sup>(١)</sup> ؛ والمعنى : تعبدون أصناماً أنتم تصنعونها . ثم يبين عجزهم بقوله : ( لَا يَلْعَبُ لَكُمْ رِزْقًا ) أي : لا يقدرُونَ على أن يرزقوكم ( فابتنوا عند اللَّهِ الرِّزْقَ ) أي : فاطلبوا من اللَّهِ ، فإنه القادر على ذلك .

قوله تعالى : ( وَإِنْ تَكْذِبُوا ) هذا تهديد لقريش ( فَقَدْ كَذَّبَ أَسْمَ مِنْ قَبْلِكُمْ ) والمعنى : فأهلكوا .

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ بُيِّدَ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ . قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ . وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ . وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَكْفُرُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

( أَوَلَمْ يَرَوْا ) [ قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر :

(١) قال ابن جرير الطبري : وأولى الأقوال في ذلك قول من قال : معناه : وتصنعون كذباً .

« يَرَوَا » [ بالياءِ وفراً حمزة ، والكسائي : بالياءِ . ] وعن عاصم كالقراءتين .  
وعنى بالكلام كفار مكة ( كيف يُبْذِرُ اللهُ الخَلْقَ ) أي : كيف يَخْلُقُهُمْ  
ابتداءً من نقطة ، ثم من علقه ، ثم من مُضغته إلى أن يتم الخلق ( ثُمَّ يُعِيدُهُ )  
أي : ثم هو يُعِيدُهُ في الآخرة عند البعث . وقال أبو عبيدة : مجازة : أولم يَرَوْا  
كيف استأنف الله الخلق الأول ثم يعيده . وفيه لفتان : أبدأ وأعاد ، وكان مُبْدئاً  
ومُعِيداً ، وبدأ وعاد ، وكان بادئاً وعائداً .

قوله تعالى : ( إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ) يعني الخَلْقَ الأول والخَلْقَ الثاني .

قوله تعالى : ( قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ) أي : انظروا إلى المخلوقات التي  
في الأرض ، وابحثوا عنها هل تجدون لها خالقاً غير الله ، فإذا علموا أنه لا خالق  
لهم سواه ، لزمتهن الحجة في الإعادة ، وهو قوله : ( ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ )  
أي : ثم الله ينشئهم عند البعث نشأة أخرى . وأكثر القراء قرؤوا : « النَّشْأَةُ »  
بنسكين الشين وترك المد . وقرأ ابن كثير ، وأبو عمرو : « النَّشْأَةُ » بالمد .

قوله تعالى : ( يَعْذِبُ مَنْ يَشَاءُ ) فيه قولان .

أحدهما : أنه في الآخرة بعد إنشائهم .

والثاني : أنه في الدنيا . ثم فيه خمسة أقوال حكاها الماوردي . أحدها :

يعذب من يشاء بالحرص ، ويرحم من يشاء بالقناعة . والثاني : يعذب بسوء  
الخلق ويرحم بحسن الخلق والثالث : يعذب بمنازمة البدعة ، ويرحم بعلامه السنته .  
والرابع : يعذب بالانقطاع إلى الدنيا ، ويرحم بالإعراض عنها . والخامس : يعذب من  
يشاء ينفذ الناس له ، ويرحم من يشاء بحب الناس له .

قوله تعالى : ( وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ) أي : تُرَدُّونَ . ( وما أنتم بمعجزين في

الأرض ) فيه قولان حكاها الزجاج .

أحدهما : وما أنتم بمجزيين في الأرض ، ولا أهلُ السماء بمجزيين في السماء .  
والثاني : وما أنتم بمجزيين في الأرض ، ولا لو كنتم في السماء وقال قطرب :  
هذا كقولك : ما يفوتني فلان لا هاهنا ولا بالبصرة ، أي : ولا بالبصرة لو صار  
إليها . قال مقاتل : والخطاب لكفار مكة ؛ والمعنى : لا تسبقون الله حتى يجزيكم  
بأعمالكم السيئة ، ( وما لكم من دون الله من وليٍّ ) أي : قريب ينقمكم  
( ولا نصير ) ينقمكم من الله .

قوله تعالى : ( والذين كفروا بآيات الله ولقائه ) أي : بالقرآن والبعث  
( أولئك يتيسوا من رحمتي ) في الرحمة قولان . أحدهما : الجنة ، قاله مقاتل .  
والثاني : المفو والمغفرة ، قاله أبو سليمان . قال ابن جرير : وذلك في الآخرة عند  
رؤية المذاب .

﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ  
فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ . وَقَالَ  
إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا  
ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بِنِعْمَتِكُمْ لِيُبْغِضَ وَيُبْغِضَ لَكُمْ بَعْضُكُم بَعْضًا  
وَمَوَازِينُ النَّارِ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴾

ثم عاد الكلام إلى قصة إبراهيم ، وهو قوله : ( فما كان جواب قومه )  
أي : حين دعاهم إلى الله ونهاهم عن الأصنام ( إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ )  
وهذا بيان لسفه أحلامهم حين قابلوا احتجاجه عليهم بهذا .

قوله تعالى : ( فَأَنْجَاهُ اللَّهُ ) المعنى : فحرّقه فأنجاه الله ( مِنَ النَّارِ ) .

قوله تعالى : ( إِنَّ فِي ذَلِكَ ) يشير إلى إنجائه إبراهيم .

قوله تعالى : ( وَقَالَ ) يعني إبراهيم ( إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا

مَوَدَّةُ بَيْنِكُمْ ) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو : « مَوَدَّةُ بَيْنِكُمْ » بالرفع والإضافة . قال الزجاج : « مَوَدَّةُ » مرفوعة باضمار « هي » ، كأنه قال : تلك مَوَدَّةُ بَيْنِكُمْ ، أي : ألفتكم واجتماعكم على الأصنام مَوَدَّةُ بَيْنِكُمْ ؛ والمعنى : إننا اتخذتم هذه الأوثان لتتوادوا بها في الحياة الدنيا . ويجوز أن تكون « ما » بمعنى الذي .  
 وقرأ ابن عباس ، وسعيد بن المسيب ، وعكرمة ، وابن أبي عملة : « مَوَدَّةُ » بالرفع « بَيْنِكُمْ » بالنصب .

وقرأ نافع ، وابن عامر ، وأبو بكر عن عاصم : « مَوَدَّةُ بَيْنِكُمْ » قال أبو علي : المعنى : اتخذتم الأصنام للمودة ، و « بَيْنِكُمْ » نصب على الظرف ، والعامل فيه المودة .

وقرأ حمزة ، وحفص عن عاصم : « مَوَدَّةُ بَيْنِكُمْ » بنصب « مَوَدَّةُ » مع الإضافة ، وهذا على الاتساع في جعل الظرف اسماً لما أُضيف إليه .

قال المفسرون : معنى الكلام : إننا اتخذتموها لتتصل المودة بينكم واللاتقاء والاجتماع عندها ، وأنتم تعلمون أنها لا تضر ولا تنفع ، ( ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ) أي : يتبرأ القادة من الاتباع ( ويلعن بعضكم بعضاً ) يلعن الاتباع القادة لأنهم زينوا لهم الكفر .

﴿ فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ . وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ . أَذِنَ لَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقَاطَعُوا السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ قَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ

إِلَّا أَنْ قَالُوا اثْنَيْنَا بِمَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ . قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ \*

قوله تعالى : ( فآمَن له لوط ) أي : صدق إبراهيم ( وقال ) يعني إبراهيم ( إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي ) فيه قولان . أحدهما : إلى رضى ربِّي . والثاني : إلى حيث أمرني ربِّي ، فهاجر من سواد العراق إلى الشام وهجر قومه المشركين . ( وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ ) بعد إسماعيل ( وَيَمْقُوبَ ) من إسحاق ( وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ) وذلك أن الله تعالى لم يبعث نبياً بعد إبراهيم إلا من صلبه ( وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا ) فيه أربعة أقوال .

أحدها : الذِّكْرُ الحسن ، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس . والثاني : الثناء الحسن والولد الصالح ، رواه أبو صالح عن ابن عباس . والثالث : العافية والعمل الحسن والثناء ، فليست تُلْقَى أحداً من أهل المِلَلِ إلا بتولاه ، قاله قتادة ، والرابع : أنه أُرِيَ مكانه من الجنة ، قاله السدي .

قوله تعالى : ( وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ) قد سبق بيانه [البقرة: ١٣٠] . قال ابن جرير : له هناك جزاء الصَّالِحِينَ غير منقوص من الآخرة بما أُعْطِيَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْأَجْرِ . وما بعد هذا قد سبق بيانه [الأعراف: ٨٠] إلى قوله : ( وَتَقَطُّونَ السَّبِيلَ ) وفيه ثلاثة أقوال .

أحدها : أنهم كانوا يعترضون مَنْ مَرَّ بِهِمْ لَعَلَّهُمْ الْخَبِيثَ ، قاله أبو صالح عن ابن عباس .

والثاني : أنهم كانوا إذا جلسوا في مجالسهم يرمون ابن السبيل بالحجارة ، فيقطعون سبيل المسافر ، قاله مقاتل .

والثالث : أنه قطع النسل للمدول عن النساء إلى الرجال ، حكاه الماوردي .



قوله تعالى : ( وتأتون في ناديتكم المنكر ) قال ابن قتبية : النادي : المجلس ، والمنكر : يجمع الفواحش من القول والفعل .

وللمفسرين في المراد بهذا المنكر أربعة أقوال .

أحدها : أنهم كانوا يحذفون أهل الطريق ويسخرون منهم ، فذلك المنكر ، روته أم هانئ بنت أبي طالب عن رسول الله ﷺ <sup>(١)</sup> . وقال عكرمة ، والسدي : كانوا يحذفون كل من مر بهم .

والثاني : لف القميص على اليد ، وجرح الإزار ، وحل الأزارار ، والحذف والزبي بالبندق ، ولعب الحما ، والصفير ، في خصال آخر رواها ميمون بن مهران عن ابن عباس .

والثالث : أنه الضراط ، رواه عمرو بن عائشة ، وكذلك فسره القاسم ابن محمد .

والرابع : أنه إتيان الرجال في مجالسهم ، قاله مجاهد ، وقتادة ، وابن زيد <sup>(٢)</sup> .

(١) رواه أحمد في المسند ، ٣٤١/٦ ، وده الطبري ، ١٤٥/٢٠ ، والترمذي ١٥٠/٢ ، وحسنه ، وأورده السيوطي في الدر ، ١٤٤/٥ ، وزاد نسبه للفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن أبي حاتم ، وابن أبي الدنيا في كتاب الصمت ، وابن المنذر ، والشاشي في مسنده ، والطبراني ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه ، والبيهقي في شعب الإيمان ، وابن عساكر ، عن أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها .

وفي المسند ، والترمذي : يحذفون بالخاء المعجمة ، وكذلك هو في الدر ، وفي الأصل : يحذفون بالخاء المهملة ، والحذف يستعمل في الرمي والضرب معاً ، والحذف بالخاء المعجمة : رميك حصاة أو نواة تأخذها بين سبائكك وترمي بها ، أو تتخذ تحذقة من خشب ثم ترمي بها الحصاة بين إبهامك والسبابة ، وقد نهى رسول الله ﷺ عن الحذف بالخاء المعجمة . وقال عنه : إنه لا يقتل الصيد ، ولا ينكأ العدو ، وإنه يفتك العين ويكسر السن ، متفق عليه .

(٢) قال ابن جرير الطبري : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : معناه : وتحذفون في مجالسهم المارة بهم ، وتسخرون منهم ، لا ذكرنا من الرواية بذلك عن رسول الله ﷺ . اهـ . يريد به حديث أم هانئ .

وهذه الآية [ تدل ] على أنه لا ينبغي للمجتمعين أن يتعاشروا إلا على ما يقرب من الله عز وجل ، ولا ينبغي أن يجتمعوا على الهزء واللعب <sup>(١)</sup> .

قوله تعالى : ( رَبِّ انصُرْنِي ) أي : بتصديق قولي في العذاب .

﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ . قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهٗ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ . وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجِيُكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ . إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ . وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾

قوله تعالى : ( إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ ) يعنون قرية لوط .

قوله تعالى : ( لَنَنْجِيَنَّهٗ ) قرأ نافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وعاصم : « لَنَنْجِيَنَّهٗ » و « إِنَّا مُنْجِيُكَ » بتشديد الحرفين ، وخففها حمزة ، والكسائي . وروى أبو بكر عن عاصم : « لَنَنْجِيَنَّهٗ » مشددة ، و « إِنَّا مُنْجِيُكَ » عطفة ساكنة النون . وقد سبق شرح ما أخطأنا بذكره [ هود : ٧٧ ] إلى قوله : ( إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا ) وهو الحصب والخسف .

قوله تعالى : ( وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا ) في المكي عنها قولان .

أحدهما : أنها الفعلة التي فعل بهم ؛ فعلى هذا في الآية ثلاثة أقوال . أحدها : أنها الحجارة التي أدركت أوائل هذه الأمة ، قاله قتادة . والثاني : الماء الأسود على وجه الأرض ، قاله مجاهد . والثالث : الخبر عما صنع بهم .

(١) في النسخة الاستنبولية : ولا ينبغي أن يجتمعوا على الهزل واللعب .

والثاني : أنها القرية ؛ فلي هذا في المراد بالآية ثلاثة أقوال .

أحدها : أنها آثار منازلهم الخربة ، قاله ابن عباس .

والثاني : أن الآية في قريتهم إلى الآن أن أساسها أعلاها وسقفها أسفلها ،

حكاه أبو سليمان الدمشقي .

والثالث : أن المعنى : تركناها آية ، تقول : إن في السماء لآية ، تريد أنها

هي الآية ، قاله الفراء .

﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا  
الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَتَّبِعُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ . فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ  
الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَائِمِينَ ﴾

قوله تعالى : ( وارجوا اليوم الآخر ) قال المفسرون : اخشوا البعث الذي

فيه جزاء الأعمال .

﴿ وَعَادًا وَنَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ  
الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ .  
وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا  
فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ . فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ  
أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ  
خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ  
وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾

قوله تعالى : ( وعاداً ونمود ) قال الزجاج : المعنى : وأهلكنا عاداً ونموداً ، لأن

قبل هذا ( فأخذتهم الرجفة ) .

قوله تعالى : ( وقد تبين لكم من مساكنهم ) أي : ظهر لكم يا أهل مكة

من منازلهم بالحجاز واليمن آية في هلاكهم ، ( وكانوا مستبصرين ) قال الفراء :  
أي : ذوي بصر . وقال الزجاج : أتوا ما أتوه وقد تبين لهم أن عاقبته عذابهم .  
قال غيره : كانوا عند أنفسهم مستبصرين ، يظنون أنهم على حق .

قوله تعالى : ( وما كانوا سابقين ) أي : ما كانوا يفوتون الله أن يفعل  
بهم ما يريد .

قوله تعالى : ( فكلّا أخذنا بذنبه ) أي : عاقبنا بتكذيبه ( فمنهم من  
أرسلنا عليه حاصبا ) يعني قوم لوط ( ومنهم من أخذناه الصيحة ) يعني نوحا  
وقوم شعيب ( ومنهم من خسفنا به الأرض ) يعني قارون وأصحابه ( ومنهم  
من أغرقنا ) يعني قوم نوح وفرعون ( وما كان الله ليظلمهم ) فيعذبهم على  
غير ذنب ( ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ) بالإقامة على المعاصي .

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ  
اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا  
يَعْلَمُونَ . إِنَّ اللَّهَ يَمْلِكُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ  
الْحَكِيمُ . وَنَذِكُ الْأَمْثَالَ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾

قوله تعالى : ( مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ ) يعني الأصنام  
يتخذها المشركون أولياء يرجون نفعها ونصرها ، فمثلهم في ضعف احتياهم ( كمثال  
العنكبوت اتخذت بيتا ) <sup>(١)</sup> قال تلمب : والمنكبات أتى ، وقد يذكرها  
بعض العرب ، قال الشاعر :

(١) قال ابن كثير : هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله  
يرجون نصرهم ووزقهم ويتمسكون بهم في الشدائد ، فهم في ذلك كبيت العنكبوت في ضعف  
ووهنه ، فليس في أيدي هؤلاء من آلهتهم إلا كمن يتمسك ببيت العنكبوت ، فانه لا يجدي —

[ عَلَى هَطَّالِهِمْ مِنْهُمْ بَيُوتٌ ] كَأَنَّ الْمَنَكَبُوتَ هُوَ ابْتِنَاهَا<sup>(١)</sup>

قوله تعالى : ( إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا بَدَعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ ) أي : هو عالم بما عبده من دونه ، لا يحق عليه ذلك ؛ والمعنى أنه يجازيهم على كفرهم . ( وتلك الأمثال ) يعني أمثال القرآن التي شبه بها أحوال الكفار ؛ وقيل : إن « تلك » بمعنى « هذه » ، و ( العالمون ) : الذين يقولون عن الله عز وجل .

﴿ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ . أَتُلُّ مَا أَوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾

( خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ) أي : للحق ، ولإظهار الحق . قوله تعالى : ( إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ) في المراد بالصلاة قولان . أحدهما : أنها الصلاة المعروفة ، قاله الأكثرون . وروى أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال : « مَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلَاتُهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ، لَمْ يَزِدْ مِنْ اللَّهِ إِلَّا بُعْداً »<sup>(٢)</sup> .

— منه شيئاً ، فلو علموا هذا الحال لا اتخذوا من دون الله أولياء ، وهذا بخلاف المسلم المؤمن قلبه لله وهو مع ذلك يحسن العمل في اتباع الشرع ، فانه متمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها لقوتها وثباتها . ٥١ .

(١) البيت غير منسوب في مجمع البيان ، : ٣٦٣/٢٠ ، و البحر المحيط ، : ١٥٢/٧ ، و روح البيان ، : ١٤٠/٢٠ ، و اللسان ، و التاج ، : عنكب . قال في « التاج » : هَطَّال : جبل .

(٢) هذا الحديث رواه الطبراني ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه من طريق ليث بن أبي سليم — زاد السير ٦ م (١٨)

والثاني : أن المراد بالصلاة : القرآن ، قاله ابن عمر ؛ ويدل على هذا قوله :  
( ولا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ ) [الاسراء : ١١٠] . وقد شرحنا معنى الفحشاء والمنكر فيما  
سبق [البقرة : ١٦٨ ، النحل : ٩٠] .

وفي معنى هذه الآية للعلماء ثلاثة أقوال .

أحدها : أن الإنسان إذا أدّى الصلاة كما ينبغي وتدبّر ما يتلو فيها ، نهته عن  
الفحشاء والمنكر ، هذا مقتضاها وموجبها .

والثاني : أنها تنهى مادام فيها .

والثالث : أن المعنى : ينبغي أن تنهى الصلاة عن الفحشاء والمنكر .

قوله تعالى : ( وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ) فيه أربعة أقوال .

أحدها : وَلَذِكْرُ اللَّهِ إِيَّاكُمْ أَكْبَرُ من ذِكْرِكُمْ إِيَّاهُ ، رواه ابن عمر عن

— عن عطاء عن ابن عباس مرفوعاً ، وهو حديث ضيف ، من أجل ليث بن أبي سليم ، وقد  
أخرجه الطبري من رواية ابن عباس موقوفاً عليه ، ومن رواية ابن مسعود موقوفاً عليه أيضاً ،  
وهو الصواب . قال ابن كثير : والأصح في هذا كلبه الموقوفات عن ابن مسعود ، وابن عباس ،  
والحسن ، وقاعدة ، والأعمش ، وغيرهم . اهـ . فالحديث إذن ضيف السند في المرفوع .  
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في بعض فتاويه : هذا الحديث ليس بشأن النبي ﷺ ،  
لكن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر كما ذكر الله في كتابه ، وبكل حال فالصلاة لازمة  
صاحبها ببدأ ، بل الذي يصلي خير من الذي لا يصلي وأقرب إلى الله منه وإن كان فاسقاً ،  
اهـ . فكانه يشير إلى تضييف منته أيضاً . وقد ثبت أن رسول الله ﷺ لما قيل له : إن فلاناً  
يصلي الليل كله ، فإذا أصبح سرق ، فقال : « سينهاه ما تقول » أو قال : « ستغتنم صلاته »  
رواه أحمد ، والبخاري ، وابن حبان ، وغيرهم ، وسنده صحيح . يريد عليه الصلاة والسلام  
أن الصلاة إذا كانت على الوجه الأكمل ، تنهى صاحبها عن الفحشاء ، ولا تزيد ببدأ ، بل  
تزيده قريباً منه .

رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup> ، وبه قال ابن عباس ، وعكرمة ، وسعيد بن جبیر ، ومجاهد في آخرين .

والثاني : وَلَدِ كَرُّ الله أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سِوَاهُ ، وهذا مذهب أبي الدرداء ، وسلمان ، وقتادة .

والثالث : وَلَدِ كَرُّ الله فِي الصَّلَاةِ أَكْبَرُ مِمَّا نَهَاكَ عَنْهُ مِنَ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ، قاله عبد الله بن عون .

والرابع : وَلَدِ كَرُّ الله الْمَبْدَ - مَا كَانَ فِي صَلَاتِهِ - أَكْبَرُ مِنْ ذِكْرِ الْعَبْدِ لله ، قاله ابن قتيبة .

﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَلَهُنَا وَلَهُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾

قوله تعالى : ( وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ) في التي هي أحسن ثلاثة أقوال . أحدها : أنها لا إله إلا الله ، رواه الضحاك عن ابن عباس . والثاني : أنها الكف عنهم إذا بذلوا الجزية ، فإن أبوا قوتلوا ، قاله مجاهد . والثالث : أنها القرآن والدعاء إلى الله بالآيات والحجج .

قوله تعالى : ( إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ) وهم الذين نصبوا الحرب وأبوا أن يؤدوا الجزية ، فجادلوا هؤلاء بالسيف حتى يُسَلِّمُوا أو يُعْطُوا الجزية ( وقولوا )

(١) ذكره السيوطي في « الدر » : ١٤٦/٥ من رواية ابن السني ، وابن مردويه ، والديلمي عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً ، والله أعلم . وذكر الطبري هذا المعنى في التفسير من قول ابن عباس . قال ابن كثير : وقد روي هذا من غير وجه عن ابن عباس ، وروي أيضاً عن ابن مسعود ، وأبي الدرداء ، وسلمان الفارسي ، وغيرهم ، واختاره ابن جرير . ٥١ .

لَمَنْ أَدَّى الْجُزْيةَ مِنْهُمْ إِذَا أَخْبَرَكُمْ بِشَيْءٍ مِمَّا فِي كُتُبِهِمْ (آمَنًا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ ...) [الآية] . وقد روى أبو هريرة قال : كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوا يومئذ » (وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم ...) [الآية] (١) .

### ❦ فصل ❦

واختلف في نسخ هذه الآية على قولين .

(١) رواه البخاري في صحيحه : ١٢٩/٨ قال ابن كثير : إذا أخبروا بما لا نعلم صدقه ولا كذبه ، فهذا لا تقدم على تكذيبه ، لأنه قد يكون حقاً ، ولا تصديقه ، فلهذا أن يكون باطلاً ، ولكن تؤمن به إيماناً مجازاً مطلقاً على شرط ، وهو أن يكون منزلاً ، لا مبدلاً ولا مؤولاً . وقال أيضاً : ثم ليؤمن أن أكثر ما يتحدثون به غالبه كذب وهتان ، لأنه قد دخله تحريف وتبديل وتغيير وتأويل ، وما أقل الصدق فيه ، ثم ما أقل فائدة كثير منه لو كان صحيحاً . اهـ . وقال ابن كثير : قال البخاري عن ابن عباس : كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل إليكم على رسول الله ﷺ أحدث تقرؤونه محضاً لم يشب ، وقد حدثكم أن أهل الكتاب يبدلوا ويغيروا وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا : هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً ؟ ألا ينهاكم من العلم عن مسألتهم ؟ لا والله ما رأينا منهم رجلاً يسألهم عن الذي أنزل عليكم . وقال ابن كثير أيضاً : قال البخاري : وقال أبو اليان ، أخبرنا شعيب عن الزهري ، أخبرني حميد بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية يحدث رجلاً من قريش بالمدينة وذكر كذب الأخبار فقال : إن كان من أصدق هؤلاء الحديثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب ، قال ابن كثير : معناه : أنه يقع منه الكذب أمة من غير قصد ، لأنه يحدث عن صحف هو يحسن بها الظن ، وفيها أشياء موضوعة ، ومكذوبة ، لأنهم لم يكن في مثلهم حفاظ متقنون كهذه الأمة العظيمة ، ومع ذلك وقرب الهدى وضعت أحاديث كثيرة في هذه الأمة لا يعلوها إلا الله عز وجل ، ومن منحه الله تعالى علماً بذلك كل بحسبه ، والله الحمد والمنة . اهـ .



أحدهما : أنها نُسخَت بقوله تعالى : ( قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ... ) إلى قوله : ( وَمِصْرُوه ) [ التوبة : ٢٩ ] ، قال قتادة ، والكلي .

والثاني : أنها ثابتة الحكم ، وهو مذهب ابن زيد .

﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ . وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ . بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴾

قوله تعالى : ( وكذلك ) أي : وكما أنزلنا الكتاب عليهم ( أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ) يعني مؤمني أهل الكتاب ( ومن هؤلاء ) يعني أهل مكة ( من يؤمن به ) وم الذين أسلموا ( وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون ) قال قتادة : إنما يكون الجحد بعد المعرفة . قال مقاتل : وم اليهود .

قوله تعالى : ( وما كنت تتلو من قبله من كتاب ) قال أبو عبيدة : مجازه : ما كنت تقرأ قبله كتاباً ، و « من » زائدة . فأما الهاء في « قبله » فهي عائدة إلى القرآن . والمعنى : ما كنت قارئاً قبل الوحي ولا كاتباً ، وهكذا كانت صفته في التوراة والإنجيل أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب <sup>(١)</sup> ، وهذا يدل على أن الذي جاء به ، من عند الله تعالى .

(١) قال ابن كثير : ومن زعم من متأخري الفقهاء ، كالقاضي أبي الوليد الباجي ومن تابعه أنه عليه السلام كتب يوم الحديبية : « هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله » ، فانما حمله على ذلك رواية في صحيح البخاري : « ثم أخذ فكتب » ، وهذه محمولة على الرواية الأخرى : « ثم أمر —

قوله تعالى : ( إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ) أي : لو كنت قارئاً كاتباً لشكَّ اليهودُ فيكَ ، ولقالوا : ليست هذه صفته في كتابنا . والمُبْطِلُونَ : الذين يأتون بالباطل ، وفيهم هاهنا قولان . أحدهما : كفار قريش ، قاله مجاهد . والثاني : كفار اليهود ، قاله مقاتل .

قوله تعالى : ( بل هو آياتٌ يَتَنَتَّ ) في المكني عنه قولان .  
أحدهما : أنه النبي محمد ﷺ ؛ ثم في معنى الكلام قولان . أحدهما : أن المعنى : بل وجدانُ أهل الكتاب في كتبهم أن محمداً ﷺ لا يكتب ولا يقرأ ، وأنه أُمِّيٌّ ، آياتٌ يَتَنَتَّ في صدورهم ، وهذا مذهب ابن عباس ، والضحاك ، وابن جريج . والثاني : أن المعنى : بل محمد ذو آياتٍ يَتَنَتَّ في صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب ، لأنهم يجدونه بنعته وصفته ، قاله قتادة .  
والثاني : أنه القرآن ، والذين أوتوا العلم : المؤمنون الذين حملوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ وحملوه بعده . وإنما أُعطي الحفظ هذه الأئمة ، وكان من قبلهم لا يقرؤون كتابهم إلا نظراً ، فإذا أطبقوه لم يحفظوا ما فيه سوى الأنبياء ، وهذا قول الحسن .

وفي المراد بالظالمين هاهنا قولان . أحدهما : المشركون ، قاله ابن عباس .  
والثاني : كفار اليهود ، قاله مقاتل .

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ . أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ ﴾

— فكتب ، ، ولهذا اشدد التكثير من فقهاء المشرق والمغرب على من قال بقول الباجي ، وتبرؤوا منه . ثم قال ابن كثير : وإنما أوردته بعضهم من الحديث أنه لم يمت ﷺ حتى تلمس الكتابة ، فضيف لأصله . اهـ .

يَوْمَ مَنُونٍ . قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ  
الْخَاسِرُونَ ﴿٥١﴾

قوله تعالى : ( وقالوا ) يعني كفار مكة ( لولا أنزل عليه آيات من  
ربه ) قرأ نافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وحفص عن عاصم : « آيات » على  
الجمع . وقرأ ابن كثير ، وحمة ، والكسائي ، وأبو بكر عن عاصم : « آية »  
على التوحيد . وإنما أرادوا : كآيات الأنبياء ( قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ ) أي :  
هو القادر على إرسالها ، وليست بيدي . وزعم بعض علماء التفسير أن قوله : ( وإِنَّمَا  
أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ) منسوخ بآية السيف .

ثم بين الله عز وجل أن القرآن يكفي من الآيات التي سألوها بقوله :  
( أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ ) !! وذكر يحيى بن جمدة أن  
ناساً من المسلمين أتوا رسول الله ﷺ بكتب قد كتبوها ، فيها بعض ما يقول  
اليهود ، فلما نظر إليها ألقاها وقال : « كفى بها حماقة قوم ، أو ضلالة قوم ،  
أن يرغبوا عمداً جاء به نبئهم إلى قوم غيرهم » ، فنزلت : « أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ »  
إلى آخر الآية <sup>(١)</sup> .

قوله تعالى : ( قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ ) قال المفسرون : لما كذبوا بالقرآن نزلت :

(١) رواه الطبري : ٧/٢١ ، قال الحافظ ابن حجر في « تخريج الكشاف » ١٢٨ :  
رواه الطبري ، وأبو داود في « المراسيل » من طريق يحيى بن جمدة ، وقال ابن حجر في  
« التقریب » عن جمدة : ثقة وقد أرسل عن ابن مسعود ونحوه ، وذكر هذا الخبر السيوطي  
في « الدر » ١٤٨/٥ وزاد نسبه المذاهمي ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، عن يحيى بن جمدة  
رضي الله عنه ، وأوردته السيوطي في « الدر » أيضاً من رواية الاسماعيلي في « معجمه » ،  
وابن مردويه من طريق يحيى بن جمدة عن أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه .

( قل كفى بالله بيني وبينكم شهيداً ) يشهد لي أتى رسوله ، ويشهد عليكم بالتكذيب ، وشهادة الله له : لإثبات المعجزة له بانزال الكتاب عليه ، ( والذين آمنوا بالباطل ) قال ابن عباس : بغير الله . وقال مقاتل : بعبادة الشيطان .

﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ . يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَكُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ . يَوْمَ يَفْقَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ قوله تعالى : ( ويستعجلونك بالعذاب ) قال مقاتل : نزلت في النضر بن الحارث حين قال : « فَاَمْطِرْ عَلَيْنَا حَجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ » [ الأتقال : ٣٢ ] (١)

وفي [ الأجل ] المسمى أربعة أقوال . أحدها : أنه يوم القيامة ، قاله سعيد ابن جبير . والثاني : أجل الحياة إلى حين الموت ، وأجل الموت إلى حين البعث ، قاله قتادة . والثالث : مدة أعمارهم ، قاله الضحاك . والرابع : يوم بدر ، حكاه الثعلبي . قوله تعالى : ( وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ ) يعني المذاب . وقرأ معاذ القاري ، وأبو نهيك ، وابن أبي عبة : « وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ » بالتاء ( بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ) بآتيانه .

قوله تعالى : ( وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَكُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ) أي : جامعة لهم . قوله تعالى : ( وَيَقُولُ ذُوقُوا ) قرأ ابن كثير : بالنون . وقرأ نافع : بالياء . فمن قرأ بالياء ، أراد الملك الموكَّل بمذابهم ؛ ومن قرأ بالنون ، فلأن ذلك لما كان بأمر الله تعالى جاز أن يُنسب إليه . ومعنى ( ما كنتم تعملون ) أي : جزاء ما عملتم من الكفر والتكذيب .

(١) الطبري : ٢٣٢/٩ عن سعيد بن جبير ، ومجاهد ، وعطاء . وروى البخاري عن أنس قال : قال أبو جهل : ( اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بمذاب أليم ) فنزلت : ( وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستفرون ) .

﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيتَايَ فَاعْبُدُونِ .  
 كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ . وَالَّذِينَ آمَنُوا  
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا  
 الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ . الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ  
 يَتَوَكَّلُونَ . وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا  
 وَلَئِنَّا كُنْهُمُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

قوله تعالى : ( يا عبادي الذين آمنوا ) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وعاصم ،  
 وابن عامر : « يا عبادي » بتحريك الياء . وقرأ أبو عمرو ، وحمة ، والكسائي : بأسكانها .  
 قوله تعالى : ( إن أَرْضِي واسعة ) وقرأ ابن عامر وحده : « أَرْضِي » بفتح  
 الياء . وفيه ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه خطاب لمن آمن [ مِنْ ] أهل مكة ، قيل لهم : « إن أَرْضِي »  
 يعني المدينة « واسعة » ، فلا تجاوروا الظلمة في أرض مكة ، قاله أبو صالح عن  
 ابن عباس ؛ وكذلك قال مقاتل : نزلت في ضُعفاء مُسلمي مكة ، [ أي ] :  
 إن كنتم في ضيق بمكة من إظهار الإيمان ، فأَرْضِ المدينة واسعة .

والثاني : أن المعنى : إذا عَمِلَ بالمعاصي في أرض فاخرجوا منها ، رواه  
 سعيد بن جبير عن ابن عباس ، وبه قال عطاء .

والثالث : إن رَزَقِي لَكُمْ واسع ، قاله مطرف بن عبد الله .

قوله تعالى : ( فَإِيتَايَ فَاعْبُدُونِ ) أثبت فيها الياء يعقوب في الحالين ، وحذفها  
 الباقلون . قال الزجاج : أمرهم بالهجرة من الموضع الذي لا يمكنهم فيه عبادة الله  
 إلى حيث تنهوا لهم العبادة ؛ ثم خوفهم بالموت لتهون عليهم الهجرة ، فقال : ( كُلُّ  
 نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ) المعنى : فلا تُقيموا في دار الشِّرك خوفاً من الموت ( ثُمَّ )

إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) بعد الموت فنجزبكم بأعمالكم ، والآن كثرون قرؤوا : « تُرْجَعُونَ »  
بالتاء على الخطاب ؛ وقرأ أبو بكر عن عاصم بالياء .

قوله تعالى : ( لَنُيَبِّئَنَّهُمْ ) [قرأ ابن كثير ، ونافع ، وعاصم ، وأبو عمرو ،  
وابن عامر : « لَنُيَبِّئَنَّهُمْ » بالياء ] ، أي : لَنُنْزِلَنَّهُمْ . وقرأ حمزة ،  
والكسائي ، [ وخلف ] : « لَنُنْزِلَنَّهُمْ » بالتاء ، [ وهو ] من : نويتُ  
بالمكان : إذا أقمت به قال الزجاج : [ يقال ] : نوى الرجل : إذا أقام ، وأنويته :  
إذا أنزلته منزلاً يُقيم فيه .

قوله تعالى : ( وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رَزْقَهَا ) قال ابن عباس : لما  
أمرهم رسول الله ﷺ بالخروج إلى المدينة ، قالوا : يا رسول الله ، نخرج إلى  
المدينة وليس لنا بها عقار ولا مال ؟ أفن يؤوبنا ويطمنا ؟ فنزلت هذه الآية (١) .  
قال ابن قتيبة : ومعنى الآية : كم مِنْ دَابَّةٍ لَا تَرْفَعُ شَيْئًا لِنَفْسِهَا ، قال ابن عبيدنة :  
ليس شيءٌ يَحْتَبَأُ إِلَّا الْإِنْسَانُ وَالْفَأْرَةُ وَالنَّمْلَةُ .

(١) ذكر ذلك بعض المفسرين بدون سند ، والله أعلم . وقد ذكر المفسرون في سبب  
نزلها حديثاً ضعيفاً عن ابن عمر ، وقد أورده السيوطي في « الدر » ، ١٤٩/٥ ، قال : أخرج  
عبد بن حميد ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، والبيهقي ، وابن عساكر بسند ضعيف عن  
ابن عمر رضي الله عنهما قال : خرجت مع رسول الله ﷺ حتى دخل بعض حيطان المدينة ،  
فجعل يلتقط من الثمر ، ويأكل ، فقال لي : « يا ابن عمر مالك لا تأكل ؟ » ، قلت : لا أشتهي  
يا رسول الله ، قال : « لكي أشتهيه » ، وهذه صبح رابعة منذ لم أذق طعاماً ، ولم أجد ، ولو شئت  
لددعت ربي فأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر ، فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت في قوم  
يحبون رزق ستهم ويضعف اليقين ؟ ، قال : فوالله ما برحنا ولا رمانا حتى نزلت : ( وَكَأَيِّنْ  
مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رَزْقَهَا ) برزقها وإياكم وهو السميع العليم ) فقال رسول الله ﷺ : « إن الله  
لم يأمرني بكنز الدنيا ولا باتباع الشهوات ، ألا وإني لا أكنز ديناراً ولا درهماً ، ولا أدخر رزقاً  
لنفس . » قال ابن كثير : وهذا حديث غريب ، وأبو الطوفان الجزري ضعيف اه ، يعني أحد  
رجال السند ، وهو الجراح بن منهل الجزري .

قال المفسرون : وقوله : ( الله يرزُقها ) أي : حيثما توجهت ( وليأتاكم ) أي : ويرزُقكم إن هاجرتم إلى المدينة ( وهو السميع ) لقولكم : لا نجد ما نُنْفِق بالمدينة ( العليم ) بما في قلوبكم .

﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَصَغَرَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَتَى يَوْمَ فَكُونٍ . اللَّهُ يَنْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ . وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْنِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾

قوله تعالى : ( ولئن سألتهم ) يعني كفار مكة ، وكانوا يُقِرُّون بأنه الخالق والرازق ؛ وإِنَّمَا أمره أن يقول : ( الحمد لله ) على إقرارهم ، لأن ذلك يلزمهم الحجة فيوجب عليهم التوحيد ( بل أكثرهم لا يعقلون ) توحيد الله مع إقرارهم بأنه الخالق . والمراد بالأكثر : الجميع .

﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ . فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ . لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾

قوله تعالى : ( وما هذه الحياة الدنيا إلا لهوٌ ولعبٌ ) والمعنى : وما الحياة في هذه الدنيا إلا غرور ينقضي عن قليل ( وإن الدار الآخرة ) يعني الجنة ( لهي الحيوان ) قال أبو عبيدة : اللام في « لهي » زائدة للتوكيد ، والحيوان والحياة واحد ؛ والمعنى : لهي دار الحياة التي لا موت فيها ، ولا تنبئ

يشوبها كما يشوب الحياة في الدنيا ( لو كانوا يَعْلَمُونَ ) أي : لو علموا لرغبوا  
عن الفاني في الباقي ، ولكنهم لا يَعْلَمُونَ .

قوله تعالى : ( فَادْعُوا إِلَى الْفُلْكِ ) يعني المشركين ( دَعَوْا اللَّهَ  
مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ) أي : أفردوه بالدعاء . قال مقاتل : والدِّين بمعنى التوحيد ؛  
والمنى أنهم لا يَدْعُونَ مَنْ يَدْعُونَهُ شريكاً له ( فَلَمَّا نَجَّاهُمْ ) أي : خلَّصهم  
من أهوال البحر ، وأفضوا ( إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ) في البرِّ ، وهذا  
إخبار عن عنادهم ( لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ ) هذه لام الأمر ، ومعناه التهديد  
والوعيد ، كقوله : ( اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ) [ فصلت : ٤٠ ] ؛ والمعنى : لِيَجْحَدُوا  
نِعْمَةَ اللَّهِ فِي نَجَاتِهِ إِنِّي أَنَا ( وَلِيَتَمَتَّعُوا ) قرأ ابن كثير ، وحزرة ، والكسائي  
باسكان اللام على معنى الأمر ؛ والمعنى : لِيَتَمَتَّعُوا بِبَاقِي أَعْمَارِهِمْ ( فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ )  
عاقبة كفرهم . وقرأ الباقون بكسر اللام في « لِيَتَمَتَّعُوا » ، فعملوا اللامين  
بمعنى « كي » ، فتقديره : لكي يكفروا ، ولكي يَتَمَتَّعُوا ، فيكون معنى الكلام :  
إذا هم يُشْرِكُونَ ليكفروا وليَتَمَتَّعُوا ، أي : لأفائدة لهم في الإشراك  
إلا الكفر والتمتع بما يَتَمَتَّعُونَ به في العاجلة من غير نصيب لهم في الآخرة .  
﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ  
حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ . وَمَنْ أَظْلَمُ  
مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي  
جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ . وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا  
وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

قوله تعالى : ( أَوَلَمْ يَرَوْا ) يعني كفار مكة ( أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا  
آمِنًا ) يعني مكة ؛ وقد شرحنا هذا المعنى في ( القصص : ٥٧ )



( وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ) أي : أن العرب يَسْبِي بعضهم بعضاً وأهل مكة آمنون ( أقبال باطل ) وفيه ثلاثة أقوال . أحدها : الشِّرك ، قاله قتادة . والثاني : الأصنام ، قاله ابن السائب . والثالث : الشيطان ، قاله مقاتل .  
فوله تعالى : ( يُؤْمِنُونَ ) وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي ، وعاصم الجحدري :  
« يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ تَكْفُرُونَ » بالثاء فيها .

فوله تعالى : ( وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ ) يعني : محمداً والإسلام ؛ وقيل : بأنعام الله عليهم حين أطعمهم وآمنهم ( يكفرون ) ، ( وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ) أي : زعم أن له شريكاً وأنه أمر بالفواحش ( أو كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ) يعني محمداً والقرآن ( أليس في جهنم مثوى للكافرين ) ؟ ! وهذا استفهام بمعنى التقرير ، كقول جرير :

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا [ وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونَ رَاحٍ ]<sup>(١)</sup>  
( وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا ) أي : قاتلوا أعداءنا لأجلنا ( لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا )  
أي : لَنُوفِقَنَّهُمْ لِإِصَابَةِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمَةِ ؛ وقيل : لَنَزِيدَنَّهُمْ هِدَايَةً ( وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ) بالنصرة والعون . قال ابن عباس : يريد بالمُحْسِنِينَ :  
المُؤَحِّدِينَ ؛ وقال غيره : يريد المجاهدين . وقال ابن المبارك : من اعتاصت عليه  
مسألة ، فليسأل أهل الثغور عنها ، لقوله : « لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا » .



(١) دجوانه : ٩٨ ، ود مجاز القرآن ، : ٣٦/١ و ١١٨/٢ ، ود الطبري ، : ٥/٢١ .

## سورة الروم

وهي مكية كلها باجماعهم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ اَلَمْ نَغْلِبِ الرُّومَ . فِي اَدْنَى الْاَرْضِ وَنَمِّنْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ . فِي بِضْعِ سَنِينَ لِلّٰهِ الْاَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ . بِنَصْرِ اللّٰهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾

قوله تعالى : ( غَلِبَتِ الرُّومُ ) ذكر أهل التفسير في سبب نزولها أنه كان بين فارس والروم حرب فغلبت فارس الروم ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ وأصحابه ، فشق ذلك عليهم ، وفرح المشركون بذلك ، لأن فارس لم يكن لهم كتاب وكانوا يمجّدون البعث ويعبدون الأصنام ، والروم أصحاب كتاب ، فقال المشركون لأصحاب رسول الله ﷺ : إنكم أهل كتاب ، والنصارى أهل كتاب ، ونحن أُمِّيُّون ، وقد ظهر لإخواننا من أهل فارس على إخوانكم من

الروم ، فان قاتلتونا لَنَظْهَرَنَّ عَلَيْكُمْ ، فنزلت هذه الآية ، فخرج بها أبو بكر الصديق إلى المشركين ، فقالوا : هذا كلام صاحبك ، فقال : الله أنزل هذا ، فقالوا لا بُدَّ لك من نراهنك على أن الروم لا تغلب فارس ، فقال أبو بكر : البيضع ما بين الثلاث إلى التسع ، فقالوا : الوسط من ذلك ست ، فوضعوا الرهان ، وذلك قبل أن يُحرّم الرهان ، فرجع أبو بكر إلى أصحابه فأخبرهم ، فلاموه وقالوا : هلاًّ أقررتّها كما أقرّها الله ؟ لو شاء أن يقول : ستا ، لقال ! فلاماً كانت سنة ست ، لم تظهر الروم على فارس ، فأخذوا الرهان ، فلاماً كانت سنة سبع ظهرت الروم على فارس <sup>(١)</sup> . وروى ابن عباس قال : لما نزلت : « أَلَمْ يُغْلِبَتِ الرُّومُ » ناحب <sup>(٢)</sup> أبو بكر قريشاً ، فقال له رسول الله ﷺ : ألا احتطت ، فان البيضع ما بين السبع <sup>(٣)</sup> والتسع <sup>(٤)</sup> . وذكر بعضهم أنهم ضربوا الأجل خمس سنين <sup>(٥)</sup> ، وقال بعضهم : ثلاث سنين ، فقال رسول الله ﷺ : « إنا البيضع ما بين الثلاث إلى التسع » ، فخرج أبو بكر فقال لهم : أزايدكم

(١) ذكره بنحوه الترمذي في التفسير ١٥٠/٢ عن نيار بن مكرم ، والطبري ١٧/٢١ عن عكرمة ، وذكره البنيوي والخازن ، وأورده السيوطي في « الدر » ١٥١/٥ وعزاه إلى الترمذي ، وزاد نسبه للدارقطني في « الأفراد » ، والطبراني ، وابن مردويه ، وأبي نعيم في « الدلائل » ، والبيهقي في « شعب الإيمان » عن نيار بن مكرم الأسدي .

(٢) المناجاة : الخاطرة والمراعاة .

(٣) كذا الأصل : « فان البيضع ما بين السبع والتسع » والذي في الطبري ، والترمذي : « فان البيضع ما بين الثلاث إلى التسع » .

(٤) ذكره بنحوه الطبري ١٧/٢١ والترمذي ١٥٠/٢ ، عن ابن عباس رضي الله عنهما . وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ، من حديث الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس . ورواه الطبري عن عبد الله بن عمرو من قوله ، والله أعلم .

(٥) ذكر ذلك الطبري ١٦/٢١ .

في الخطر وأمدّه في الأجل إلى تسع سنين ، ففعلوا ، فقهروا أبوبكر ، وأخذ رهانهم <sup>(١)</sup> .  
وفي الذي تولّى وضع الرهان من المشركين قولان . أحدها : أبي بن خلف ،  
قاله قتادة . والثاني : أبو سفيان بن حرب ، قاله السدي .

قوله تعالى : ( في أدنى الأرض ) وقرأ أبي بن كعب ، والضحاك ،  
وأبورجاه ، وابن السيف : « في أداني الأرض » . بألف مفتوحة الدال ؛ أي :  
أقرب الأرض أرض الروم إلى فارس . قال ابن عباس : وهي طرف الشام .  
وفي اسم هذا المكان ثلاثة أقوال . أحدها : أنه الجزيرة ، وهي أقرب أرض  
الروم إلى فارس ، قاله مجاهد . والثاني : أذرعات وكسسكر <sup>(٢)</sup> ، قاله عكرمة .  
والثالث : الأردن وفلسطين ، قاله السدي .

قوله تعالى : ( وم ) يعني الروم ( من بعد غلبهم ) وقرأ أبو الدرداء ،  
وأبورجاه ، وعكرمة ، والأعمش : « غلبهم » بتسكين اللام ؛ أي : من بعد  
غلبة فارس عليهم . والغلب والغلبة لغتان ، ( سينغلبون ) فارس في بضع  
سنين ) في البضع تسعة أقوال قد ذكرناها في ( يوسف : ٤٢ ) قال المفسرون :  
وهي هاهنا سبع سنين ، وهذا من علم الغيب الذي يدل على أن القرآن حق ، ( لله  
الأمر من قبل ومن بعد ) أي : من قبل أن تغلب الروم ومن بعد  
ما غلبت ؛ والمعنى أن غلبة الغالب وخذلان المغلوب ، بأمر الله وقضائه

(١) ذكره بنحوه الطبري ١٨/٢١ .

(٢) قال ياقوت الحموي في « معجم البلدان » : كسسكر : مناه : عامل الزرع ، وهي  
كورة واسعة تنسب إليها الفرائيج العسكرية ، لأنها تكثر بها جداً ، وقال : قضبتها اليوم  
« واسط » القصبة التي بين الكوفة والبصرة ، وكانت قضبتها قبل أن يمتد الحجاج واسطاً :  
خسرو سابور . قال : وسميت كسكر بكسكر بن طهمورث الملك الذي هو أصل الفرس ،  
وقال آخرون : معنى كسكر : بلد الشمر ، بلغة أهل هراة .

( ويومئذ ) يعني يوم غلبت الروم فارس ( يفرح المؤمنون بنصر الله ) للروم .  
 وكان التقاء الفريقين في السنة السابعة من غلبة فارس إيتام ، فغلبتهم الروم ،  
 وجاء جبريل مُخبر بنصر الروم على فارس ، فوافق ذلك يوم بدر ، وقيل : يوم الحديبية .  
 ﴿ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ . يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ  
 هُمْ غَافِلُونَ . أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ  
 وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ  
 النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴾

قوله تعالى : ( وَعَدَ اللَّهُ ) أي : وَعَدَ اللَّهُ ذَلِكَ وَعْدًا ( لَا يُخْلِفُ اللَّهُ  
 وَعْدَهُ ) أَنَّ الرُّومَ يَظْهَرُونَ عَلَى فَارِسَ ( وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ ) يعني كفار  
 مكة ( لَا يَعْلَمُونَ ) أَنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ وَعْدَهُ فِي ذَلِكَ .

ثم وصف كفار مكة ، فقال : ( يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) قال  
 عكرمة : هي المعاش . وقال الضحاك : يعلمون ببيان قصورها وتشويق أنهارها .  
 وقال الحسن : يعلمون متى زرعهم و [ متى ] حصادهم ، ولقد بلغ والله مِنْ عِلْمِ  
 أحدهم بالدنيا أنه ينقُرُ الدرهم بظفره فيُنْخَبِرُكَ بوزنه ولا يُحْسِنُ يَصْلِي .

قوله تعالى : ( وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ) لأنهم لا يؤمنون بها . قال الزجاج :  
 وذِكْرُهُمْ ثَانِيَةٌ يَجْرِي مَجْرَى التَّوَكُّيدِ ، كما تقول : زيد هو عالم ، وهو أوكد من  
 قولك : زيد عالم .

قوله تعالى : ( أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ ) قال الزجاج : معناه : أولم  
 يتفكروا فيعلموا ، فحذف « فيعلموا » لأن في الكلام دليلاً [ عليه ] . ومعنى ( إِلَّا بِالْحَقِّ ) :

زاد السير ٦ م (١٩)

إِلَّا لِلْحَقِّ، أَي : لِإِقَامَةِ الْحَقِّ ( وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ) وهو وقت الجزاء ( وَإِنْ كَثِيرًا  
 مِنَ النَّاسِ بَلِقَاءَ رَبِّهِمْ أَكَافِرُونَ ) المعنى : لِكَافِرُونَ بَلِقَاءَ رَبِّهِمْ ، فَقَدِمَتْ الْبَاءُ ، لِأَنَّهَا  
 مُتَّصِلَةٌ بِـ « كَافِرُونَ » ؛ وَمَا اتَّصَلَ بِخَبَرٍ « إِنْ » جَازَ أَنْ يَقْدَّمَ قَبْلَ اللَّامِ ، وَلَا يَجُوزُ  
 أَنْ تَدْخُلَ اللَّامُ بَعْدَ مَضِيِّ الْخَبَرِ مِنْ غَيْرِ خِلَافٍ بَيْنَ النُّحْوِيِّينَ ، لَا يَجُوزُ أَنْ تَقُولَ :  
 إِنْ زَيْدٌ كَافِرٌ كَلِمَاتُ اللَّهِ ، لِأَنَّ اللَّامَ حَقَّقَهَا أَنْ تَدْخُلَ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ أَوْ الْخَبَرِ ، أَوْ بَيْنَ  
 الْإِبْتِدَاءِ وَالْخَبَرِ ، لِأَنَّهَا تَوْكِيدُ الْجُمْلَةِ . وَقَالَ مُقَاتِلٌ فِي قَوْلِهِ : ( وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ) :  
 لِلْسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَجَلٌ يَنْقُضَانِ إِلَيْهِ ، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ، ( وَإِنْ كَثِيرًا مِنَ  
 النَّاسِ ) يَعْنِي كُفَّارَ مَكَّةَ ( يَلْقَاءَ رَبِّهِمْ ) أَي : بِالْبَعْثِ ( لِكَافِرُونَ ) .

﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ  
 مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا  
 أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ  
 وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ . ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا  
 السُّوْءَ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ . اللَّهُ يَبْدُوهُمُ  
 الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾

قوله تعالى : ( أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ) أَي : أَوَلَمْ يَسَافِرُوا فَيَنْظُرُوا  
 مَصَارِعَ الْأُمَمِ قَبْلَهُمْ كَيْفَ أَهْلَكُوا بِتَكْذِيبِهِمْ فَيَسْتَبْرَأُوا .

قوله تعالى : ( وَأَثَارُوا الْأَرْضَ ) أَي : قَلَبُوهَا لِلزَّرْعَةِ ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلْبَقَرَةِ :  
 مَثِيرَةٌ . وَقَرَأَ أَبُو بَكْرٍ ، وَمَعَاذُ الْقَارِي ، وَأَبُو حَبِيبَةَ : « وَأَثَرُوا الْأَرْضَ »  
 بَعْدَ الْهَمْزَةِ وَفَتْحِ التَّاءِ مَرْفُوعَةً الزَّاءَ ، ( وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ ) مِمَّا عَمَرُوهَا ( أَي :  
 أَكْثَرَ مِنْ عِبَارَةِ أَهْلِ مَكَّةَ ، لِطَوْلِ أَعْمَارِ أَوْلَئِكَ وَشِدَّةِ قُوَّتِهِمْ ) وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ  
 بِالْبَيِّنَاتِ ( أَي : بِالْأَلَلَاتِ ) ( فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ ) بِتَعْذِيبِهِمْ عَلَى غَيْرِ ذَنْبٍ

( وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ) بالكفر والتكذيب ؛ ودلّ هذا على أنهم لم يؤمنوا فأهلكوا .

ثم أخبر عن عاقبتهم فقال : ( ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّؤَى ) يعني الخَلَّةَ السيئة ؛ وفيها قولان . أحدهما : أنها العذاب ، قاله الحسن . والثاني : جهنم ، قاله السدي .

قوله تعالى : ( أَنْ كَذَّبُوا ) قال الفراء : معناه : لِأَنْ كَذَّبُوا ، فلهذا أُلْقِيَتْ اللّامُ كان نصبا . وقال الزجاج : لتكذيبهم بآيات الله واستهزائهم . وقيل : السُّؤَى مصدر بمنزلة الإساءة ؛ فالعنى : ثم كان التكذيب آخر أمرهم ، أي : ماتوا على ذلك ، كأنَّ الله تعالى جازاهم على إساءتهم أَنْ طبع على قلوبهم حتى ماتوا على التكذيب تقوية لهم . وقال مكي بن أبي طالب النحوي : « عاقبة » اسم كان ، و « السُّؤَى » خبرها ، و « أَنْ كَذَّبُوا » مفعول من أجله ؛ ويجوز أن يكون « السُّؤَى » مفعولة بـ « أَسَاءُوا » ، و « أَنْ كَذَّبُوا » خبر كان ؛ ومن نصب « عاقبة » جعلها خبر « كان » ، و « السُّؤَى » اسمها ، ويجوز أن يكون « أَنْ كَذَّبُوا » اسمها .  
وقرأ الأعمش : « أَسَاءُوا السُّؤَى » برفع « السُّؤَى » .

قوله تعالى : ( اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ) أي : يخلقهم أولا ، ثم يعيدهم بعد الموت أحياء كما كانوا ، ( ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وابن عامر ، وحزمة ، والكسائي ، وحفص عن عاصم : « تُرْجَعُونَ » بالثاء ؛ فعلى هذا يكون الكلام عائداً من الخبر إلى الخطاب وقرأ أبو عمرو ، وأبو بكر عن عاصم : بالياء ، لأن المتقدم ذكره غيبية ، والمراد بذكر الرجوع : الجزاء على الأعمال ، والخلق بمعنى المخلوقين ، وإنما قال : « يُعِيدُهُ » على لفظ الخلق .

﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُؤُا وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ . وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِتُّهُمْ يَتَفَرَّقُونَ . فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ . وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْمَذَابِ مُخَضَّرُونَ ﴾

قوله تعالى : ( يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ) قد شرحنا الإبلas في ( الانعام : ٤٤ ) .  
قوله تعالى : ( وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ ) أي : [ من ] أولئهم التي عبدوها ( شفعا ) في القيامة ( وكانوا بشركائهم كافرين ) يتبرؤون منها وتبرأ منهم .  
قوله تعالى : ( يَوْمِئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ) وذلك بعد الحساب ينصرف قوم إلى الجنة ، وقوم إلى النار .

قوله تعالى : ( فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ ) الروضة : المكان المخضر من الأرض ؛ ولئها خص الروضة ، لأنها كانت أعجب الأشياء إلى العرب ؛ قال أبو عبيدة : ليس شيء عند العرب أحسن من الرياض المَعْشِبَةِ ولا أَطْيَبَ ريحاً ، قال الأعشى :  
مَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَّاضِ الْحَزَنِ مَعْشِبَةٌ

خَضْرَاءُ جَادَ عَلَيْهَا مُسْبِلٌ هَطِلٌ  
يَوْمًا بِأَطْيَبِ مِنْهَا نَشْرَ رَانِحَةٍ  
وَلَا بِأَحْسَنَ مِنْهَا إِذْ دَنَا الْأَصْلُ (١)

قال المفسرون : والمراد بالروضة : رياض الجنة .

وفي معنى « يُحْبَرُونَ » أربعة أقوال .

(١) البيتان لأعشى قيس ، ديوانه : ٥٧ ، ود مجاز القرآن ، ١٢٠/٢ ، و « الطبري » :



أحدها : يُكْرَمُونَ ، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس .

والثاني : يَنْعَمُونَ ، قاله مجاهد ، وقتادة . قال الزجاج : والحَبْرَةُ في اللغة :

كل نَفْثَةٍ حَسَنَةٍ .

والثالث : يَفْرَحُونَ ، قاله السدي . وقال ابن قتيبة : « يُحْبَرُونَ » :

يُسْرَوْنَ ، والحَبْرَةُ : السرور .

والرابع : أَنْ الْحَبْرَ : السَّمْعُ في الجنة ، فإذا أخذ أهل الجنة في السماع ، لم يبق

شجرة إِلَّا وَرَدَتْ ، قاله يحيى بن أبي كثير . وسئل يحيى بن معاذ : أي الأصوات

أحسن ؟ فقال : مزامير أنس ، في مقاصير قدس ، بألحان تحميد ، في رياض تمجيد ، في

مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ » [ القمر : ٥٥ ] .

قوله تعالى : ( فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُخَضَّرُونَ ) أي : هم حاضرون العذاب

أبدًا لا يخفف عنهم .

﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ . وَلَهُ الْحَمْدُ

فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ . يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ

الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُخْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا

وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾

ثم ذكر ما تذكرك به الجنة ويُتبع به من النار فقال : ( فَسُبْحَانَ اللَّهِ

حِينَ تُمْسُونَ ) قال المفسرون : المعنى : فصلوا لله حين تُمْسُونَ ، أي : حين

تدخلون في المساء ( وحِينَ تُصْبِحُونَ ) أي : تدخلون في الصباح ، و ( تُظْهِرُونَ )

تدخلون في الظهيرة ، وهي وقت الزوال ، ( وَعَشِيًّا ) أي : وسبحوه عشية .

وهذه الآية قد جمعت الصلوات الخمس ، فقوله : « حِينَ تُمْسُونَ » يعني [ به ]

صلاة المغرب والمشاء ، « وحين نصبحون » يعني به صلاة الفجر ، « وعشيًا »  
المصر ، « وحين تُظهرون » الظهر .

قوله تعالى : ( وله الحد في السموات والأرض ) قال ابن عباس : يَحْدَهُ  
أهل السموات وأهل الأرض ويصلون له .

قوله تعالى : ( يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ) فيه أقوال قد ذكرناها في  
( آل عمران : ٢٧ ) .

قوله تعالى : ( وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ) أي : يجعلها مُتَدَبِّتَةً بعد أن كانت  
لَا تُدْبِتُ ، وتلك حياتها ( وكذلك تُخْرِجُونَ ) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وعاصم ،  
وأبو عمرو ، وابن عامر : « تُخْرِجُونَ » بضم التاء ، وفتحها حمزة والكسائي ؛  
والمراد : تخرجون يوم القيامة من الأرض ، أي : كما أحيا الأرض بالنبات  
مُحْيِيكُمْ بِالْبَيْتِ .

« وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ  
تَنْشِرُونَ . وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا  
لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ  
لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ . وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ  
أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ . وَمِنْ آيَاتِهِ  
مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ  
لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمِعُونَ . وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا  
وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ  
لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ . وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ  
بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ .

وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهُ قَانِتُونَ . وَهُوَ الَّذِي يَبْدُوُ  
الْخَاقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ  
هَلْ لَكُمْ مِنْ مَمَالِكٍ أَبْنَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَارَزَقَتِنَاكُمْ  
فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ  
الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ . بَلْ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ  
عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ \*

قوله تعالى : ( وَمِنْ آيَاتِهِ ) أي : من دلائل قدرته ( أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ )  
يعني آدم ، لأنه أصل البشر ( ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ ) من لحم ودم ، يعني ذريته  
( تَنْتَشِرُونَ ) أي : تنبسطون في الأرض .

قوله تعالى : ( أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ) فيه قولان .  
أحدهما : أنه يعني بذلك آدم ، خلق حواء من ضلعه ، وهو معنى قول قتادة .  
والثاني : أن المعنى : جعل لكم آدميات مثلكم ، ولم يجعلنَّ من غير جنسكم ،  
قاله الكلبي .

قوله تعالى : ( لَتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ) أي : لتأووا إلى الأزواج ( وجعل بينكم  
مودَّةً ورحمةً ) وذلك أن الزوجين يتوادَّان ويتراحمان من غير رَحِيمٍ بينهما ( إِنَّ  
فِي ذَلِكَ ) الذي ذكره من صنعه ( لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ) في قدرة الله وعظمته .  
قوله تعالى : ( وَاخْتَلَفُ أَلْسِنَتَكُمْ ) يعني اللغات من العربية والمجمية وغير  
ذلك ( وَأَلْوَانِكُمْ ) لأنَّ الخلق بين أسود وأبيض وأحمر ، وم ولد رجل واحد  
وامرأة واحدة . وقيل : المراد باختلاف الألسنة : اختلاف النغمات والأصوات ،  
حتى إنه لا يشبهه صوت أخوين من أب وأم والمراد باختلاف الألوان : اختلاف

الصُّورَ ، فلا تشبّه صورتان مع التشاكل ( إنَّ في ذلك لآياتٍ للعالمين )  
 قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وحمة ، [ والكسائي ] ، وأبو بكر عن  
 عاصم : « للعالمين » بفتح اللام . وقرأ حفص عن عاصم : « للعالمين » بكسر اللام .  
 قوله تعالى : ( ومن آياته منامكم بالليل والنهار ) أي : نومكم . قال أبو عبيدة :  
 المنام من مصادر النوم ، بمنزلة قام يقوم قياماً ومقاماً ، وقال يقول مقالاً . قال  
 المفسرون : وتقدير الآية : منامكم بالليل ( وابتغواكم من فضله ) وهو طلب الرزق  
 بالنهار ( إنَّ في ذلك لآياتٍ لقوم يسمعون ) سماع اعتبار [ وتذكّر ] وتدبّر .  
 ( ومن آياته يُريكم البرق ) قال اللغويون : إنّما حذف « أن » لدلالة الكلام  
 عليه ، وأنشدوا :

[ وما الدهرُ إلا تارتان فتارة أموتُ وأخرى أبني العيش أكدحُ<sup>(١)</sup>  
 وممناه : فتارة أموت فيها ] ، وقال طرفة :

ألا أيهدأ الزّاجري أحضر الوغى

[ وأن أشهد اللذات هل أنت مُخلّدي ]<sup>(٢)</sup>

أراد : أن أحضر . وقد شرحنا معنى الخوف والطمع في رؤية البرق في سورة  
 ( الرعد : ١٢ ) .

قوله تعالى : ( أن تقوم السماء والأرض ) أي : تدوم قائمتين ( بأمره ) ( ثم  
 إذا دعاكم دعوة ) وهي نفخة إسرافيل الأخيرة في الصُّور بأمر الله عز وجل

(١) البيت لثيم بن مقل ، وقد سبق تخريجه في ج ٢ ص ٩٩ ، وهو أيضاً في  
 « الطبري » : ٣٣/٢١ ، و « البحر » : ١٦٧/٧ ، و « روح المعاني » : ٢٩/٢١ ،  
 و « اللسان » ، و « التاج » : كدح .

(٢) البيت لطرفة بن عبد البكري من معلقته ، وهو في « الطبري » : ٣٣/٢١ ،  
 و « روح المعاني » : ٢٩/٢١ ، و « مختار الشعر الجاهلي » : ٣١٧/١ .

( من الأرض ) أي : من قبوركم ( إذا أنتم تخرجون ) منها . وما بعد هذا قد سبق بيانه [ البقرة : ١١٦ ، النكبات : ١٩ ] إلى قوله : ( وهو أهون عليه ) وفيه أربعة أقوال .

أحدها : أن الإعادة أهون عليه من البداية ، وكلُّ هين عليه ، قاله مجاهد ، وأبو العالية .

والثاني : أن « أهون » بمعنى « هين » ، فالمعنى : وهو هين عليه ، وقد يوضع « أفعل » في موضع « فاعل » ، ومثله قولهم في الأذان : الله أكبر ، أي : الله كبير ، قال الفرزدق :

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا      بَيْتًا دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ<sup>(١)</sup>  
وقال ممن بن أوس المزني :

لَعَبْرُكَ مَا أَذْرِي وَإِنِّي لَأَوْجَلُ      عَلَى أَيْنَا تَغْدُو الْمَنِيَّةُ أَوَّلُ<sup>(٢)</sup>  
أي : وإِنِّي لَوْجَل ، وقال غيره :

أَصْبَحْتُ أَمْنَحُكَ الصَّدُودَ وَإِنِّي      قَسَمًا إِلَيْكَ مَعَ الصَّدُودِ لَأَمْبِلُ<sup>(٣)</sup>  
وأنشدوا أيضا :

(١) ديوانه : ٧١٤ ، و « مجاز القرآن » : ١٢١/٢ ، و « الطبري » : ٣٧/٢١ ، و « الكامل » : ٦٩٧ .  
(٢) البيت في « الطبري » : ٣٧/٢١ ، و « الخاسة البصرية » : ١٤٢ ، و « الكامل » : ٦٩٦ ، و « لباب الآداب » : ٣٩٩ . قال الشيخ أحمد محمد شاكر في تعليقه على « لباب الآداب » : و « تغدو » بالعين المعجمة في الروايات كلها ، وحكى التبريزي أن في رواية : « تدو » بالعين المهملة . اهـ .

(٣) البيت للأحوص ، وهو في « مجاز القرآن » : ١٢١/٢ ، و « القرطبي » : ٢١/١٤ ، و « الخزانة » : ٢٤٨/١ ، و « الكتاب » : ١٩٠/١ ، و « السمط » : ٢٥٩ . وكان الشطر الثاني من البيت في الأصل : « قسم إليك مع الصدود لأمبل » . قال الشنمري في « الكتاب » في تعليقه على البيت : الشاهد فيه نصب قوله : « قسما » ونصبه على المصدر المؤكد لا قبله من الكلام الدال على القسم ، لأنه لا قال : « إني لأمنحك الصدود » ، وإني إليك لأمبل ، علم أنه حقق مقسم ، فقال : « قسما » مؤكداً لذلك . اهـ .

نَمَنَّى رِجَالُ أَنْ أَمُوتَ وَإِنْ أَمُتَ فَتِلْكَ سَبِيلُ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدٍ<sup>(١)</sup>  
 أي : بواحد ، هذا قول أبي عبيدة ، وهو مروى عن الحسن ، وقسادة .  
 و [ قد ] فرأى أبي بن كعب ، وأبو عمران الجوني ، وجمفر بن محمد : « وهو هيئن عليه » .  
 والثالث : أنه خاطب العباد بما يعقلون ، فأعلمهم أنه يجب أن يكون عندهم  
 البعث أسهل من الابتداء في تقديرهم وحكمهم ، فمن قَدَّرَ على الإنشاء كان  
 البعث أهونَ عليه ، هذا اختيار الفراء ، والمبرد ، والزجاج ، وهو قول مقاتل .  
 وعلى هذه الأقوال الثلاثة تكون الهاء في « عليه » عائدة إلى الله تعالى .  
 والرابع : أن الهاء تعود على المخلوق ، لأنه خلقه نطفة ثم علقه ثم مضغه ،  
 ويوم القيامة يقول له كن فيكون ، رواه أبو صالح عن ابن عباس ، وهو  
 اختيار قطرب .

قوله تعالى : ( وله المثل الأعلى ) قال المفسرون : أي : له الصِّفَةُ العُلْيَا ( في  
 السموات والأرض ) وهي أَنَّهُ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ .

قوله تعالى : ( ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا ) سبب نزولها أن أهل الجاهلية كانوا  
 يلبثون فيقولون : لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك ، فنزلت  
 هذه الآية ، قاله سعيد بن جبير ، ومقاتل<sup>(٢)</sup> . ومعنى الآية : يَبَيِّنُ لَكُمْ أَيُّهَا  
 المشركون شبهاً ، وذلك الشَّيْءُ ( من أنفسكم ) ، ثم بيَّنه فقال : ( هل لكم  
 ممَّا ملكت أيمانكم ) أي : من عبيدكم ( من شركاء فيما رزقناكم ) من المال والأهل  
 والعبيد ، أي : هل يشاركنكم عبيدكم في أموالكم ( فأنتم فيه سواء ) أي : أنتم

(١) البيت في « مجاز القرآن » : ١٦/٢ ، و « الطبري » : ٣٧/٢١ ، و « القرطبي » :

٢١/١٤ ، و « التاج » : واحد .

(٢) ذكره ابن كثير من رواية أبي القاسم الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وفي سنده ضعف ،  
 وأورده السيوطي في « الدر » ، ١٥٥/٥ وزاد نسبه لابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما .

وشركاؤكم من عبيدكم سواء ( تخافونهم كخيفتكم أنفسكم ) أي : كما تخافون  
 أمثالكم من الأحرار ، وأقرباءكم كالآباء والأبناء ؟ قال ابن عباس : تخافونهم أن  
 يبرئوكم كما يبرئ بعضهم بعضاً ؟ وقال غيره : تخافونهم أن يقاسموكم أموالكم  
 كما يفعل الشركاء ؟ والمعنى : هل يرضى أحدكم أن يكون عبده شريكه في ماله وأهله  
 حتى يساويه في التصرف في ذلك ، فهو يخاف أن ينفرد في ماله بأمر يتصرف  
 فيه كما يخاف غيره من الشركاء الأحرار ؟ ! فإذا لم ترضوا ذلك لأنفسكم ، فلم  
 عدلتم بي من خلقي من هو مملوك لي ؟ ! ( كذلك ) أي : كما يدنس هذا  
 المثل ( تفصيل الآيات لقوم يعقلون ) عن الله . ثم يبين أنهم إنما اتبعوا  
 الهوى في إشراكهم ، فقال : ( بل اتبع الذين ظلموا ) أي : أشركوا بالله  
 ( أهواءهم بغير علم فمن يهدي من أضل الله ) وهذا يدل على أنهم إنما  
 أشركوا باضلال الله إياهم ( ومالهم من ناصرين ) أي : مانعين من عذاب الله .

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ  
 عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ  
 لَا يَعْلَمُونَ . مُبِينٌ إِلَيْهِ وَانْقُؤُهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا  
 مِنَ الْمُشْرِكِينَ . مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعاً كُلُّ  
 حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ . وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ  
 مُبِينٌ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ  
 يُشْرِكُونَ . لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتُّوا فَسَوْفَ نَعْلَمُونَ .  
 أَمْ أَنْزَلْنَاهُمْ سُلْطَاناً فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ .  
 وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ

أَيَّدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ . أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَنْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ  
يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ . فَآتَ ذَا الْقُرْبَى  
حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ  
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٩﴾

قوله تعالى : ( فاقم وجهك ) قال مقاتل : أخلص دينك الإسلام ( الدين )  
أي : للتوحيد . وقال أبو سليمان الدمشقي : استقم بدينك نحو الجهة التي وجهك  
الله إليها . وقال غيره : سدد عملك . والوجه : ما يتوجه إليه ، وعمل الإنسان  
ودينه : ما يتوجه إليه لتسديده وإقامته .

قوله تعالى : ( حنيفاً ) قال الزجاج : الحنيف : الذي يميل إلى الشيء ولا يرجع  
عنه ، كالحنف في الرجل ، وهو ميلها إلى خارجها خِلقة ، لا يقدر الأحنف أن  
يردَّ حنْفه . وقوله : ( فطرة الله ) منصوب ، بمعنى : اتَّبَعَ فطرة الله ، لأن  
معنى « فاقم وجهك » : اتَّبَعَ الدين القيم ، واتَّبَعَ فطرة الله ، أي : دين الله .  
والفطرة : الخِلقة التي خلق الله عليها البشر . وكذلك قوله عليه السلام : « كل  
مولود يولد على الفطرة » <sup>(١)</sup> ، أي : على الإيمان بالله . وقال مجاهد في قوله :  
( فطرة الله التي فطر الناس عليها ) قال : الإسلام ، وكذلك قال قتادة . والذي

(١) رواه البخاري في « صحيحه » : ١٩٧/٣ عن أبي هريرة رضي الله عنه ، ولفظه بتمامه :  
« كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه ، كمثل البهيمة  
تنتج البهيمة ، هل ترى فيها جدهاء » وذكره السيوطي في « الجامع الصغير » بلفظ « كل  
مولود يولد على الفطرة ، حتى يُعْرَب عنه لسانه ، فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو  
يمجسانه ، وعزاه لأبي يعلى في « مسنده » ، والطبراني في « الكبير » والبيهقي في « السنن »  
عن الأسود بن مريح . ورواه البخاري ١٧٦/٣ ومسلم ٢٠٤٧/٤ عن أبي هريرة رضي الله عنه  
بلفظ : « ما من مولود إلا يولد على الفطرة ... الحديث ، ولفظه في مسلم بتمامه : « ما من  
مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء ، —



أشار إليه الزجاج أصح ، وإليه ذهب ابن قتيبة ، فقال : فرق ما بيننا وبين أهل القَدَر في هذا الحديث ، أن الفطرة عندهم : الإسلام ، والفطرة عندنا : الإقرار بالله والمعرفة به ، لا الإسلام ، ومعنى الفطرة : ابتداء الخَلِقة ، والكل أقرؤا حين قوله : ( أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قَالُوا بَلَى ) [الأعراف : ١٧٢] ولستَ واجداً أحداً إلا وهو مُقَرَّرٌ بأنَّ له صانماً ومدبِّراً وإن عبد شيئاً دونه وسمَّاه بغير اسمه ؛ فعنى الحديث : إن كل مولود في العالم على ذلك المهد وذلك الإقرار الأول ، وهو للفطرة ، ثم يهود اليهودُ أبناءهم ، أي : يملعونهم ذلك ، وليس الإقرار الأول ممَّا يقع به حُكْم ولا ثواب ؛ وقد ذكر نحو هذا أبو بكر الأثرم ، واستدل عليه بأن الناس أجمعوا على أنه لا يرث المسلم الكافر ، ولا الكافر المسلم ، ثم أجمعوا على أن اليهوديَّ إذا مات له ولد صغير ورثه ، وكذلك النصراني والمجوسي ، ولو كان معنى الفطرة الإسلام ، ما ورثه إلا المسلمون ، ولا يُدفن إلا معهم ؛ وإنما أراد بقوله عليه السلام : « كل مولود يولد على الفطرة » أي : على تلك البداية التي أقرؤا له فيها بالوحدانية حين أخذهم من صُلب آدم ، فمنهم من جحد ذلك بعد إقراره <sup>(١)</sup> . ومثل هذا الحديث

---

— هل تحبسون فيها من جدعاء ، ثم يقول أبو هريرة : واقرؤوا إن شئتم : ( فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ... ) الآية . وأورده السيوطي في « الدر » بهذا اللفظ ١٥٥/٥ وزاد نسبه ، لابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(١) قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » ١٩٧/٣ : وقد اختلف السلف في المراد بالفطرة في هذا الحديث على أقوال كثيرة ، ثم قال : وأشهر الأقوال أن المراد بالفطرة : الإسلام ، قال : قال ابن عبد البر : وهو المعروف عند عامة السلف ، وأجمع أهل العلم بالتأويل على أن المراد بقوله تعالى : ( فطرة الله التي فطر الناس عليها ) : الإسلام ، واحتجوا بقول أبي هريرة في آخر حديث الباب : اقرؤوا إن شئتم : ( فطرة الله التي فطر الناس عليها ) ، وبحديث عياض ابن حمار عن النبي ﷺ فيها يرويه عن ربه : « إني خلقت عبـادي حنفاء كلهم فاجتالهم الشياطين عن دينهم ... » الحديث ، وقد رواه غيره فزاد فيه « حنفاء مسلمين » ورجحه —

حديث عياض بن حمار عن النبي ﷺ قال : « قال الله عز وجل : إني خلقت عبادي حنفاء »<sup>(١)</sup> ، وذلك أنه لم يدعهم يوم الميثاق إلا إلى حرف واحد ، فأجابوه . قوله تعالى : ( لا تبديل لخلق الله ) لفظه لفظ النفي ، ومعناه النهي ؛ والتقدير : لا تبدلوا خلق الله . وفيه قولان . أحدهما : أنه خصاء البهائم ، قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه . والثاني : دين الله ، قاله مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وقتادة ، والنخعي في آخرين . وعن ابن عباس وعكرمة كالتقواين .

قوله تعالى : ( ذلك الدين القيم ) يعني التوحيد المستقيم ( ولكن أكثر الناس ) يعني كفار مكة ( لا يعلمون ) توحيد الله .

— بعض المتأخرين بقوله تعالى : ( فطرة الله ) ، لأنها إضافة مدح ، وقد أمر نبيه بلزومها ، فلم أنها الاسلام . وقال الحفاظ : وقد قال أحد : من مات أبواه وما كافران حكم بالسلامة ، واستدل بحديث الباب ، فدل على أنه فسر الفطرة بالاسلام ، قال : وحكى محمد بن نصر أن آخر قولني أحمد ، أن المراد بالفطرة : الاسلام ، ثم قال : وقال ابن القيم : سبب اختلاف العلماء في معنى الفطرة في هذا الحديث ، أن القدرية كان يحتجون به على أن الكفر والمعصية ليسا بقضاء الله ، بل بما ابتدأ الناس إحداثه ، فحاول جماعة من العلماء مخالفتهم بتأويل الفطرة على غير معنى الاسلام ، ولا حاجة لذلك ، لأن الآثار المنقولة عن السلف تدل على أنهم لم يفهموا من لفظ الفطرة إلا الاسلام ، ولا يلزم من حملها على ذلك موافقة مذهب القدرية ، لأن قوله : « فأبواه يهودانه ... الخ » محمول على أن ذلك يقع بتقدير الله تعالى ، ومن ثم احتج عليهم مالك بقوله في آخر الحديث : « الله أعلم بما كانوا عاملين » . اهـ .

(١) هو جزء من حديث طويل رواه مسلم في « صحيحه » ٢١٩٧/٤ عن عياض بن حمار الهاشمي أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته : « ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جعلتم بما علمني يومي هذا : كل مال نخلته عبداً ، حلال ( أي : قال الله : كل مال ... الخ ) وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتاتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً ، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم ، إلا بقايا من أهل الكتاب ( المراد بهم : النبايون على التمسك بدينهم الحق من غير تبديل ) ، وقال : إنا نبشك لأنتليك وأبتي بك ... الحديث .

قوله تعالى : ( مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ) قال الزجاج : زعم جميع النحويين أن معنى هذا : فأقيموا وجوهكم منيبين ، لأن غاطبة النبي ﷺ تدخل معه فيها الأمة ومعنى « منيبين » : راجعين إليه في كل ما أمر ، فلا يخرجون عن شيء من أمره . وما بعد هذا قد سبق تفسيره [ البقرة : ٣ ، الأنعام : ١٥٩ ] إلى قوله : ( وإذا مسَّ الناسَ ضرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً ) وفيه قولان . أحدهما : أنه القحط ، والرحمة : المطر . والثاني : أنه البلاء ، والرحمة : العافية ، ( إذا فربق منهم ) وهم المشركون . والمعنى : إن الكل يلتجئون إليه في شدائدهم ، ولا يلتفت المشركون حينئذ إلى أوثانهم .

قوله تعالى : ( لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ ) قد شرحناه في آخر ( العنكبوت : ٦٧ ) ، وقوله : ( فَتَمَنَّوْا ) خطاب لهم بعد الإخبار عنهم .

قوله تعالى : ( أَمْ أَنْزَلْنَاهُمْ ) أي : على هؤلاء المشركين ( سُلْطَانًا ) أي : حُجَّةً وكتاباً من السماء ( فهو يتكلم بما كانوا به يُشْرِكُونَ ) أي : يأمرهم بالشرك ؛ وهذا استفهام إنكار ، معناه : ليس الأمر كذلك .

قوله تعالى : ( وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ ) قال مقاتل : يعني كفار مكة ( رَحْمَةً ) وهي المطر . والسَّيِّئَةُ : الجوع والقحط . وقال ابن قتيبة : الرحمة : النعمة ، والسَّيِّئَةُ : المصيبة . قال المفسرون : وهذا الفرح المذكور هاهنا ، هو فرح البطر الذي لا شكر فيه ، والقنوط : البأس من فضل الله ، وهو خلاف وصف المؤمن ، فإنه يشكر عند النعمة ، ويرجو عند الشدة ؛ وقد شرحناه في ( بني إسرائيل : ٢٦ ) إلى قوله : ( ذَلِكَ ) يعني إعطاء الحق ( خَيْر ) أي : أفضل من الإمساك ( للذين يريدون وجه الله ) أي : يطلبون بأعمالهم ثواب الله .

﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا لِيَرْبُؤَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُؤَا  
عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ  
الْمُضْطَرِّفُونَ . اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمْسِكُكُمْ ثُمَّ  
يُنْخِصُكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مِنْ شَيْءٍ  
مُبْحَاهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾

قوله تعالى : ( وما آتيتم من رباً ) في هذه الآية أربعة أقوال .

أحدها : أن الربا هاهنا : أن يهدي الرجل الرجل الشيء يقصد أن يثيبه  
عليه أكثر من ذلك ، هذا قول ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، وطاووس ،  
[ والضحاك ] ، وقتادة ، والقرظي . قال الضحاك : فهذا ليس فيه أجر ولا وزر .  
وقال قتادة : ذلك الذي لا يقبله الله ولا يحجز به ، وليس فيه وزر .

والثاني : أنه الربا المحرم ، قاله الحسن البصري .

والثالث : أن الرجل يعطي قرابته المال ليصير به غنياً ، لا يقصد بذلك  
ثواب الله تعالى ، قاله إبراهيم النخعي .

والرابع : أنه الرجل يعطي من يخدمه لأجل خدمته ، لأجل الله تعالى ،  
قاله الشعبي .

قوله تعالى : ( لِيَرْبُؤَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ ) وقرأ نافع ، ويعقوب : [ «لِتَرْبُؤَا» ]

بالتاء وسكون الواو ، أي : [ في ] اجتلاب أموال الناس ، واجتذابها ( فلا يربو  
عند الله ) أي : لا يركو ولا يضاعف ، لأنكم قصدتم زيادة العيوض ، ولم  
تقصدوا القربة .

( وما آتيتم من زكاة ) أي : ما أعطيتم من صدقة لا يطلبون بها المكافأة ،

إِنَّمَا تَرِيدُونَ بِهَا مَا عِنْدَ اللَّهِ ، ( فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْمِفُونَ ) قَالَ ابْنُ قَتِيبَةَ : الَّذِينَ يَجِدُونَ التَّضْمِيفَ وَالزِّيَادَةَ . وَقَالَ الزَّجَّاجُ : أَيُّ : ذُو الْأَضْغَافِ مِنَ الْحَسَنَاتِ ، كَمَا يَقَالُ : رَجُلٌ مُقْوٍ ، أَيُّ : صَاحِبُ قُوَّةٍ ، وَمُوسِرٌ : صَاحِبُ يَسَارٍ .

﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ . قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ . فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ بَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصَدِّعُونَ ﴾

قوله تعالى : ( ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ) فِي هَذَا الْفَسَادِ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ . أَحَدُهَا : تَقْصَانُ الْبَرَكَةِ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ . وَالثَّانِي : ارْتِكَابُ الْمَعَاصِي ، قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ . وَالثَّلَاثُ : الشِّرْكُ ، قَالَ قَتَادَةُ ، وَالسَّادِي . وَالرَّابِعُ : قَطْعُ الْمَطَرِ ، قَالَ عَطِيَّةٌ .

فَأَمَّا الْبَرُّ . فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : الْبَرُّ : الْبَرِّيَّةُ الَّتِي لَيْسَ عِنْدَهَا نَهْرٌ .

وَفِي الْبَحْرِ قَوْلَانِ .

أَحَدُهَا : أَنَّهُ مَكَانٌ مِنَ الْمَدَائِنِ وَالْقُرَى عَلَى شَطْرِ نَهْرٍ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ . وَقَالَ عِكْرِمَةُ : لَا أَقُولُ : بِحَرِّكُمْ هَذَا ، وَلَكِنْ كُلُّ قَرْيَةٍ عَامِرَةٍ . وَقَالَ قَتَادَةُ : الْمُرَادُ بِالْبَرِّ : أَهْلُ الْبُوَادِي ، وَبِالْبَحْرِ : أَهْلُ الْقُرَى . وَقَالَ الزَّجَّاجُ : الْمُرَادُ بِالْبَحْرِ : مَدَنُ الْبَحْرِ الَّتِي عَلَى الْأَنْهَارِ ، وَكُلُّ ذِي مَاءٍ فَهُوَ بَحْرٌ .

وَالثَّانِي : أَنَّ الْبَحْرَ : الْمَاءُ الْمَعْرُوفُ . قَالَ مُجَاهِدٌ : ظُهُورُ الْفَسَادِ فِي الْبَرِّ : قَتْلُ

ابن آدم أخاه، وفي البحر : مَلِكٌ جَارٌ يأخذ كل سفينة غصباً<sup>(١)</sup> . وقيل لمطيئة : أي فساد في البحر ؛ فقال : إذا قلَّ المطر قلَّ النّوص .

قوله تعالى : ( بما كسبت أيدي الناس ) أي : بما عملوا من المعاصي ( لِيُذِيقَهُمْ ) وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي ، وعكرمة ، وقتادة ، وابن محيصن ، وروح [ عن يعقوب ] ، وقيل عن ابن كثير : « لِيُذِيقَهُمْ » بالنون ( بعض الذي عملوا ) أي : جزاء بعض أعمالهم ؛ فالقحط جزاء ، ونقصان البركة جزاء ، ووقوع المعصية منهم جزاء مجلّل لمعاصيهم أيضاً .

قوله تعالى : ( لعلّهم يرجعون ) في المشار إليهم قولان .

أحدهما : أنهم الذين أذيقوا الجزاء . ثم في معنى رجوعهم قولان . أحدهما : يرجعون عن المعاصي ، قاله أبو العالية . والثاني : يرجعون إلى الحق ، قاله إبراهيم . والثاني : أنهم الذين يأتون بمدّهم ؛ فالمعنى : لعلّهم يرجعون من بمدّهم ، قاله الحسن .

قوله تعالى : ( قل سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ) أي : سافروا ( فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل ) أي : الذين كانوا قبلكم ؛ والمعنى : انظروا إلى مساكنهم وآثارهم ( كان أكثرهم مشركين ) المعنى : فأهلكوا بشركهم<sup>(٢)</sup> .

(١) قال ابن جرير الطبري : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن الله تعالى ذكره ، أخبر أن الفساد قد ظهر في البر والبحر ، والبر عند العرب : الأرض القفار ، والبحر بحران : بحر ملح ، وبحر عذب ، فها جميعاً عندهم بحر ، ولم يخصّ جل ثناؤه الخبر عن ظهور ذلك في بحر دون بحر ، فذلك على ما رقع عليه اسم بحر ، عذباً كان أو ملحاً ، وإذا كان ذلك كذلك ، دخل القرى التي على الأنهار والبحار ، فتأويل الكلام إذن : إذ كان الأمر كما وصفت ، ظهرت معاصي الله في كل مكان من برّ وبحر بما كسبت أيدي الناس ، أي : بذنوب الناس ، وانتشر الظلم فيها . اهـ .

(٢) قال ابن جرير الطبري : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : قل يا محمد لهؤلاء —

( فَأَتَمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ) أي : أتم قصدك لاتباع الدين ( الْقِيَمِ ) وهو الإسلام المستقيم ( مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَمْ يَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ ) يعني [ يوم ] القيامة لا يقدر أحد على رد ذلك اليوم ، لأن الله تعالى قد قضى كونه ( يَوْمَئِذٍ يَصْدَعُونَ ) أي : ينفرقون إلى الجنة والنار .

﴿ مَنْ كَفَرَ فَعَمَلُهُ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسٍ مِنْ يَمْحَدُونِ . لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾

( مَنْ كَفَرَ فَعَمَلُهُ كُفْرُهُ ) أي : جزاء كفره ( وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسٍ مِنْ يَمْحَدُونِ ) أي : يُوطَّئُونَ . وقال مجاهد : يسوون المضاجع في القبور ، قال أبو عبيدة : « مَنْ » يقع على الواحد والاثني والجمع من المذكر والمؤنث ، ومجازها هاهنا مجاز الجميع ، و « يَمْحَدُونَ » بمعنى يكتسب ويعمل ويستعد .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْزِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَاذْتَمَنَّا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

قوله تعالى : ( وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ ) تبشّر بالمطر

— الشركين بالله من قومك : سيروا في البلاد ، فانظروا إلى مساكن الذين كفروا بالله من قبلكم ، وكذبوا رسله ، كيف كان آخر أمرهم وعاقبة تكذيبهم رسول الله وكفرهم ، ألم نهلكهم ببذاب منا ، ونجملهم عبرة لمن بعدهم ؟ ! كان أكثرهم مشركين ، يقول : فلنا ذلك بهم ، لأن أكثرهم كانوا مشركين بالله مثلهم . اهـ .

( وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ) وهو النيث والخصب ( وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ ) في البحر بتلك الرياح ( بِأَمْرِهِ ) ( وَلِتَبْتَغُوا ) بالنجارة في البحر ( مِنْ فَضْلِهِ ) وهو الرزق ؛ وكل هذا بالرياح .

قوله تعالى : ( فجاؤوم بالبينات ) أي : بالدلالات على صدقهم ( فأتقنا من الذين أجمعوا ) أي : عذبنا الذين كذبوا ( وكان حقاً علينا ) أي : واجباً هو أوجه على نفسه ( نصر المؤمنين ) إنجاؤهم مع الرسل من عذاب المكذبين .

﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَنَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ . وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ . فَأَنْظِرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُخَيِّبُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُخَيِّبٌ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ . فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الضَّمَّ الدَّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ . وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمِّيِّ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يَوْمَ مِنْ بَيِّنَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ . اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ . وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يَوْمَ فَكُونُ . وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الذِّمَّةَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ



فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ . فَيَوْمَئِذٍ لَا يُنْفَعُ  
الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتَهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ \*

قوله تعالى : ( يُرْسِلُ الرِّيحَ ) وقرأ ابن مسعود ، وأبو رجاء ، والنخعي ،  
وطلحة بن مصرف ، والأعمش : « يُرْسِلُ الرِّيحَ » بغير ألف .

قوله تعالى : ( قَتِيرٌ سَحَابًا ) أي : مُنْزَعَجُهُ ( فَيَبْسُطُهُ ) الله ( في السماء  
كَيْفَ يَشَاءُ ) إن شاء بسطه مسيرة يوم أو يومين أو أقل أو أكثر ( ويجعله  
كَيْسَفًا ) أي : قِطْعًا متفرقة . والأكثرون فتحوا سين « كَيْسَفًا » ؛ وقرأ  
أبورزين ، وقتادة ، وابن عامر ، وأبو جعفر ، وابن أبي عبله : بتسكينها ؛ قال  
أبو علي : يمكن أن يكون مثل سِدْرَةٍ وَسِدْرٍ ، فيكون معنى القراءتين واحداً  
( فَتَرَى الْوَدَّاقَ يُخْرِجُ مِنْ خِلَالِهِ ) وقرأ ابن مسعود ، وابن عباس ، ومجاهد ،  
وأبو العالية : « مِنْ خِلَالِهِ » ؛ وقد شرحناه في (النور : ٤٣) (فَإِذَا أَصَابَ بِهِ) أي :  
بِالْوَدَّاقِ ؛ ومعنى ( يَسْتَبْشِرُونَ ) يفرحون بالمطر ، ( وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ أَنْ  
يُنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْمَطَرُ ( مِنْ قَبْلِهِ ) ) وفي هذا التكرير ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه للتأكيد ، كقوله : ( فسجد الملائكة كلهم أجمعون ) [الحجر : ٣٠] ،  
قَالَ الْأَخْفَشُ فِي آخِرِينَ .

والثاني : أن « قَبْلُ » الأولى للتنزيل ، والثانية للمطر ، قَالَ قُطْرُبٌ . قَالَ  
ابن الأنباري : والمعنى : مِنْ قَبْلُ نَزُولِ الْمَطَرِ ، مِنْ قَبْلُ الْمَطَرِ ، وهذا مثلما  
يقول القائل : آتَيْكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُتَكَلَّمَ ، مِنْ قَبْلِ أَنْ تُطْمِثَ فِي مَجْلِسِكَ ، فَلَا تُنْكَرُ  
الإِيعَادَةُ ، لِاخْتِلَافِ الشَّيْئِينَ .

والثالث : أن الهاء في قوله : « مِنْ قَبْلِهِ » ترجع إلى الهُدَى وإن لم يتقدم  
له ذِكْرٌ ، فيكون المعنى : كَانُوا يَقْنَطُونَ مِنْ قَبْلِ نَزُولِ الْمَطَرِ ، مِنْ قَبْلِ الْهُدَى ،

فَلَمَّا جَاءَ الْمُحْدَى وَالْإِسْلَامَ زَالَ الْقُنُوطُ، ذَكَرَهُ ابْنُ الْأَثْبَارِيِّ عَنْ أَبِي مُعْمَرٍ الدُّوْرِيِّ  
وَأَبِي جَعْفَرٍ بْنِ قَادِمٍ . وَالْمَيْسُونُ : الْآيِسُونُ وَقَدْ سَبَقَ الْكَلَامُ فِي هَذَا [ الْأَنْثَامُ : ٤٤ ] .  
( فَاَنْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ ) قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ ، وَنَافِعٌ ، وَأَبُو عَصْرٍ ، وَأَبُو بَكْرٍ  
عَنْ عَاصِمٍ : « إِلَى أَثَرٍ » . وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ ، وَحَمْزَةُ ، وَالْكَسَائِيُّ ، وَحَفْصٌ عَنْ  
عَاصِمٍ : « إِلَى آثَارٍ » عَلَى الْجَمْعِ . وَالْمُرَادُ بِالرَّحْمَةِ هَاهُنَا : الْمَطَرُ ، وَأَثَرُهَا : الثَّبَتُ ؛ وَالْمَعْنَى :  
انْظُرْ إِلَى حَسَنِ تَأْثِيرِهِ فِي الْأَرْضِ ( كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ ) أَيِ : كَيْفَ يَحْمِلُهَا  
مُتَبَتِّعٌ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ فِيهَا نَبْتٌ . وَقَرَأَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَانَ ، وَأَبُو رَجَاءٍ ، وَأَبُو عِمْرَانَ الْجَوْنِيُّ ،  
وَسُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ . « كَيْفَ تُحْيِي » بِتَاءٍ مَرْفُوعَةٍ مَكْسُورَةِ الْيَاءِ « الْأَرْضَ »  
بِفَتْحِ الضَّادِ .

قَوْلُهُ تَعَالَى : ( وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا ) [ أَيِ : رِيحًا ] بَارِدَةً مُضِرَّةً ، وَالرَّيْحُ  
إِذَا أَتَتْ عَلَى لَفْظِ الْوَاحِدِ أُرِيدَ بِهَا الْعَذَابُ ، وَلِهَذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ عِنْدَ  
هَبُوبِ الرِّيحِ : « اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا رِيحًا وَلَا تَجْعَلْهَا رِيحًا » <sup>(١)</sup> ( فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا )

(١) قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ فِي « الْأَذْكَارِ » : وَرَوَى الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ  
« الْأُمِّ » بِإِسْنَادِهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : مَا هَبَّتْ الرِّيحُ إِلَّا جِئْنَا النَّبِيَّ ﷺ عَلَى  
رُكْبَتَيْهِ وَقَالَ : « اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا رَحْمَةً ، وَلَا تَجْعَلْهَا عَذَابًا ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا رِيحًا ، وَلَا تَجْعَلْهَا  
رِيحًا ... » . وَقَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلَانَ الصَّدِيقِيُّ الشَّافِعِيُّ فِي كِتَابِهِ « الْفَتْوحَاتُ الرَّبَّانِيَّةُ عَلَى  
الْأَذْكَارِ النَّوَاوِيَّةِ » فِي هَذَا الْحَدِيثِ : قَالَ الْحَافِظُ : « أَيِ ابْنِ حَجَرَ » بِسَدِّ تَحْرِيجِهِ : هَذَا  
حَدِيثٌ حَسَنٌ . أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي « الْمَعْرِفَةِ » ، قَالَ : وَشَيْخُ الشَّافِعِيِّ بِمَعْرِفَتِهِ ، وَكَانَتْ أَظَنَّهُ  
ابْنُ يَحْيَى ، لَكِنْ لَمْ يَذْكُرُوهُ فِي الرَّوَاةِ عَنْ الْعَلَاءِ بْنِ رَاشِدٍ ، وَالْعَلَاءِ مَوْثِقٌ ، قَالَ الْحَافِظُ :  
لَا بِنِ عِبَّاسٍ حَدِيثٌ آخَرٌ ، ثُمَّ أَخْرَجَ مِنْ طَرِيقِ الطَّبْرَانِيِّ فِي كِتَابِ « الدَّعَاءِ » أَيْضًا عَنْ ابْنِ  
عَبَّاسٍ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا هَاجَتْ الرِّيحُ اسْتَقْبَلَهَا وَجْهًا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَقَالَ : « اللَّهُمَّ  
اجْعَلْهَا ... » . أَخْبَرَهُ ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ مِثْلَهُ إِلَى قَوْلِهِ : « رِيحًا » وَزَادَ « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ  
هَذِهِ الرِّيحِ ، وَخَيْرِ مَا تُرْسِلُ بِهِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَمَا تُرْسِلُ بِهِ » قَالَ الْحَافِظُ : أَخْرَجَهُ —

يعني النبت ، والماء عائدة إلى الأثر . قال الزجاج : المعنى : فرأوا النبت قد اصفرَّ وجفَّ ( لظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ) ومعناه : لَيَظْلَسْنَ ، لأن معنى الكلام الشرط والجزاء ، فهم يستبشرون بالغيث ، ويكفرون إذا انقطع عنهم الغيث وجفَّ النبت . وقال غيره : المراد برحمة الله : المطر . و « ظَلُّوا » بمعنى صاروا « من بعده » أي : من بعد اصفرار النبت يجحدون ماسلف من النعمة . وما بعد هذا مفسَّر في سورة ( النمل : ٨٠ ، ٨١ ) إلى قوله : ( الله الذي خلقكم من ضَعْف ) وقد ذكرنا الكلام فيه في ( الأنفال : ٦٦ ) ، قال المفسرون : المعنى : خلقكم من ماء ذي ضَعْف ، وهو المني ( ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ ) يعني ضعف الطفولة قوَّة الشباب ، ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قوَّة الشباب ضعف الكِبَر ، وشيئة ، ( يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ) أي : من ضعف وقوَّة وشباب وشيئة ( وهو العليم ) بتدبير خالقه ( القدير ) على ما يشاء :

( ويوم تقوم الساعة ) قال الزجاج : الساعة في القرآن على معنى الساعة التي تقوم فيها القيامة ، فلذلك لم تُعرف أيَّ ساعة هي . قوله تعالى : ( يُقَسِّمُ الْمَجْرَمُونَ ) أي : يَحْلِفُ الْمَشْرِكُونَ ( مَا لَبِثُوا ) في القبور ( غيرَ ساعةٍ كذلك كانوا يؤفِّكون ) قال ابن قتيبة : يقال : أفكَّ الرجلُ : إذا عُدِّلَ به عن الصِّدْق ، فالمعنى أنهم قد كَذَّبُوا في هذا الوقت كما كَذَّبُوا في الدنيا . وقال غيره : أراد الله تعالى أن يفضحهم يوم القيامة بين المؤمنين ، فحلفوا على شيء يبين للمؤمنين كذبهم فيه ، ويستدلُّون على كذبهم في الدنيا .

— مسدد في « مسنده » الكبير ، وفي سننه جبر بن عبد الله ، وهو ضعيف ، ووجهه عبید الله - بالتصغير - ابن العباس ، وفي نسخة من « المسند » : حنين بن قيس أبو علي المرحي ، وهو ضعيف أيضاً ، وقد اعتضد بالتأنية . اهـ . والحديث في « مسند الشافعي » ( ٤٧ ) وفيه ابن أبي يحيى ، وهو إبراهيم بن أبي يحيى الأسلمي الذي يروي عن العلاء بن راشد ، منهم .

ثم ذكر إنكار المؤمنين عليهم بقوله : ( وقال الذين أوتوا العلم والإيمان )  
وفيه قولان . أحدهما : أنهم الملائكة . والثاني : المؤمنون .

قوله تعالى : ( لقد لبِثْتُمْ في كتاب الله إلى يوم البعث ) فيه قولان .  
أحدهما : أن فيه تقديمًا وتأخيرًا ، تقديره : وقال الذين أوتوا العلم بكتاب الله  
والإيمان بالله ، قاله ابن جريج في جماعة من المفسرين .

والثاني : أنه على نظمه . ثم في معناه قولان . أحدهما : لقد لبِثْتُمْ في علم  
الله ، قاله الفراء . والثاني : لقد لبِثْتُمْ في خبر الكتاب ، قاله ابن قتيبة .

قوله تعالى : ( فهذا يومُ البعث ) أي : اليوم الذي كنتم تُشْكِرُونَهُ  
( ولكنكم كنتم لا تعلمون ) في الدنيا أنه يكون . ( فيومئذ لا ينفع الذين  
ظلموا معذرتهم ) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر : « لا تنفع »  
بالتاء . وقرأ عاصم ، وحزمة ، والكسائي : بالياء ، لأن التانيث غير حقيقي .  
قال ابن عباس : لا يُقْبَلُ من الذين أشركوا عُذر ولا توبة .

قوله تعالى : ( ولا تُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ) أي : لا يُطلب منهم العتي والرجوع  
في الآخرة .

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ  
جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولُنَّ السَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّهُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ .  
كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ السَّذِينَ لَيَعْلَمُونَ . فَاصْبِرْ إِنَّ  
وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ السَّذِينَ لَا بِؤُوفُونَ ﴾

قوله تعالى : ( ولئن جِئْتَهُمْ بِآية ) أي : كمصا موسى ويده ( لَيَقُولُنَّ  
الذين كفروا إن أنتم ) أي : ما أنتم يا محمد وأصحابك ( إِلَّا مُبْطِلُونَ ) أي :  
أصحاب أباطيل ، وهذا بيان لعنادهم . ( كذلك ) أي : كما طبع على قلوبهم حتى

لَا يَصْدِقُونَ الْآيَاتِ ( يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ) توحيد الله ؛  
فالسبب في امتناع الكفار من التوحيد ، الطَّبْعُ على قلوبهم .

قوله تعالى : ( فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ ) بنصرك وإظهارك على عدوك ( حق ) .  
( وَلَا يَسْتَخْفِكَ ) وقرأ يعقوب إلا روحاً وزيداً : « يَسْتَخْفِنَكَ »  
بسكون النون . قال الزجاج : لَا يَسْتَفْزِئُكَ عَنْ دِينِكَ ( الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ )  
أي : هم ضلّالٌ شاكسون . وقال غيره : لَا يُوقِنُونَ بالبعث والجزاء <sup>(١)</sup> . وزعم  
بعض المفسرين أن هذه الآية منسوخة .




---

(١) قال ابن كثير : ( فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حق ) أي : اصبر على مخالفتهم وعنادهم ، فإن الله تعالى منجز لك ما وعدك من نصره وإياك عليهم ، وجملة العاقبة لك ولن اتبعك في الدنيا والآخرة ( وَلَا يَسْتَخْفِنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ) أي : بل اثبت على ما بينك الله به ، فإنه الحق الذي لا مراءية فيه ، ولا تعديل عنه ، وليس فيما سواه هدى يُتَّبَع ، بل الحق كله منحصر فيه . اهـ .

## سورة لقمان

وهي مكية في قول الأكثرين . وروي عن عطاء أنه قال : هي مكية سوى آيتين منها نزلتا بالمدينة ، وهما قوله تعالى : ( ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام ) والتي بعدها [ لقمان : ٢٧ ، ٢٨ ] ؛ وروي عن الحسن أنه قال : [ لا آية نزلت بالمدينة ، وهي قوله : ( الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ) [ لقمان : ٤ ] ، لأن الصلاة والزكاة مدينتان . <sup>(١)</sup>

### بسم الله الرحمن الرحيم

الْم تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ . هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ . الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ . أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ .

(١) من المعلوم أن الصلاة فرضت بمكة ليلة الاسراء ، كما في صحيح البخاري وغيره ، والزكاة فرضت بالمدينة ، فاعلم القائل بذلك يريد أن يجعلها معاً تحقق بالمدينة ، أو أنها فرضت ليلة الاسراء ركعتين ركعتين إلا المغرب ، ثم زيدت بعد الهجرة ، إلا الصبح ، فكان ذلك تمام فرضيتها .

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَئِي مُسْتَكْبِرًا كَانُوا لَمْ يَسْمَعُهَا كَانُوا  
فِي أَذُنَيْهِ وَقُرْأَ فَبَشِّرْهُ بِمَذَابِ أَلِيمٍ . إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا  
الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ . خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَهُوَ  
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . خَلَقَ السَّمَوَاتِ بَنِينَ ثُمَّ رَدَوْنَهَا وَآتَىٰ فِي الْأَرْضِ  
رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ  
السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ . هَذَا خَلْقُ اللَّهِ  
فَارْؤُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ .  
وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا  
يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ . وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ  
لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ أَظْلَمُ عَظِيمٌ ﴿

قوله تعالى : ( هُدًى ورحمة ) وقُرْأَ حمزة وحده : « ورحمة » بالرفع . قال  
الزجاج : القراءة بالنصب على الحال ؛ والمعنى : تلك آيات الكتاب في حال الهداية  
والرحمة ؛ ويجوز الرفع على إضمار « هو هدى ورحمة » وعلى معنى : « تلك هدى  
ورحمة » . وقد سبق تفسير مفتح هذه السورة [البقرة: ١-٥] إلى قوله : ( ومن  
الناس من يشتري لهو الحديث ) قال ابن عباس : نزلت هذه الآية في رجل  
اشترى جارية مفضية<sup>(١)</sup> . وقال مجاهد : نزلت في شراء القبيح والمغنيات<sup>(٢)</sup> .  
وقال ابن السائب ومقاتل : نزلت في النضر بن الحارث ، وذلك أنه كان

(١) « الطبري ، ٦٣/٢١ من رواية الموفي عن ابن عباس بمناء ، وذكره السيوطي في

« الدر ، ١٥٩/٥ ، وزاد نسبه للفريابي ، وابن مردويه عن ابن عباس .

(٢) « الطبري ، ٦٣/٢١ عن مجاهد بمناء ، وذكره السيوطي في « الدر ، ١٦٠/٥ ،

وزاد نسبه لآدم ، والبيهقي في « سننه » عن مجاهد .

تاجراً إلى فارس ، فكان يشتري أخبار الأعاجم فيحدث بها قريشاً ويقول لهم :  
 إنَّ محمداً يحدثكم بحديث عاد و ثمود ، وأنا أحدثكم بحديث رستم وإسفنديار وأخبار  
 الأكاسرة ، فيستمخون حديثه ويتركون استماع القرآن ، فنزلت فيه هذه الآية <sup>(١)</sup> .  
 وفي المراد بلهو الحديث أربعة أقوال .

أحدها : [ أنه ] الغناء . كان ابن مسعود يقول : هو الغناء والذي لا إله إلا هو ،  
 يُردِّدها ثلاث مرات <sup>(٢)</sup> ؛ وبهذا قال ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبیر ،  
 وعكرمة ، وقتادة . وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد ، قال : اللهو : الطبل <sup>(٣)</sup> .

والثاني : أنه ما ألهمي عن الله ، قاله الحسن ، وعنه مثل القول الأول .

والثالث : أنه الشرك ، قاله الضحاك .

والرابع : الباطل ، قاله عطاء <sup>(٤)</sup> .

وفي معنى « يشتري » قولان .

أحدهما : يشتري بآله ؛ وحديث النضر يعضده . والثاني : يختار ويستحب ،  
 قاله قتادة ، ومطر <sup>(٥)</sup> .

(١) د أسباب النزول ، الواحدي ١٩٧ عن الكلبي ومقاتل بدون سند .

(٢) د الطبري ، ٦١/٢١ ، وذكره السيوطي في « الدر » ١٥٩/٥ مختصراً ، وزاد نسبه

لابن أبي شيبة ، وابن أبي الدنيا ، وابن المنذر ، والحاكم وصححه ، والبيهقي في « شعب الإيمان »  
 عن ابن مسعود رضي الله عنه .

(٣) د الطبري ، ٦٣/٢١ عن مجاهد .

(٤) قال ابن جرير الطبري : والصواب من القول في ذلك أن يقال : عني به كل ما كان

من الحديث ملهاً عن سبيل الله بما أنهى الله عن استماعه ، أو رسول الله ، لأن الله تعالى عمَّ بقوله :

( لهو الحديث ) ولم يخص بعضاً دون بعض ، فذلك على عمومه ، حتى يأتي ما يبدل على

خصوصه ، والغناء والشرك من ذلك . ٥١ .

(٥) قال ابن جرير الطبري : وأولى التأويلين عندي بالصواب تأويل من قال : معناه : —



وإنما قيل لهذه الأشياء : هو الحديث ، لأنها تُلهي عن ذكر الله .  
قوله تعالى : ( لِيُضِلَّ ) المعنى : ليصير أمره إلى الضلال . وقد يَدُنَّا هذا  
الحرف في ( الحج : ٩ ) .

وقرأ أبو رزين ، والحسن ، وطاعة بن مصرف ، والأعمش ، وأبو جعفر :  
« لِيُضِلَّ » بضم الياء ، والمعنى : لِيُضِلَّ غيره ، وإذا أَضَلَّ غيره فقد ضَلَّ  
هو أيضاً .

قوله تعالى : ( وَيَتَّخِذَهَا ) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر ،  
وأبو بكر عن عاصم : « وَيَتَّخِذَهَا » برفع الدال . وقرأ حمزة ، والكسائي ،  
وحفص عن عاصم : بنصب الدال . قال أبو علي : من نصب عطف على « لِيُضِلَّ »  
« وَيَتَّخِذْ » ومن رفع عطفه على « من يشتري » « ويتخذ » .

وفي المشار إليه بقوله : ( وَيَتَّخِذَهَا ) قولان .  
أحدهما : أنها الآيات . والثاني : السبيل .

وما بسد هذا مفسر في مواضع قد تقدمت [ الاسراء : ٤٦ ، الانعام : ٢٥ ،  
البقرة : ٢٥ ، الرعد : ٢ ، النحل : ١٥ ، الشعراء : ٧ ] ، إلى قوله : ( ولقد آتينا  
لِقُتْمَانَ الحكمة ) وفيها قولان . أحدهما : الفهم والمقل ، قاله الأكثرون .  
والثاني : النبوة . وقد اختلف في نبوته على قولين .

أحدهما : أنه كان حكيماً ولم يكن نبياً ، قاله سعيد بن المسيب ،  
ومجاهد ، وقتادة .

والثاني : أنه كان نبياً ، قاله الشعبي ، وعكرمة ، والسدي . هكذا حكاه

---

— السراء الذي هو باليمن ، وذلك أن ذلك هو أظهر معنييه ، قال : فإن قال قائل : وكيف  
يشترى هو الحديث ؟ قيل : يشترى ذات هو الحديث ، أو ذا هو الحديث ، فيكون مشترباً  
هو الحديث . اهـ .

عنهم الواحدي ، ولا يعرف ، إلا أن هذا ممّا تقرّد به عكرمة ؛ والقول الأول أصح (١) .

وفي صناعته ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه كان خياطاً ، قاله سميد بن المسيب . والثاني : راعياً ، قاله ابن زيد . والثالث : نجاراً ، قاله خالد الربيعي .

فأما صفته ، فقال ابن عباس : كان عبداً حبشياً . وقال سميد بن المسيب : كان لقمان أسود من سودان مصر . وقال مجاهد : كان غليظ الشفتين مشقق القدمين ، وكان قاضياً على بني إسرائيل .

قوله تعالى : ( أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ ) المعنى : وقلنا له : أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ [ على ] ما أعطاك من الحكمة ( وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ) أي : إنما يفعل لنفسه ( وَمَنْ كَفَرَ ) التّمة ، فإن الله لنفي عن عبادة خلقه .

(١) قال ابن كثير : اختلف السلف في لقمان ، هل كان نبياً ، أو عبداً صالحاً من غير نبوة ؛ على قولين ، الأكثرون على الثاني ( يعني أنه لم يكن نبياً ) ثم ذكر بعض الآثار ، منها ما هو مصرح فيه بنفي كونه نبياً ، ومنها ما هو مشعر بذلك ، وفي بعضها ما يشعر أنه كان عبداً قد مسّه الرق ، فقال : وكونه عبداً قدمه الرق يتنافى كونه نبياً ، لأن الرسل كانت تبعث في أحساب قومها ، قال : ولهذا كان جهود السلف على أنه لم يكن نبياً ، قال : وإنما ينقل كونه نبياً عن عكرمة إن صح السند إليه ، قال : فإنه رواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم من حديث وكيع عن إسرائيل عن جابر عن عكرمة ، قال : كان لقمان نبياً ، قال : وجابر هذا ، هو ابن يزيد الجعفي ، وهو ضعيف ، والله أعلم . ثم قال ابن كثير : والذي رواه سميد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله تعالى : ( وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ ) أي : الفقه في الاسلام ، ولم يكن نبياً ، ولم يوح إليه . اهـ ، فهذا يدل على أنه كان عبداً صالحاً ، ولم يكن نبياً .

﴿ وَوصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۖ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ۖ وَفَصَّالَهُ فِي سَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدِكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ۚ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۚ وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۚ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِنْتَقَالَ حَبَّةً مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۚ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ ۚ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۚ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۚ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ۝﴾

قوله تعالى : ( وَوصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ ) قال مقاتل : نزلت في سعد بن

أبي وقاص ، وقد شرحنا ذلك في ( العنكبوت : ٨ ) .

قوله تعالى : ( وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ) وقراً الضحاك ، وعاصم الجحدري : « وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ » بفتح الهاء فيها . قال الزجاج : أي : ضعفاً على ضعف . والمعنى : لزمها بحملها إياه أن تضعف مرةً بعد مرةً . وموضع « أَنْ » نصب بـ « وَصَّيْنَا » ؛ المعنى : وَوصَّيْنَا الْإِنْسَانَ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدِكَ ، أي : وَصَّيْنَاهُ بِشُكْرِنَا وَشُكْرِ وَالِدَيْهِ .

قوله تعالى : ( وَفَصَّالَهُ فِي سَامَيْنِ ) أي : فِطَامُهُ يَقَعُ فِي انْقِضَاءِ عَامَيْنِ . وقراً إبراهيم النخعي ، وأبو عمران ، والأعشى : « وَفَصَّالَهُ » بفتح الفاء . وقراً أبي بن كعب ، والحسن ، وأبو رجا ، وطلحة بن مصرف ، وعاصم الجحدري ، وقادة : « وَفَصَّلَهُ » بفتح الفاء وسكون الصاد من غير ألف . والمراد : التنييه على مشقة الوالدة بالرضاع بعد الحمل .

قوله تعالى : ( وَإِنْ جَاهَدَاكَ ) قد فسرنا ذلك في سورة ( المنكبات : ٨ )  
إلى قوله : ( وصاحبُهُمَا في الدنيا معروفًا ) قال الزجاج : أي : مُصَاحِبًا  
معروفًا ، تقول صاحبه مُصَاحِبًا ومُصَاحِبَةً ؛ والمعروف : ما يُسْتَحْسَن  
من الأفعال .

قوله تعالى : ( وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ) أي : مَنْ رَجَعَ إِلَيَّ ؛  
وأهل التفسير يقولون : هذه الآية نزلت في سعد ، وهو المخاطب بها .  
وفي المراد بمن أناب ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه أبو بكر الصديق ، قيل لسعد : اتَّبِعْ سَبِيلَهُ في الإيمان ،  
هذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء <sup>(١)</sup> . وقال ابن إسحاق : أسلم على يدي  
أبي بكر [ الصديق ] : عثمان بن عفان ، وطلحة ، والزبير ، وسعد بن أبي وقاص ،  
وعبد الرحمن بن عوف .

والثاني : أنه رسول الله ﷺ ، قاله ابن السائب .

والثالث : مَنْ سَلَكَ طريق محمد وأصحابه ، ذكره الثعلبي <sup>(٢)</sup> .

ثم رجع إلى الخبر عن لقمان فقال : ( يَا بُنَيَّ ) . وقال ابن جرير : وجه  
اعتراض هذه الآيات بين الخبرين عن وصية لقمان أن هذا ممّا أوصى به  
لقمان ابنه .

قوله تعالى : ( إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ ) وقرأ نافع وحده : « مِثْقَالُ حَبَّةٍ »  
برفع اللام .

(١) ذكره الواحدي في « أسباب النزول » : ١٨٩ .

(٢) قال الآكوسي في « روح المعاني » : والظاهر هو الموم . وقال ابن جرير الطبري :

وقوله : ( وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ) يقول : واسلك طريق من تاب من شركه ورجع إلى  
الاسلام ، واتبع محمداً ﷺ . اهـ .

وفي سبب قول لقمان لابنه هذا قولان .

أحدهما : أن ابن لقمان قال لأبيه : أرأيت لو كانت حبة في قمر البحر أكان الله يعلمها ؟ فأجابه بهذه الآية ، قاله السدي .

والثاني : أنه قال : يا أبت إن عملت الخطيئة حيث لا يراني أحد ، كيف يعلمها الله ؟ فأجابه بهذا ، قاله مقاتل .

قال الزجاج : من قرأ برفع المتقال مع تأنيث « نَكُ » فلان « متقال حبة من خردل » راجع إلى معنى : خردلة ، فهي بمنزلة : إن نَكُ حبة من خردل ؛ ومن قرأ : « متقال حبة » فعلى معنى : إن التي سألتني عنها إن نَكُ متقال حبة ، وعلى معنى : إن فعللة الإنسان وإن صغرت يأت بها الله . وقد يئنا معنى « متقال حبة من خردل » في ( الأنبياء : ٤٧ ) .

قوله تعالى : ( فتكن في صخرة ) قال قتادة : في جبل . وقال السدي : هي الصخرة التي تحت الأرض السابعة ، ليست في السموات ولا في الأرض <sup>(١)</sup> .

وفي قوله : ( يأت بها الله ) ثلاثة أقوال .

أحدها : يعلمها الله ، قاله أبو مالك . والثاني : يظهرها ، قاله ابن قتيبة .

والثالث : يأت بها الله في الآخرة للجزاء عليها .

(١) قال ابن كثير : وقد زعم بعضهم أن المراد بقوله : ( فتكن في صخرة ) أنها صخرة تحت الأرضين السبع ، قال : وذكره السدي بإسناده ذلك المطروق عن ابن مسعود وابن عباس وجماعة من الصحابة إن سمع ذلك ، ويروي هذا عن عطية العوفي وأبي مالك والثوري والنهال ابن عمرو ، وغيرهم ، وهذا - والله أعلم - كأنه متلقى من الاسرائيليات التي لاتصدق ولا تكذب ، والظاهر - والله أعلم - أن المراد أن هذه الحبة في حقارتها لو كانت داخل صخرة ، فإن الله سيبيدها ويظهرها بلطيف علمه . اهـ .

( إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ ) قال الزجاج : لطيف باستخراجها ( خير ) مكانها . وهذا مَثَلٌ لأعمال العباد ، والمراد أَنَّ اللَّهَ تعالى يأتي بأعمالهم يوم القيامة ، مَنْ يعمل مثقال ذرَّةً خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرَّةً شراً يره .

قوله تعالى : ( واصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ ) أي : في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الأذى . وباقي الآية مفسر في ( آل عمران : ١٨٦ ) .

﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كِبْرَ كُلِّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ . وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْظُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾

قوله تعالى : ( وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ) قرأ ابن كثير ، وابن عامر ، وعاصم ، وأبو جعفر ، ويعقوب : « تُصَعِّرُ » بتشديد العين من غير ألف . وقرأ نافع ، [ وأبو عمرو ] ، وحمة ، والكسائي : بألف من غير تشديد . قال الفراء : هما لفتان ، ومعناها : الإعراض عن الكبير . وقرأ أبي بن كعب ، وأبو رجاء ، وابن السميع ، وعاصم الجحدري : « وَلَا تُصَعِّرُ » بأسكان الصاد وتحقيف العين من غير ألف . وقال الزجاج : معناه : لا تعرض عن الناس تكبراً ؛ يقال : أصاب البعير صَعَرٌ : إذا أصابه داءٌ يلوي منه عنقه . وقال ابن عباس : هو الذي إذا سُلِّمَ عليه لوى عنقه كالمستكبر . وقال أبو العالية : ليكن الغي والفقر عندك في المِلَمِ سواء . وقال مجاهد : هو الرجل يكون بينه وبين أخيه الجنة <sup>(١)</sup> ، فيراه فيعرض عنه . وباقي الآية بعبارة مفسر في ( بني إسرائيل : ٣٧ ) وبعضه في سورة ( النساء : ٣٦ ) .

(١) قال في « تاج العروس » : « أحن » : الجنة بالكسر لغة في الإحنة ، وقد أنكرها الأصمعي والفراء وابن الفرج ، وفي « الصحاح » : ولا تقل : حينة ، قال الزبيدي : قلت : والحق أنها لغة قليلة . اهـ . والإحنة : الحقد .

قوله تعالى : ( وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ ) أي : ليكن مشبك قصداً ، لا تحيلاً ولا إسراعاً . قال عطاء : امش بالوقار والسكينة .

قوله تعالى : ( وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ) أي : انقص منه . قال الزجاج : ومنه قولهم : غَضَضْتُ بصري ، وفلان ينصُّ من فلان ، أي : يقصر به .  
( إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ ) وقرأ أبو المتوكل ، وابن أبي عبلة : « أَنْ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ » بفتح الهمزة . ومعنى « أَنْكَرَ » : أقبح ؛ تقول : أنا فلان بوجهٍ منكراً ، أي : قبيح . وقال المبرد : تأويله : أن الجهر بالصوت ليس بمحمود ، وأنه داخل في باب الصوت المنكر . وقال ابن قتيبة : عَرَفَهُ قُبْحُ رَفْعِ الْأَصْوَاتِ فِي الْمَخَاطَبَةِ وَالْمُتَلَحَّاهِ (١) بقبح أصوات الحير ، لأنها عالية . قال ابن زيد : لو كان رفع الصوت خيراً ، ماجعله الله للحمير . وقال سفيان الثوري : صياح كل شيء تسبيح لله عز وجل ، إلا الحمار ، فإنه ينهق بلا فائدة .

فإن قيل : كيف قال : « لَصَوْتُ » ولم يقل : « لَأَصْوَاتُ الحير » ؟  
فالجواب : أن لكل جنس صوتاً ، فكأنه قال : إن أنكر أصوات الأجناس صوت هذا الجنس .

﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَافِي السَّمَوَاتِ وَمَافِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ . وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا آبَاءَنَا أَوْكَلُوا الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾

قوله تعالى : ( وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ ) أي : أوسع وأكمل ( نِعَمَهُ ) قرأ نافع ،

(١) المتلحاة : الخاصة والمنازعة .

وأبو عمرو ، وحفص عن ماصم : « نِعْمَةٌ » ، أرادوا جميع ما أنعم به . وقرأ ابن كثير ، وابن عامر ، وحمة ، والكسائي ، وأبو بكر عن ماصم : « نِعْمَةٌ » على التوحيد . قال الزجاج : هو ما أعطاه من توحيده . وروى الضحاك عن ابن عباس ، قال : سألت رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله ! ما هذه النعمة الظاهرة والباطنة ؟ فقال : « أمّا ما ظهر : فالإسلام ، وما سوى الله من خلقك ، وما أفضل عليك من الرزق . وأمّا ما بطن : فستر مساوي مملك ، ولم يفضحك » (١) . وقال الضحاك : الباطنة : المعرفة ، والظاهرة : حسن الصورة وامتداد القامة ، ونسوية الأعضاء . قوله تعالى : ( أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ ) هو متروك الجواب ، تقديره : أقتبمونه ؟

﴿ وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ . وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنُكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ . نُنَبِّئُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ . وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ . وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ

(١) ذكره السيوطي في « الدر » ، ١٦٧/٥ من رواية البيهقي في « شعب الإيمان » ، عن عطاء عن ابن عباس بمناه ، ومن رواية ابن مردويه ، والبيهقي ، والديلمي ، وابن النجار عن ابن عباس ، والله أعلم . وذكره الطبري في تفسيره عن ابن عباس من قوله ، أنه قرأها ( وأسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة ) وفسرها بالإسلام ، وذكر البغوي والخازن نحو هذا المعنى موقوفاً على ابن عباس . وقال الآلوسي في « روح المعاني » ، بعد أن ذكر هذين الحديثين مرفوعين : فإن صح ما ذكر ، غير جازم بهما ، والله أعلم .



يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَنْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ  
حَكِيمٌ ﴿٢٣﴾

قوله تعالى : ( وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ ) وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي ، وأبو المالية ،  
وقادة : « وَمَنْ يُسْلِمِ » بفتح السين وتشديد اللام . وذكر المفسرون أن قوله :  
( وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنُكَ كُفْرُهُ ) منسوخ بآية السيف ، ولا يصح ، لأنه  
تسليّة عن الحزن ، وذلك لا ينافي الأمر بالقتال . وما بعد هذا قد تقدم تفسير  
الفاظه في مواضع [ هود : ٤٨ ، النكبت : ٦١ ، البقرة : ٢٦٧ ] إلى قوله : ( وَلَوْ أَنَّ  
مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَفْلَامٌ ) وفي سبب نزولها قولان .

أحدهما : أن أحبار اليهود قالوا لرسول الله ﷺ : أَرَأَيْتَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ :  
« وَمَا أَوْتَيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا » [ الاسراء : ٨٥ ] ، إِنَّا نريد ، أم قومك ؟ فقال :  
« كَلَّا » ، فقالوا : أَلَسْتَ تَلُوْهُمَا فَمَا جَاءَكَ أَنَّ قَدْ أَوْتَيْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا تَبَيَانٌ  
كُلِّ شَيْءٍ ؟ فقال : « إِنَّمَا فِي عِلْمِ اللَّهِ قَلِيلٌ » ، فنزلت هذه الآية ، رواه سعيد  
ابن جبير عن ابن عباس <sup>(١)</sup> .

والثاني : أن المشركين قالوا في القرآن : إِنَّمَا هُوَ كَلَامٌ [ يوشع أن ] يَنْفَدُ  
وَيَنْقُطُ ، فنزلت هذه الآية ، قاله قتادة <sup>(٢)</sup> .

(١) « الطبري » ٨١/٢١ وفي سنده رجل مجهول ، وذكره ابن كثير من رواية ابن إسحاق  
عن محمد ابن أبي محمد ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، « محمد ابن أبي محمد » شيخ  
لبد الرزاق ، مجهول ، كما قال الحافظ ابن حجر في « التقریب » . قال ابن كثير : وهذا  
يقضي أن هذه الآية مدنية ، لاسكية ، والمشهور أنها مكية ، والله أعلم . اهـ . والحديث  
أورده السيوطي في « الدر » ١٦٧/٥ ، وزاد نسبه لابن أبي حاتم .

(٢) « الطبري » ٨١/٢١ ، وأورده السيوطي في « الدر » ١٦٨/٥ زاد نسبه لبدر الرزاق ،  
وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وآبي الشيخ في « العظمة » ، وآبي نصر السجزي في « الإبانة » ،  
عن قتادة .

ومعنى الآية : لو كانت شجر الأرض أقلاماً ، وكان البحر ومعه سبعة أبحر مِدَاداً - وفي الكلام عذوف تقديره : فكُتِبَ بهذه الأقلام وهذه البحور كلمات الله - لتكسرت الأقلامُ ونفدت البحور ، ولم تنفد كلمات الله ، أي : لم تنقطع <sup>(١)</sup> .  
فأما قوله : ( والْبَحْرُ ) فقرأ ابن كثير ، ونافع ، وعاصم ، وابن عامر ، وحمة ، والكسائي : « والْبَحْرُ » بالرفع ، ونصبه أبو عمرو . وقال الزجاج : من قرأ : « والْبَحْرُ » بالنصب ، فهو عطف على « ما » ؛ المعنى : ولو أن ما في الأرض ، ولو أن البحر ؛ والرفع حسن على معنى : والبحرُ هذه حاله . قال اليزيدي : ومعنى « يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ » : يزيد فيه ؛ يقال : مُدِّ قِدْرَكَ ، أي : زد في ماها ، وكذلك قال ابن قتيبة : « يَمُدُّهُ » من المِداد ، لا من الإمداد ، يقال : مَدَدْتُ دَوَاتِي بِالمِداد ، وأمددته بالمال والرجال .

﴿ مَا خَلَقْتُكُمْ وَلَا بَعَثْتُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ . أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي

(١) قال ابن كثير : يقول تعالى مخبراً عن عظمته وكبريائه وجلاله وأسمائه الحسنی وصفاته العلى وكلماته الثابتة التي لا يحيط بها أحد ولا اطلاع بشر على كنهها وإحصائها كما قال سيد البشر وخاتم الرسل : « لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك » فقال تعالى : ( ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر عده من بعه سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ) أي : ولو أن جميع أشجار الأرض جلت أقلاماً ، وجعل البحر عده ، وأمدده سبعة أبحر معه فكثرت بها كلمات الله الدالة على عظمته وصفاته وجلاله ، لتكسرت الأقلام ونفدت ماء البحر ولو جاء أمثالها مِدَاداً ، قال : وإنما ذكرت السبعة على وجه المبالغة ، ولم يرد الحصر ، ولا أن تَمَّ سبعة أبحر موجودة عينة بالمعنى كما يقوله من تلقاه من الاسرائيليات التي لاتصدق ولا تكذب ، بل كما قال تعالى في الآية الأخرى : ( قل لو كان البحر مِدَاداً لكلمات ربي لنفدت البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جشنا بمنزلة مِدَاداً ) ، فليس المراد بقوله : « بمنزلة » آخر قطع ، بل بمنزلة ثم بمنزلة ثم بمنزلة ، لأنه لا حصر لأيات الله وكلماته . ١٠ هـ .

اللَّيْلَ وَسَخَرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ . ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ . أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ . وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَاجٌ كَاطِلٌ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿

قوله تعالى : ( مَا خَلَقْكُمْ وَلَا بَعَثْكُمْ إِلَّا كُنُفُسٍ وَاحِدَةً ) سبب نزولها أن أبي بن خلف في آخرين من قريش قالوا للنبي ﷺ : إن الله خلقنا أطواراً : نطفة ، علقه ، مضغه ، عظاماً ، لحماً ، ثم زعم أننا نبعث خلقاً جديداً جميعاً في ساعة واحدة ؟ ! فنزلت هذه الآية <sup>(١)</sup> ومعناها : ما خلقكم أيها الناس جميعاً في القدرة إلا كخلق نفس واحدة ، ولا ببعثكم جميعاً في القدرة إلا كبعث نفس واحدة ، قاله مقاتل .

وما بعد هذا قد تقدم تفسيره [ آل عمران : ٣٧ ، الرعد : ٢ ، الحج : ٦٢ ] إلى قوله : ( أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ ) قال ابن عباس : من نعمة جريان الفلك ( لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ ) أي : لِيُزَيِّنَ لَكُمْ مِنْ صُنْعِهِ عَجَائِبَهُ فِي

(١) قال الآكوسي في « روح المعاني » ٩١/٢١ : وعن مقاتل أن كفار قريش قالوا : إن الله خلقنا أطواراً : نطفة ، علقه ، مضغه ، لحماً ، فكيف يبعثنا خلقاً جديداً في ساعة واحدة ؟ ! فنزلت ، قال : وذكر النقاش أنها نزلت في أبي بن خلف ، وأبي الأسود ، ونبيه ومنبه أبي الحجاج ، وذكر في سبب نزولها فيهم نحو ما ذكر ، ثم قال الآكوسي : وعلى كون سبب النزول ذلك قيل : المعنى أنه تعالى سمع بقولهم ذلك ، بصير بها يضررونه ، وهو كما ترى . اهـ . وذكر مثل هذا القول الطبرسي في « مجمع البيان » عن مقاتل ، والله أعلم .

البحر ، وابتناء الرزق ( إن في ذلك لآياتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ ) قال مقاتل : أي : لكل صبور على أمر الله ( شكورٍ ) في نعمته .

قوله تعالى : ( وإذا غشيهم ) يعني الكفار ؛ وقال بعضهم : هو عام في الكفار والمسلمين ( موجٌ كالظلل ) قال ابن تيبة : وهي جمع ظِلَّة ، يراد أن بعضه فوق بعض ، فله سوادٌ من كثرته .

قوله تعالى : ( دَمَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ) وقد سبق شرح هذا [ يونس : ٢٢ ] ؛ والمعنى أنهم لا يذكرون أصنامهم في شدائهم إنما يذكرون الله وحده . وجاء في الحديث أن عكرمة بن أبي جهل لما هرب يوم الفتح من رسول الله ﷺ ركب البحر فأصابته ريح عاصف ، فقال أهل السفينة : أخلصوا ، فإن آلهتكم لا تنجي عنكم شيئاً هاهنا ، فقال عكرمة : ما هذا الذي تقولون ؟ فقالوا : هذا مكان لا ينفع فيه إلا الله ، فقال : هذا إله محمد الذي كان يدعوننا إليه ، لئن لم ينجني في البحر إلا الإخلاص ما ينجني في البر غيرهُ ، ارجسوا بنا ، فرجع قاسم<sup>(١)</sup> .

قوله تعالى : ( فَنِيهِمْ مُقْتَصِدٌ ) فيه ثلاثة أقوال .

أحدها : مؤمن ، قاله الحسن .

والثاني : مقتصد في قوله ، وهو كافر ، قاله مجاهد . يعني أنه يعترف بأن الله وحده القادر على إنجائه وإن كان مضميراً للشرك .

والثالث : أنه العادل في الوفاء بما عاهد الله عليه في البحر من التوحيد ، قاله مقاتل .

فأما « الختار » فقال الحسن : هو النذار . قال ابن تيبة : الختار : أجمع القدر وأشدّه .

(١) قال الحافظ ابن حجر في « الإصابة » في ترجمة عكرمة : وقد أخرج قصة مجيئه موصولة ، الدارقطني ، والحاكم ، وابن مردويه من طريق أسباط بن نصر عن السدي عن مصعب بن سعد عن أبيه قال : ... فذكرها . اهـ .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ . إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَازَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

قوله تعالى : ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُم ) قال المفسرون : هذا خطاب لكفار مكة . وقوله : ( لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ ) أي : لا يقضي عنه شيئاً من جنايته ومظالمه . قال مقاتل : وهذا يعني به الكفار . وقد شرحنا هذا في ( البقرة : ٤٨ ) . قال الزجاج : وقوله : ( هُوَ جَازٍ ) جاءت في المصاحف بغير ياء ، والأصل « جَازِيٌّ » بضمة وتنوين . وذكر سيبويه والتحليل أن الاختيار في الوقف هو « جَازٍ » بغير ياء ، هكذا وقف الفصحاء من العرب ليعلموا أن هذه الياء تسقط في الوصل . وزعم يونس أن بعض العرب الموثوق بهم يقف ياء ، ولكن الاختيار اتباع المصحف . قوله تعالى : ( إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ) أي : بالبعث والجزاء ( فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ) بزيفتها عن الإسلام والتزود للآخرة ( وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ) أي : بحيلته وإمهاله ( الْغَرُورُ ) يعني : الشيطان ، وهو الذي من شأنه أَنْ يَغُرَّ . قال الزجاج : « الْغَرُورُ » على وزن الفَعُول ، وفَعُول من أسماء المبالغة ، يقال : فلان أَكُول : إذا كان كثير الأكل ، وضُرُوب : إذا كان كثير الضرب ، فقل للشيطان : غَرُور ، لأنه يَغُرُّ كثيراً . وقال ابن قتيبة : الْغَرُور بفتح الغين : الشيطان ، وبضمها : الباطل .

قوله تعالى : ( إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ) سبب نزولها أن رجلاً من

أهل البادية جاء إلى النبي ﷺ فقال : إن امرأتي حبلى ، فأخبرني ماذا تلد ؟  
وبلداً مجذب ، فأخبرني متى ينزل النيث ؟ وقد علمت متى ولدت ، فأخبرني متى  
أموت ، فنزلت هذه الآية ، قاله مجاهد <sup>(١)</sup> .

ومعنى الآية : « إن الله » عز وجل « عنده علم الساعة » متى تقوم ،  
لا يعلم سواه ذلك ( وَيُنْزِلُ النِّيثَ ) وقرأ نافع ، وعاصم ، وابن عامر :  
« وَيُنْزِلُ » بالتشديد ، فلا يعلم أحد متى ينزل النيث ، ألبتة أم نهراً ( وَيَمْلَأُ  
مافي الأرحام ) لا يعلم سواه ما فيها ، أذكراً أم أنثى ، أبيض أم أسود ( وما تدري  
نفسٌ ماذا تكسب غداً ) أخيراً أم شراً ( وما تدري نفس بأي أرض  
تموت ) أي : بأي مكان <sup>(٢)</sup> . وقرأ ابن مسعود ، وأبي بن كعب ،

(١) « الطبري » ٨٧/٢١ ، وأورده السيوطي في « الدر » ، ١٦٩/٥ ، وزاد نسبه للقرطبي ،  
وابن أبي حاتم عن مجاهد ، وذكره الواحدي في « أسباب النزول » ، : ١٩٩ بدون سند ،  
وكذلك البغوي في « التفسير » وغيره .

(٢) قال ابن كثير : هذه مفاتيح الغيب التي استأثرت الله تعالى بملها ، فلا يعلمها أحد إلا بعد  
إعلامه تعالى بها ، فلم وقت الساعة لا يعلمه نبي مرسل ، ولا ملك مقرب ( لا يجليها لوقتها إلا هو )  
وكذلك إنزال النيث لا يعلمه إلا الله ، ولكن إذا أمر به علمته الملائكة الموكلون بذلك  
ومن يشاء الله من خلقه ، وكذلك لا يعلم مافي الأرحام عما يريد أن يخلق الله تعالى سواه ، ولكن  
إذا أمر بكونه ذكراً أو أنثى ، أو شقيماً أو سعيداً ، علم الملائكة الموكلون بذلك ومن شاء الله  
من خلقه ، وكذلك لا تدري نفس ماذا تكسب غداً في دنياها وأخرها ( وما تدري نفس  
بأي أرض تموت ) في بلدها أو غيره من أي بلاد الله كان ، لا علم لأحد بذلك ، قال : وهذه شبيهة  
بقوله تعالى : ( وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ... ) الآية . ثم قال : وقد وردت السنة  
بتسمية هذه الخمس : مفاتيح الغيب ، قال : فروى الامام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنها قال :  
قال رسول الله ﷺ : « مفاتيح الغيب خمس لا يعلمن إلا الله : ( إن الله عنده علم الساعة  
وينزل النيث ويعلم مافي الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض  
تموت إن الله عليم خبير ) » قال : ورواه البخاري . اهـ .

وابن أبي عبله : « بأية أرض » بناء مكسورة . والمعنى : ليس أحد يعلم [ أين ] مضجعه من الأرض حتى يموت ، أفي برّ أو بحر أو سهل أو جبل . وقال أبو عبيدة : [ يقال ] : بأيّ أرض كنت ، وبأية أرض كنت ، لثتان . وقال الفراء : من قال : بأيّ أرض ، اجتزأ بتأنيث الأرض من أن يظهر في « أيّ » تأنيثاً آخر . قال ابن عباس : هذه الخمس لا يعلمها ملك مقرب ولا نبيّ [ مرسل ] مصطفى . قال الزجاج : فن ادّعى أنه يعلم شيئاً من هذه كفر بالقرآن لأنه خالفه <sup>(١)</sup> .




---

(١) قال الآلوسي في تكمه الآبة : ( إن الله عليم ) مبالغ في العلم ، فلا يمزب عن علمه سبحانه شيء من الأشياء ، ( خبير ) يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها ، قال : فالجمع بين الوصفين للإشارة إلى النسوية بين علم الظاهر والباطن عنده عز وجل . اهـ .

## سورة السجدة

وتسمى سورة المضاجع ، وهي مكية باجماعهم

وقال الكلبي : فيها من المدني ثلاث آيات ، أولها قوله : ( أفن كان مؤمناً... ) [ السجدة : ١٨ ] وقال مقاتل : فيها آية مدنية ، وهي قوله : ( تتجافى جنوبهم ... ) الآية [ السجدة : ١٦ ] . وقال غيرهما : فيها خمس آيات مدنيّات ، أولها ( تتجافى جنوبهم ... ) [ السجدة : ١٦ ]<sup>(١)</sup> .

### بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ اَلَمْ تَنْزِلْ اَلْكِتَابَ لِارْبَابٍ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ .  
اَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَّا اَتَتْهُمْ  
مِنْ نَّذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ . اَللّٰهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ

---

(١) روى البخاري في صحيحه ، في كتاب الجمعة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

كان النبي ﷺ يقرأ في الفجر يوم الجمعة ( اَلَمْ تَنْزِلْ ) السجدة ، و ( هل أتى على الانسان ) ، ورواه مسلم أيضاً .



وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٢﴾

قوله تعالى : ( تنزيلُ الكتاب لا ريب فيه ) قال مقاتل : المعنى : لا شك فيه أنه تنزيل ( من ربِّ العالمين ) .

( أم يقولون ) بل يقولون ، يعني المشركين ( افتراه ) محمد من تلقاء نفسه ، ( بل هو الحق من ربِّك لتُنذِر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك ) يعني العرب الذين أدرکوا رسول الله ﷺ لم يأتهم نذير من قبل محمد عليه السلام . وما بعده قد سبق تفسيره [ الاعراف : ٥٤ ] إلى قوله : ( مالکم من دونه من وليٍّ ) يعني الكفار ؛ يقول : ليس لكم من دون عذابه من وليٍّ ، أي : قريب ينصركم فيرد عذابه عنكم ( ولا شفيع ) يشفع لكم ( أفلا تتذكرون ) فتؤمنوا .

﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرِجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ . ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ . الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ . ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ . ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾

قوله تعالى : ( يدبِّر الأمر من السماء إلى الأرض ) في معنى الآية قولان . أحدهما : يقضي القضاء من السماء فينزله مع الملائكة إلى الأرض ( ثم يعرج ) الملك ( إليه في يوم ) من أيام الدنيا ، فيكون الملك قد قطع في يوم واحد من أيام الدنيا في نزوله وصعوده مسافة ألف سنة من مسيرة الآدمي . والثاني : يدبِّر أمر الدنيا مدة أيام الدنيا ، فينزِل القضاء والقدر من

السماء إلى الأرض « ثم يَرْجُ إليه » أي : يعود إليه الأمر والتدبير حين ينقطع أمر الأمراء وأحكام الحكّام وينفرد الله تعالى بالأمر ( في يوم كان مقداره ألف سنة ) وذلك في [ يوم ] القيامة ، لأنّ كل يوم من أيام الآخرة كالف سنة . وقال مجاهد : يقضي أمر ألف سنة في يوم واحد ، ثم يليه إلى الملائكة ، فإذا مضت قضي لألف سنة أخرى ، ثم كذلك أبداً .

والفهرسرين في المراد بالأمر ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه الوحي ، قاله السدي . والثاني : القضاء ، قاله مقاتل . والثالث : أمر الدنيا .

و « يَرْجُ » بمعنى يصعد . قال الزجاج : يقال : عَرَجْتُ في السلم أَعْرُج ، وعَرَج الرجل يَرْج : إذا صار أعرج .

وقرأ معاذ القاري ، وابن السيف ، وابن أبي عملة : « ثم يُعْرَجُ إليه » ياء مرفوعة وفتح الراء . وقرأ أبو المتوكل ، وأبو الجوزاء : « يَعْْرَجُ » ياء مفتوحة وكسر الراء . وقرأ أبو عمران الجوني ، وعاصم الجحدري : « ثم تَعْرُجُ » بتاء مفتوحة ورفع الراء .

قوله تعالى : ( الذي أحسن كلّ شيء خلقه ) فيه خمسة أقوال .

أحدها : جملة حسنًا . والثاني : أحكم كل شيء ، روي عن ابن عباس ، وبالأول قال قتادة ، وبالثاني قال مجاهد . والثالث : أحسنه ، لم يتعلمه من أحد ، كما يقال : فلان مُحَسِّن كذا : إذا علّمه ، قاله السدي ، ومقاتل . والرابع :

(١) قال في « المصباح » : عَرَج في شيء عَرَجاً من باب تعب : إذا كان من عيلة لازمة ، فهو أعرج ، والأتى عرجاء ، فإن كان من عيلة غير لازمة ، بل من شيء أصابه حتى غمز في شيء ، قبل : عَرَج يَعْْرَج ، من باب قتل ، فهو عارج .

أَنْ الْمَنَى : أَلْهَمَ خَلْقَهُ كُلَّ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ ، كَأَنَّهُ أَعْلَمُهُمْ كُلَّ ذَلِكَ وَأَحْسَنُهُمْ ،  
قَالَ الْفَرَاءُ . وَالْخَامِسُ : أَحْسَنَ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ، حَكَاهُ الْمَاورِدِي .

وَفِي قَوْلِهِ : « خَلَقَهُ » قَرَأَتَانِ . قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ ، وَأَبُو عَمْرٍو ، وَابْنُ حَامِرٍ :  
« خَلَقَهُ » سَاكِنَةَ اللَّامِ . وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِتَحْرِيكِ اللَّامِ . وَقَالَ الزَّجَاجُ : فَتَحَهَا  
عَلَى الْفِعْلِ الْمَاضِيِّ ، وَتَسْكِينِهَا عَلَى الْبَدَلِ ، فَيَكُونُ الْمَنَى : أَحْسَنَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ  
شَيْءٍ خَلَقَهُ . وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : الْمَنَى : أَحْسَنَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ، وَالْعَرَبُ تَفْعَلُ  
مِثْلَ هَذَا ، بِقَدَمُونَ وَيُوْخِرُونَ .

قَوْلُهُ تَعَالَى : ( وَبَدَأَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ) يَعْنِي آدَمَ ، ( ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ ) أَيِ :  
ذُرِّيَّتِهِ وَوَلَدِهِ ؛ وَقَدْ سَبَقَ شَرْحُ الْآيَةِ [ الْمُؤْمِنُونَ : ١٧ ] .

ثُمَّ رَجَعَ إِلَى آدَمَ فَقَالَ : ( ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِي ) وَقَدْ سَبَقَ  
بَيَانُ ذَلِكَ [ الْحَجَرُ : ٢٩ ] . ثُمَّ عَادَ إِلَى ذُرِّيَّتِهِ فَقَالَ : ( وَجَعَلْ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ )  
أَيِ : بَعْدَ كَوْنِكُمْ نُطْفًا .

﴿ وَقَالُوا إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ نُمَسِّكُ  
بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ . قُلْ يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي نُكَلِّمُ  
بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ . وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا  
رُؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا  
إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى : ( وَقَالُوا ) يَعْنِي مُنْكَرِي الْبَعْثِ ( إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ ) وَقَرَأَ  
عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَعَلِيٌّ بْنُ الْحُسَيْنِ ، وَجَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، وَأَبُو رَجَاءٍ ، وَأَبُو عَجْزٍ ،  
وَحَمِيدٌ ، وَطَلْحَةُ : « ضَلَلْنَا » بِضَادٍ مَجْمُوعَةٍ مُفْتَوِّحَةٍ وَكَسْرِ اللَّامِ الْأُولَى .  
قَالَ الْفَرَاءُ : ضَلَلْنَا وَضَلَلْنَا لَفَتَانِ ، وَالْمَعْنَى : إِذَا صَارَتْ عِظَامُنَا وَلَحْمُنَا تَرَابًا

كالأرض ؛ تقول : صَلَّ الماء في اللَّبَن ، وصل الشيء في الشيء : إذا أخفاه  
وغلب عليه . وقرأ أبو نبيك ، وأبو المتوكل ، وأبو الجوزاء ، وأبو حيوة ،  
وابن أبي عبة : « صَلَّيْنَا » [ بضم ] الضاد المعجمة وتشديد اللام الأولى وكسرهما .  
وثرأ الحسن ، و قتادة ، و معاذ القاري : « صَلَّيْنَا » بصاد غير معجمة مفتوحة ،  
وذكر لها الزجاج معنيين . أحدهما : أَثْنًا وَتَنَيَّرْنَا وَتَنَيَّرَتْ صُورُنَا ؛ يقال :  
صَلَّ اللحمُ وَأَصَلَ : إذا أَثْن وتَنَيَّر . والثاني : صِرْنَا من جنس الصَّلَّة ،  
وهي الأرض اليابسة .

قوله تعالى : ( أَلَيْسَ لِي خَلْقٌ جَدِيدٌ ) : هذا استفهام إنكار .

قوله تعالى : ( الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ) أي : بقبض أرواحكم ( ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ  
تُرْجَعُونَ ) يوم الجزاء .

ثم أخبر عن حالهم في القيامة فقال : ( وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمَجْرِمُونَ نَاكِسُو  
رُؤُوسِهِمْ ) أي : مُطَاطِئُوهَا حياءً وندماً ، ( رَبَّنَا ) فيه إضمار « يقولون رَبَّنَا »  
( أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا ) أي : عَلِمْنَا صِحَّةَ مَا كُنَّا بِهِ مَكْذِبِينَ ( فَارْجِعْنَا ) إلى  
الدنيا ؛ وجواب « لو » متروك ، تقديره : لو رأيت حالهم لرأيت ما يُتَّبَرَّ به ،  
ولشاهدت المَجَّاب .

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ  
مِنْهُ لَمَسَّ لَآئِنَ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ . فَذُوقُوا بِمَا  
نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا  
كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . لَمَّا يَوْمَ مِنْ بَيِّنَاتٍ لِلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا  
خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ . تَتَجَافَىٰ  
جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ

يُنْفِقُونَ . فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً  
بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

قوله تعالى : ( وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي ) أي : وجب وسبق ؛ والقول  
هو قوله لإبليس ( لَا مَلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمَنْ كَتَبَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ) [ ص : ٨٥ ] .  
قوله تعالى : ( لَا مَلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ) أي : من كفاؤا الفريقين .  
( فَذُوقُوا بَأْسَ نَسِيمٍ لِقَاءِ يَوْمِكُمْ هَذَا ) قال مقاتل : إذا دخلوا النار قالت لهم الخزنة :  
فذوقوا العذاب . وقال غيره : إذا اضطرخوا فيها قيل لهم : ذوقوا بما نسيتم ، أي :  
بما تركتم العمل للقاء يومكم هذا ، ( إِنَّا نَسِينَاكُمْ ) أي : تركناكم من الرحمة .  
قوله تعالى : ( إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا ) أي : وعظوا بها  
( خَرُّوا سُجَّدًا ) أي : سقطوا على وجوههم ساجدين . وقيل : المني : إِنَّمَا يُؤْمِنُ  
بفرائضنا من الصلوات الخمس الذين إذا ذُكِّرُوا بِهَا بِالْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ خَرُّوا سُجَّدًا .  
قوله تعالى : ( تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ ) اختلفوا فيمن نزلت وفي الصلاة التي تتجافى  
لها جنوبهم على أربعة أقوال .

أحدها : أنها نزلت في المنهجين بالليل ؛ روى معاذ بن جبل عن رسول الله  
ﷺ في قوله : « تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ » قال : « قيام العبد من الليل » (١) . وفي

(١) رواه أحمد في « المسند » : ٢٣٢/٥ من حديث حماد بن سلمة عن عاصم بن أبي النجود  
عن شهر بن حوشب عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ، وفي سنده ضعف . قال الحافظ  
ابن رجب الحنبلي : ورواية شهر بن حوشب عن معاذ مرسله يقيناً ، وكذلك رواه الطبري ١٠٣/٢١ هـ ،  
وأورده السيوطي في « الدر » : ١٧٥/٥ وزاد نسبته لابن مردويه عن معاذ رضي الله عنه ،  
وقال الحافظ ابن حجر في « تخريج الكشاف » ١٣١ : رواه أحمد ، وابن أبي شيبة ، وإسحاق ،  
والحاكم من رواية أبي وائل عن معاذ في أثناء حديث مرفوع قال : « وصلاة الرجل في جوف  
الليل » ثم قرأ ( تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ ) . اهـ . يريد به الرواية التي بعدها ، وأبو وائل  
لم يثبت سماعه من معاذ .

زاد السير ٦ م (٢٢)

لفظ آخر أنه قال لماذا : « إن شئت أنبأتك بأبواب الخير » ، قال : قلت أجل يارسول الله ، قال : « الصَّومُ جُنَّةٌ ، والصدقة تكفِّر الخطيئة ، وقيام الرَّجُل في جوف الليل يتنفي وجه الله » ، ثم قرأ : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع » (١) . وكذلك قال الحسن ، ومجاهد ، وعطاء ، وأبو العالية ، وقتادة ، وابن زيد أنها في

(١) هو جزء من حديث طويل ، رواه بهذا اللفظ الحاكم في « المستدرک » : ٤١٣/٢ من حديث حبيب بن أبي ثابت والحكم بن عتبة ، عن ميمون بن أبي شبيب عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، قال الحافظ ابن رجب الحنبلي في « جامع العلوم والحكم » : وميمون بن أبي شبيب لم يسمع من معاذ . والحديث رواه الطبري : ١٠٢/٢١ مختصراً كما ساقه المؤلف عن ميمون بن أبي شبيب عن معاذ ، ورواه مطولاً بنحو رواية الحاكم أحمد في « المسند » : ٢٣٨/٥ والترمذي في « جمعه » : ٨٦/٢ ، وابن ماجه في « سننه » رقم ( ٣٩٧٣ ) من رواية معمر عن عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وهذا الحديث هو الحديث التاسع والعشرون من الأربعين النووية ، وقد قال الحافظ ابن رجب الحنبلي في شرحه لهذا الحديث في كتابه « جامع العلوم والحكم » : وفيما قاله الترمذي رحمه الله نظر من وجهين ، أحدهما : أنه لم يثبت سمع أبي وائل من معاذ وإن كان قد أدركه بالسِّن ، والثاني : أنه قد رواه حماد بن سلمة عن عاصم بن أبي النجود عن شهر بن حوشب عن معاذ ، خرجه الامام أحمد مختصراً - يريد به الحديث الذي قبل هذا - ثم قال : قال الدارقطني : وهو أشبه بالصواب ، لأن الحديث معروف من رواية شهر على اختلاف عليه فيه ، قلت - أي الحافظ ابن رجب الحنبلي - : رواية شهر عن معاذ مرسله يقيناً ، وشهر مختلف في توثيقه وتضعيفه ، قال : وقد خرجه الامام أحمد من رواية شهر عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ ، وخرجه الامام أحمد أيضاً من رواية عروة ابن الزَّمال ، أو الزَّمال بن عروة ، وميمون بن أبي شبيب ، كلاهما عن معاذ ، ولم يسمع عروة ولا ميمون من معاذ ، قال : وله طرق أخرى عن معاذ كلها ضيقة ، والحديث ذكره السيوطي في « الدرر » : ١٧٥/٥ وزاد نسبه لابن نصر في كتاب الصلاة ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، والبيهقي في « شعب الإيمان » عن معاذ بن جبل رضي الله عنه . اهـ . وبعض فقرات الحديث شواهد ، والله أعلم .

قيام الليل . وقد روى الموفى عن ابن عباس قال : تتجافى جنوبهم لله لِكُرِّ الله ، كلِّما استيقظوا ذَكَرُوا الله ، إمَّا في الصلاة ، وإمَّا في قيام ، أو في قعود ، أو على جنوبهم ، فهم لا يزالون يذكرون الله عز وجل .

والثاني : أنها نزلت في ناس من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يصلون ما بين المغرب والمشاء ، قاله أنس بن مالك .

والثالث : أنها نزلت في صلاة المشاء [ كان أصحاب رسول الله ﷺ لا ينامون حتى يصلوها ، قاله ابن عباس .

والرابع : أنها صلاة المشاء [ والصبح في جماعة ، قاله أبو الدرداء ، والضحاك . ومعنى « تَتَجَافَى » : تَرْتَفِعُ . وَالْمُضَاجِعُ جمع مَضْجَعٍ ، وهو الموضع الذي يُضْطَجَعُ عليه .

( يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا ) من عذابه ( وطمعا ) في رحمته [ وثوابه ] ( وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ) في الواجب والتطوع .

( فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم ) وَأَسْكَنْ يَاء « أُخْفِيَ » حمزة ، ويعقوب . قال الزجاج : في هذا دليل على أن المراد بالآية التي قبلها : الصلاة في جوف الليل ، لأنه عمل يستسرُّ الإنسان به ، فجعل لفظ ما يُبْجَازَى به « أُخْفِيَ لَهُم » ، فإذا فتحت ياء « أُخْفِيَ » ، فملى تأويل الفعل الماضي ، وإذا أسكنتها ، فالغنى : ما أُخْفِيَ أَنَا لَهُم ، إخبار عن الله تعالى ؛ وكذلك قال الحسن البصري : أُخْفِيَ لَهُم ، بِالْخُفْيَةِ خُفْيَةٍ ، وبالعلاية علانية . وروى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال : « يقول الله عز وجل : أعددتُ لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطرَ على قلب بشر ، افروا إن شئتم : ( فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم ) <sup>(١)</sup> .

(١) رواه البخاري في « صحيحه » : ٣٩٦/٨ ، ومسلم في « صحيحه » : ٢١٧٤/٤ ، —

قوله تعالى : ( مِنْ مُرَّةٍ أَعْيُنَ ) وقرأ أبو الدرداء ، وأبو هريرة ، وأبو عبد الرحمن السلمي ، والشعبي ، وقتادة : « مِنْ مُرَّاتٍ أَعْيُنَ » [بألف] على الجمع .  
 ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ . أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَهَلُمُّوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمُ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ . وَلَنَذِقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ . وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾

قوله تعالى : ( أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا ) في سبب نزولها قولان . أحدهما : أن الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيْط قال لعلي بن أبي طالب : أنا أحدُ منك سنانا ، وأبسطُ منك لسانا ، وأملأُ للكتيبة منك ، فقال له عليٌّ : اسكُتْ فانما أنت فاسق ، فنزلت هذه الآية <sup>(١)</sup> ، فعنى بال مؤمن علياً ، وبالفاسق الوليد ،

— ورواه الترمذي ١٥١/٢ وقال : هذا حديث حسن صحيح ، ورواه ابن جرير الطبري في « التفسير » : ١٠٥/٢٩ ، وذكره السيوطي في « الدر » : ١٧٦/٥ وزاد نسبه ، لابن أبي شيبة ، وأحمد وهناد كلاهما في « الزهد » ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، وابن الأنباري عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(١) ذكره الواحدي في « أسباب النزول » : ٢٠٠ ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وفي سنده ضعف . وقال السيوطي في « أسباب النزول » : ١٧٤ : وأخرج ابن عدي ، والخطيب في « تاريخه » من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس مثله ، وذكره ابن جرير الطبري في « التفسير » : ١٠٧/٢٩ عن عطاء بن يسار مثله ، وفي سنده جهالة ، وذكره السيوطي عن عطاء بن يسار ، وزاد نسبه لابن إسحاق ، قال الحافظ ابن حجر في « تخريج الكشاف » : ١٣١ بعد أن أخرجه من رواية ابن مردويه والواحدي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس : وله طريق أخرى عند ابن مردويه من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس . اهـ .



رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس ، وبه قال عطاء بن يسار ، وعبد الرحمن ابن أبي ليلى ، ومقاتل .

والثاني : أنها نزلت في عمر بن الخطاب وأبي جهل ، قاله شريك .

قوله تعالى : ( لا يستوون ) قال الزجاج : المعنى : لا يستوي المؤمنون والكافرون<sup>(١)</sup> ، ويجوز أن يكون لاثنيين ، لأن معنى الاثنيين جماعة ؛ وقد شهد الله بهذا الكلام لملي عليه السلام بالإيمان وأنه في الجنة ، لقوله : ( أمّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنّات المأوى ) . وقرأ ابن مسعود ، وطلحة بن مصرف : « جنّة المأوى » على التوحيد .

قوله تعالى : ( نُزُلًا ) وقرأ الحسن ، والنخعي ، والأعمش ، وابن أبي عتبة : « نُزُلًا » بتسكين الزاي . وما بعد هذا قد سبق بيانه [ الحج : ٢٢ ] إلى قوله : ( وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى ) وفيه ستة أقوال .

أحدها : أنه ما أصابهم يوم بدر ، رواه مسروق عن ابن مسعود ، وبه قال قتادة ، والسدي .

والثاني : سنون أخذوا بها ، رواه أبو عبيدة عن ابن مسعود ، وبه قال النخعي . وقال مقاتل : أخذوا بالجوع سبع سنين .

والثالث : مصائب الدنيا ، قاله أبي بن كعب ، وابن عباس في رواية ابن أبي طلحة ، وأبو المالية ، والحسن ، وقاتدة ، والضحاك .

والرابع : الحدود ، رواه عكرمة عن ابن عباس .

والخامس : عذاب القبر ، قاله البراء .

والسادس : القتل والجوع ، قاله مجاهد<sup>(٢)</sup> .

(١) وكذلك قال أكثر المفسرين .

(٢) قال ابن جرير الطبري ١٩٠/٢٩ : وأول الأقوال في ذلك أن يقال : إن الله وعد —

قوله تعالى : ( دون العذاب الأكبر ) أي : قَبْلَ العذاب الأكبر ؛ وفيه قولان . أحدهما : أنه عذاب يوم القيامة ، قاله ابن مسعود . والثاني : أنه القتل بيد ، قاله مقاتل .

قوله تعالى : ( لعلهم يرجعون ) قال أبو المالية : لعلهم يتوبون . وقال ابن مسعود : لعل من بقي منهم يتوب . وقال مقاتل : لكي يرجعوا عن الكفر إلى الإيمان .

قوله تعالى : ( ومن أظلم ) قد فسرناه في ( الكهف : ٥٧ ) .  
قوله تعالى : ( إنا من المجرمين منتقمون ) قال زيد بن رفيع <sup>(١)</sup> : هم أصحاب القدر . وقال مقاتل : هم كفار مكة انتقم الله منهم بالقتل بيد ، وضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم ، وجعل أرواحهم إلى النار .

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ  
وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَءِيلَ . وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا  
أَلَمْ نَصَبْهُمْ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ . إِنَّ رَبَّكَ هُوَ بِفَصْلِ بَيْنِهِمْ  
يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ . أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا  
مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ

— هؤلاء الفسقة المكذبين بوعيده في الدنيا العذاب الأدنى أن يذيقهم موه دون العذاب الأكبر ، والعذاب هو ما كان في الدنيا من بلاء أصابهم ، إما شدة من مجاعة ، أو قتل ، أو مصائب يصابون بها ، فكل ذلك من العذاب الأدنى ، ولم يخص الله تعالى ذكره إذ وعدم ذلك أن يذيقهم بنوع من ذلك دون نوع ، وقد عذبهم بكل ذلك في الدنيا ، بالقتل ، والجوع ، والشدة ، والمصائب في الأموال ، فأوفى لهم بما وعدهم . اهـ . وقال ابن كثير : وقوله تعالى : ( ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر ) قال ابن عباس : يعني بالعذاب الأدنى : مصائب الدنيا وأسقامها وآفاتهما وما يحل بها يبتلي الله به عباده ليتوبوا إليه . اهـ .

(١) كذا الأصل ، والذي في الطائري ، ، و د البحر ، : د زيد بن رفيع ، .

أَفَلَا يَسْمَعُونَ . أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ  
فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا نَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ .  
وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ . قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ  
لَا يَنْفَعُ الْبَذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ . فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ  
وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ ﴿

قوله تعالى : ( ولقد آتينا موسى الكتاب ) يعني التوراة ( فلا تكن في  
مرية من لقائه ) فيه أربعة أقوال .

أحدها : فلا تكن في مرية من لقاء موسى ربه ، رواه ابن عباس عن  
رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup> .

والثاني : من لقاء موسى ليلة الإسراء ، قاله أبو العالية ، وبجاهد ، وقناة ،  
وابن السائب .

والثالث : فلا تكن في شك من لقاء الأذى كما لقي موسى ، قاله الحسن .  
والرابع : لا تكن في مرية من تلقي موسى كتاب الله بالرضى والقبول ، قاله  
السدي . قال الزجاج : وقد قيل : فلا تكن في شك من لقاء موسى الكتاب ، فتكون  
الماء للكتاب . وقال أبو علي الفارسي : المعنى : من لقاء موسى الكتاب ، فأضيف  
المصدر إلى ضمير الكتاب ، وفي ذلك مدح له على امتثاله ما أمر به ، وتنبه على  
الآخذ بمثل هذا الفعل .

(١) رواه الطبري : ١١٢/٢١ مطولاً من حديث سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن  
أبي العالية عن ابن عباس مرفوعاً ، وذكره ابن كثير في « التفسير » : ٤٦٣/٣ من رواية  
الطبراني به مرفوعاً ، وأورده السيوطي في « الدرر » : ١٧٩/٥ وزاد نسبه للعباد في « المختارة » ،  
عن ابن عباس عن النبي ﷺ .

وفي قوله : ( وجعلناه هُدىً ) قولان . أحدهما : الكتاب ، قاله الحسن .  
والثاني : موسى ، قاله قتادة .

( وجعلنا منهم ) أي : من بني إسرائيل ( أئمةً ) أي : قادة في الخير  
( يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ) أي : يدعون الناس إلى طاعة الله ( لَمَّا صَبَرُوا ) [ قرأ  
ابن كثير ، وعاصم ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر : « لَمَّا صَبَرُوا » بفتح  
اللام وتشديد الميم . وقرأ حمزة ، والكسائي : « لَمَّا » بكسر اللام خفيفة . وقرأ  
ابن مسعود : « بَمَّا » بياء مكان اللام ؛ والمراد : صبرهم ] على دينهم وأذى  
عدوِّهم ( وكانوا بآياتنا يوقنون ) أنها من الله عز وجل ؛ وفيهم قولان . أحدهما :  
أنهم الأنبياء . والثاني : أنهم قوم صالحون سوى الأنبياء . وفي هذا تنبيه لقريش  
أنكم إن أطعتم جعلتُ منكم أئمة .

قوله تعالى : ( إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْضِلُ بَيْنَهُمْ ) أي : يقضي ويحكم ؛ وفي المشار  
إليهم قولان . أحدهما : أنهم الأنبياء وأئمتهم . والثاني : المؤمنون والمشركون .  
ثم خوف كفار مكة بقوله : ( أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ) وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي :  
« نَهْدِ » بالنون . وقد سبق تفسيره في ( طه : ١٢٨ ) .

( أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ ) يعني المطر والسيل ( إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ )  
وهي التي لا تثبت - وقد ذكرناها في أول ( الكهف : ٨ ) - فإذا جاء الماء أثبت  
فيها ما يأكل الناس والأنعام .

( ويقولون ) يعني كفار مكة ( متى هذا الفتح ) وفيه أربعة أقوال .  
أحدها : أنه ما فتح يوم بدر ؛ روى عكرمة عن ابن عباس في هذه الآية  
قال : يوم بدر ففتح للنبي ﷺ ، فلم ينفع الذين كفروا بإيمانهم بعد الموت .  
والثاني : أنه يوم القيامة ، وهو يوم الحكم بالثواب والعقاب ، قاله مجاهد .

والثالث : أنه اليوم الذي يأتيهم فيه العذاب في الدنيا ؛ قاله السدي .

والرابع : فتح مكة ، قاله ابن السائب ، والفراء ، وابن قتيبة <sup>(١)</sup> ؛ وقد اعترض على هذا القول ، قليل : كيف لا ينفع الكفار إيمانهم يوم الفتح ، وقد أسلم جماعة منهم وقبيل إسلامهم يومئذ ؟ افنعه جوابان .

أحدهما : لا ينفع مَنْ قُتِلَ من الكفار يومئذ إيمانهم بعد الموت ؛ وقد ذكرناه عن ابن عباس . وقد ذكر أهل السير أنَّ خالداً دخل يوم الفتح من غير الطريق التي دخل منها رسول الله ﷺ ، فلقيه صفوان بن أمية وسهيل ابن عمرو في آخرين فقاتلوه ، فصاح خالد في أصحابه وقتلهم ، فقتل أربعة وعشرين من قريش ، وأربعة من هذيل ، وانهزموا ، فلما ظهر رسول الله ﷺ قال : « ألم أنه عن القتال » ؟ قليل : إن خالداً قاتل فقاتل <sup>(٢)</sup> .

والثاني : لا ينفع الكفار ما أعطوا من الأمان ، لأن النبي ﷺ قال :

(١) قال ابن جرير الطبري : والصواب من القول في ذلك قول من قال : معناه : ويقولون : متى يحى هذا الحكم بيننا وبينكم ؟ ينون العذاب ، يدل على أن ذلك معناه قوله : ( قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون ) ، ولا شك أن الكفار قد كان جل الله لهم التوبة قبل فتح مكة وبسده ، ولو كان معنى قوله : ( متى هذا الفتح ) على ما قاله من قال : بني به فتح مكة ، لكان لا توبة لمن أسلم من المشركين بعد فتح مكة ، ولا شك أن الله قد تاب على كثير من المشركين بعد فتح مكة ، ونفهم بالإيمان به ورسوله ، فمعلوم بذلك صحة ما قلنا من التأويل وفساد ماخلفه . قال : وقوله : ( قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ) يقول لنبيه محمد ﷺ : قل لهم يا محمد : يوم الحكم وحيء العذاب لا ينفع من كفر بالله وبآياته إيمانهم الذي يمدنون في ذلك الوقت . وقال : وقوله : ( ولا هم ينظرون ) يقول : ولا هم يؤخرون للتوبة والمراجعة . اهـ .

(٢) ذكره ابن هشام ٤٠٧/٢ عن ابن إسحاق بدون سند ، وذكره الحافظ ابن كثير في

« البداية والنهاية » ٢٩٧/٤ من رواية الطبراني نحوه .

« مَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سَفِيَانَ فَهُوَ آمِنٌ » <sup>(١)</sup> . قَالَ الزَّجَّاجُ : يُقَالُ : آمَنْتُ فُلَانًا لِمَا نَأَى ، فَعَلَى هَذَا يَكُونُ الْمَعْنَى : لَا يَدْفَعُ هَذَا الْأَمَانُ عَنْهُمْ عَذَابَ اللَّهِ . وَهَذَا الْقَوْلُ الَّذِي قَدْ دَافَعْنَا عَنْهُ لَيْسَ بِالْمُخْتَارِ ، وَإِنَّمَا يَنْتَاجُ لَوَجْهَهُ لِأَنَّهُ قَدْ قِيلَ .

وَقَدْ خَرَجَ بِمَا ذَكَرْنَا فِي الْفَتْحِ قَوْلَانِ . أَحَدُهُمَا : أَنَّهُ الْحُكْمُ وَالْقَضَاءُ ، وَهُوَ الَّذِي نَخْتَارُهُ . وَالثَّانِي : فَتَحَ الْبَلَدَ .

قَوْلُهُ تَعَالَى : ( فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ ) أَيِ : انتَظِرْ عَذَابَهُمْ ( إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ ) بِكَ حَوَادِثُ الدَّهْرِ <sup>(٢)</sup> . قَالَ الْمَفْسُورُونَ : وَهَذِهِ الْآيَةُ مَنْسُوخَةٌ بِآيَةِ السَّيْفِ .



(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ١٤٠٨/٣ بَلْفَظٍ : « مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سَفِيَانَ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ هِشَامٍ فِي « السَّيْرَةِ » عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ مَعْضَلًا ، وَلَكِنْ وَصَلَهُ ابْنُ جُرَيْرٍ الطَّبْرِيُّ ، وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ بِإِسْنَادٍ آخَرَ لَهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَفِي مَنْدِهِ رَجُلٌ مَجْهُولٌ ، وَلَهُ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ إِسْنَادٌ قَالَتْ وَرَجَالُهُ ثَقَاتٌ ، لَكِنْ لَمْ يَصْرَحْ فِيهِ ابْنُ إِسْحَاقَ بِالسَّهَابِ ، وَذَكَرَهُ الْهَيْثَمِيُّ فِي « جَمْعِ الزَّوَادِ » : ١٦٦/٦ وَقَالَ : رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَرَجَالُهُ رَجَالُ الصَّحِيحِ .

(٢) قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ : ( فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ لَهُمْ مُنْتَظَرُونَ ) أَيِ : أَعْرِضْ عَنْ هَؤُلَاءِ الْمُتَرَكِّبِينَ ، وَبَلِّغْ مَا نَزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ، وَانْتَظِرْ فَإِنَّ اللَّهَ سَيَنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ ، وَسَيَنْصُرُكَ عَلَى مَنْ خَالَفَكَ ، إِنَّهُ لَا يَخْلِفُ الْمِعَادَ . وَقَوْلُهُ : ( إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ ) أَيِ : أَنْتَ مُنْتَظَرٌ وَمُتَظَرُونَ ، وَيَتَرَبَّصُونَ بِكَ الدَّوَائِرُ ، وَسَتَرَى أَنَّ عَاقِبَةَ صَبْرِكَ عَلَيْهِمْ وَعَلَى آدَاءِ رِسَالَةِ اللَّهِ فِي نَصْرِكَ وَتَأْيِيدِكَ ، وَسَيَجِدُونَ غَيْبًا مَا يَنْتَظَرُونَ فِيكَ وَفِي أَصْحَابِكَ مِنْ وَيْلٍ وَعِقَابٍ اللَّهُ لَهُمْ وَحُلُولُ عَذَابِهِ بِهِمْ ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ . اهـ .

## سورة الأحزاب

وهي مدنية باجماعهم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ  
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا . وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ  
اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا . وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ  
وَكِيلًا . مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ  
أَزْوَاجَكُمْ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ  
أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ  
يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾

قوله تعالى : ( يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ ) سبب نزولها أن أبا سفيان بن حرب ،  
وعكرمة بن أبي جهل ، وأبا الأعمود السلمي ، قدّموا على رسول الله ﷺ في  
المواعدة التي كانت بينهم ، فزولوا على عبد الله بن أبي ، ومعتب بن قشير ،  
والجد بن قيس ؛ فتكلموا فيما بينهم ، وأتوا رسول الله ﷺ فدعوه إلى أمرهم

وعرضوا عليه أشياء كرهها ، فنزلت هذه الآية ، رواه أبو صالح عن ابن عباس .  
قال مقاتل : سألوا رسول الله ﷺ أن يرفُض ذكر اللات والعزى ويقول :  
إن لها شفاعة ، فكَرِهَ ذلك ، ونزلت [ هذه ] الآية <sup>(١)</sup> . وقال ابن جرير :  
( ولا تُطِيع الكافرين ) الذين يقولون : اطرده عنا أتباعك من ضعفاء المسلمين  
( والمنافقين ) فلا تقبل منهم رأياً .

فإن قيل : ما الفائدة في أمر الله تعالى رسوله بالتقوى ، وهو سيد المتقين ؟  
فمنه ثلاثة أجوبة .

أحدها : أن المراد بذلك استدامة ما هو عليه . والثاني : الإكثار مما هو فيه .  
والثالث : أنه خطابٌ ووجهٌ به ، والمراد أمته .  
قال المفسرون : وأراد بالكافرين في هذه الآية : أباسفيان ، وعكرمة ،  
وأبا الأعور ، وبالمنافيين : عبد الله بن أبي ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح ،  
وطئمة بن أبيريق . وما بعد هذا قد سبق بيانه [ النساء : ٨١ ] إلى قوله :  
( ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ) وفي سبب نزولها قولان .  
أحدهما : أن المنافقين كانوا يقولون : لحمد قلبان ، قلب معنا ، وقلب مع  
أصحابه ، فأكذبهم الله تعالى ، ونزلت هذه الآية ، قاله ابن عباس <sup>(٢)</sup> .

(١) رواه الواحدي في أسباب النزول ، : ٢٠١ بغير سند ، وقال الحافظ ابن حجر في  
« تخريج الكشاف » ، ١٣٢ : هكذا ذكره الثعلبي والواحدي بغير سند .

(٢) « الطبري » : ١١٨/٢١ ، وفي سننه قابوس بن أبي ظبيان ، قال الحافظ ابن حجر عنه  
في « التقریب » : فيه لين . ورواه الترمذي في « جامعه » : ١٥١/٢ وقال : حديث حسن ،  
وفي سننه أيضاً قابوس بن أبي ظبيان ، ورواه الحاكم في « المستدرک » : ٤١٥/٢ ، وصححه ،  
ولكن قال الذهبي في « تقييده عليه » : قلت : قابوس ضعيف . وأورد الحديث السيوطي في  
« الدرر » : ١٨٠/٥ ، وزاد نسبته لأحمد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ،  
والضياء في « المختارة » ، عن ابن عباس رضي الله عنهما .



والثاني : أنها نزلت في جميل بن مَعْمَر الفهري - كذا نسب جماعة من المفسرين . وقال الفراء : جميل بن أسد ، ويكنى : أبا مَعْمَر . وقال مقاتل : أبو مَعْمَر بن أنس الفهري - وكان ليلاً حافظاً لما سمع ، فقالت قريش : ما حفظ هذه الأشياء إلا وله قلبان في جوفه ، وكان يقول : إن لي قلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد ، فلما كان يوم بدر وهُزم المشركون وفيهم يومئذ جميل بن معمر ، تلقاه أبو سفيان وهو معلق إحدى نعليه يده ، والأخرى في رجله ، فقال له : ما حالُ الناس ؟ فقال : انهزموا ، قال : فما بالك إحدى نعليك في يدك والأخرى في رجلك ؟ قال : ما شجرتُ إلا أنهما في رجلتي ، فمرفوا [ يومئذ ] أنه لو كان له قلبان لما نسي نعله في يده <sup>(١)</sup> ؛ وهذا قول جماعة من المفسرين . وقد قال الزهري في هذا قولاً عجيباً ، قال : بلنّا أن ذلك في زيد ابن حارثة ضرب له مثل يقول : ليس ابنُ رجل آخر ابنك <sup>(٢)</sup> . قال الأخفش : « من » زائدة في قوله : « من قلبين » .

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول : ٢٠١ بدون سند ، وذكره الطبري ١١٨/٢١ ، مختصراً عن ابن عباس أنها نزلت في رجل من قريش يسمى من دهميه : ذا القلبين ، وذكر عن مجاهد أن رجلاً من بني فهر قال : إن في قلبي جوفين ... الخ ، وذكره السيوطي في « الدر » : ١٨٠/٥ ، من رواية ابن أبي حاتم مختصراً عن السدي أنها نزلت في رجل من قريش من بني جح يقال له : جميل بن معمر .

(٢) ذكره الطبري : ١١٩/٢١ ، عن الحسن بن يحيى قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهري . وأورده السيوطي في « الدر » : ١٨١/٥ من رواية عبد الرزاق ، وابن جرير الطبري عن الزهري ، وكذا قال مجاهد ، وقادة ، وابن زيد : إنها نزلت في زيد بن حارثة رضي الله عنه . قال الطبري : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : ذلك تكذيب من الله تعالى قول من قال : لرجل في جوفه قلبان يمتلئ بهما ، على النحو الذي روي عن ابن عباس ، وجائز أن يكون ذلك تكديباً من الله لمن وصف رسول الله ﷺ بذلك ، وأن يكون تكديباً لمن سمى القرشي الذي ذكر أنه سمي ذا القلبين من دهميه ، وأي الأمرين كان ، فهو نفي من الله عن خلقه من الرجال أن يكونوا بتلك الصفة . اهـ .

قال الزجاج : أكذب الله عز وجل هذا الرجل الذي قال : لي قلبان ، ثم قرر بهذا الكلام ما يقوله المشركون وغيرهم مما لا حقيقة له ، فقال : ( وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم ) فأعلم الله تعالى أن الزوجة لا تكون أمًا ، وكانت الجاهلية تطلق بهذا الكلام ، وهو أن يقول لها : أنت علي كظهر أمي ، وكذلك قوله : ( وما جعل أدياءكم أبناءكم ) أي : ما جعل من تدعونه أبناء - وليس بولد في الحقيقة - أبناء ( ذلكم قولكم بأفواهكم ) أي : نسب من لا حقيقة للنسب قول بالقم لا حقيقة تحته ( والله يقول الحق ) أي : لا يجعل غير الابن أبناء ( وهو يهدي السبيل ) أي : للسبيل المستقيم <sup>(١)</sup> .

(١) قال ابن كثير في هذه الآيات : ( ما كان لرجل من قطين في جوفه .. ) إلى آخره : يقول تعالى موطأ قبل القعود المنوي أمراً مرفوعاً حسياً ، وهو أنه كما لا يكون للشخص الواحد قلبان في جوفه ، ولا تضير زوجته التي يظاهر منها بقوله : أنت علي كظهر أمي أمًا له ، كذلك لا يصير الدعي ولداً للرجل إذا تبناه فدعاه ابناً له ، فقال : ( ما جعل الله لرجلين من قطين في جوفه وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم ) كقوله عز وجل : ( ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم ... ) الآية ، ثم قال : وقوله تعالى : ( وما جعل أدياءكم أبناءكم ) هذا هو المقصود بالنفي ، فانها زلت في شأن زيد بن حارثة رضي الله عنه مولى النبي ﷺ ، كان النبي ﷺ قد تبناه قبل النبوة فكان يقال له : زيد بن محمد ، فأراد الله تعالى أن يقطع هذا الالتحاق وهذه النسبة بقوله تعالى : ( وما جعل أدياءكم أبناءكم ) كما قال تعالى في أثناء السورة : ( ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء علياً ) وقال هاهنا : ( ذلكم قولكم بأفواهكم ) يعني : تبشيتكم لهم قول لا يقتضي أن يكون ابناً حقيقياً ، فانه مخلوق من صلب رجل آخر ، فما يمكن أن يكون له أبوان ، كما لا يمكن أن يكون للبشر الواحد قلبان ، ( والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ) قال سديد بن جبير : « يقول الحق ، أي : المدل ، وقال قتادة : « وهو يهدي السبيل ، أي : الصراط المستقيم . اهـ .

وذكر المفسرون أن قوله : « وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن » نزلت في أوس بن الصامت وامرأته خولة بنت ثعلبة .

ومعنى الكلام : ما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن كأمهاتكم في التحريم ، إنما قولكم معصية ، وفيه كفارة ، وأزواجكم لكم حلال ؛ وسنشرح هذا في سورة ( المجادلة ) إن شاء الله . وذكروا أن قوله : « وما جعل أدياءكم أبناءكم » نزل في زيد بن حارثة ، أعتقه رسول الله ﷺ وتبناه قبل الوحي ، فلما تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جعش قال اليهود والمنافقون : تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عنها ، فنزلت هذه الآية <sup>(١)</sup> .

﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا . النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾

قوله تعالى : ( ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ ) قال ابن عمر : ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد ، حتى نزلت « ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ » <sup>(٢)</sup> .

(١) ذكره الواحدي في « أسباب النزول » : ٢٠١ بدون سند ، وذكره السيوطي في « الدر » : ١٨١/٥ ، من رواية القرطبي ، وابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، عن مجاهد رضي الله عنه .

(٢) رواه البخاري في « صحيحه » : ٣٩٧/٨ ، ومسلم في ١٨٨٤/٤ ، وأخرجه الترمذي ، —

قوله تعالى : ( هو أقسط ) أي : أعدل ، ( فان لم تعلموا آباءكم ) أي : إن لم تعرفوا آباءكم ( فاخوانكم ) أي : فهم إخوانكم ، فليقتل أحدكم : يا أخي ، ( ومواليكم ) قال الزجاج : أي : بنو عمكم . ويجوز أن يكون « موالكم » أولياءكم في الدين .

( وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ) فيه ثلاثة أقوال .

أحدها : فيما أخطأتم به قبل النهي ، قاله مجاهد .

والثاني : في دعائكم من تدعونه إلى غير أبيه وأنتم ترونه كذلك ،

قاله قتادة .

والثالث : فيما سهوتم فيه ، قاله حبيب بن أبي ثابت .

فلى الأول يكون معنى قوله : ( ولكن ما تمعدت قلوبكم ) أي : بعد

النهي . وعلى الثاني والثالث : ما تمعدت في دعاء الرجل إلى غير أبيه .

قوله تعالى : ( النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ) أي : أحق ، فله أن

يحكم فيهم بما يشاء ، قال ابن عباس : إذا دعاهم إلى شيء ، ودعاهم أنفسهم إلى

شيء ، كانت طاعته أولى من طاعة أنفسهم ؛ وهذا صحيح ، فان أنفسهم تدعوم

إلى ما فيه هلاكهم ، والرسول يدعوم إلى ما فيه نجاتهم <sup>(١)</sup> .

— والنسائي ، من طرق ، ورواه الواحدي في « أسباب النزول » : ٢٠١ ، وأورده السيوطي في

« الدر » : ١٨١/٥ وزاد نسبه لابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ،

والبيهقي في « سننه » عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(١) قال ابن كثير : قد علم الله تعالى شفقة رسوله ﷺ على أمته ونصحه لهم ، فضله

أولى بهم من أنفسهم ، وحكمه فيهم كان مقدماً على اختيارهم لأنفسهم ، كما قال تعالى :

( فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت

ويسلموا نسياً ) قال : وفي الصحيح : « واقضي قضايه لا يؤمن أحدكم حتى أكون —

قوله تعالى : ( وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ) أي : في تحريم نكاحهن على التأيد ، ووجوب إجلالهن ونمطيتهن ؛ ولا تجري عليهن أحكام الأمهات في كل شيء ، إذ لو كان كذلك لما جاز لأحد أن يتزوج بناتهن ، ولورثن المسلمين ، ولجازت الخلوة بهن<sup>(١)</sup> . وقد روى مسروق عن عائشة أن امرأة قالت : يا أمّاه ، فقالت : لست لك بأم ؛ إنما أنا أم رجالكم<sup>(٢)</sup> ؛ فبان بهذا الحديث أن معنى الأمومة تحريم نكاحهن فقط . وقال مجاهد : « وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ » وهو أب لهم . وما بمد هذا مفسر

— أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين ، قال : وفي الصحيح ، أيضاً أن عمر رضي الله عنه قال : يا رسول الله ! والله أنت أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي ، فقال ﷺ : « لا يا عمر ، حتى أكون أحب إليك من نفسك » ، فقال : يا رسول الله ! والله لأنت أحب إليّ من كل شيء حتى من نفسي ، قال ﷺ : « الآن يا عمر » ، ولهذا قال تعالى في هذه الآية : ( النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ) . قال : وقال البخاري عند هذه الآية الكريمة : عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة » ، اقرؤوا إن شئتم : ( النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ) فأبنا مؤمن ترك مالا فليرثه عصبته من كانوا ، وإن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتي فأنا مولا » . اهـ .

(١) قال ابن كثير : ( وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ) أي : في الحرمة والاحترام والتوقير والاكرام والاعظام ، ولكن لا تجوز الخلوة بهن ، ولا ينتشر التحريم إلى بناتهن وأخواتهن بالإجماع ، وإن سمي بعض العلماء بناتهن : أخوات المؤمنين ، كما هو منصوص الشافعي رضي الله عنه في المختصر ، وهو من باب إطلاق المبالغة ، لإثبات الحكم ، ثم قال : وهل يقال لمأوىه وأمثاله : خال المؤمنين ؟ فيه قولان للعلماء رضي الله عنهم ، ونص الشافعي رضي الله عنه على أنه لا يقال ذلك ، قال : وهل يقال لمن : أمهات المؤمنات فيدخل النساء في جمع الذكر السالم تظلياً ؟ فيه قولان ، صح عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : لا يقال ذلك ، وهذا أصح الوجهين في مذهب الشافعي رضي الله عنه . اهـ .

(٢) أورده السيوطي في « الدر » : ١٨٢/٥ بنحوه من رواية ابن سعد ، وابن المنذر ، والبيهقي في « سننه » عن عائشة رضي الله عنها .

في آخر ( الأنفال ) إلى قوله تعالى : ( من المؤمنين والمهاجرين ) والمعنى أن ذوي القربات بعضهم أولى بعمرات بعض من أن يرتوا بالإيمان والهجرة كما كانوا يفعلون قبل النسخ <sup>(١)</sup> ( إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً ) [ وهذا استثناء ليس من الأول ، والمعنى : لكن فعلكم إلى أوليائكم معروفاً ] جائز ، وذلك أن الله تعالى لما نسخ التوارث بالخلف والهجرة ، أباح الوصية للمعاقدين ، فلانسان أن يوصي لمن يتولاه بما أحب من ثلثه . فالمعروف هاهنا : الوصية .

قوله تعالى : ( كان ذلك ) يعني نسخ الميراث بالهجرة وردّه إلى ذوي الأرحام ( في الكتاب ) يعني اللوح المحفوظ ( مسطوراً ) أي : مكتوباً .

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا . لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾  
قوله تعالى : ( وإذ أخذنا ) المعنى : واذكر إذ أخذنا ( من النبيين ميثاقهم ) أي : عهدهم ؛ وفيه قولان .

أحدهما : أخذ ميثاق النبيين : أن يصدق بعضهم بعضاً ، قاله قتادة .

والثاني : أن يعبدوا الله ويدعوا إلى عبادته ، ويصدق بعضهم بعضاً ، وأن ينصحووا لقومهم ، قاله مقاتل .

(١) قال ابن كثير : أي القرايات أولى بالتوارث من المهاجرين والأنصار ، قال : وهذه ناسخة لما كان قبلها من التوارث بالخلف والمؤاخاة التي كانت بينهم ، كما قال ابن عباس وغيره : كان المهاجري يرث الأنصاري دون قراباته وذوي رحمه للأخوة التي آخى بينها رسول الله ﷺ ، وكذا قال سعيد بن جبير وغير واحد من السلف والخلف . اهـ .

وهذا الميثاق أخذ منهم حين أخرجوا من ظهر آدم كالدّر . قال أبي بن كعب :  
لما أخذ ميثاق الخلق خص النبيين ميثاق آخر <sup>(١)</sup> .

فان قيل : لم خص الأنبياء الخمسة بالدكر دون غيرهم من الأنبياء ؟  
فالجواب : أنه نبّه بذلك على فضلهم ، لأنهم أصحاب الكتب والشرائع ؛  
وقدّم نبينا ﷺ ياناً لفضله عليهم . قال قتادة : كان نبينا أول النبيين في الخلق <sup>(٢)</sup> .  
وقوله : ( ميثاقاً غليظاً ) أي : شديداً على الوفاء بما حملوا . وذكر المفسرون  
أن ذلك العهد الشديد : اليمين بالله عز وجل .

(١) قال ابن كثير : يقول تعالى مخبراً عن أولي العزم الخمسة ( وم : فوج ، وإبراهيم ،  
وموسى ، وعيسى ، ومحمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين ) وبقية الأنبياء : أنه أخذ عليهم العهد  
والميثاق في إقامة دين الله تعالى ، وإبلاغ رسالته ، والتعاون والتناصر والاتفاق . اهـ .

(٢) هذا الكلام ذكره بعضهم عن قتادة موقوفاً عليه ، ورواه ابن جرير الطبري :  
١٢٥/٢١ ، من طريق سعيد بن بشير الأزدي عن قتادة مرسلاً قال : « ذكر لنا أن نبي الله  
ﷺ كان يقول : « كنت أول الأنبياء في الخلق وآخرهم في البعث ، وسعيد بن بشير الأزدي ،  
ضعيف كما قال الحافظ ابن حجر في « التقريب » ، والحديث ذكره ابن كثير ٤٦٩/٣ ، من  
رواية ابن أبي حاتم من حديث بشير بن سعيد قال : حدثني قتادة عن الحسن عن أبي هريرة  
مرفوعاً بلفظ « كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث ، فبدىء بي قبلهم » ثم قال ابن  
كثير : وسعيد بن بشير فيه ضعف ، قال : ورواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة مرسلاً ،  
وهو الأشبه ، قال : ورواه بعضهم عن قتادة موقوفاً ، والله أعلم . وقال الحافظ السخاوي في  
« المقاصد الحسنة » : حديث « كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث » رواه أبو نعيم  
في « الدلائل » ، وابن أبي حاتم في « تفسيره » ، وابن لال ، ومن طريقه الديلمي ، كلهم من  
حديث سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة به مرفوعاً . اهـ . وسعيد بن بشير  
ضعيف كما قال الحافظ ابن حجر ، وللعديث رواية أخرى من حديث ميسرة الفجر بلفظ  
« كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد » وهو صحيح الاستناد ، أخرجه أحمد ، والبخاري في  
« تاريخه » ، وأبو نعيم في « الحلية » ، والحاكم وصححه ، والترمذي وقال : حديث حسن صحيح .  
ولكن ليس معناه كما يتوهم بعض الناس أن نبينا محمداً ﷺ كان موجوداً بذاته قبل آدم ،  
وأن ذاته خلقت قبل الدوات ، ومن يقول بذلك فلما يمتد على أحاديث غير صحيحة في  
هذا الموضوع .

( لَيْسَ أَلِ الصَّادِقِينَ ) يقول : أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ لَكِي نَسْأَلَ الصَّادِقِينَ ، وَهُمْ الْأَنْبِيَاءُ  
 ( عَنْ صِدْقِهِمْ ) فِي تَبْلِيغِهِمْ . وَمَعْنَى سُؤَالِ الْأَنْبِيَاءِ - وَهُوَ يَعْلَمُ صِدْقَهُمْ - تَبَكُّيْتُ  
 مَكْذِبِيهِمْ . وَهَاهُنَا تَمَّ الْكَلَامُ . ثُمَّ أَخْبَرَ بِعَدِّ ذَلِكَ عَمَّا أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ بِالرَّسْلِ .  
 قَوْلُهُ تَعَالَى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَكُمْ جُنُودُ  
 وَهُمْ الَّذِينَ تَحْزَبُونَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَيَّامَ الْخَنْدَقِ .

### الإشارة إلى القصة

ذَكَرَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالسِّيَرَةِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا أَجْلَى بَنِي النَّضِيرِ ، سَارُوا  
 إِلَى خَيْبَرَ ، فَخَرَجَ نَفَرٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ إِلَى مَكَّةَ فَالْتَبَّوْا قَرِيشًا وَدَعَوْهُمْ إِلَى الْخُرُوجِ  
 لِقِتَالِهِ ، ثُمَّ خَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِمْ فَاتَّوَا غَطَفَانَ وَسُلَيْمَ ، فَفَارَقُوهُمْ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ .  
 وَتَجَهَّزَتْ قَرِيشٌ وَمِنْ بَيْنِهِمْ مِنَ الْعَرَبِ ، فَكَانُوا أَرْبَعَةَ آلَافٍ ، وَخَرَجُوا يَقُودُهُمْ  
 أَبُو سَفْيَانَ ، وَوَقَفْتُمْ بَنُو سُلَيْمٍ بِـ «مَرِّ الظَّهْرَانِ» ، وَخَرَجَتْ بَنُو أَسَدَ ، وَفَزَارَةُ ، وَأَشْجَعُ ،  
 وَبَنُو مُرَّةَ ، فَكَانَ جَمِيعٌ مِنْ وَاقِي الْخَنْدَقِ مِنَ الْقَبَائِلِ عَشْرَةَ آلَافٍ ، وَهُمْ الْأَحْزَابُ ؛  
 فَلَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خُرُوجَهُمْ مِنْ مَكَّةَ ، أَخْبَرَ النَّاسَ خَبْرَهُمْ ، وَشَاوَرَهُمْ ،  
 فَأَشَارَ سَلْمَانَ بِالْخَنْدَقِ ، فَأَعْجَبَ ذَلِكَ الْمُسْلِمِينَ ، وَعَسَكَرَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى  
 سَفْحِ «سَلْعٍ» <sup>(١)</sup> ، وَجَعَلَ سَلْمًا خَلْفَ ظَهْرِهِ ؛ وَدَسَّ أَبُو سَفْيَانَ بَنَ حَرْبٍ حُسْبِيَّ  
 ابْنَ أَخْطَبٍ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ يَسْأَلُهُمْ أَنْ يَتَقَضَّوْا الْمَهْدَ الَّذِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ  
 وَيَكُونُوا مَعَهُمْ عَلَيْهِ ، فَأَجَابُوا ، وَاشْتَدَّ الْخَوْفُ ، وَعَظُمَ الْبَلَاءُ ، ثُمَّ جَرَتْ بَيْنَهُمْ  
 مَنَاوِشَةٌ وَقِتَالٌ ، وَحُصِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ بِضَعِّ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ حَتَّى خَلَصَ

(١) قَالَ فِي «مَعْجَمِ الْبَلَدَانِ» : سَلْعٌ : جَبَلٌ بِسُوقِ الْمَدِينَةِ .



إليهم الكرب ، وكان نعيم بن مسعود الأشجعي قد أسلم ، فثنى بين قريش وقريظة وغطفان فخذل بينهم ، فاستوحش كل منهم من صاحبه ، واعتلت قريظة بالسبت فقالوا : لا تقايل فيه ، وهبت ليلة السبت ريح شديدة ، فقال أبو سفيان : يا معشر قريش ، إنكم والله لستم بدار مقام ، لقد هلك الخُفُّ والحافر ، وأجذب الجناب <sup>(١)</sup> ، وأخلفتنا قريظة ، ولقينا من الريح ماثرون ، فارتحلوا فاني مرّتحل ؛ فأصبحت العساكر قد أقشعت كلها <sup>(٢)</sup> . قال مجاهد : والريح التي أرسلت عليهم هي الصبا <sup>(٣)</sup> ، حتى أكفأت قدورهم ، وزعت فساطيطهم . والجنود : الملائكة ، ولم تقايل يومئذ <sup>(٤)</sup> . وقيل : إن الملائكة جعلت تقلع أوتادهم ونطفى نيرانهم ونكبر في جوانب عسكرهم ، فاشتدت عليهم ، فانهزموا من غير قتال .

قوله تعالى : ( لَمْ تَرَوْهَا ) وقرأ النخعي ، والجحدري ، والجوني ، وابن السميع : « لَمْ يَرَوْهَا » بالياء ( وكان الله بما تعملون بصيراً ) وقرأ أبو عمرو : [ يعملون ] بالياء .

﴿ اذْ جَاؤْكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللّهِ الظَّنُّونَا . هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا . وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾

(١) قال في الصحاح : الجناب ، بالفتح : الغناء ، وما قرّب من محلّة القوم ، والجمع أجنبيّة .

(٢) أقشع القوم وتشتوا واقتسموا : ذهبوا وافترقوا .

(٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « نصيرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور » ، رواه أحمد ، والبخاري ، ومسلم . والصبا : الريح تهب من مطلع الشمس ، والدبور : الريح تهب من جهة المغرب ، تقابل الصبا .

(٤) انظر تفسير ابن كثير : ٤٧٠/٣ ، وسيرة ابن هشام : ٢/٢١٤ ، و « البداية والنهاية ،

لابن كثير : ٩٢/٤ .

قوله تعالى : ( إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ) أي : مِنْ فَوْقِ الوادي وَمِنْ أَسْفَلِهِ ( وَإِذَا زَاغَتْ الْأَبْصَارُ ) أي : مَالَتْ وَعَدَلَتْ ، فَلَمْ تَنْظُرْ إِلَى شَيْءٍ إِلَّا إِلَى عَدُوِّهَا مُقْبِلًا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ( وَبَلَغَتْ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ) وَهِيَ جَمْعُ حَنْجَرَةٍ . وَالْحَنْجَرَةُ : جَوْفُ الْحَلْقُومِ . قَالَ قَتَادَةُ : شَخَصَتْ عَنْ مَكَانِهَا ، فَلَوْلَا أَنَّهُ ضَاقَ الْحَلْقُومُ عَنْهَا أَنْ تَخْرُجَ لَخَرَجَتْ . وَقَالَ غَيْرُهُ : الْمَعْنَى أَنَّهُمْ جَبَبُوا وَجَزِعَ أَكْثَرُهُمْ ؛ وَسَبِيلُ الْجَبَانِ إِذَا اشْتَدَّ خَوْفُهُ أَنْ تَتَفَخَّرَتْهُ فَيَرْتَفِعَ حِينَئِذٍ الْقَلْبُ إِلَى الْحَنْجَرَةِ ، وَهَذَا الْمَعْنَى مَرْوِي عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالْفَرَّاءِ . وَذَهَبَ ابْنُ قُتَيْبَةَ إِلَى أَنَّ الْمَعْنَى : كَادَتْ الْقُلُوبُ تُبْلِغُ الْحُلُوقَ مِنَ الْخَوْفِ . وَقَالَ ابْنُ الْأَثَّارِيِّ : « كَادَ » لَا يُضَمَّرُ وَلَا يُعْرَفُ مَعْنَاهُ إِذَا لَمْ يُنْطَقْ بِهِ .

قوله تعالى : ( وَتَطْمَئِنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا ) قَالَ الْحَسَنُ : اخْتَلَفَتْ ظَنُونُهُمْ ، فَظَنَ الْمُنَاقِقُونَ أَنَّ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ يُسْتَأْصَلُونَ ، وَظَنَ الْمُؤْمِنُونَ أَنَّهُ يُنْصَرِّقُ . قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ ، وَالْكَسَائِيُّ ، وَحَفْصٌ عَنْ عَاصِمٍ : « الظَّنُونَا » وَ « الرِّسُولَا » [الأحزاب: ٦٦] وَ « السَّبِيلَا » [الأحزاب: ٦٧] بِالْأَلْفِ إِذَا وَقَفُوا عَلَيْهِمْ ، وَيَطْرَحُهَا فِي الْوَصْلِ . وَقَالَ هَيْبَةُ عَنْ حَفْصٍ عَنْ عَاصِمٍ : وَصَلَ أَوْ وَقَفَ بِالْأَلْفِ . وَقَرَأَ نَافِعٌ ، وَابْنُ حَامِرٍ ، وَأَبُو بَكْرِ عَنْ عَاصِمٍ : بِالْأَلْفِ فِيهِمْ وَصَلًا وَوَقْفًا . وَقَرَأَ أَبُو مَرْوَةَ ، وَحَمْزَةُ ، وَالْكَسَائِيُّ : بِفِرَ أَلْفٍ فِي وَصْلِ وَلَا وَقَفَ . قَالَ الزَّجَّاجُ : وَالَّذِي عَلَيْهِ حُذَّاقُ النَّحْوِيِّينَ وَالْمُتَّبِعُونَ السُّنَّةَ مِنْ قُرَّائِهِمْ أَنْ يَقْرَءُوا : « الظَّنُونَا » وَيَقْفُونَ عَلَى الْأَلْفِ وَلَا يَصِلُونَ ؛ وَإِنَّمَا فَعَلُوا ذَلِكَ ، لِأَنَّ أَوَاخِرَ آيَاتِ عِنْدَهُمْ فَوَاصِلٌ يُبَيِّنُونَ فِي آخِرِهَا الْأَلْفَ فِي الْوَقْفِ .

قوله تعالى : ( هُنَالِكَ ) أي : عِنْدَ ذَلِكَ ( ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ ) أي : اخْتَبِرُوا بِالْقِتَالِ وَالْحَصْرِ لِيَتَبَيَّنَ الْمُخْلِصُونَ مِنَ الْمُنَاقِقِ ( وَزُلْزِلُوا ) أي : أُرْجِعُوا وَاحْرُكُوا

بالخوف ، فلم يوجَدوا إلا صابرين . وقال الفراء : حَرَّكَوا إلى الفتنة تحريكاً ، فمُصَّووا .

قوله تعالى : ( وإذ يقولُ المنافقون والذين في قلوبهم مرض ) فيه قولان . أحدهما : أنه الشَّرْك ، قاله الحسن . والثاني : النفاق ، قاله قتادة ، ( ما وَعَدَنَا اللهُ ورسوله إلا غُروراً ) قال المفسرون : قالوا يومئذ : إن محمداً يَمَعِدُنَا أن نفتح مدائن كسرى وقصر وأحدنا لا يستطيع أن يجاوز رحله ! هذا والله الغُرور . وزعم ابن السائب أن قاتل هذا معتب بن نُفَيْر .

﴿ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا . وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ سَئُلُوا النَّفْثَةَ لَأَتَوْهَا وَمَا تَلْبَثُوا فِيهَا إِلَّا يَسِيرًا . وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلِّتُونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا . قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذْ لَا تُنصَرُونَ إِلَّا قَلِيلًا . قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِيكُمْ مِنْ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾

قوله تعالى : ( وإذ قالت طائفة منهم ) يعني من المنافقين . وفي القائلين لهذا منهم قولان . أحدهما : عبد الله بن أبي وأصحابه ، قاله السدي . والثاني : بنو سالم من المنافقين ، قاله مقاتل .

قوله تعالى : ( يا أهل يثرب ) قال أبو عبيدة : يَثْرِب : اسم أرض ، ومدينة النبي ﷺ في ناحية منها <sup>(١)</sup> .

(١) قال ياقوت الحموي في « معجم البلدان » يثرب : قال أبو القاسم الزجاجي : مدينة —

قوله تعالى : ( لَامِقَامَ لَكُمْ ) وقرأ حفص عن عاصم : « لَامِقَامَ » بضم الميم . قال الزجاج : من ضمَّ الميم ، فالملئى : لا إقامة لكم ؛ ومن فتحها ، فالملئى : لا مكان لكم يُقيمون فيه . وهؤلاء كانوا يشتطون المؤمنين عن النبي ﷺ .

قوله تعالى : ( فَارْجِعُوا ) أي : إلى المدينة ، وذلك أن رسول الله ﷺ خرج بالمسلمين حتى مسكروا به « سَكِرَ » ، وجعلوا الخندق بينهم وبين القوم ، فقال المنافقون للناس : ليس لكم هاهنا مُقام ، لكثرة المدور ، وهذا قول الجمهور . وحكى الماوردي قولين [ آخرين ] .

أحدهما : لا مُقام لكم على دين محمد فارجموا إلى دين مشركي العرب ، قاله الحسن .

والثاني : لا مُقام لكم على القتال ، فارجموا إلى طلب الأمان ، قاله الكلابي . قوله تعالى : ( وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ ) فيه قولان .

أحدهما : أنهم بنو حارثة ، قاله ابن عباس . وقال مجاهد : بنو حارثة ابن الحارث بن الخزرج . وقال السدي : إنما استأذنه رجلان من بني حارثة . والثاني : بنو حارثة ، وبنو سلمة بن جشم ، قاله مقاتل .

قوله تعالى : ( إِنْ يَوْتِنَا عَوْرَةً ) قال ابن قتبية : أي : خالية ، فقد

— رسول الله ﷺ ، وقال آخرون : بل يثرب فاحية من مدينة النبي ﷺ . وقال ابن كثير في « التفسير » في قوله تعالى : ( وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ ) بني المدينة ، كما جاء في « الصحيح » « أريت دار هجرتك ، أرض بين حريتين ، فذهب واهلي ( وهمي واعتقادي ) أنها هجر ، فإذا هي يثرب » وفي لفظ « المدينة » ، ثم قال : فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن البراء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من سعى المدينة يثرب فليستغفر الله تعالى ، إنما هي طابة ، إنما هي طابة » ، تفرد به الإمام أحمد ، وفي إسناده ضعف ، والله أعلم ، قال : ويقال : إنما كان أصل تسميتها يثرب برجل زلها من الهالين يقال له : يثرب . اهـ .

أَمْكَنَ مِنْ أَرَادَ دَخُولَهَا ، وَأَصْلُ الْمَوْرَةِ : مَا ذَهَبَ عَنْهُ السِّرُّ وَالْحِفْظُ ، فَكَأَنَّ الرِّجَالَ سَتَرُوا وَحَفِظُوا لِلْيَبُوتِ ، فَإِذَا ذَهَبُوا أَعْوَرَتِ الْيَبُوتُ ، يَقُولُ الْعَرَبُ : أَعْوَرَ مَنْزِلِي : إِذَا ذَهَبَ سِتْرُهُ ، أَوْ سَقَطَ جِدَارُهُ ، وَأَعْوَرَ الْفَارِسُ : إِذَا بَانَ مِنْهُ مَوْضِعُ خَلَلٍ لِلضَّرْبِ وَالطَّمَنِ ، يَقُولُ اللَّهُ : ( وَمَا هِيَ بِمَوْرَةٍ ) لِأَنَّ اللَّهَ يَحْفَظُهَا ، وَلَكِنْ يَرِيدُونَ الْفِرَارَ . وَقَالَ الْحَسَنُ ، وَمَجَاهِدٌ : قَالُوا : يَبُوتُنَا ضَائِعَةٌ نَخْشَى عَلَيْهَا السَّرَّاقَ . وَقَالَ قَتَادَةُ : قَالُوا : يَبُوتُنَا مِمَّا يَلِي الْعَدُوَّ ، وَلَا نَأْمَنُ عَلَى أَهْلِنَا ، فَكَذَّبَهُمُ اللَّهُ وَأَعْلَمَ أَنَّ قَصْدَهُمُ الْفِرَارَ .

قوله تعالى : ( وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ) يَعْنِي الْمَدِينَةَ ؛ وَالْأَقْطَارُ : النُّوَاحِي وَالْجَوَانِبُ ، وَاحِدُهَا : قُطْرٌ ، ( ثُمَّ سَأَلُوا الْفَتَنَةَ ) وَقَرَأَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَالضُّحَّاكُ ، وَالزَّهْرِيُّ ، وَأَبُو عَمْرَانَ ، وَأَبُو جَمْفَرٍ ، وَشَيْبَةُ : « ثُمَّ سَبَّلُوا » بَرَفْعِ السَّيْنِ وَكَسْرِ الْيَاءِ مِنْ غَيْرِ هَمْزٍ . وَقَرَأَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ كَعْبٍ ، وَمَجَاهِدٌ ، وَأَبُو الْجَوْزَاءِ : « ثُمَّ سَوَّوْا » بَرَفْعِ السَّيْنِ وَمَدِّ الْوَاوِ بِهَمْزَةٍ مَكْسُورَةٍ بَعْدَهَا . وَقَرَأَ الْحَسَنُ ، وَأَبُو الْأَشْهَبِ : « ثُمَّ سَوَّوْا » بَرَفْعِ السَّيْنِ وَسُكُونِ الْوَاوِ مِنْ غَيْرِ مَدٍّ وَلَا هَمْزٍ . وَقَرَأَ الْأَعْمَشُ ، وَعَاصِمُ الْجَحْدَرِيُّ : « ثُمَّ سَبَّلُوا » بِكَسْرِ السَّيْنِ سَاكِنَةِ الْيَاءِ مِنْ غَيْرِ هَمْزٍ وَلَا وَاوٍ . وَمَعْنَى : « سَأَلُوا الْفَتَنَةَ » ، أَيِ : سَأَلُوا فَعْلَهَا ؛ [وَالْفَتْنَةُ : الشَّرِكُ ، ( لَأَتَوْهَا ) ] قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ ، وَنَافِعٌ ، وَابْنُ عَامِرٍ : « لَأَتَوْهَا » بِالْقَصْرِ ، أَيِ : لَقَصِدُوا ، وَلَفَعَلُوهَا . وَقَرَأَ عَاصِمٌ ، وَأَبُو مَرْوَةَ ، وَحَمْزَةُ ، وَالْكَسَايْنِيُّ : « لَأَتَوْهَا » بِالْمَدِّ ، أَيِ : لَأَعْطَوْهَا . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي مَعْنَى الْآيَةِ : لَوْ أَنَّ الْأَحْزَابَ دَخَلُوا الْمَدِينَةَ ثُمَّ أَمْرُوهُمُ بِالشَّرِكِ لَأَشْرَكُوا .

قوله تعالى : ( وَمَا تَلَبَّسُوا بِهَا إِلَّا بَسِيرًا ) فِيهِ قَوْلَانِ .

أَحَدُهَا : وَمَا احْتَبَسُوا عَنِ الْإِجَابَةِ إِلَى الْكُفْرِ إِلَّا قَلِيلًا ، قَالَ قَتَادَةُ .

والثاني : وما تلبثوا بالمدينة بعد الإجابة إلا يسيراً حتى يمدّبوها ، قاله السدي ، وحكى أبو سليمان الدمشقي في الآية قولاً عجيباً ، وهو أن الفتنة هاهنا : الحرب ، والمعنى : ولو دُخِلت المدينة على أهلها من أقطارها ، ثم سئل هؤلاء المنافقون الحرب لأنهم مبادرين ، وما تلبثوا - يعني الجيوش الداخلة عليهم بها - إلا قليلاً حتى يُخرجهم منها ؛ وإنما منهم من القتل ملك ما قد نداخلهم من الشك في دينك <sup>(١)</sup> ؛ قال : وهذا المعنى حفظته من كتاب الواقدي <sup>(٢)</sup> .

قوله تعالى : ( ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل ) في وقت معاهدتهم ثلاثة أقوال .

أحدها : أنهم ناس غابوا عن وقعة بدر ، فلما علموا ما أعطى الله أهل بدر من الكرامة قالوا : لئن شهدنا قتالاً لقانلن ، قاله قتادة .

(١) روى ابن جرير الطبري عن قتادة أن الفتنة : الشرك ، وروى ابن أبي حاتم عن مجاهد أن الفتنة : الشرك ، وكذلك قال البغوي والغازي ، وقال ابن كثير : الفتنة : هي الدخول في الكفر . وقال الشوكاني في دفتح القدير ، الفتنة هنا : إما القتال في العصبية كما قال الضحاک ، أو الشرك بالله والرجمة إلى الكفر الذي يبطنون به ويظهرون خلافه كما قاله الحسن . وقال الآلوسي في دروح المعاني : الفتنة : أي القتال كما قال الضحاک ، ثم قال : كأنه شبه الفتنة المطلوب اتباعهم فيها بأمر نفيس يطلب منهم بذله ، ونزل إطاعتهم واتباعهم بمنزلة بذل ماسئله وإعطائه ، ثم قال : والمراد : أنهم لو سألهم غيرك القتال وهم في أشد حال وأعظم بلبال ، لأسرعوا جداً ، فضلاً عن التل باختلال بيوتهم مع سلامتها كما فعلوا الآن ، قال : والحاصل أن طلبهم الاذن في الرجوع ، ليس لاختلال بيوتهم ، بل لتفاهم وكراهتهم نصرتك . اهـ .

(٢) الواقدي : هو محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي المدني أبو عبد الله الواقدي ، من أقدم المؤرخين في الإسلام ومن أشهرهم ، ومن حفاظ الحديث ، قال الحافظ ابن حجر عنه في التقریب : متروك مع سمة علمه . له تصانيف كثيرة ، منها تفسير القرآن .

والثاني : أنهم أهل العقبة ، وهم سبعون رجلاً بايعوا رسول الله ﷺ على طاعة الله ونصرة رسوله ، قاله مقاتل .

والثالث : أنه لما نزل بالمسلمين يوم أحد ما نزل ، عاهد الله معتب بن قشير وعتبة بن حاطب : لا نولي دبراً قط ، فلما كان يوم الأحزاب ناقضاً ، قاله الواقدي ، واختاره أبو سليمان الدمشقي ، وهو أليق مما قبله . وإذا كان الكلام في حق المنافقين ، فكيف يُطلق القول على أهل العقبة كلهم !

قوله تعالى : ( وكان عهد الله مسؤولاً ) أي : يُسألون عنه في الآخرة .

ثم أخبر أن الفرار لا يزيد في آجالهم ، فقال : ( قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون ) بعد الفرار في الدنيا ( إلا قليلاً ) وهو باقي آجالكم .

ثم أخبر أن ما قدره عليهم لا يُدفع ، بقوله : ( من ذا الذي ينجيكم من الله ) أي : يُجبركم وينصركم منه ( إن أراد بكم سوءاً ) وهو الإهلاك والهزيمة والبلاء ( أو أراد بكم رحمة ) وهي النصر والمافية والسلامة ( ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً ) أي : لا يجدون مؤالياً ولا ناصراً ينصرونهم من مُراد الله فيهم .

﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا . أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْنَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْتَمِي عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا . يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ

يُودُوا لَوْ أَنَّهُمْ يَدُورُونَ فِي الْأَغْرَابِ يَسْتَلُونُ عَنْ أَنْبَاءِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا . لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا . وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿١٩﴾

قوله تعالى : ( قد يعلم الله الموقنين منكم ) في سبب نزولها قولان . أحدهما : أن رجلاً انصرف من عند رسول الله ﷺ يوم الأحزاب ، فوجد أخاه لأُمته وأبيه وعنده شِواء ونبيذ ، فقال له : أنت هاهنا ورسول الله بين الرماح والسيوف ، فقال : هلم إلي ، لقد أحبط بك وبصاحبك ، والذي يُخَلِّفُ به لا يستقبلها محمدٌ أبداً ؛ فقال له : كذبت ، والذي يُخَلِّفُ به ، أما والله لا أخبرن رسول الله ﷺ بأمرك ، فذهب إلى رسول الله ﷺ لينخبره ، فوجده قد نزل جبريل بهذه الآية إلى قوله : ( يسيراً ) ، هذا قول ابن زيد (١) . والثاني : أن عبد الله بن أبيٍ ومُعْتَب بن قُشَيْر والمُنافقين الذين رجعوا من الخندق إلى المدينة ، كانوا إذا جاءهم منافق قالوا له : ويحك اجلس فلا تخرج ، ويكتبون بذلك إلى إخوانهم الذين في المعسكر أن اثبتوا بالمدينة فأننا ننتظرهم - يثبِطونهم عن القتال - وكانوا لا يأتون المعسكر إلا أن لا يجدوا بُدّاً ، فيأتون المعسكر ليرى الناس وجوههم ، فإذا غفل عنهم عادوا إلى المدينة ، فنزلت هذه الآية ، قاله ابن السائب (٢) .

والموق : المشيط ؛ تقول : عاقني فلان ، واعتاقني ، وعوقني : إذا

(١) ذكره الطبري : ١٣٩/٢٩ ، عن ابن زيد ، وأورده السيوطي في « الدر » : ١٨٨/٥ ، من رواية ابن أبي حاتم عن ابن زيد .

(٢) ذكره الأوكسي في « تفسيره » ، مختصراً عن ابن السائب بدون سند .



منعك عن الوجه الذي تريده . وكان المنافقون يموتون عن رسول الله ﷺ نصاره (١) .

قوله تعالى : ( والقائلين لإخوانهم هلمّ إلينا ) فيهم ثلاثة أقوال .  
أحدها : أنه المنافق الذي قال لأخيه ما ذكرناه في قول ابن زيد .  
والثاني : أنهم اليهود دعوا إخوانهم من المنافقين إلى ترك القتال ، قاله مقاتل .  
والثالث : أنهم المنافقون دعوا المسلمين إليهم عن رسول الله ﷺ ،  
حكاها الماوردي .

قوله تعالى : ( ولا يأتون البأس ) أي : لا يحضرون القتال في سبيل الله  
( إلا قليلاً ) للرياء والسُّمعة من غير احتساب ، ولو كان ذلك [ القليل ] لله  
لكان كثيراً .

قوله تعالى : ( أشحّة عليكم ) قال الزجاج : هو منصوب على الحال . المعنى :  
لا يأتون الحرب إلا تعذيراً (٢) ، بخلاء عليكم .  
والمفسرين فيما شحشوا به أربعة أقوال . أحدها : أشحّة بالخير ، قاله مجاهد .

(١) قال الثوكاني في د فح القدير ، : قال الواحدي : قال المفسرون : هؤلاء قوم  
من المنافقين كانوا يلبطون أنصار النبي ﷺ . اهـ . يقال : أنصار ، ونصار ، كما في « اللسان » .  
(٢) زيادة من تفسير البغوي .

(٣) قال في « اللسان » ، والتعذير في الأمر : التقصير فيه ، وأعذر : قصر ولم يبلغ  
وهو يُرَى أنه مبالغ . وعذر الرجل فهو معذر : إذا اعتذر ولم يأت بمذر . وقوله عز وجل :  
( وجاء المعذرون من الأعراب ) هم الذين لا عذر لهم ولكن يتكثفون عذراً ، قال : قال  
الأزهري : ويكون المعذرون بمعنى القصرين على مفعولين من التعذير وهو التقصير . اهـ .  
وقال ابن جرير الطبري : ( ولو كانوا فيكم ماقاتلوا إلا قليلاً ) ، قال : يقول تعالى ذكره  
للمؤمنين : ولو كانوا أيضاً فيكم ماضمومكم ، وما قاتلوا المشركين إلا قليلاً ، يقول : إلا تعذيراً ،  
لأنهم لا يقاتلون حسبة ولا رجاء ثواب . اهـ .

والثاني : بالنفقة في سبيل الله . والثالث : بالنعمة ، روي عن قتادة . وقال الزجاج : بالظفر والنعمة . والرابع : بالقتال معكم ، حكاه الماوردي <sup>(١)</sup> .  
ثم أخبر عن جبنهم فقال : ( فإذا جاء الخوف ) أي : إذا حضر القتال ( رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يُخشى عليه من الموت ) أي : كدوران عين الذي يُخشى عليه من الموت ، وهو الذي دنا موته وغشيت أسبابه ، فانه يخاف ويذهل عقله ويشخص بصره فلا يطرّف ، فكذلك هؤلاء ، لأنهم يخافون القتل .

( فإذا ذهب الخوف سلقوكم ) قال الفراء : آذوكم بالكلام في الأمن ( بالسنة حِداد ) سليطة ذرية <sup>(٢)</sup> ، والعرب تقول : سلقوكم ، بالصاد ، ولا يجوز في القراءة : وهذا قول الفراء . وقد قرأ بالصاد أبي بن كعب ، وأبو الجوزاء ، وأبو عمران الجوني ، وابن أبي عبيدة في آخرين . وقال الزجاج : معنى « سلقوكم » : خاطبوكم أشدّ مخاطبة وأبلغها في النعمة ، يقال : خطيب مسلاق : إذا كان بليفاً في خطبته ( أشحّة على الخير ) أي : خاطبوكم وهم أشحّة على المال والنعمة . قال قتادة : إذا كان وقت قسمة النعمة ، بسطوا ألسنتهم فيكم ، يقولون : أعطونا فلستم أحقّ بها منا ؛ فأما عند البأس ، فأجبن قوم وأخذله للحق ، وأما عند النعمة ، فأشحّ قوم .

وفي المراد بالخير هاهنا ثلاثة أقوال . أحدها : أنه النعمة . والثاني : على المال أن يُنفقوه في سبيل الله تعالى . والثالث : على رسول الله ﷺ بظفره .

- (١) قال ابن جرير الطبري : والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال : إن الله وصف هؤلاء المنافقين بالجبن والشح ، ولم يخص وصفهم من معاني الشح يعني دون معنى ، فهم كما وصفهم الله به أشحّة على المؤمنين بالنعمة ، والخير ، والنفقة في سبيل الله على أهل مسكنة المسلمين . اهـ .  
(٢) أي : فاحشة . وذرب اللسان : حديثه .

قوله تعالى : ( أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا ) أي : هُمُ . وإنَّ أظهرُوا الإيمانَ فليسوا بمؤمنين ، لنفاقهم ( فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ) قَالَ مقاتل : أَبْطَلَ جِهَادَهُمْ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي إِيْمَانٍ ( وَكَانَ ذَلِكَ ) الْإِحْبَاطُ ( عَلَى اللَّهِ بَسِيرًا ) .

ثم أخبر عنهم بما يدل على جُبْنِهِمْ ، فقال : ( يَخْشَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا ) أي : بِحَسَبِ الْمُنَافِقُونَ مِنْ شِدَّةِ خَوْفِهِمْ وَجُبْنِهِمْ أَنَّ الْأَحْزَابَ بَعْدَ انْهِزَامِهِمْ وَذَهَابِهِمْ لَمْ يَذْهَبُوا ، ( وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابَ ) [ أي ] : يَرْجِعُوا إِلَيْهِمْ كَرَّةً ثَانِيَةً لِلْقِتَالِ ( يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ ) أي : يَتَشَوُّوا لَوْ كَانُوا فِي بَادِيَةِ الْأَعْرَابِ مِنْ خَوْفِهِمْ ، ( يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ ) أي : وَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بِالْبُعْدِ مِنْكُمْ يَسْأَلُونَ عَنْ أَخْبَارِكُمْ ، فيقولون : مَا فَعَلَ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ ، لِمَ رَفُوا حَالَكُمْ بِالْمُسْتَخْبَارِ لَا بِالْمُشَاهِدَةِ ، فَرَقًا وَجُبْنًا ؛ وَقِيلَ : بَلْ يَسْأَلُونَ شِمَانَةً بِالْمُسْلِمِينَ وَفِرْحًا بِنُكْبَاتِهِمْ ( وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ ) أي : لَوْ كَانُوا يَشْهَدُونَ الْقِتَالَ مَعَكُمْ ( مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ) فِيهِ قَوْلَانِ .  
أحدهما : إِلَّا رَميًا بِالْحِجَارَةِ ، قَالَ ابْنُ السَّائِبِ .

والثاني : إِلَّا رِيَاءً مِنْ غَيْرِ احْتِسَابٍ ، قَالَ مقاتل .  
ثم عَابَ مَنْ تَخَلَّفَ بِالْمَدِينَةِ بِقَوْلِهِ : ( لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسُوةٌ حَسَنَةٌ ) أي : قُدْوَةٌ صَالِحَةٌ . وَالْمَعْنَى : لَقَدْ كَانَ لَكُمْ بِهِ اقْتِدَاءٌ لَوْ اقْتَدَيْتُمْ بِهِ فِي الصَّبْرِ [ مَعَهُ ] كَمَا صَبَرَ يَوْمَ أُحُدٍ حَتَّى كُسِرَتْ رِبَاعِيَّتُهُ وَشُجَّ جِوْنُهُ وَقُتِلَ مَعَهُ ، وَأَسَاكُمْ مَعَ ذَلِكَ بِنَفْسِهِ .

وَقَرَأَ عَاصِمٌ : « أُسُوةٌ » بِضَمِّ الْأَلْفِ ؛ وَالْبَاقُونَ بِكسْرِ الْأَلْفِ ؛ وَهِيَ لِقَتَانٍ . قَالَ الْفَرَّاءُ : أَهْلُ الْحِجَازِ وَأَسَدٌ يَقُولُونَ : « إِسُوةٌ » بِالْكَسْرِ ، وَتَعْنِي وَبَعْضُ قَيْسٍ يَقُولُونَ : « أُسُوةٌ » بِالضَّمِّ . وَخَصَّ اللَّهُ تَعَالَى بِهَذِهِ الْأُسُوةِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ : ( لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ) وَالْمَعْنَى أَنَّ الْأُسُوةَ بِرَسُولِ اللَّهِ إِنَّمَا كَانَتْ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ [ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ] ؛ وَفِيهِ قَوْلَانِ .

أحدهما : يرجو ما عنده من الثواب والنعيم ، قاله ابن عباس . والثاني : يخشى الله ويخشى البعث ، قاله مقاتل .

قوله تعالى : ( وَذَكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا ) أي : ذكراً كثيراً ، لأن ذكر الله متبوع لأوامره ، بخلاف التأمل عنه <sup>(١)</sup> .

ثم وصف حال المؤمنين عند لقاء الأحزاب ، فقال : ( وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ ) وفي ذلك الوعد قولان .

أحدهما : أنه قوله : ( أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ ... ) الآية : [البقرة : ٢١٤] فلما عاينوا البلاء يومئذ قالوا : هذا ما وعدنا الله ورسوله ، قاله ابن عباس ، وقادة في آخرين .

والثاني : أن رسول الله ﷺ وعدم النصر والظهور على مدائن كسرى وتصور الحيرة ، ذكره الماوردي وغيره .

قوله تعالى : ( وَمَا زَادُمْ ) يعني ما رأوه ( إِلَّا إِيَّانَا ) بوعد الله ( وتسليماً ) لأمره . ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا . لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝١٠٠﴾

(١) قال ابن كثير : هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله ، ولهذا أمر الله تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظار الفرج من ربه عز وجل ، صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين ، قال : ولهذا قال تعالى للذين تقلعوا وتضجرؤا وزلزلوا واضطربوا في أرمم يوم الأحزاب : ( لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ) ، أي : هلا اقتديتم به وتأسيتم بشأته ﷺ ؟ ولهذا قال تعالى : ( لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ) . اهـ .

إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا . وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا . وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوا مِنْهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَنَأْسٍ شَرًّا . وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٤﴾

قوله تعالى : ( مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رَجَالٌ صَدَقُوا مَا مَاهَدُوا اللَّهُ عَلَيْهِ ) اختلفوا فيمن

نزلت على قولين .

أحدهما : أنها نزلت في أنس بن النضر ، قاله أنس بن مالك . وقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك قال : غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر ، فلما قدم قال : غيبتُ عن أول قتال قاتله رسول الله ﷺ المشركين ، لئن أشهدني الله عز وجل قتالاً ليرين الله ما صنع <sup>(١)</sup> ، فلما كان يوم أحد انكشف الناس <sup>(٢)</sup> ، فقال : اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ، يعني المشركين ، واعتذر إليك مما صنع هؤلاء ، يعني المسلمين <sup>(٣)</sup> ؛ ثم

(١) قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » ٢٧٤/٧ : ومراده أن يبالغ في القتال ولو زهقت روحه ، قال : وقال أنس في رواية ثابت : وخشي أن يقول غيرها ، أي غير هذه الكلمة ، وذلك على سبيل الأدب منه ، والخوف ، لئلا يمرض له طارئ فلا يفي بما يقول ، فيصير كمن وعد فأخلف . اهـ . ولفظ مسلم « ليراني الله ما صنع » ، قال الامام النووي في « شرح مسلم » ويكون « ما صنع » بدلاً من الضمير في « يراني » أي : ليرى الله ما صنع .

(٢) في البخاري : ١٦/٦ ، « وانكشف المسلمون » وفيه ٢٧٤/٧ « فهزم الناس » .

(٣) قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » ١٨/٦ : قال الزين بن المنير : من أبلغ الكلام وأفصحه قول أنس بن النضر في حق المسلمين : اعتذر إليك ، وفي حق المشركين : أبرأ إليك ، فأشار إلى أنه لم يرض الأمرين جميعاً مع تناوبهما في المعنى .

مشى بسيفه ، فلقبه سعد بن معاذ ، فقال : أي سعد ، والذي نفسي بيده إني لأجد ربح الجنة دون أحد ، واهاً لربح الجنة <sup>(١)</sup> . قال سعد : فما استطعت يا رسول الله ما صنع ؟ قال أنس : فوجدناه بين القتلى به بضغ وثمانون جراحة ، من ضربة بسيف ، وطعنة برمح ، ورمية بسهم ، قد مثلوا به ؛ قال : فما عرفناه حتى عرفته أخته يدانه ؛ <sup>(٢)</sup> قال أنس : فكنا نقول : أنزلت هذه الآية « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » فيه وفي أصحابه <sup>(٣)</sup> .

والثاني : أنها نزلت في طلحة بن عبيد الله . روى الزّال بن سبيرة عن عليّ عليه السلام أنهم قالوا له : حدثنا عن طلحة ، قال : ذاك امرؤ نزلت فيه آية من كتاب الله تعالى : « فمنهم من قضى نحبه » لأحساب عليه فيما يستقبل <sup>(٤)</sup> .

(١) واهاً لربح الجنة ، قال الامام النووي : « واهاً ، كلمة تحسن وتلطف . اهـ .

(٢) قال الحافظ ابن حجر : في رواية ثابت ، فقالت عتي الريم بنت النضر أخته : فما عرفت أخي إلا بينانه ، قال : زاد النسائي من هذا الوجه : وكان حسن البنان ، قال : والبنان : الأصبع ، وقيل : طرف الأصبع . اهـ .

(٣) البخاري : ١٦/٦ ، ومسلم : ١٥١٢/٣ ، ورواه البخاري في « المغازي » : ٢٧٤/٧ ، ولم يذكر سبب النزول ، ورواه أيضاً في « التفسير » : ٣٩٨/٨ مقنعراً على سبب النزول ، ورواه الترمذي : ١٥١/٢ ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ، وابن جرير في « التفسير » : ١٤٧/٢١ ، وذكره السيوطي في « الدرر » : ١٩٠/٥ ، وزاد نسبه لابن سعد ، والنسائي ، والبيهقي في « معجمه » ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، وأبي نعيم في « الحلية » ، والبيهقي في « الدلائل » .

قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » : ١٧/٦ ، وفي قصة أنس بن النضر من الفوائد : جواز بذل النفس في الجهاد ، وفضل الوفاء بالمهد ولو شق على النفس حتى يصل إلى إهلاكها ، وأن طلب الشهادة في الجهاد لا يتناوله النهي عن الالتقاء إلى التهلكة ، قال : وفيه فضيلة ظاهرة لأنس بن النضر ، وما كان عليه من صحة الإيمان وكثرة التوقي والتورع وقوة اليقين . اهـ .

(٤) أورده السيوطي في « الدرر » : ١٩١/٥ من رواية أبي الشيخ ، وابن عساكر عن —

وقد جمل بعض المفسرين هذا القدر من الآية في طلحة ، وأولها في أنس .  
قال ابن جرير : ومعنى الآية : وَفَوًّا اللَّهُ بِمَا عَاهَدُوهُ عَلَيْهِ . وفي ذلك أربعة أقوال .  
أحدها : أنهم عاهدوا ليلة العقبة على الإسلام والنصرة .  
والثاني : أنهم قوم لم يشهدوا بدرأ ، فعاهدوا الله أن لا يتأخروا بمدها .  
والثالث : أنهم عاهدوا أن لا يفرّثوا إذا لاقوا ، فصَدَقُوا .  
والرابع : أنهم عاهدوا على البأساء والضراء وحين البأس .  
قوله تعالى : ( فَنَهِمُ مِنْ قَضَى كَحُبِّهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ ) فيه ثلاثة أقوال .  
أحدها : فَنَهِمُ مَنْ مَاتَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ الْمَوْتَ ، قاله ابن عباس .  
والثاني : فَنَهِمُ مَنْ قَضَى عَهْدَهُ قَتْلَ أَوْعَاشٍ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ أَنْ يَقْضِيَهُ  
بِقِتَالِ أَوْصَدَقَ لِقَائِهِ ، قاله مجاهد .

والثالث : فَنَهِمُ مَنْ قَضَى نَذْرَهُ الَّذِي كَانَ نَذْرًا ، قاله أبو عبيدة . فيكون  
النَّحْبُ عَلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ : الْأَجَلُ ؛ وَعَلَى الثَّانِي : الْعَهْدُ ؛ وَعَلَى الثَّلَاثِ : النَّذْرُ .  
وقال ابن تينة : « قَضَى نَحْبُهُ » أَي : قُتِلَ ، وَأَصْلُ النَّحْبِ : النَّذْرُ ، كَانَ  
قَوْمًا نَذَرُوا <sup>(١)</sup> أَنَّهُمْ إِنْ لَقُوا الْمَدُوَّ قَاتَلُوا حَتَّى يُقْتَلُوا أَوْ يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ،  
فَقُتِلُوا ، فَقِيلَ : فَلَانِ قَضَى نَحْبُهُ ، أَي : قُتِلَ ، فَاسْتَعْمِرَ النَّحْبُ مَكَانَ  
الْأَجَلِ ، لِأَنَّ الْأَجَلَ وَقَعَ بِالنَّحْبِ ، وَكَانَ النَّحْبُ سَبَبًا لَهُ ، وَمِنْهُ قِيلَ :  
لِلْمَطِيَّةِ : « مَنْ » ، لِأَنَّ مَنْ أُعْطِيَ فَقَدْ مَنْ . قال ابن عباس : مِمَّنْ قَضَى

---

— علي رضي الله عنه ، والله أعلم . قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » ٣٩٧/٨١ : ثبت عن عائشة رضي الله عنها أن طلحة دخل على النبي ﷺ فقال : « أنت ياطلحة بمن قضى نحبه » ، وقال : أخرجه ابن ماجه ، والحاكم ، اهـ . ورواه الطبري بنحوه : ١٤٧/٢١ .  
(١) الذي في « غريب القرآن » : وكان قوم نذروا .

نَحْبُهُ : حمزة بن عبد المطلب ، وأنس بن النضر وأصحابه . وقال ابن إسحاق : « فَنَهَمَ مِنْ قَضَى نَحْبِهِ » من استشهد يوم بدر وأُحْدٍ ، « وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ » ما وعد الله من نصره ، أو الشهادة على ما مضى عليه أصحابه ( وما يدُلُّوا ) أي : ما غيَّروا العهد الذي عاهدوا ربَّهم عليه كما غيَّر المنافقون .

قوله تعالى : ( لِيَجْزِيََ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ) وهم المؤمنون الذين صدَّقوا فيما عاهدوا [ الله ] عليه ( وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ ) بنقض العهد ( إِنْ شَاءَ ) وهو أَنْ يُعَيِّتَهُمْ عَلَى نِفَائِهِمْ ( أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ) في الدنيا ، فيخرجهم من النفاق إلى الإيمان ، فينقِرَ لهم .

( وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ) يعني الأحزاب ، صدَّهم ومنهم عن الظَّفَرِ بالمسلمين ( بِغَيْظِهِمْ ) أي : لم يَشْفِ صدورهم بِذِيْلٍ ما أرادوا ( لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ) أي : لم يظفروا بالمسلمين ، وكان ذلك عندهم خيراً ، فخوَّطبوا على استعماهم ( وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ) بالريح والملائكة <sup>(١)</sup> ، ( وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ )

(١) قال ابن كثير : وقوله تبارك وتعالى : ( وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ) ، أي : لم يحتاجوا إلى منازلهم ومبارزتهم حتى يحلوم عن بلادهم ، بل كفى الله وحده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، قال : ولهذا كان رسول الله ﷺ يقول : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ ، صَدَقَ وَعْدُهُ ، وَنَصَرَ عَبْدُهُ ، وَأَعَزَّ جُنْدُهُ ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ ، فَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ » أخرجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : وفي « الصحيحين » عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال : دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال : « اللَّهُمَّ مَزِلْ الْكِتَابَ ، سَرِيعَ الْحِسَابِ ، اهْزِمِ الْأَحْزَابَ ، اللَّهُمَّ اهْزِمِهِمْ وَزَلِّلِهِمْ » . قال ابن كثير : وفي قوله عز وجل : ( وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ) : إشارة إلى وضع الحرب بينهم وبين قريش ، وهكذا وقع بعدها ، لم يغزِهم المشركون ، بل غزاهم المسلمون في بلادهم ، قال ابن كثير في تمة الآية : قوله تعالى : ( وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ) أي : بحوله وقوته ردَّهم خائبين لم ينالوا خيراً ، وأعز الله الإسلام وأهله ، وصدق وعده ، ونصر رسوله وعبده ، فله الحمد والمنة . اهـ .



أي : عاونوا الأحزاب ، وهم بنو قريظة ، وذلك أنهم تقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد ، وصاروا مع المشركين يداً واحدة .

### وهذه الإشارة إلى قصتهم

ذكر أهل العلم بالسيرة أن رسول الله ﷺ لما انصرف من الخندق وضع عنه اللاتمة واغتسل ، فبدئ له جبريل ، فقال : ألا أراك وضعت اللاتمة ، وما وضعت الملائكة سلاحها منذ أربعين ليلة ؛ إن الله يأمرك أن تسير إلى بني قريظة فاتي عامد إليهم فزلزل بهم حصونهم <sup>(١)</sup> ؛ فدعا علياً فدفع لواءه إليه ، وبعت بلاً فنادى في الناس : إن رسول الله ﷺ يأمركم أن لا تصلوا المعصر إلا ببني قريظة <sup>(٢)</sup> ، ثم سار إليهم فحاصرهم خمسة عشر يوماً أشد الحصار ، وقيل : عشرين ليلة <sup>(٣)</sup> ، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ : أرسل إلينا أبا ثبابة بن عبد المنذر ، فأرسله إليهم ، فشاؤروه في أمرهم ، فأشار إليهم يده : إنه الله نبح ، ثم ندم فقال : خنتُ الله ورسوله ، فانصرف فارتبط في المسجد حتى أنزل الله

(١) ذكره بنحوه ابن هشام في «السيرة» : ٢/٢٣٣ ، وذكره ابن كثير في «البداءة والنهاية» بنحوه : ٤/١١٦ من رواية محمد بن إسحاق . وأمر جبريل لثني ﷺ بالمسير ثابت في «صحيح البخاري» : ٧/٣١٣ من حديث عائشة رضي الله عنها . ورواه أحمد في «المستد» : (٥٦/٦ ، ١٣١ ، ١٤١ ، ٢٨٠) من حديث عائشة أيضاً .

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» : ٧/٣١٣ ، ومسلم : ٣/١٣٩١ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنها ، ولفظ مسلم : نادى فبينما رسول الله ﷺ يوم انصرف الأحزاب « أن لا يصلين أحد الظهر إلا في بني قريظة . . . » الحديث .

(٣) الذي في «مسند أحمد» ، و«الطبري» ، و«سيرة ابن هشام» أن رسول الله ﷺ حاصرهم خمسا وعشرين ليلة .

قوته <sup>(١)</sup> ، ثم نزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، فأمر بهم رسول الله محمد ابن مسلمة ، وكثفوا ، ونحوا ناحية ، وجعل النساء والذرية ناحية . وكلمت الأوس رسول الله ﷺ أن يهتبه لهم ، وكانوا حلفاءهم ، فجعل رسول الله ﷺ الحكم فيهم إلى سعد بن معاذ ؛ هكذا ذكر محمد بن سعد <sup>(٢)</sup> . وحكى غيره : أنهم نزلوا أولاً على حكم سعد بن معاذ ، وكان بينهم وبين قومه حلف ، فخرجوا أن تأخذه فيهم هواة ، فحكم فيهم أن يقتل كل من جرت عليه الموامي <sup>(٣)</sup> ، ونسب النساء والذراري ، وتقسم الأموال . فقال رسول الله ﷺ : « لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقمة » <sup>(٤)</sup> ؛ وانصرف رسول الله ﷺ ، وأمر بهم فأدخلوا المدينة ، وحفر لهم أخدود في السوق ، وجلس رسول الله ﷺ ومعه أصحابه ، وأخرجوا إليه فضربت أعناقهم ، وكانوا ما بين السبعمائة إلى السبعائة .

قوله تعالى : ( من صياصيم ) قال ابن عباس وقتادة : من حصونهم ؛ قال ابن قتيبة : وأصل الصياصي : ثرون البقر ، لأنها تمتنع بها ، وتدفع عن أنفسها ؛

(١) ذكر هذا الخبر نحوه الطبري في « التفسير » ، وابن هشام في « السيرة » : ٢٣٦/٢ ، ٢٣٧ ، وابن كثير في « التفسير » : ٣٠٠/٢ من رواية الزهري مرسلاً ، وانظر « البداية والنهاية » لابن كثير : ١٢٠/٤ .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهري ، صاحب طبقات الصحابة المشهورة بـ « طبقات ابن سعد » مؤرخ ثقة ، صدوق فاضل ، من حفاظ الحديث ، ( ١٦٨ - ٢٣٠ هـ ) . (٣) قال في « اللسان » مادة « موس » : من جرت عليه الموامي ، أي : من نبت عاقته ، لأن الموامي إما تجري على من أثبت ، أراد : من بلغ الحلم من الكفار .

(٤) أخرجه ابن إسحاق ، وعنه ابن هشام : ٢٤٠/٢ عن علقمة بن وقاص الليثي مرسلاً ، لكن أخرجه الشيخان في « صحيحهما » عن أبي سعيد الخدري دون قوله : « من فوق سبعة أرقمة » والأرقمة : السموات ، الواحدة : رقيق ، فجاء به على لفظ التذكير ، كأنه ذهب به إلى السقف .

فَقِيلَ لِلْحَصُونِ : الصِّيَاصِي ، لِأَنَّهَا تَمْنَعُ ، وَقَالَ الزَّجَاجُ : كُلُّ قَرْنٍ صَيَّصِيَّةٌ ، وَصَيَّصِيَّةُ الدِّيَكِ : شَوْكَةٌ يَتَحَصَّنُ بِهَا .

قوله تعالى : ( وَنَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ) أَيُ : أَلْقَى فِيهَا الْخَوْفَ ( فَرِيقًا تَقْتُلُونَ ) وَهُمْ الْمُقَاتِلَةُ ( وَتَأْسِرُونَ ) وَقَرَأَ ابْنُ بَعْرٍ ، وَابْنُ أَبِي عُبَلَةَ : « وَتَأْسِرُونَ » بَرَفِ السَّيْنِ ( فَرِيقًا ) وَهُمْ النِّسَاءُ وَالذَّرَارِيُّ ، ( وَأُورَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ ) يَعْنِي عَقَارَهُمْ وَنَجِيلَهُمْ وَمَنَازِلَهُمْ ( وَأَمْوَالَهُمْ ) مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْحُلِيِّ وَالْعَبِيدِ وَالْإِمَاءِ ( وَأَرْضًا لَمْ تَطُورُوهَا ) أَيُ : لَمْ تَطُورُوهَا بِأَقْدَامِكُمْ بَعْدُ ، وَهِيَ مِمَّا سَنَفْتَحُهَا عَلَيْكُمْ ؛ وَفِيهَا أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ .

أَحَدُهَا : أَنَّهَا فَارَسُ وَالرُّومُ ، قَالَهُ الْحَسَنُ . وَالثَّانِي : مَا ظَهَرَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، قَالَهُ عِكْرَمَةُ . وَالثَّلَاثُ : مَكَّةُ ، قَالَهُ قَتَادَةُ . وَالرَّابِعُ : خَيْبَرُ ، قَالَهُ ابْنُ زَيْدٍ ، وَابْنُ السَّائِبِ ، وَابْنُ إِسْحَاقَ ، وَمُقَاتِلُ <sup>(١)</sup> .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُحِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنْتَهَا فَمَتَّعَيْنَ أَمْ تَحْكُمْنَ وَأَسَرَّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا . وَإِن كُنْتُنَّ تُحِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا . يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا . وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَمْلَأْ صَالِحًا نُورًا نَّهَا أَجْرَهَا

(١) قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ : وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنَّ بَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ أَخْبَرَ أَنَّهُ أَوْثَرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَرْضَ بَنِي قُرَيْظَةَ ، وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ، وَأَرْضًا لَمْ يَطُورُوهَا يَوْمَئِذٍ ، وَلَمْ تَكُنْ مَكَّةُ وَلَا خَيْبَرُ وَلَا أَرْضُ فَارَسَ وَالرُّومَ وَلَا الْيَمَنَ مِمَّا كَانَ يَطُورُوهُ يَوْمَئِذٍ وَلَمْ يَطُورُوا ذَلِكَ بَعْدُ وَأُورَثَهُمُوهُ اللَّهُ ، وَذَلِكَ كُلُّهُ دَاخِلٌ فِي قَوْلِهِ : ( وَأَرْضًا لَمْ تَطُورُوهَا ) لِأَنَّهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ لَمْ يَخْصُصْ مِنْ ذَلِكَ بَعْضًا دُونَ بَعْضٍ . اهـ .

مَرَاتِنَ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا . يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ  
مِنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ  
مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا . وَقرْنِ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ  
تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ  
وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ  
وَيُطَهِّرَ كُمْ تَطْهِيرًا . وَإِذْ كُنَّ مَائِتِلًا فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ  
وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿

قوله تعالى : ( يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ ... ) الآية ، ذكر أهل التفسير  
أن أزواج النبي ﷺ سألته شيئاً من عرض الدنيا ، وطلبن منه زيادة النفقة ، وأذيته  
بغيره بمضهن على بعض ، فألَى رسول الله ﷺ مِنْهُنَّ شهراً <sup>(١)</sup> ، وصعد  
إلى غرفة له فكثت فيها ، فنزلت هذه الآية ، وكُنَّ أزواجه يومئذ تسماً : عائشة ،  
وحفصة ، وأم حبيبة ، وسودة ، وأم سلمة ، وصفية الخبيرية ، وميمونة الهلالية ،  
وزينب بنت جحش ، وجويرية بنت الحارث ، فنزل رسول الله ﷺ فعرض  
الآية عليهم ، فبدأ بعائشة ، فاخترت الله ورسوله ، ثم قالت : يا رسول الله  
لا تُخبر أزواجك أنني اخترتك ؛ فقال : « إن الله بعثني مُبَلِّغًا ولم يعثني متعنتاً » .  
وقد ذكرت حديث التخيير في كتاب « الهدائق » وفي « المغني » بطوله <sup>(٢)</sup> .

(١) قال في اللسان « ألا » : آلى من نسائه شهراً ، أي : حلف لا يدخل عليهن ،  
وإنما عتده به « من » حملاً على المعنى ، وهو الامتناع من الدخول ، وهو يمدى به « من » .

(٢) روى مسلم في « صحيحه » : ١١٠٤/٢ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال :  
دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ ، فوجد الناس جلوساً يبابه لم يؤذن لأحد منهم ،  
قال : فأذن لأبي بكر فدخل ، ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له ، فوجد النبي ﷺ جالساً ،  
حواله نسائه ، واجماً ، ساكناً ، قال : فقال : لأقولن شيئاً أضحك النبي ﷺ ، فقال : —

وفي ما خيّرهنّ فيه قولان .

أحدهما : أنه خيّرهن بين الطلاق والمقام معه ، هذا قول عائشة عليها السلام .

والثاني : أنه خيّرهنّ بين اختيار الدنيا فيفارقهنّ ، أو اختيار الآخرة

فيمسكنهنّ ، ولم يخيّرهنّ في الطلاق ، قاله الحسن ، وقتادة .

وفي سبب تخييره إياهنّ ثلاثة أقوال .

أحدها : أنهنّ سألنّه زيادة النفقة .

والثاني : أنهنّ آذبنّه بالخيّرة . والقولان مشهوران في التفسير .

والثالث : أنه لما خيّر بين ملك الدنيا ونعيم الآخرة فاختار الآخرة ، أمر

بتخيير نسائه ليكنّ على مثل حاله ، حكاه أبو القاسم الصيمري .

والمراد بقوله : ( اُمْتَعِسْكُنَّ ) : مُتْعَةُ الطلاق . والمراد بالسّراح : الطلاق ،

— يارسول الله لو رأيت بنت خارجة ( يريد زوجته ) سألتني النفقة ، فقلت إليها فوجأت عنقها

( طمنت عنقها ) فضحك رسول الله ﷺ وقال : « من حولي كما ترى يسألني النفقة » فقام

أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها ، فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها ، كلاهما يقول : تسألني

رسول الله ﷺ ما ليس عنده ، فقلن : والله لانسأل رسول الله ﷺ شيئاً أبداً ليس عنده ،

ثم اعتزلن شهرًا ، أو تسماً وعشرين ، ثم نزلت عليه هذه الآية : ( يا أيها النبي قل لأزواجك )

حتى بلغ ( للحسنات منكن أجراً عظيماً ) قال : فبدأ بمائشة فقال : « يا عائشة إني أريد أن

أعرض عليك أمراً أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيرني أبوك » قالت : وما هو يارسول الله ،

فتلا عليها الآية ، قالت : أفيك يارسول الله أستشير أبوي ؟ ! بل أختار الله ورسوله

والدار الآخرة ، وأسألك أن لا تخبر امرأة من نساءك بالذي قلت ، قال : « لا تسألني امرأة

منهن إلا أخبرتها ، إن الله لم يعطني مُعْتِناً ولا مُعْتِناً ( أي : لم يعطني مشدداً على الناس ولا طالباً زلتهم )

ولكن بشي معطماً مبسراً . . . ولقد أورد هذا الحديث السيوطي في « الدرر » : ١٩٤/٥ ، وزاد

نسبته لأحمد ، والنسائي ، وابن مردويه عن جابر رضي الله عنه . وانظر « صحيح مسلم »

باب الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن ١١٠٥/٢ - ١١١٣ .

وقد ذكرنا ذلك في (البقرة : ٢٣١) . والمراد بالدار الآخرة . الجنة . والمُحْسِنَات :  
المُسَوِّمَات لِلآخِرَةِ .

قال المفسرون : فلما اختَرَنَّهُ أَنَاهُنَّ اللهُ عز وجل ثلاثة أشياء . أحدها :  
التفضيل على سائر النساء بقوله : ( لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ ) ، والثاني : أَن  
جَعَلَهُنَّ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ ، والثالث : أَن حُظِرَ عَلَيْهِ طَلَاقُهُنَّ وَالِاسْتِبْدَالُ بِهِنَّ  
بقوله : ( لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ ) [الأحزاب : ٥٢] . وهل أٌبِيحَ لَهُ بَعْدَ  
ذَلِكَ التَّزْوِيجُ عَلَيْهِنَّ ؟ فِيهِ قَوْلَانِ سَيَأْتِي ذِكْرُهُمَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

قوله تعالى : ( مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ ) أَي : بِمَعْصِيَةٍ ظَاهِرَةٍ .  
قال ابن عباس : يعني النشوز وسوء الخلق ( يُضَاعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ )  
أَي : يُجْعَلُ عَذَابُ جُرْمِهَا فِي الْآخِرَةِ كَعَذَابِ جُرْمَيْنِ ، كَمَا أَنَّهَا تُؤْتَى أَجْرَهَا عَلَى  
الطَّاعَةِ مَرَّتَيْنِ . وَإِنَّمَا ضَوْعُفُ عِقَابُهُنَّ ، لِأَنَّهُنَّ يَشَاهِدْنَ مِنَ الزَّوْجِ الرَّادِعَةَ  
مَا لَا يُشَاهِدُ غَيْرُهُنَّ ، فَإِذَا لَمْ يَتَمَتَّعْنَ اسْتَحَقَّقْنَ تَضْعِيفَ الْعَذَابِ ، وَلِأَنَّ فِي مَعْصِيَتِهِنَّ  
أَذَى لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؛ وَجُرْمٌ مِنْ أَذَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَكْبَرُ مِنْ جُرْمٍ غَيْرِهِ .  
قوله تعالى : ( وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ) أَي : وَكَانَ عَذَابُهَا عَلَى اللَّهِ هَيْئًا .  
( وَمَنْ يَقْنُتْ ) أَي : مُطِيعٌ ، وَ ( أَعْتَدْنَا ) قَدْ سَبَقَ بَيَانُهُ [النساء : ٣٧] ،

وَالرِّزْقُ الْكَرِيمُ : الْحَسَنُ ، وَهُوَ الْجَنَّةُ .

ثُمَّ أَظْهَرَ فَضِيلَتَهُنَّ عَلَى النِّسَاءِ بِقَوْلِهِ : ( لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ )  
قال الزجاج : لَمْ يَقُلْ : كَوَاحِدَةٍ مِنَ النِّسَاءِ ، لِأَنَّ « أَحَدًا » فِي عَامٍّ لِلْمَذْكَرِ  
وَالْمُؤَنَّثِ وَالوَاحِدِ وَالْجَمَاعَةِ . قال ابن عباس : يريد : لَيْسَ قَدْرُكُنَّ عِنْدِي مِثْلَ  
قَدْرِ غَيْرِكُنَّ مِنَ النِّسَاءِ الصَّالِحَاتِ ، أَثْنُتُ أَكْرَمُ عَلَيَّ ، وَتَوَابُكُنَّ أَعْظَمُ  
( إِنْ أَنْتَقِيْتُنَّ ) ، فَشَرَطَ عَلَيْهِنَ التَّقْوَى بَيَانًا أَنَّ فَضِيلَتَهُنَّ إِنَّمَا تَكُونُ بِالتَّقْوَى ،  
لَا بِنَفْسِ أَنْصَالِهِنَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

قوله تعالى : ( فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ ) أي : لا تلين بالكلام ( فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ) أي : مُفْجور ؛ والمعنى : لا تنقلن قولاً يجد به منافق أو فاجر سبيلاً إلى موافقتكن له ؛ والمرأة مندوبة إذا خاطبت الأجانب إلى الغلظة في المقالة ، لأن ذلك أبعد من الطمع في الرية .

( وَكُنْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ) أي : صحيحاً عفيفاً لا يُطْمَع فاجراً <sup>(١)</sup> .  
( وَكُرِّنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ) قرأ نافع ، وعاصم إلا أبان ، وهيرة ، والوليد بن مسلم عن ابن حاصر : « وَكُرِّنَ » بفتح القاف ؛ وقرأ الباقر بكسرهما . قال الفراء : من قرأ بالفتح ، فهو من كُرِّنَ في المكان ، فخَفِّفَتْ ، كما قال : ( ظَلَمْتُ عَلَيْهِ مَا كَفَا ) [ طه : ٩٧ ] ، ومن قرأ بالكسر ، فن الوَقَار ، يقال : كَرِرَ في منزلك . وقال ابن قتيبة : من قرأ بالكسر ، فهو من الوقار ، يقال : وَكَّرَ في منزله يَقَرُّ وَوَقُوراً . ومن قرأ بنصب القاف جعله من القرار . وقرأ أبي بن كعب ، وأبو المتوكل : « وَاتَّكِرَنَّ » باسكان القاف وبرأين الأولى مفتوحة والثانية ساكنة . وقرأ ابن مسعود ، وابن أبي عملة / مثله ، إلا أنها كسرا الراء الأولى . قال المفسرون : ومعنى الآية : الأمر لمن بالتوقر والسكون في بيوتهن وأن لا يخرجن <sup>(٢)</sup> .

قوله تعالى : ( وَلَا تَبَرَّجْنَ ) قال أبو عبيدة : التبرج : أن يُبرزَن

(١) قال ابن كثير : ومعنى هذا أنها تخاطب الأجانب بكلام ليس فيه ترخيم ، أي : لا تخاطب المرأة الأجانب كما تخاطب زوجها . اهـ .

(٢) قال ابن كثير : وقوله تعالى : ( وَكُرِّنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ) أي : التزمن بيوتكن فلا تخرجن لغير حاجة ، قال : ومن الحوائج الشرعية الصلاة في المسجد بشرطه كما قال رسول الله ﷺ : « لَا تَخْرُجْنَ إِذَا كَانَ مَسَاجِدُ اللَّهِ ، وَلِيَخْرُجْنَ تَفْلِلَات » ( تاركات للطيب والأدهان ) وفي رواية : « وَبِئْسَ خَيْرٌ لهنَّ » . اهـ . ومن الحوائج الشرعية : الخروج للحج والعمرة ، وزيارة الوالدين ، وعبادة المرضى ، وغير ذلك .

عاسنهن . وقال الزجاج : التبرج : إظهار الزينة وما يُستدعى به شهوة الرجل .  
وفي ( الجاهلية الأولى ) أربعة أقوال .

أحدها : أنها كانت بين إدريس ونوح ، وكانت ألف سنة ، رواه عكرمة عن ابن عباس (١) .

والثاني : أنها كانت على عهد إبراهيم عليه السلام ، وهو قول عائشة رضي الله عنها .

والثالث : بين نوح وآدم ، قاله الحكم .

والرابع : ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام ، قاله الشعبي (٢) . قال الزجاج :

ولما قيل : « الأولى » ، لأن كل متقدم أوّل ، وكل متقدمة أولى ، فتأويله :  
أنهم تقدموا أمة محمد ﷺ .

وفي صفة تبرج الجاهلية الأولى ستة أقوال .

أحدها : أن المرأة كانت تخرج فتمشي بين الرجال ، فهو التبرج ، قاله مجاهد .

والثاني : أنها مشية فيها تكسر وتفضج ، قاله قتادة . والثالث : أنه التبخر ، قاله

ابن أبي نجيح . والرابع : أن المرأة منهن كانت تتخذ الدرع من اللؤلؤ فتلبسه ثم تمشي وسط الطريق ليس عليها غيره ، وذلك في زمن إبراهيم عليه السلام ،

(١) رواه الطبري : ٤/٢٢ عن عكرمة عن ابن عباس ، وذكره الحافظ ابن حجر في

« الفتح » : ٣٩٩/٨ من رواية ابن أبي حاتم وقال : إسناده قوي . وأورده السيوطي في

« الدرر » : ١٩٧/٥ وزاد لسته لابن المنذر ، والحاكم ، وابن مردويه ، والبيهقي في « شعب الإيمان » .

(٢) قال ابن جرير الطبري : وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال : إن

الله تعالى ذكره نهي نساء النبي أن يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى ، وجائز أن يكون ذلك

ما بين آدم وعيسى ، فيكون معنى ذلك : ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى التي قبل الإسلام .

فإن قال قائل : أوفي الإسلام جاهلية حتى يقال : عفى بقوله ( الجاهلية الأولى ) التي قبل

الإسلام ؟ قيل : فيه أخلاق من أخلاق الجاهلية ، ثم قال : وجائز أن يكون ذلك ما بين

آدم ونوح ، وجائز أن يكون ما بين إدريس ونوح ، فتكون الجاهلية الآخرة ما بين عيسى ومحمد ،

قال : وإذا كان ذلك مما يحتمله ظاهر التنزيل ، فالصواب أن يقال في ذلك كما قال الله ،  
إنه نهي عن تبرج الجاهلية الأولى . اهـ .



قاله الكلبي . والخامس : أنها كانت تُتلقى الخمار عن رأسها ولا تشدّه ، فيُرى قُرْطُها وقلائدها ، قاله مقاتل . والسادس : أنها كانت تلبس الثياب تبلغ المال ، لا توارى جسدها ، حكاه الفراء .

قوله تعالى : ( إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ ) وفيه للمفسرين خمسة أقوال .

أحدها : الشرك ، قاله الحسن . والثاني : الإثم ، قاله السدي . والثالث : الشيطان ، قاله ابن زيد . والرابع : الشك . والخامس : المعاصي ، حكاهما الماوردي . قال الزجاج : الرِّجْسُ : كل مستقذر من مأْكول أو عمل أو فاحشة .

ونصب « أهل البيت » على وجهين ، أحدهما : على معنى : أعني أهل البيت ، والثاني : على النداء ، فالمعنى : يا أهل البيت .

وفي المراد بأهل البيت هاهنا ثلاثة أقوال .

أحدها : أنهم نساء رسول الله ﷺ ، لأنهن في بيته ، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس ، وبه قال عكرمة ، وابن السائب ، ومقاتل . ويؤكد هذا القول أن ما قبله وبمده متعلق بأزواج رسول الله ﷺ . وعلى أبواب هذا القول اعتراض ، وهو أن جمع المؤنث بالنون ، فكيف قيل : « عنكم » « ويظهركم » ؟ فالجواب أن رسول الله ﷺ فيهن ، فغلب المذكر .

والثاني : أنه خاص في رسول الله ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين ، قاله أبو سعيد الخدري . وروي عن أنس وعائشة وأم سلمة نحو ذلك .

والثالث : أنهم أهل رسول الله ﷺ وأزواجه <sup>(١)</sup> ، قاله الضحاك .

(١) قال ابن كثير : وقوله تعالى : ( إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ ) ويظهركم تطهيراً ( نص في دخول أزواج النبي ﷺ في أهل البيت هاهنا ، لأنهن سبب نزول هذه الآية ، قال : وسبب النزول داخل فيه قولاً واحداً ، إما وحده على قول ، أو مع غيره على الصحيح ، ثم قال : وقال عكرمة : من شاء باهلهن أنها زلت في شأن نساء النبي ﷺ ، —

وحكى لزواج أنهم نساء رسول الله ﷺ والرجال الذين هم آله ؛ قال : واللغة تدل على أنها للنساء والرجال جميعاً ، لقوله : « عنكم » بالميم ، ولو كانت للنساء ، لم يحز إلا « عنكن » « ويُطهركن » .

قوله تعالى : ( وَيُطَهِّرْكُمْ تَطْهِيراً ) فيه ثلاثة أقوال .

أحدها : من الشرك ، قاله مجاهد . والثاني : من السوء ، قاله قتادة .

والثالث : من الإثم ، قاله السدي ، ومقاتل .

قوله تعالى : ( وَاذْكُرْنَ ) فيه قولان .

أحدهما : أنه تذكير لهن بالنعيم .

والثاني : أنه أمر لهن بحفظ ذلك . فعنى « وَاذْكُرْنَ » : واحفظن

( ما يُتلى في يوتكن من آيات الله ) يعني القرآن .

— قال ابن كثير : فإن كان المراد أنهم كن سبب النزول دون غيرهن ، فصحيح ، وإن أريد أنهم المراد فقط دون غيرهن ، ففي هذا نظر ، فإنه قد وردت أحاديث تدل على أن المراد أعم من ذلك ، وسرد بعض تلك الأحاديث ثم قال : الذي لا يشك فيه من تدبر القرآن أن نساء النبي ﷺ داخلات في قوله تعالى : ( إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ) فإن سياق الكلام مبین ، ولهذا قال تعالى بعد هذا كله : ( وَاذْكُرْنَ مَا يُتلى فِي يُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ) ثم قال : ولكن إذا كان أزواجه من أهل بيته ، فقرابته أحق بهذه التسمية . اهـ . وفي « صحيح مسلم » : ١٨٧٣/٤ من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « أما بعد ، ألا أيها الناس ، فأنا أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب ، وأنا تارك فيكم ثقلين ، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور ، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به ، فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال : « وأهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، فقال له حصين : ومن أهل بيته يزيد ؟ أليس بساؤه من أهل بيته ؟ قال : نساؤه من أهل بيته ، ولكن أهل بيته من حريم الصدقة بيده ، قال : ومن هم ؟ قال : هم آل علي ، وآل عقيل ، وآل جعفر ، وآل عباس ، قال : كل هؤلاء حريم الصدقة ؟ قال : نعم .

وفي الحكمة قولان . أحدهما : أنها السنة ، قاله قتادة . والثاني : الأمر والنهي ، قاله مقاتل .

قوله تعالى : ( إن الله كان لطيفاً ) أي : ذا لطف بكنن ، إذ جملة كنن في البيوت التي تُتلى فيها آياته ( خيراً ) بكنن ، إذ اختار كنن لرسوله .  
﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾

قوله تعالى : ( إن المسلمين والمسلمات ) في سبب نزولها خمسة أقوال .  
أحدها : أن نساء رسول الله ﷺ قلن : ماله ليس يُذكر إلا المؤمنون ، ولا تُذكر المؤمنات بشيء . ! فنزلت هذه الآية ، رواه أبو ظبيان عن ابن عباس <sup>(١)</sup> .  
والثاني : أن أم سلمة قالت : يا رسول الله يُذكر الرجال ولا تُذكر ! فنزلت هذه الآية <sup>(٢)</sup> ، ونزل قوله : ( لا أضيّع عمل عامل منكم ) [ آل عمران : ١٩٥ ] ، قاله مجاهد <sup>(٣)</sup> .

(١) رواه الطبري : ١٠/٢٢ وفي سننه قابوس بن أبي ظبيان ، قال الحافظ ابن حجر عنه في « التقریب » : فيه لين . وذكره السيوطي في « الدر » : ٢٠٠/٥ وزاد نسبه للطبراني ، وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنها .

(٢) رواه الطبري : ١٠/٢٢ ، ورواه أحمد في « المسند » عن أم سلمة ، وأورده السيوطي في « الدر » : ٢٠٠/٥ وزاد نسبه للنسائي ، وابن المنذر ، وابن مردويه ، والطبراني عن أم سلمة رضي الله عنها .

(٣) رواه الطبري : ٢١٥/٤ ، والحاكم : ٣٠٠/٢ وصححه ، وذكره السيوطي في « الدر » : ١١٢/٢ وزاد نسبه لسميد بن منصور ، وعبد الرزاق ، والترمذي ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والطبراني .

والثالث : أن أمّ مُمّارة الأنصارية قالت : قلت : يا رسول الله بأبي وأمي ما بال الرجال يُذكَرون ، ولا يُنْذَرُ كَرُ النساء ؟ فنزلت هذه الآية ، قاله عكرمة <sup>(١)</sup> . وذكر مقاتل بن سليمان أن أمّ سَلَمَةَ وأمّ مُمّارة قالتا ذلك ، فنزلت [ هذه ] الآية في قولهما .

والرابع : أن الله تعالى لما ذكر أزواج رسوله دخل النساء المُسلمات عليهن قُتُن : ذُكِرَتْ نُنْ ولم تُنْذَرُ كَرُ ، ولو كان فينا خيرٌ ذُكِرْنَا ، فنزلت هذه الآية ، قاله قتادة <sup>(٢)</sup> .

والخامس : أن أسماء بنت مُمَيْس لما رجعت من الحبشة دخلت على نساء رسول الله ﷺ فقالت : هل نزل فينا شيء من القرآن ؟ قُتُن : لا ، فأنت رسول الله ﷺ ، فقالت : يا رسول الله إن النساء لي خيبة وخسار ، قال : ومم ذلك ؟ قالت : لأنهن لا يُذكَرنَ بخير كما يُذكَر الرجال ، فنزلت هذه الآية ، ذكره مقاتل بن حيان <sup>(٣)</sup> .

وقد سبق تفسير ألفاظ الآية في مواضع [ البقرة : ١٢٩ ، ١٠٩ ، الاحزاب : ٣١ ، آل عمران : ١٧ ، البقرة : ٤٥ ، يوسف : ٨٨ ، البقرة : ١٨٤ ، الانبياء : ٩١ ، آل عمران : ١٩١ ] .

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا . وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ

(١) ذكره السيوطي في « الدر » : ٢٠٠/٥ من رواية القرطبي ، وسعيد بن منصور ، وعبد بن حيد ، والترمذي وحسنه ، والطبراني ، وابن مردويه عن أم هانئ الأنصارية رضي الله عنها .

(٢) « الطبري » : ١٠/٢٢ ، وذكره السيوطي في « الدر » من رواية ابن سعد عن قتادة .

(٣) ذكره الواحدي في « أسباب النزول » : ٢٠٤ بدون سند .

أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾

قوله تعالى : ( وما كان لمؤمن ولا مؤمنة ... ) الآية ، في سبب زوالها قولان . أحدهما : أن رسول الله ﷺ انطلق يخطب زينب بنت جحش لزيد بن حارثة ، فقالت : لا أرضاه ، ولستُ بِنَاكِحَتِهِ ، فقال رسول الله ﷺ : « إني فأنكِحيه ، فإني قد رضيتُ لك » ، فأبت ، فنزلت هذه الآية . وهذا المعنى مروى عن ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، والجمهور <sup>(١)</sup> . وذكر بعض المفسرين أن عبد الله بن جحش أخا زينب كره ذلك كما كرهته زينب ، فلما نزلت الآية رضىا وسلمًا <sup>(٢)</sup> . قال مقاتل : والمراد بالمؤمن : عبد الله بن جحش ، والمؤمنة : زينب بنت جحش . والثاني : أنها نزلت في أمِّ كُثُوم بنت عُقْبَةَ بن أبي مُعَيْط ، وكانت أوَّل امرأة هاجرت ، فوهبت نفسها لرسول الله ﷺ ، فقال : « قد قبلْتُك » ، وزوَّجها زَيْدَ بن حارثة ، فسخطت هي وأخوها ، وقالوا : إني أردنا رسولَ الله ، فزَوَّجها عبده ١٢ فنزلت هذه الآية ، قاله ابن زيد <sup>(٣)</sup> . والأول عند المفسرين أصح .

(١) رواه الطبري : ١١/٢٢ من رواية السوفي عن ابن عباس ، وابن أبي عمرة عن عكرمة عن ابن عباس ، ورواه عن مجاهد وقتادة ، وذكره السيوطي في « الدر » عن ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة .

(٢) ذكره البغوي والخازن وغيرهما بدون سند .

(٣) رواه الطبري : ١٢/٢٢ عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وذكره السيوطي في « الدر » : ٢٠١/٥ من رواية ابن أبي حاتم عن ابن زيد . وقال الحافظ ابن حجر في « تخریج الکشاف » : ١٣٤ : رواه التلبي بهذا خبر سند . زاد المسير ٦ م (٢٥)

قوله تعالى : ( إذا قضى اللهُ ورسوله أمرًا ) أي : حَكَمًا بذلك ( أن تكون )  
 وقرأ أهل الكوفة : « أن يكون » بالياء ( لهم الخيرة ) وقرأ أبو جاز ،  
 وأبو رجاء : « الخيرة » باسكان الياء ؛ فجمع في الكناية في قوله : « لهم » ، لأن  
 المراد جميع المؤمنين والمؤمنات ، والخيرة : الاختيار ، فأعلم الله عز وجل أنه  
 لا اختيار على ما قضاه الله ورسوله . فلما زوجها رسولُ الله ﷺ زيداً مكثت  
 عنده حيناً ، ثم إن رسول الله ﷺ أتى منزل زيد فنظر إليها وكانت يضاه جملة  
 من أتم نساء قريش ، فوقعت في قلبه ، فقال : « سبحان مقلب القلوب » ،  
 وفطن زيد ، فقال : يا رسول الله ائذن لي في طلاقها <sup>(١)</sup> . وقال بعضهم : أتى  
 رسولُ الله ﷺ منزل زيد ، فرأى زينب ، فقال : « سبحان مقلب القلوب » ،  
 فسمعت ذلك زينب ، فلما جاء زيد ذكرت له ذلك ، فلم أنها قد وقعت في نفسه ،  
 فأتاه فقال : يا رسول الله ائذن لي في طلاقها <sup>(٢)</sup> . وقال ابن زيد : جاء رسولُ الله ﷺ  
 إلى باب زيد - وعلى الباب ستر من شعر - فرفعت الريح الستر ، فرأى زينب ،  
 فلما وقعت في قلبه كرهت إلى الآخر ، فجاء فقال : يا رسول الله أريد فراقها ،  
 فقال له : « اتق الله » <sup>(٣)</sup> . وقال مقاتل : لما فطن زيد لتسبيح رسول الله ﷺ ،  
 قال : يا رسول الله ائذن لي في طلاقها ، فإن فيها كبراً ، فهي تعظم علي وتؤذي بلسانها ،  
 فقال له النبي ﷺ : « أمسك عليك زوجك واتق الله » . ثم إن زيداً طلقها

- (١) قال الحافظ ابن حجر في « تخريج الكشاف » : ذكره الثعلبي بدون سند . اهـ .  
 وكذلك ذكر مثل هذا المعنى الخازن والبغوي وغيرها بدون سند .  
 (٢) وهذا أيضاً من الرسائل والنقططات التي ليس لها سند صحيح ، وقد أورد مثلها  
 السيوطي في « الدر » من طريق عبد بن حميد ، وابن الخنز ، عن عكرمة ، ومن طريق  
 ابن سعد والحاكم عن محمد بن يحيى بن حبان .  
 (٣) رواه الطبري عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف .

بعد ذلك ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ( وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ ) <sup>(١)</sup> بِالْإِسْلَامِ ( وَأَنْتَ عَلَيْهِ ) بِالْعِثْقِ .

قوله تعالى : ( وَاتَّقِ اللَّهَ ) أي : في أمرها فلا تطلقها ( وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ ) أي : تُسِرُّهُ وَتُضْمِرُ فِي قَلْبِكَ ( مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ) أي : مُظْهِرُهُ ؛ وفيه أربعة أقوال .  
أحدها : حُبُّهَا ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ .

والثاني : عهد عهده الله إليه أَنْ زَيْنَبُ سَتَكُونُ لَهُ زَوْجَةً ، فَلَمَّا أَتَى زَيْدٌ يَشْكُوهَا ، قَالَ لَهُ : « أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ » ، وَأَخْفَى فِي نَفْسِهِ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ، قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ <sup>(٢)</sup> .

والثالث : إِيثاره لطلاقها ، قَالَ قَتَادَةُ ، وَابْنُ جَرِيرٍ ، وَمِقَاتِلٌ .

والرابع : أَنْ الَّذِي أَخْفَاهُ : إِنْ طَلَّقَهَا زَيْدٌ تَزَوَّجْتُهَا ، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ .

قوله تعالى : ( وَتُخْفِي النَّاسَ ) فِيهِ قَوْلَانِ .

أحدهما : أَنَّهُ خَشِيَ الْيَهُودَ أَنْ يَقُولُوا : تَزَوَّجَ مُحَمَّدٌ امْرَأَةَ ابْنِهِ ، رَوَاهُ عَطَاءٌ

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ .

(١) ذكره بنحوه الحافظ ابن حجر في « تخريج الكشاف » عن أنطلي بدون سند .

(٢) رَوَاهُ الطَّبْرِيُّ : ١٣/٢٢ وفي سنده علي بن زيد بن جدعان ، وهو ضعيف . ورواه ابن أبي حاتم عن علي بن الحسين ، وفي سنده أيضاً علي بن زيد بن جدعان ، ورواه ابن أبي حاتم أيضاً من طريق السدي ، قال الحافظ ابن حجر عنه في « الفتح » : وهو أوضح سياقاً وأصح إسناداً إليه . اهـ . وقال الآتسي في تفسيره عن هذا المعنى : وإلى هذا ذهب أهل التحقيق من المفسرين ، كالزهري ، وبكر بن الملاء ، والقشيري ، والقاضي أبي بكر بن العربي ، وغيرهم . اهـ . وقد رأيت كلام الحافظ ابن حجر قبل قليل ، وهو قوله : والحاصل أن الذي كان يخفيه النبي ﷺ هو إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته . اهـ .

والثاني : أنه خشي لوم الناس أن يقولوا : أمر رجلاً بطلاق امرأته ، ثم نكحها .

قوله تعالى : ( والله أحق أن تخشاه ) أي : أولى أن تخشى في كل الأحوال . وليس المراد أنه لم يخش الله في هذه الحال ، ولكن لما كان لخشيته بالخلق نوع تعلق ، قيل له : الله أحق أن تخشى منهم . قالت عائشة : ما نزلت على رسول الله ﷺ آية هي أشد عليه من هذه الآية ، ولو كنتم شيئاً من الوحي لكنتم<sup>(١)</sup> .

### فصل

وقد ذهب بعض العلماء إلى تنزيه رسول الله من حبسها وإثارة طلائها . وإن كان ذلك شائماً في التفسير<sup>(٢)</sup> . قالوا : وإنما عوتب في هذه القصة على شيئين ،

(١) رواه الطبري بهذا اللفظ : ١٣/٢٢ من قول الحسن ، ورواه أيضاً عن عائشة بلفظ : لو كنتم رسول الله ﷺ شيئاً مما أوحى إليه من كتاب الله لكنتم ( وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخفى الناس والله أحق أن تخشاه ) ورواه الترمذي : ١٥٣/٢ بنحوه وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وأورده السيوطي في « الدر » : ٢٠٢/٥ ، وزاد نسبه لسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والطبراني ، وابن مردويه عن عائشة . وروى مسلم في « صحيحه » : ١٦٠/١ عن عائشة رضي الله عنها قالت : ولو كان محمد ﷺ كائناً شيئاً مما أزل عليه لكم هذه الآية : ( وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنممت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخفى الناس والله أحق أن تخشاه ) . اهـ .

(٢) قال الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية ( وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخفى الناس والله أحق أن تخشاه ) : ذكر ابن أبي حاتم والطبري هاهنا آثراً عن بعض السلف رضي الله عنهم أجمعين أن ضرب عنها صفحاً لعدم صحبتها فلا نوردها . اهـ . يريد بذلك أمثال « فوقت في قلبه » و « سبحان مقلب القلوب » .

وقال الحافظ ابن حجر المصنف في ٤٠٣/٨ بعدما ذكر أن الآية نزلت في شأن زينب بنت جحش —



— وزيد بن حارثة مختصراً كما في حديث البخاري ، ثم ذكر حديثاً للبخاري في كتاب التوحيد أطول منه ، وليس فيها ما تقدم من أنها وقعت في قلبه ، وغير ذلك ، قال : وقد أخرج ابن أبي حاتم هذه القصة من طريق السدي فساقها سياقاً واضحاً حسناً ، ونقله : بلقنا أن هذه الآية نزلت في زينب بنت جحش ، وكانت أمها أمة بنت عبد المطلب عمه رسول الله ﷺ ، وكان رسول الله ﷺ أراد أن يزوجه زيد بن حارثة مولاه ، فكرهت ذلك ، ثم إنها رضيت بما صنع رسول الله ﷺ ، وزوجها إياه ، ثم أعلم الله عز وجل نبياً ﷺ بعد أنها من أزواجه ، فكان يستحي أن يأمر بطلاقها ، وكان لا يزال يكون بين زيد وزينب ما يكون من الناس ، فأمره رسول الله ﷺ أن يمسك زوجته وأن يتقي الله ، وكان يخشى الناس أن يسبوا عليه ويقولوا : تزوج امرأة ابنه وكان قد نبئ زيداً . ثم قال ابن حجر : ووردت آثار أخرى أخرجه ابن أبي حاتم ، والطبري ، ونقلها كثير من المفسرين لا ينبغي التشاغل بها ، قال : والذي أوردته هو المتمد ، ثم قال : والحاصل أن الذي كان يخفيه النبي ﷺ هو إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته ، قال : والذي كان يحمله على إخفاء ذلك خشية قول الناس : تزوج امرأة ابنه ، وأراد الله إبطال ما كان أهل الجاهلية عليه من أحكام النبي بأمير لا يبلغ في الإبطال منه ، وهو تزوج امرأة الذي يدعى ابناً ، قال : ووقوع ذلك من إمام المسلمين ، ليكون أدعى لقبولهم ، قال : وإنما وقع الخبط في تأويل متعلق الخشية ، والله أعلم . وقال الآلوسي في « تفسيره » : وللقصاص في هذه القصة كلام لا ينبغي أن يجعل في حيز القبول ، منه ما أخرجه ابن سعد والحاكم عن محمد بن يحيى بن حبان ، ثم قال : وفي « شرح المواقف » : أن هذه القصة مما يجب صيانة النبي ﷺ عن مثله . اهـ . قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » : وروى أحمد ، ومسلم ، والنسائي ، من طريق سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال : لما انقضت عدة زينب ، قال رسول الله ﷺ لزيد : « اذكرها علي » ، قال : فانطلقت ، فقلت : يا زينب أبشري أرسل رسول الله ﷺ يذكرك ، فقالت : ما أنا بصائمة — حتى أوامر ربي ، فقامت إلى مسجدتها ، ونزل القرآن ، وجاء رسول الله ﷺ حتى دخل عليها بنير إذن . قال ابن حجر : وهذا أيضاً من أبلغ ما وقع في ذلك ، وهو أن يكون الذي كان زوجها هو الخاطب ، لئلا يظن أحد أن ذلك وقع قهراً بنير رضا ، قال : وفيه أيضاً اختيار ما كان عنده منها ، هل بقي منه شيء ، أم لا ؟ وفيه استحباب فعل المرأة الاستخارة ، ودعائها عند الخطبة قبل الإجابة ، وأن من وكل أمره إلى الله عز وجل يسر الله له ما هو الأحظ له والأمنع دنيا وأخرى . اهـ .

أحدهما : أنه أخبر بأنها ستكون زوجة له ، فقال يزيد : « أمسك عليك زوجك » فكتم ما أخبره الله به من أمرها حياة من زيد أن يقول له : « إن زوجتك ستكون امرأتي » وهذا يخرج على ما ذكرنا عن علي بن الحسين ، وقد نصره الثعلبي ، والواحدي .

والثاني : أنه لما رأى اتصال المحصومة بين زيد وزينب ، ظن أنها لا يتفقا ، وأنه سيفارقها ، وأضر أنه إن طلقها تزوجتها صلةً لرحمها ، وإشفاقاً عليها ، لأنها كانت بنت عمته أمية بنت عبد المطلب ، فعاتبه الله على إضمار ذلك وإخفائه حين قال يزيد : « أمسك عليك زوجك » ، وأراد منه أن يكون ظاهره وباطنه عند الناس سواء كما قيل له في قصة رجل أراد قتله : هلاً أومات إلينا بقتله ؟ فقال : « ما ينبغي لني أن تكون له خاتمة الأعين » <sup>(١)</sup> ، ذكر هذا القول القاضي أبو يعلى رحمه الله عليه .

قوله تعالى : ( فلما قضى زيد منها وطراً ) قال الزجاج : الوطر : كل حاجة لك فيها حمّة ، فإذا بلغها البالغ قيل : قد قضى وطره . وقال غيره : قضاء الوطر في اللغة : بلوغ منتهى ما في النفس من الشيء ، ثم صار عبارة عن الطلاق ، لأن الرجل إنما يطلق امرأته إذا لم يبق له فيها حاجة . والمعنى : لما قضى زيد حاجته من نكاحها ( زوجنا كها ) ، وإنما ذكر قضاء الوطر هاهنا ليبين أن امرأة المتبتلى تحل وإن وطئها ، وهو قوله : ( لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً ) ؛ والمعنى : زوجناك زينب . وهي امرأة زيد الذي تبتلته . لكيلا يظن أن امرأة المتبتلى لا يحل نكاحها . وروى مسلم في

(١) رواه أبو داود في « سننه » رقم ( ٢٦٨٣ ) و ( ٤٣٥٩ ) من حديث أحمد بن الفضل قال : ثنا أسباط بن نصر ، قال : زعم المدي عن مصعب بن سعد عن سعد ... فذكره ، وذكره ابن كثير في « البداية والنهاية » ٢٩٨/٤ من رواية البيهقي من حديث أحمد بن الفضل به نحوه ، ورواه النسائي في « المحاربة » .

أفراده من حديث أنس بن مالك قال : لما اتفقت عِدَّة زَيْنَب قال رسول الله ﷺ لزيد : « اذهب فاذا كُرِّها عَلَيَّ » ، قال زيد : فانطلقتُ ، فلما رأيتها عَظُمَتْ في صدري حتى ما أستطيع أن أنظرُ إليها ، لأن رسول الله ﷺ ذكرها ، فولَّيْتُهَا ظهري ، ونَكَصْتُ على عَقَبِي ، وقلتُ : يا زَيْنَب ، أرسَلَنِي رسولُ الله ﷺ يذكُرُكَ ، قالت : ما أنا بصانعةَ شيئاً حتى أوامرَ رَبِّي ، فقامت إلى مسجدِها ، ونزل القرآن ، وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغيرِ إِذْنٍ .<sup>(١)</sup>

وذكر أهل العلم أن من خصائص رسول الله ﷺ أنه أُجِيزَ له التزويج بغيرِ مَهْرٍ لِيُخْلَصَ قَسَدُ زَوْجَاتِهِ دُونَ الْعَوَاضِ ، وَلِيُخَفَّفَ عَنْهُ ، وَأُجِيزَ لَهُ التزويج بغيرِ وَلِيٍّ ، لِأَنَّهُ مَقْطُوعٌ بِكِفَائِهِ ، وَكَذَلِكَ هُوَ مُسْتَنْبَحٌ فِي نِكَاحِهِ عَنِ الشُّهُودِ . وَكَانَتْ زَيْنَبُ تَقَاخَرُ نِسَاءَ النَّبِيِّ ﷺ وَتَقُولُ : زَوْجُكُمْ أَهْلُكُمْ ، وَزَوْجُنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .<sup>(٢)</sup>

﴿ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا . الَّذِينَ يُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَخْشَوْنَ اللَّهَ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا . مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾

(١) رواه مسلم في « صحيحه » ١٠٤٨/٢ ، ورواه أحمد في « مسنده » ، والنسائي في « سننه » ، وأورده السيوطي في « الدر » : ٢٠١/٥ وزاد نسبه لابن سعد ، وأبي يعلى ، وابن أبي حاتم ، والطبراني ، وابن مردويه عن أنس بن مالك رضي الله عنه .  
(٢) رواه البخاري رحمه الله : ٢٤٨/١٣ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : فكانت زَيْنَبُ تَفْخَرُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ تَقُولُ : زَوْجُكُمْ أَهْلِيكُمْ ، وَزَوْجُنِي اللَّهُ تَعَالَى مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ ، وَذَكَرَهُ السُّيُوطِيُّ فِي « الدَّرَجَاتِ » : ٢٠١/٥ زَادَ نَسْبَهُ لِأَحْمَدَ ، وَعَبْدَ بْنَ حَمِيدَ ، وَالتِّرْمِذِيَّ ، وَابْنَ الْمُنْذِرِ ، وَالحَاكِمَ ، وَابْنَ مُرْدَوَيْهِ ، وَالبَيْهَقِيَّ فِي « سُنَنِهِ » عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

قوله تعالى : ( مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ ) قَالَ قتادة :  
فِيمَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُ مِنَ النِّسَاءِ .

قوله تعالى : ( سُنَّةَ اللَّهِ ) هي منصوبة على المصدر ، لأن معنى « مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ » : « مِنْ » اللَّهُ سُنَّةٌ واسعة لأَحْرَجَ فِيهَا . وَالَّذِينَ خَلَوْا : هم النبيون ؛ فالمعنى : أن سُنَّةَ اللَّهِ في التَّوَسُّعِ على محمد فيما فرض له ، كسُنَّتِهِ في الأنبياء الماضين . قال ابن السائب : هكذا سُنَّةُ اللَّهِ في الأنبياء ، كداود ، فإنه كان له مائة امرأة ، وسليمان كان له سبعمائة امرأة وثلاثمائة سُرِّيَّة<sup>(١)</sup> ،

(١) كذا الأصل ، والذي في « مجمع البيان » للطبرسي ، والخازن عكس ما هنا : وكان سليمان ثلاثمائة امرأة ، وسبعمائة سرية . قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » : ٣٣١/٦ وقد حكى وهب بن منبه في « المبتدأ » أنه كان لسليمان ألف امرأة ، ثلاثمائة ماهرة ، وسبعمائة سرية ، قال : ونحوه مما أخرج الحاكم في « المستدرک » من طريق أبي مشر عن محمد بن كعب قال : بلغنا أنه كان لسليمان ألف بيت من قوارير على الخشب ، فيها ثلاثمائة صريحة ، وسبعمائة سرية . اهـ . والذي في « صحيح البخاري » : ٣٣٠/٦ في كتاب أحاديث الأنبياء عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : قال سليمان بن داود : لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تحمل كل امرأة فارساً يجاهد في سبيل الله ، فقال له صاحبه : إن شاء الله ، فلم يقل ، ولم تحمل شيئاً إلا واحداً ساقطاً أحد شفتيه ، فقال النبي ﷺ : « لو قالها لجاهدوا في سبيل الله » . وفي بعض روايات البخاري تسعين ، ورجحها البخاري على سبعين ، قال الحافظ ابن حجر : وعند مسلم سبعين . وأخرج الاسماعيلي والنسائي عن أبي الزناد ، قال : مائة امرأة ، ورواه أحمد وأبو عوانة من طريق هشام عن ابن سيرين فقال : مائة امرأة ، قال : ومن طريق جعفر بن ربيعة عن الأعرج : مائة امرأة أو تسع وتسعون على الشك . قال الحافظ ابن حجر : فحصل الروايات ستون ، وسبعون ، وتسعون ، وتسع وتسعون ، ومائة ، والجمع بينها أن النستين كن حرائر ، وما زاد عليهن كن سراري ، أو بالمعكس ، وأما السبعون ، فلهيئة ، وأما التسعون والمائة ، فكان دون المائة وفوق التسعين ، فمن قال : تسعون أثنى الكسر ، ومن قال : مائة ، جبره ، ومن أثم وقع التردد في رواية جعفر ، قال : وأما قول بعض الثبراح : ليس في ذكر القليل نفي الكثير ، وهو من مفهوم العدد ، وليس بحجة عند الجمهور ، فليس بكافٍ في هذا المقام ، وذلك أن مفهوم العدد معتبر عند كثيرين ، والله أعلم . اهـ .

( وكان أمر الله قَدَرًا مقدوراً ) أي : قضاء مقضياً . وقال ابن تيبة : « سُنَّةُ الله في الدين خَلَّوْا » معناه : لا حَرَجَ على أحد فيما لم يَحْرُمَ عليه .  
ثم أنى الله على الأنبياء بقوله : ( الذين يَلْتَمِنُونَ رسالات الله ويَخْشَوْنَه ولا يَخْشَوْنَ أحداً إلا اللهَ ) أي : لا يخافون لأئمة الناس وقولهم فيما أحلَّ لهم .  
وباقى الآية قد تقدم بيانه [ النساء : ٦ ] .

قوله تعالى : ( ما كان محمدٌ أباً أحدٍ من رجالكم ) قال المفسرون : لما تزوج رسولُ الله ﷺ زينب ، قال الناس : إن محمداً قد تزوج امرأة ابنه ، فزلت هذه الآية <sup>(١)</sup> ، والمعنى : ليس بأب لزيد فتَحَرَّمَ عليه زوجته ( ولكن رسولَ الله ) قال الزجاج : من نصبه ، فالمعنى : ولكن كان رسولَ الله ، وكان خاتَمَ النبيين ؛ ومن رفعه ، فالمعنى : ولكن هو رسولُ الله ؛ ومن قرأ : « خاتِمَ » بكسر التاء ، فمعناه : وختم النبيين ؛ ومن فتحها ، فالمعنى : آخر النبيين . قال ابن عباس : يريد : لو لم أُخْتَمَ به النبيين ، لَحَمَلْتُ له ولداً يكون بعده نبياً <sup>(٢)</sup> .

(١) رواه الترمذي : ١٥٢/٢ عن عائشة رضي عنها .

(٢) قال ابن كثير : وقوله تعالى : ( ما كان محمد أباً أحدٍ من رجالكم ) نهى أن يقال بعد هذا : زيد بن محمد ، أي : لم يكن أباه وإن كان قد تبناه ، فانه ﷺ لم يش له ولد كثر حتى بلغ الحلم ، فانه ﷺ ولده : القاسم ، والطيب والطاهر ، من خديجة رضي الله عنها ، فأتوا صفاراً ، وولد له ﷺ إبراهيم من مارية القبطية ، فأت أيضاً رضيعاً ، وكان له ﷺ من خديجة أربع بنات : زينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة ، رضي الله تعالى عنهم أجمعين ، فأت في حياته ﷺ ثلاث ، وتأخرت فاطمة رضي الله عنها حتى أصيبت به ﷺ ، ثم ماتت بعده لسته أشهر ، قال : وقوله تعالى : ( ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً ) كقوله عز وجل : ( الله أعلم حيث يجعل رسالته ) قال : فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده ، وإذا كان لا نبي بعده ، فلا رسول بعده بالطريق الأولى والأخرى ، لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة ، فإن كل رسول نبي ، ولا ينمكس ، قال : وبذلك وردت الأحاديث المتواترة —

— عن رسول الله ﷺ من حديث جماعة من الصحابة رضي الله عنهم . اهـ . وذكر ابن كثير كثيراً من الأحاديث التي تدل على ختم النبوة والرسالة به ﷺ ، منها ما أخرجه البخاري في « صحيحه » : ٤٠٨/٤ ، ومسلم في « صحيحه » ١٧٩١/٤ ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي ، كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله ، إلا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ويمسجون له ، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ » قال : فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين ، واللفظ للبخاري . ومنها ما رواه مسلم في « صحيحه » : ٣٧١/١ ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « فضيلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وأحلت لي التنازع ، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً ، وأرسلت إلى الخلق كافة ، وختم بي النبيون » ، ومنها ما رواه البخاري في « صحيحه » : ٤٠٤/٤ ، ومسلم في « صحيحه » : ١٨٢٨/٤ عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن لي أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر ، وأنا الجاشع الذي يمسح الناس على قدي » ، وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد ، واللفظ لمسلم . والعاقب الذي ليس بعده في - وغير ذلك من النصوص الكثيرة الدالة على ختم باب النبوة برسولنا ونبينا محمد ﷺ . قال ابن كثير : والأحاديث في هذا كثيرة ، فمن رحمة الله تعالى بالعباد : إرسال محمد ﷺ إليهم ، ثم من تعريفه لهم ختم الأنبياء والمرسلين به ، وإكمال الدين الحنيف له ، قال : وقد أخبر الله تبارك وتعالى في كتابه ، ورسوله ﷺ في السجدة المتواترة عنه أنه لا نبي بعده ، يعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده ، فهو كذاب ، أفك ، دجال ، ضال ، مضل ، ولو تحرق وشعبذ وأتى بأنواع السحر والطلاسم والنيرنجيات ، فكلمها حال وضلال عند أولي الأبواب ، كما أجرى الله سبحانه وتعالى على يد الأسود المنسي باليمن ومسيمة الكذاب باليامة من الأحوال الفاسدة والأقوال الباردة ما علم كل ذي لب وفهم وحجى ، أنها كاذبان ضالان ، لضل الله ، وكذلك كل مدعٍ لذلك إلى يوم القيامة حتى يختصوا بالمسيح الدجال ، فكل واحد من هؤلاء الكذابين يخلق الله تعالى معه من الأمور ما يشهد الطمأنينة والمؤمنون يكذب من جاء بها ، وهذا من تمام لطف الله تعالى بخلقه ، فانهم بضرورة الواقع لا يأمرؤن بمحروف ولا يتبنون عن منكر إلا على سبيل الاتفاق ، أو لما لهم فيه من القاصد إلى غيره ، ويكون في غاية الأفك والفجور —

— في أقوالهم وأفعالهم ، كما قال تعالى : ( هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أثاث أنيم ... ) الآية ، قال : وهذا بخلاف حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فانهم في غاية البرِّ والصدق والرشد والاستقامة والعدل فيما يقولونه ويفعلونه ويأمرون به وينهون عنه ، مع ما يؤيدون به من الخوارق للعادات ، والأدلة الواضحات ، والبراهين الباهرات ، فصولات الله وسلامه عليهم دائماً مستمراً مادامت الأرض والسماوات . اهـ .

هذا وقد ظهر في هذا القرن ( القرن الثالث عشر الهجري ) دجال في قاديان ، إحدى بلاد باكستان يدعى النبوة ، يسمى : ميرزا غلام أحمد ( ١٢٥٢ - ١٣٢٦ هـ ) وأتباعه يسمون أنفسهم « الأحمديّة » نسبة إلى دجال قاديان ، وهم المروفون عند الناس بالقاديانيين ، وهم يتبرون ميرزا غلام أحمد القادياني إمام هذا الزمان ، والسيح الموعود ، ويدّعون أن النبوة لا تنقطع ، وأن إمامهم من جملة الأنبياء ، ويفسرون قوله تعالى : ( وخاتم النبيين ) بأنه طابهم ، وليس آخرهم ، وأن كل نبي يظهر بعده ( ﷺ ) تكون نبوته مطبوعاً عليها بخاتم تصديقه ، مخالفين بذلك تفسير الصحابة والتابعين والمفسرين والمجتهدين والفقهاء والمحدثين وجمهور المسلمين من السلف والخلف ، ويستشهدون بقول مسيحيهم المزعوم في كتاب « ملفوظات أحمديّة » ، صفحة ( ٢٩٠ ) : أن المراد به أنه لا يمكن أن تصدق الآن نبوة أي نبي من الأنبياء إلا بخاتمه ( ﷺ ) ويقول مسيحيهم بناءً على ذلك مدعياً الرسالة في كتابه « التبليغ » ، صفحة ( ٤٣ - ٤٥ ) : « أرسلني ربي لدعوة الخلق ، وآتاني من آيات بيته لأدعو خلقه إلى دينه ، فطوبى للذين يقبلونني ويذكرون الموت أو يطلبون الآيات وبعد رؤيتها يؤمنون » والحق أنه رسول من قبل دولة الانكليز ، يدل على ذلك قوله في كتابه « ضرورة الامام » ، صفحة ( ٣٨ ) في تفسير قوله تعالى : ( أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ) : المراد من أولي الأمر جسانياً الملك ( ملك بريطانيا ) وروحانياً إمام الزمان ( يعني نفسه ) وإن الشخص الجساني الذي لا يخالفنا في مقاصدنا ، ويمكننا أن نحصل لنا منه الفائدة الدينية فهو يكون منا ، ولذلك فنصيحتي لجماعتي هي أن يدعوا ملك الانكليز من أولياء أمرم ويطيعوم بصدق القلب ، لأن هؤلاء لا يخرجوننا في مقاصدنا الدينية . اهـ . ويقول منير الحصري من أتباعه في دمشق في شرح كلامه هذا في كتابه « الجماعة الأحمديّة والانكليز » ، صفحة ( ١٨ ) : ومن هذا الكلام الواضح يفهم كل قارئ أن المسيح الموعود عليه السلام ( يريد دجال قاديان ) بين حكماً من أحكام القرآن الهيد ، وهو إطاعة غير المسلمين إذا منحوا الحرية الدينية —

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا . وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا . هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا . تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾

قوله تعالى : ( اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ) قال مجاهد : هو أن لا ينساه أبداً . وقال ابن السائب : يقال : « ذِكْرًا كَثِيرًا » بالصلوات الخمس . وقال مقاتل بن حيان : هو التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير على كل حال : وقد روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « يقول ربكم : أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه » (١)

— سواء أكانوا أنكليزاً أم غير أنكليز ، وبما أن الانكليز كانوا في وقته عليه السلام هم الحاكمين ، كانوا لا يرضون الدين ، لذلك قال بوجوب طاعتهم . ويقول المسيح الكذاب مبيهاً نعمة الانكليز عليه وعلى أتباعه في كتابه « بركات الخلافة » صفحة ( ٦٥ ) : « إن إحسان الحكومة الانكليزية إلينا هو كبير ونحن نعيش براحة واطمئنان كبيرين ، وتم مقاصدنا ، إن أعظم مقصد لنا هو إشاعة الدين ( دين دجال قاديان ) ولأجل تميم هذا المقصد نجد كل حرية ، ويمكننا التبليغ في كل ركن من المملكة ( الانكليزية ) حيث نشاء ، وإذا ذهبنا للتبليغ في الممالك الأخرى ، فهناك أيضاً تساعدنا الحكومة البريطانية » . اه كلام هذا الدجال ، وهو واحد من الذين ظهروا ، وسيظهر أمثاله ، وذلك مصداق قول نبينا محمد ﷺ فيما رواه مسلم في « صحيحه » : ٢٢٤٠/٤ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى يبعث كذابون كذابون ، قريب من ثلاثين ، كلهم يزعم أنه رسول الله » .

(١) رواه البخاري مطلقاً ٤١٧/١٣ ، قال : وقال أبو هريرة عن النبي ﷺ : « قال الله تعالى : أنا مع عبدي إذا ذكرني وتحركت بي شفتاه » . ورواه أحمد في « المسند » عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وابن ماجه في « سننه » رقم ٣٧٩٢ ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، ورواه ابن حبان في « صحيحه » وهو في « موارد الظلمات » للحافظ الهيثمي صفحة ٥٦٧ ، ورواه الحاكم في « المستدرک » : ٤٩٦/٦ عن أبي الدرداء رضي الله عنه وصحيحه ، ووافقه الذهبي . —



قوله تعالى : ( وَسَبِّحْوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ) قال أبو عبيدة : الأصيل : ما بين  
المصر إلى الليل . والمفسرين في هذا التسبيح قولان .  
أحدهما : أنه الصلاة ، واتفق أرباب هذا القول على أن المراد بالتسبيح بُكْرَةً :  
صلاةُ الفجر .

واختلفوا في صلاة الأصيل على ثلاثة أقوال . أحدها : أنها صلاة المصر ،

— والأحاديث في فضل الله كثر كثيرة ، منها ما رواه الترمذي ، وابن ماجه ، والحاكم بسند صحيح  
عن أبي البرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ ، وَأَزْكَاهَا  
عِنْدَ مَلِيكِكُمْ ، وَأَرْفَعُهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ ، وَخَيْرَ لَكُمْ مِنْ إِتْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرَقِ ، وَخَيْرَ لَكُمْ مِنْ أَنْ  
تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله : قال : « ذَكَرَ اللَّهُ » . ومنها  
ما رواه مسلم في « صحيحه » عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :  
« سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ » ، قالوا : وما المفردون يا رسول الله ؟ قال : « الَّذِينَ كَرُّوا اللَّهَ كَثِيرًا ، وَالذَّاكِرَاتِ » .  
ومنها ما رواه البخاري ومسلم في « صحيحهما » عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ  
قال : « مِثْلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ مِثْلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ » . وعن عبد الله بن بسر  
أن رجلاً قال : يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ فأخبرني بشيء أنشئت به ،  
قال : « لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى » ، رواه الترمذي وحسنه ، والحاكم وصححه ،  
ووافقه الذهبي . وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ قَدَّمَ مَقْدَمًا  
لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ تَعَالَى فِيهِ ، كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى رِزَّةٌ ، وَمَنْ اضْطَجَعَ مضطجعاً لَا يَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى  
فِيهِ ، كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ رِزَّةٌ » - أي : نقص وثيمة وحسرة - رواه أبو داود ، وهو حديث  
صحيح . والآيات والأحاديث والآثار في الحث على ذكر الله تعالى كثيرة جداً ، وفي هذه  
الآية الكريمة حثٌ على الاكثار من ذلك ، وقد صنف العلماء في الأذكار المتعلقة بآداء الليل  
والنهار مصنفات كثيرة ، ومن أحسنها في ذلك كتاب « الأذكار » للإمام النووي رحمه الله ،  
وقد اختصره شيخ الإسلام ابن تيمية وسماه بـ « الكلم الطيب » وطبعه المكتب الإسلامي طباعة  
جيدة عتقة ، ليكون في متناول أيدي الناس - وخاصة الشباب منهم - وليجدوا بذلك عوناً  
لهم على ذكر الله عز وجل .

قاله أبو العالية ، وقادة . والثاني : أنها الظهر والمصر والمنرب والعشاء . قاله ابن السائب . والثالث : أنها الظهر والمصر ، قاله مقاتل .

والقول الثاني : أنه التسبيح باللسان ، وهو قول : « سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله » ، قاله مجاهد . قوله تعالى : ( هو الذي يصلي عليكم وملائكته ) في صلاة الله علينا خمسة أقوال .

أحدها : أنها رحمته ، قاله الحسن . والثاني : مغفرته ، قاله سعيد بن جبير . والثالث : تناؤه ، قاله أبو العالية ، والرابع : كرامته ، قاله سفيان . والخامس : بركته ، قاله أبو عبيدة .

وفي صلاة الملائكة قولان .

أحدهما : أنها دعاؤهم ، قاله أبو العالية . والثاني : استغفارهم ، قاله مقاتل . وفي الظلمات والنور هاهنا ثلاثة أقوال .

أحدها : الضلالة والهدى ، قاله ابن زيد . والثاني : الإيمان والكفر ، قاله مقاتل . والثالث : الجنة والنار ، حكاه الماوردي .

قوله تعالى : ( تَحِيَّتُهُمْ ) الهاء والميم كناية عن المؤمنين .

فأما الهاء في قوله : ( يَلْقَوْنَهُ ) ففيها قولان .

أحدهما : أنها ترجع إلى الله عز وجل . ثم فيه ثلاثة أقوال . أحدها : أن معناه : تحييتهم من الله يوم يَلْقَوْنَهُ سلام . وروى صيب عن النبي ﷺ أن الله يسلم على أهل الجنة . والثاني : تحييتهم من الملائكة يوم يَلْقَوْنَهُ الله : سلام ،

قاله مقاتل . وقال أبو حمزة الثمالي : تسليّم عليهم الملائكة يوم القيامة ، وتبشّروهم حين يخرجون من قبورهم . والثالث : تحييتهم بينهم يوم يلقون ربّهم : سلام ، وهو أن يُحيّي بعضهم بعضاً بالسلام ، ذكره أبو سليمان الدمشقي .

والقول الثاني : أن الهاء ترجع إلى ملك الموت ، وقد سبق ذكره في ذكر الملائكة . قال ابن مسعود : إذا جاء ملك الموت لقبض روح المؤمن قال له : ربّك يقرئك السلام <sup>(١)</sup> . وقال البراء بن عازب : في قوله : « تحييتهم يوم يلقونه » قال : ملك الموت ، ليس مؤمن يقبض روحه إلا سلّم عليه <sup>(٢)</sup> . فأما الأجر الكريم ، فهو الحسن في الجنة <sup>(٣)</sup> .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً . وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً . وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً . وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذُنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴾

(١) ذكره السيوطي في « الدر » : ٢٠٦/٥ من رواية المروزي في « الجائز » وابن أبي الدنيا وأبي الشيخ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٢) ذكره السيوطي في « الدر » : ٢٠٦/٥ من رواية ابن أبي شيبة في « المصنف » ، وابن أبي الدنيا في « ذكر الموت » ، وعبد بن حميد ، وأبي يعلى ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه ، والبيهقي في « شعب الإيمان » عن البراء بن عازب رضي الله عنه .

(٣) قال ابن كثير : وقوله تعالى ( تحييتهم يوم يلقونه سلام ) الظاهر أن المراد - والله أعلم - تحييتهم ، أي من الله تعالى يوم يلقونه : سلام ، أي : يسلم عليهم ، كما قال عز وجل : ( سلام قولاً من ربِّ رحيم ) ، قال : وقوله تعالى : ( وأعد لهم أجراً كريماً ) يعني الجنة وما فيها من المآكل والمشرب والملابس والمساكن والمناكح والملاذ والمناظر مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . اهـ .

قوله تعالى : ( يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً ) أي : على أُمَّتِكَ بالبلاغ ( ومبشراً ) بالجنة لمن صدَّقَكَ ( ونذيراً ) أي : منذراً بالنار لمن كذَّبَكَ <sup>(١)</sup> ، ( وداعياً إلى الله ) أي : إلى توحيده وطاعته ( بِإِذْنِهِ ) أي : بأمره ، لا أنك فعلته من تلقاء نفسك ( وسراجاً منيراً ) أي : أنت لمن اتَّبَعَكَ «سراجاً» ، أي : كالسراج المضيء في الظلمة يُهتدى به .

قوله تعالى : ( وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً ) وهو الجنة . قال جابر بن عبد الله : لما أُنزل قوله : ( إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً ... ) الآيات [ الفتح ] قال الصحابة : هنيئاً لك يا رسول الله ، فإلنا ؛ فزلت هذه الآية <sup>(٢)</sup> .

قوله تعالى : ( وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ ) قد سبق في أول السورة .

قوله تعالى : ( وَدَعْ أَذَاهُمْ ) قال العلماء : مناه : لا تجازم عليه ( وتوكلْ عَلَى اللَّهِ ) في كفاية سرِّهم <sup>(٣)</sup> ؛ وهذا منسوخ بآية السيف .

(١) روى أحمد في « المسند » والبخاري في « صحيحه » عن عطاء بن يسار رضي الله عنه ، قال : لقيت عبد الله بن عمرو بن الماص ، قلت : أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة ، قال : أجل ، والله إنه لموصوف ببعض صفته في القرآن : ( يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِراً وَنَذِيراً ) وحِزْراً لِلْأُمِّيِّينَ ، أنت عبيدي ورسولي ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ، ولا غليظ ، ولا سخَّاب في الأسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة الموجه ، بأن يقولوا : لا إله إلا الله ، ويفتح بها أعيناً عمياً ، وآذاناً صماً ، وقلوباً غلفاً .

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري عن عكرمة والحسن البصري قالا : لما نزلت ( ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ) قال رجال من المؤمنين : هنيئاً لك يا رسول الله قد علنا ما يفعل بك ، فإذا يفعل بنا ؟ فأُزل : ( ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنتاً ... ) الآية ، وأُزل في سورة ( الأحزاب ) : ( وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً ) .

(٣) قال ابن جرير الطبري : وقوله : ( وتوكل على الله ) يقول : وفوض إلى الله أمورك ، وتوكل به ، فانه كافيك جميع من دونه حتى يأتيك أمره وقضاؤه ، ( وكفى بالله وكيلاً ) يقول : وحسبك بالله قسماً بأمورك ، وحافظاً لك وكائناً . اهـ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَاذْكُمْنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمِنْهُنَّ وَسَرَحوهُنَّ سَرَاحًا جَبِيلًا ﴾  
 قوله تعالى : ( إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ) <sup>(١)</sup> قال الزجاج : معنى « نَكَحْتُمُ »

(١) قال ابن كثير : هذه الآية الكريمة فيها أحكام كثيرة ، منها إطلاق النكاح على العقد وحده ، وليس في القرآن آية أصرح في ذلك منها ، وقد اختلفوا في النكاح ، هل هو حقيقة في العقد وحده ، أو في الوطء ، أو فيها ؟ على ثلاثة أقوال ، واستعمال القرآن إنما هو في العقد والوطء بعده ، إلا في هذه الآية ، فإنه استعمل في العقد وحده ، لقوله تبارك وتعالى : ( إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ ) وفيها دلالة لإباحة طلاق المرأة قبل الدخول بها ، وقوله تعالى : ( الْمُؤْمِنَاتِ ) خرج مخرج القالب ، إذ لا فرق في الحكم بين المؤمنة والكتانية في ذلك بالاتفاق . وقد استدل ابن عباس رضي الله عنهما ، وسعيد بن المسيب ، والحسن البصري ، وعلي بن الحسين زين العابدين ، وجماعة من السلف بهذه الآية على أن الطلاق لا يقع إلا إذا تقدمه نكاح ، لأن الله تعالى قال : ( إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ ) فقبل النكاح بالطلاق ، فدل على أنه لا يصح ولا يقع قبله ، وهذا مذهب الشافعي وأحمد بن حنبل وطائفة كثيرة من السلف والخلف رحمهم الله تعالى ، قال : وذهب مالك وأبو حنيفة رحمهما الله تعالى إلى صحة الطلاق قبل النكاح فيما إذا قال : إن تزوجت فلانة فهي طالق ، فبأنها متى تزوجها طلقت منه ، واختلفا فيما إذا قال : كل امرأة أتزوجها فهي طالق ، فقال مالك : لا تطلق حتى يبين المرأة ، وقال أبو حنيفة رحمه الله : كل امرأة يتزوجها بعد هذا الكلام تطلق منه . قال : فأما الجمهور ، فاحتجوا على عدم وقوع الطلاق بهذه الآية ، قال : وقد ورد الحديث بذلك عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ : « لا طلاق لابن آدم فيما لا يملك » ، رواه أحمد وأبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن ، وهو أحسن شيء روي في هذا الباب ، قال : وهكذا روى ابن ماجه عن علي والسور بن غرمة رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لا طلاق قبل النكاح » . اهـ .

زاد المسير ٦ م (٢٦)

تزوجتم . ومعنى « تَمَسَّوْهُنَّ » تقرَّبوهن . وقرأ حمزة ، والكسائي :  
« تَمَسَّوْهُنَّ » ، بآلف .

قوله تعالى : ( فَاَلَيْكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا ) أجمع العلماء أنه إذا كان  
الطلاق قبل المسيس والخلوة فلا عِدَّة <sup>(١)</sup> ؛ وعندنا <sup>(٢)</sup> أن الخلوة توجب المِدَّة  
وتقرَّر الصَّدَاق ، خلافاً للشافعي .

قوله تعالى : ( فَتَمَسَّوْهُنَّ ) المراد به من لم يُسَمِّ لها مهراً ، لقوله في  
( البقرة : ٢٣٦ ) : ( أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً ) وقد يَنبَغِي المتعة هناك وكان  
سعيد بن المسيَّب وقتادة يقولان : هذه الآية منسوخة بقوله : ( فَتَنْصِفُ  
مَافَرَضْتُمْ ) [البقرة : ٢٣٧] .

قوله تعالى : ( وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ) أي : من غير إضرار ، وقال  
قتادة : هو طلاقها طاهراً من غير جماع . وقال القاضي أبو يعلى : الأظهر أن  
هذا التسريح ليس بطلاق ، لأنه قد ذكر الطلاق ، وإعما هو بيان أنه لا سبيل له  
عليها ، وأن عليه تحليتها من يده وحباله .

### ❦ فصل ❦

واختلف العلماء فيمن قال : إن تزوجتُ فلانة فهي طالق ، ثم تزوجها ؛  
فَعِنْدَنَا أنها لا تطلق ، وهو قول ابن عباس ، وعائشة ، والشافعي ، واستدل أصحابنا

(١) قال ابن كثير : هذا أمر يجمع عليه بين العلماء أن المرأة إذا طلقت قبل الدخول بها ،  
لأعدة عليها ، فذهب فقهاء في فورها من شامت ، ولا يستثنى من هذا إلا المتوفى عنها زوجها ،  
فإنها تمتد منه أربعة أشهر وعشراً وإن لم يكن دخل بها بالإجماع أيضاً . اهـ .  
(٢) أي : معاصر الخاتبة .

بهذه الآية ، وأنه جعل الطلاق بعد النكاح . وقال سماك بن الفضل : النكاح عقد ، والطلاق يحلها ، فكيف يحل عقد لم يُعقد ؟ فجعل بهذه الكلمة قاضياً على « صنماء » . وقال أبو حنيفة : ينقذ الطلاق ، فإذا وجد النكاح وقع . وقال مالك : ينقذ ذلك في خصوص النساء ، وهو إذا كان في امرأة بينها ، ولا ينقذ في عمومهن . فأما إذا قال : إن ملكت فلاناً فهو حرّ ، ففيه عن أحمد روايتان .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكِ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِيُكَيَّلَ بِكَوْنٍ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا . تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤَيِّ إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنْ ابْتَغَيْتَ يَمِّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقْرَ أَغْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَبِرَّضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا . لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴾

قوله تعالى : ( إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ ) ذكر الله تعالى أنواع الأنكحة التي أحلها له ، فقال : ( أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ ) أي : مهورهن ، وهن اللواتي تزوجتهن بصدّق ( وما ملكت يمينك ) يعني الجوّاري

(مِمَّا آفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ) أي : ردّ عليك من الكفار ، كصفيّة وجويرة ، فانه أعتقها وتزوجها ( وبنات عمك وبنات عماتك ) يعني نساء قريش ( وبنات خالك وبنات خالاتك ) يعني نساء بني زهرة <sup>(١)</sup> ( اللاتي هاجرن منك ) إلى المدينة . قال القاضي أبو يعلى : و [ ظاهر ] هذا يدلّ على أن من لم تهجر معه من النساء لم يحلّ له نكاحها . وقالت أم هانيء : خطبني رسول الله ﷺ فاعتذرت إليه بمذر ، ثم أنزل الله تعالى : « إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ » إلى قوله : « اللاتي هاجرن منك » ، قالت : فلم أكن لأحلّ له ، لأنّي لم أهاجر معه ، كنت من الطلقاء <sup>(٢)</sup> ؛ وهذا يدلّ من مذهبا أن تخصيصه بالمهاجرات قد أوجب حظر من لم يهاجر . وذكر بعض المفسرين : أن شرط الهجرة في التحليل منسوخ ، ولم يذكر ناسخه . وحكى الماوردي في ذلك قولين . أحدهما : أن الهجرة شرط في إحلال النساء له على الإطلاق . والثاني : أنه شرط في إحلال قرباته المذكورات في الآية دون الأجنبية .

(١) قال ابن كثير في قوله تعالى : ( وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك ... ) الآية : هذا عدل وسط بين الإفراط والتفريط ، فإن النصارى لا يتزوجون المرأة إلا إذا كان الرجل بيته وبينها سبعة أجداد فصاعداً ، واليهود يتزوج أحدهم بنت أخيه وبنت أخته ، فجاءت هذه الشريعة الكاملة الطاهرة بهم إفراط النصارى - فأباح بنت العم والعمة ، وبنت الخال والخالة - وتحريم ما فرطت فيه اليهود من إباحة بنت الأخ والأخت ، وهذا شنيع فظيع . اهـ .

(٢) رواه ابن جرير الطبري : ٢٠/٢٢ من طريق السدي عن أبي صالح عن أم هانيء رضي الله عنها ، والسدي وأبو صالح ضعيفان . ورواه الترمذي في « جامع » : ١٥٣/٢ به وقال : هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث السدي ، ورواه الحاكم في « المستدرک » : ٤٢٠/٢ به ، وصححه ، ووافقه الذهبي ، والحديث أخرجه الحافظ ابن حجر في « تخریج الکشاف » : ١٣٥ وقال : رواه الترمذي ، والحاكم ، وابن أبي شبة ، وإسحاق ، والطبري ، والطبراني ، وابن أبي حاتم ، كلهم من رواية السدي عن أبي صالح عن أم هانيء ، وأورده السيوطي في « الدر » : ٢٠٨/٥ ، وزاد نسبه لابن سعد ، وعبد بن حميد ، وابن مردويه ، والبيهقي . قال ابن كثير : وقد رواه ابن أبي حاتم من حديث إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح عن أم هانيء بنحوه .



قوله تعالى : ( وامرأة مؤمنة ) أي : وأحللنا لك امرأة مؤمنة ( إن وهبت نفسها لك ) ، ( إن أراد النبي أن يستنكحها ) أي : إن أثر نكاحها ( خالصة لك ) أي : خاصة . قال الزجاج : وإنما قال : « إن وهبت نفسها للنبي » ، ولم يقل : « لك » ، لأنه لو قال : « لك » ، جاز أن يتوهم أن ذلك يجوز لنبي رسول الله ﷺ كما جاز في بنات الممّ وبنات العمّات . و« خالصة » منصوب على الحال .

والمفسرين في معنى « خالصة » ثلاثة أقوال .

أحدها : أن المرأة إذا وهبت له نفسها ، لم يلزمه صداقها دون غيره من المؤمنين ، قاله أنس بن مالك ، وسعيد بن المسيّب .

والثاني : أن له أن ينكحها بلا ولي ولا مهر دون غيره ، قاله قتادة .

والثالث : خالصة لك أن تملك عقد نكاحها بلفظ الهبة دون المؤمنين ، وهذا قول الشافعي ، وأحمد <sup>(١)</sup> .

وفي المرأة التي وهبت له نفسها أقوال . أحدها : أمّ شريك . والثاني : خولة بنت حكيم . ولم يدخل بواحدة منها . وذكروا أن ليلي بنت الخطيم وهبت

(١) قال ابن كثير : وقوله تعالى : ( خالصة لك من دون المؤمنين ) قال عكرمة : أي : لا تحل الموهوبة لنبيك ، ولو أن امرأة وهبت نفسها لرجل ، لم تحل له حتى يعطيها شيئاً ، وكذا قال مجاهد والشمي وغيرهما ، أي أنها إذا فوضت المرأة نفسها إلى رجل ، فإنه متى دخل بها وجب عليه لها مهر مثلها ، كما حكم به رسول الله ﷺ في زويج بنت واشق لما فوضت ، فحكم لها رسول الله ﷺ بصدّق مثلها لما توفي عنها زوجها ، قال : والموت والدخول سواء في تقرير المهر ، وثبوت مهر المثل في الفوضة لنبي النبي ﷺ ، فأما هو عليه الصلاة والسلام ، فإنه لا يجب عليه للفوضة شيء ولو دخل بها ، لأن له أن يتزوج بغير صداق ولا ولي ولا شهود ، كما في قصة زينب بنت جحش رضي الله عنها ، ولهذا قال قتادة في قوله : ( خالصة لك من دون المؤمنين ) يقول : ليس لامرأة تب نفسها لرجل بغير ولي ولا مهر ، إلا للنبي ﷺ . اهـ .

نفسها له فلم يقبلها . قال ابن عباس : لم يكن عند رسول الله ﷺ امرأة وهبت نفسها له <sup>(١)</sup> . وقد حكى عن ابن عباس أن التي وهبت نفسها له ميمونة بنت الحارث ، وعن الشعبي : أنها زينب بنت خزيمة . والأول : أصح <sup>(٢)</sup> .  
قوله تعالى : ( قد علمنا ماقرضنا عليهم ) أي : على المؤمنين غيرك ( في أزواجهم ) وفيه قولان .

أحدهما : أن لا يجاوز الرجل أربع نسوة ، قاله مجاهد .  
والثاني : أن لا يتزوج الرجل المرأة إلا بوليّ وشاهدين وصداق ، قاله قتادة .  
قوله تعالى : ( وما ملكك أيمانهم ) أي : وما أبخنا لهم من ملك اليمين مع الأربع الحرائر من غير عدد محصور <sup>(٣)</sup> .  
قوله تعالى : ( لكيلا يكون عليك حرج ) هذا فيه تقديم ؛ المعنى :

(١) أخرجه الطبري : ٢٢/٢٣ من طريق سماك عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » ٨/٤٠٤ : وإسناده حسن ، والمراد : أنه لم يدخل بواحدة ممن وهبت نفسها له ، وإن كان مباحا له ، لأنه راجع إلى إرادته ، لقوله تعالى : ( إن أراد التي أن يستنكحها ) .  
(٢) قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » ٨/٤٠٤ : ومنه ( يعني الموهوبات ) زينب بنت خزيمة ، جاء عن الشعبي ، وليس بثابت ، وقال : وعند ابن أبي حاتم من طريق قتادة عن ابن عباس قال : التي وهبت نفسها للنبي ﷺ ، هي ميمونة بنت الحارث ، قال : وهذا منقطع ، وقال : وأورده من وجه آخر مرسل ، وإسناده ضعيف ، اهـ وقد ثبت أن بعض النساء وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ .  
وقد قال ابن كثير : اللاتي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ كثير ، كما قال البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : كنت أغار من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ وأقول : أتعب المرأة نفسها ؟ ! فلما أنزل الله تعالى : ( ترجي من تشاء ومنهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ) قلت : ما أرى ربك إلا يسارع في هواك .

(٣) قال ابن كثير : وقوله : ( قد علمنا ماقرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكك أيمانهم ) قال أبي بن كعب ، ومجاهد ، والحسن ، وقاتدة ، وابن جرير في قوله : ( قد علمنا ماقرضنا عليهم في أزواجهم ) أي : من حصروا في أربع نسوة حرائر وما شأوا من الإماء ، واشترط الولي والمهر والشهود عليهم ، وم الأمة ، وقد رخصنا لك في ذلك فلم نوجب عليك شيئا منه ( لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما ) . اهـ .

أحللنا لك أزواجك ، إلى قوله : « خالصةً لك من دون المؤمنين » « لكبلاً يكون عليك حرج » .

قوله تعالى : ( مُرْجِي مِنْ تَشَاءِ مِنْهُنَّ ) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن حاصر ، وأبو بكر عن عاصم : « مُرْجِي » مهموزاً ؛ وقرأ نافع ، وحمة ، والكسائي ، وحفص عن عاصم : بغير همز . وسبب نزولها أنه لما نزلت آية التخيير المتقدمة ، أشفقن أن يُطلقن ، فقلن : يا نبي الله ، اجعل لنا من ماله ونفسك ماشئت ، ودعنا على حالنا ، فنزلت هذه الآية ، قاله أبو رزين <sup>(١)</sup> .

وفي معنى الآية أربعة أقوال .

أحدها : تطلق من تشاء من نسائك ، وتُنكِح من تشاء من نسائك ، قاله ابن عباس .

والثاني : تترك نكاح من تشاء ، وتُنكِح من نساء أمتك من تشاء ، قاله الحسن .

والثالث : تعزل من شئت من أزواجك فلا تأتيها بغير طلاق ، وتأتي من تشاء فلا تعزلهما . قاله مجاهد .

والرابع : تنكب من تشاء من المؤمنات اللواتي يهبن أنفسهن ، وتترك من تشاء ، قاله الشعبي ، وعكرمة .

وأكثر العلماء على أن هذه الآية نزلت مبيحة لرسول الله ﷺ مصاحبة نسائه كيف شاء من غير إيجاب القسم عليه والتسوية بينهما ، غير أنه كان يسوي

(١) قال الحافظ ابن حجر في « تخريج الكشاف » ١٣٥ : أخرجه ابن أبي شيبة من

رواية رزين ، قال : وهذا مرسل . اهـ . وذكره الواحدي في « أسباب النزول » : ٢٠٥

بدون سند وقال : وقال قوم ... الخ .

بينهن<sup>(١)</sup> . وقال الزهري : ما علمنا رسول الله ﷺ أرجأ منهن أحداً ، ولقد آواهن كلهن حتى مات . وقال أبو رزين : آوى عائشة ، وأم سلمة ، وحفصة ، وزينب ، وكان قسمته من نفسه وماله فيهن سواء . وأرجأ سودة ، وجويرة ، وصفية ، وأم حبيبة ، وميمونة ، وكان يقسم لهن ما شاء . وكان أراد فراقهن فقلن : اقسم لنا ما شئت ، ودعنا على حالنا . وقال قوم : إنما أرجأ سودة وحدها لأنها وهبت يومها لعائشة ، فتوفي وهو يقسم لثمان .

قوله تعالى : ( وتؤوي ) أي : تضم ، ( ومن ابتغيت ممن عزلت ) أي : إذا أردت أن تؤوي إليك امرأة ممن عزلت من القسمة ( فلا جناح عليك ) أي : لا ميل عليك بلوم ولا عتب ( ذلك أدنى أن تقر أعينهن ) أي : ذلك التخيير الذي خيرناك في صحتهن أقرب إلى رضاهن . والمعنى : لمن إذا علمن أن هذا أمر من الله ، كان أطيب لأقْسهن . وقرأ ابن محيصن ، وأبو صمران الجوني : « أن تُقر » بضم التاء وكسر القاف « أعينهن » ، ينصب النون .

(١) قال ابن كثير : ولهذا ذهب طائفة من العلماء من الشافعية وغيرهم إلى أنه لم يكن القسم واجباً عليه ﷺ ، واحتجوا بهذه الآية الكريمة ، قال : وقال البخاري عن معاذ عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يستأذن في اليوم المرأة منا بعد أن زلت هذه الآية : ( ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ) فقلت لها : ما كنت تقولين ؟ فقالت : كنت أقول : إن كان ذلك إلي فاني لأريد يا رسول الله أن أوثر عليك أحداً . قال ابن كثير : فهذا الحديث عنها يدل على أن المراد من ذلك عدم وجود القسم ، وحديثها الأول - يعني : « أرى ربك يسارع في هلاك » - يقتضي أن الآية زلت في الواهيات ، قال : ومن هاهنا اختار ابن جرير أن الآية عامة في الواهيات وفي النساء اللاتي عنده أنه غير فيهن ، إن شاء قسم ، وإن شاء لم يقسم ، قال : وهذا الذي اختاره حسن جيد قوي ، وفيه جمع بين الأحاديث . اهـ .

( وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْنَهُنَّ كُلُّهُنَّ ) أي : بما أعطيتهن من قريب وتأخير <sup>(١)</sup> ( والله يعلم ما في قلوبكم ) من الميل إلى بعضهن <sup>(٢)</sup> . والمعنى : إنما خيرناك تسليلاً عليك .

قوله تعالى : ( لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ ) كلهم قرأ : « لَا يَحِلُّ » بإياء ، غير أبي عمرو ، فانه قرأ بالناء ؛ والتأنيث ليس بحقيقي ، إنما هو تأنيث الجمع ، فالقراءتان حسنتان .

وفي قوله : ( مِنْ بَعْدُ ) ثلاثة أقوال .

أحدها : من بعد نسائك اللواتي خيرتهن فاخترن الله ورسوله ، قاله ابن عباس ، والحسن ، وقتادة في آخرين ، وهن التسع ، فصار [ مقصوداً ] عليهن ممنوعاً من غيرهن وذكر أهل العلم أن طلاقه لحفصة وعزمه على طلاق سودة كان قبل التخيير <sup>(٣)</sup> .

(١) قال ابن كثير : أي : إذا علم أن الله قد وضع عنك الحرج في القسم ، فإن شئت قسمت ، وإن شئت لم تقسم ، لاجتراح عليك في أي ذلك فعلت ، ثم مع هذا إن تقسم لمن اختياراً منك ، لأنه على سبيل الوجوب ، فرحن بذلك واستبشرون به وحملن جميلك في ذلك ، واعترفن بمشقتك عليهن في قسمك لمن وتسويتك بينهن ، وإنصافك لمن ، وعدلك فيهن . اهـ .

(٢) قال ابن كثير : أي : من الميل إلى بعضهن دون بعض بما لا يمكن دفعه . اهـ . وروى الامام أحمد ، وأبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه ، والدارمي بسند جيد عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقسم بين نساؤه فيعدل ويقول : « اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تليني فيما تملك ولا أملك » . هذا بالنسبة له ﷺ ، وقد قال رسول الله ﷺ بالنسبة لغيره فيما رواه أبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ، والدارمي بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إذا كانت عند الرجل امرأتان فلم يعدل بينهما ، جاء يوم القيامة وشيفه ساقط » .

(٣) قال ابن كثير : فأما قضية سودة ، ففي « الصحيح » عن عائشة رضي الله تبارك وتعالى عنها : —

والثاني : من بعد الذي أحلنا لك ، فكانت الإباحة بعد نسائه مقصورة على المذكور في قوله : « إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ » إلى قوله : « خالصة لك » ؛ قاله أبي بن كعب ، والضحاك .

والثالث : لا تحل لك النساء غير المسلمات كاليهوديات والنصرانيات والمشركات ، وتحل لك المسلمات ، قاله مجاهد .

قوله تعالى : ( وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بَهِنَّ ) فيه ثلاثة أقوال .

أحدها : أَنْ تَطْلُقَ زَوْجَانِكَ وَتَسْتَبْدِلَ بِهِنَّ سِوَاهُنَّ <sup>(١)</sup> ، قاله الضحاك .

والثاني : أَنْ تَبَدَّلَ بِالمسلمات المشركات ، قاله مجاهد في آخرين .

والثالث : أَنْ تُعْطِيَ الرَّجُلَ زَوْجَتَكَ وَتَأْخُذَ زَوْجَتَهُ ، وهذه كانت عادة للجاهلية ، قاله أبو هريرة ، وابن زيد .

قوله تعالى : ( إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ) يعني الإمام .

وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال .

أحدها : إِلَّا أَنْ تَمْلِكَ بِالسَّيِّ ، فَيَحِلَّ لَكَ وَطْؤُهَا وَإِنْ كَانَتْ مِنْ غَيْرِ الصِّنْفِ الَّذِي أَحْلَلْتَهُ لَكَ ؛ وإلى هذا أوماً أبي بن كعب في آخرين .

والثاني : إِلَّا أَنْ تَصِيبَ يَهُودِيَةً أَوْ نَصْرَانِيَةً فَتَطْأَهَا بِعِلِّكَ الْيَمِينِ ، قاله ابن عباس ، ومجاهد .

— وهي سبب زول قوله تعالى : ( وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَهِلْمِهِمْ نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ... ) الآية ، وأما قضية حفصة ، فروى أبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه ، وابن حبان في « صحيحه » ، من طرق عن عمر أن رسول الله ﷺ طلق حفصة ثم راجعها ، قال : وهذا إسناد قوي . اهـ .

(١) قال ابن كثير : فنهى عن الزيادة عليهن إن طلق واحدة منهن واستبدل غيرها بها إلا ما ملكت يمينه . اهـ .

والثالث : «إلا» أن تبدل أمتك بأمة غيرك ، قاله ابن زيد .  
قال أبو سليمان التمشقي : وهذه الأقوال جائزة ، «إلا» أننا لا نعلم أن رسول الله ﷺ نكح يهودية ولا نصرانية بتزويج ولا ملك عيين ، ولقد سبى ربحانة القرظية فلم يَدْنُ منها حتى أسلمت .

### ﴿ فصل ﴾

واختلف علماء الناسخ والنسوخ في هذه الآية على قولين .  
أحدهما : أنها منسوخة بقوله : « إِنَّا أَهْلُكُمْ لَكَ أَزْوَاجُكَ » ، وهذا مروى عن عليّ ، وابن عباس ، ، وعائشة ، وأم سلمة ، وعلي بن الحسين ، والضحاك .  
وقالت عائشة : ما مات رسول الله ﷺ حتى أُحِلَّ له النساء <sup>(١)</sup> ، قال أبو سليمان التمشقي : يعني نساء جميع القبائل من المهاجرات وغير المهاجرات .  
والقول الثاني : أنها محكمة ؛ ثم فيها قولان .  
أحدهما : أن الله تعالى أتاب نساءه حين اختارنه بأن قصّره عليهنّ ، فلم يُحِلَّ له غيرهنّ ، ولم ينسخ هذا ، قاله الحسن ، وابن سيرين ، وأبو أمامة بن سهل ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث <sup>(٢)</sup> .  
والثاني : أن المراد بالنساء هاهنا : الكافرات ، ولم يَحْجُزْ له أن يتزوج كافرة ، قاله مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، وجابر بن زيد .

(١) رواه أحمد في « المسند » والترمذي في « جامعه » والنسائي في « سننه » عن عائشة رضي الله عنها .  
(٢) قال ابن كثير : ذكر غير واحد من العلماء ، كابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك ، وقتادة ، وابن زيد ، وابن جرير ، وغيرهم ، أن هذه الآية نزلت مجازاة لأزواج النبي ﷺ ، ورضيَ عنهن على حسن متبعين في اختيارهنّ الله ورسوله والدار الآخرة لما خيرهن رسول الله —

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرِينَ إِنَّمَا وَلَكُمْ إِنَّمَا إِذَا دُعِيتُمْ فَأَدْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾

قوله تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ . . . ) الآية (١) .  
في سبب نزولها ستة أقوال .

— **عَنْ** رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فلما اخترن رسول الله ﷺ ، كان جزاؤه أن الله تعالى قصره عليهن ، وحرّم عليه أن يتزوج بغيرهن ، أو يستبدل بهن أزواجهن غيرهن ولو أعجبه حسنهن ، إلا الاماء والسراري ، فلا حرج عليه فيهن ، ثم إنه تعالى رفع عنه الحرج في ذلك ونسخ حكم هذه الآية ، وأباح له التزوج ، ولكن لم يقع منه بعد ذلك زوج ، لتكون البينة لرسول الله ﷺ عليهن ، وذكر ابن كثير بعض الأدلة على ذلك ، ثم قال : وذلك قوله تعالى : ( ترجي من تشاء منهن . . . ) الآية ، قال : فجملت هذه فاسخة لتي بعدها في التلاوة ، كآتي عدة الوفاة في ( البقرة ) الأولى فاسخة لتي بعدها ، والله أعلم . قال : وقال آخرون : بل معنى الآية : ( لا يحل النساء بعد ) أي : من بعد ما ذكرنا لك من صفة النساء اللاتي أحلنا لك من نسائك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك وبنيات الهم والمهات والخال والحالات ، والنواصة ، وما سوى ذلك من أصناف النساء ، فلا يحل لك ، وذكر بعض أقوال السلف في ذلك ، ثم قال : واختار ابن جرير رحمه الله أن الآية عامة فيمن ذكر من أصناف النساء ، وفي النساء اللواتي في عصمته وكن تسمأ ، قال : وهذا الذي قاله جيد ، ولعله مراد كثير ممن حكينا عنه من السلف ، فإن كثيراً منهم روي عنه هذا وهذا ، ولا منافاة ، والله أعلم . اهـ .

(١) قال ابن كثير : هذه آية الحجاب ، وفيها أحكام وآداب شرعية ، وهي بما وافق —



القول الأول : أخرجاه في « الصحيحين » من حديث أنس بن مالك ، أن رسول الله ﷺ لما تزوج زينب بنت جحش دما القوم ، فطعموا ثم جلسوا يتحدثون ، فأخذ كأنه يتنبأ للقيام ، فلم يقوموا ، فلما رأى ذلك قام وقام من القوم من قام ، وقعد ثلاثة ، فجاء رسول الله ﷺ فدخل فإذا القوم جلوس ، فرجع ، وإلّهم قاموا فانطلقوا ، وجئت فأخبرت النبي ﷺ أنهم قد انطلقوا ، فجاء حتى دخل ، وذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه ، وأنزل الله تعالى هذه الآية (١) .

والثاني : أن ناساً من المؤمنين كانوا يتحينون طعام النبي ﷺ فيدخلون عليه قبل الطعام إلى أن يدرك (٢) ، ثم يأكلون ولا يخرجون ، فكان رسول الله ﷺ يتأذى بهم ، فنزلت هذه الآية ، قاله ابن عباس (٣) .

والثالث : أن عمر بن الخطاب قال : قلت يا رسول الله ! إن نساءك يدخل

— تنزيها قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، كما ثبت ذلك في « الصحيحين » عنه أنه قال : وافقت ربي عز وجل في ثلاث ، قلت : يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى ، فأزل الله تعالى : ( واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ) وقلت : يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن البسمة والنفاجر ، فأنزل الله آية الحجاب ، وقلت لأزواج النبي ﷺ لما نالن عليه في التيرة : ( عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن ) فنزلت كذلك . قال : وفي رواية لمسلم ذكر أسارى بدر ، وهي قضية رابعة . اهـ .

(١) البخاري : ٤٠٦/٨ ، ٤٠٧ ، ومسلم : ١٠٥٠/٢ ، ورواه ابن جرير الطبري بنحوه : ٣٧/٢٢ ، وأورده السيوطي في « الدر » : ٢١٣/٥ ، وزاد لسبته لأحمد ، وعبد بن حميد ، والنسائي ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، والبيهقي في « سننه » من طرق عن أنس رضي الله عنه .

(٢) أي : إلى أن ينضج الطعام .

(٣) ذكره البغوي في « تفسيره » عن ابن عباس بدون سند .

عليهن البرّ والفاجر ، فلو أمرتهنّ أن يَحْتَجِبْنَ ، فنزلت آية الحجاب ، أخرجه البخاري من حديث أنس ، وأخرجه مسلم من حديث ابن عمر ، كلاهما عن عمر <sup>(١)</sup> .

والرابع : أن عمر أمر نساء رسول الله ﷺ بالحجاب ، فقالت زينب : يا ابن الخطاب ، إنك لتفارق علينا والوحي ينزل في بيوتنا ؛ فنزلت الآية ، قاله ابن مسعود <sup>(٢)</sup> .

والخامس : أن عمر كان يقول لرسول الله ﷺ : احجب نساءك ، فلا يفعل ، فخرجت سَوْدَةُ لَيْلَةَ ، فقال عمر : قد عرفناك ياسَوْدَةُ - حرصاً على أن ينزل الحجاب - فنزل الحجاب ، رواه عكرمة عن عائشة <sup>(٣)</sup> .

(١) البخاري : ٤٠٦/٨ ، ومسلم : ١٨٦٥/٤ وهو طرف من حديث أوله : « وافقت ربي في ثلاث . . . » وقد تقدم في الصفحة التي قبل هذه .

(٢) د الطبري : ٤٠/٢٢ من طريق عطاء بن السائب ، عن أبي وائل عن ابن مسعود ، وذكره السيوطي في « الدرر » : ٢١٤/٥ من رواية ابن مردويه عن ابن مسعود رضي الله عنه ، قال الحافظ ابن حجر في « تخريج الكشاف » ١٣٧ : رواه الثعلبي من رواية مجاهد عن الشعبي .

(٣) رواه الطبري : ٤٠/٢٢ من طريق عروة عن عائشة ، قال ابن كثير : هكذا وقع في هذه الرواية ، والمشهور أن هذا كان بعد نزول الحجاب ، كما رواه الامام أحمد والبخاري ومسلم من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : خرجت سودة بعدما ضرب الحجاب لحاجتها ، وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها ، فرآها عمر بن الخطاب فقال : ياسودة أما والله ما تخفين علينا ، فانظري كيف تخرجين ، قالت : فانكفأت راجعة ورسول الله ﷺ في بيتي وإنه ليتنشى وفي يده عيرق ، فدخلت فقالت : يا رسول الله إني خرجت لبعض حاجتي فقال لي عمر كذا وكذا ، قالت : فأوحى الله إلي ، ثم رجع عنه وإن العيرق في يده ما وضعه ، فقال : « إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن ، وقال ابن كثير : هذا لفظ البخاري . اهـ . وقال ابن كثير أيضاً : قوله تعالى : ( لا تدخلوا بيوت النبي ) حظر على المؤمنين أن يدخلوا منازل رسول الله ﷺ بشيء إذن كما كانوا قبل ذلك يصنعون في بيوتهم —

والسادس : أن رسول الله ﷺ كان يطعم معه بعض أصحابه ، فأصاب يد رجل منهم يد عائشة ، وكانت معهم ، فكره النبي ﷺ ذلك ، فنزلت آية الحجاب ، قاله مجاهد (١) .

قوله تعالى : ( إِنْ أَنْ يُؤْذَنْ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ ) أي : أن يُدْعَوْا إِلَيْهِ ( غَيْرَ نَاطِرِينَ ) أي : منتظرين ( إِنَّمَا ) . قال الزجاج : موضع « أَنْ » نصب ؛ والمعنى : إلا بأن يؤذن لكم ، أو لأن يؤذن ، و « غير » منصوبة على الحال ؛ والمعنى : إلا أن يؤذن لكم غير منتظرين . و « إِنَّمَا » : نُصِجَهِ وَبَلُوغِهِ .  
قوله تعالى : ( فَانْتَشِرُوا ) أي : فاخرجوا .

قوله تعالى : ( وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ) المعنى : ولا تدخلوا مستأنسين ، أي : طالبي الأنس لحديث ، وذلك أنهم كانوا يجلسون بعد الأكل فيتحدثون طويلاً ، وكان ذلك يؤذيه ، ويستحي أن يقول لهم : قوموا ، فلعنهم الله الأدب ، فذلك قوله : ( وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ) أي : لا يترك أن يُبَيِّنَ لكم ما هو الحق ( وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا ) أي : شيئاً يُسْتَمْتَعُ بِهِ وَيُنْتَفَعُ بِهِ مِنْ آلَةِ الْمَنْزِلِ ( فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ ) أي : سؤالكم إِيَّاهُنَّ الْمَتَاعَ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَطْهَرُ ( لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ) مِنَ الرِّبَا .

— في الجاهلية وابتداء الاسلام ، حتى غار الله لهذه الأمة ، فأمرهم بذلك ، وذلك من إكرامه تعالى هذه الأمة ، قال : ولهذا قال رسول الله ﷺ : « إِيَّاكُمْ وَالْدُخُولُ عَلَى النِّسَاءِ . . . » الحديث ، قال : ثم استثنى من ذلك فقال تعالى : ( إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ نَاطِرِينَ ) قال : قال مجاهد وقتادة وغيرهما ، أي : غير متحيين فنضجه واستواءه ، أي : لا ترقبوا الطعام إذا طبخ حتى إذا قرب الاستواء تعرضتم للدخول ، فإن هذا مما يكرهه الله وينميه ، قال : وهذا دليل على تحريم التطفيل ، وهو الذي تسميه العرب : « الضيفن » . اهـ .

(١) رواه الطبري : ٣٩/٢٢ عن مجاهد مرسلًا ، قال الحافظ ابن حجر في « تخريج الكشاف »

١٣٦ : رواه ابن أبي شيبة والطبري من طريق مجاهد مرسلًا .

قوله تعالى : ( وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ) أي : ما كان لكم أذاه في شيء من الأشياء . قال أبو عبيدة : و « كان » من حروف الزوائد . والمعنى : ما لكم أن تؤذوا رسول الله ( ولا أن تشكحوا أزواجه من بعده أبداً ) . روى عطاء عن ابن عباس ، قال : كان رجل من أصحاب رسول الله ﷺ قال : لو توفي رسول الله ﷺ تزوجت عائشة ، فأُنزل الله ما أنزل <sup>(١)</sup> . وزعم مقاتل أن ذلك الرجل طلحة بن عبيد الله <sup>(٢)</sup> .

قوله تعالى : ( إن ذلكم ) يعني نكاح أزواج رسول الله ﷺ ( كان عند الله عظيماً ) أي : ذنباً عظيماً للعقوبة <sup>(٣)</sup> .

(١) ذكره السيوطي في « الدر » : ٢١٤/٥ من طريق ابن مردويه عن ابن عباس . قال الحافظ ابن حجر في « تخريج الكشاف » ١٣٧ : وروى ابن أبي حاتم ، وابن مردويه من طريق داود عن عكرمة عن ابن عباس في هذه الآية قال : نزلت في رجل م أن يتزوج بعض نساء النبي ﷺ . . الحديث ، قال السيوطي في « الدر » : ٢١٤/٥ قال سفيان : ذكروا أنها عائشة رضي الله عنها . اهـ .

(٢) أخرج ابن سعد عن الواقدي عن عبد الله بن جعفر عن ابن أبي عون ، عن أبي بكر ابن حزم في هذه الآية قال : نزلت في طلحة قال : إذا توفي رسول الله ﷺ تزوجت عائشة . والواقدي متروك مع سفة علمه كما قال الحافظ ابن حجر في « التقریب » .

(٣) قال ابن كثير : ولهذا أجمع العلماء قاطبة على أن من توفي عنها رسول الله ﷺ من أزواجه أنه يحرم على غيره تزوجها من بعده ، لأنهن أزواجه في الدنيا والآخرة وأمهات المؤمنين كما تقدم ، قال : واختلفوا فيما دخل بها ثم طلقها في حياته ، هل يحل لغيره أن يتزوجها ؟ على قولين ، مأخذها هل دخلت هذه في عموم قوله : ( من بعده ) أم لا ؟ قال : فأما من تزوجها ثم طلقها قبل أن يدخل بها ، فما نعلم في حللتها لغيره والحالة هذه زاعماً ، والله أعلم . اهـ . وروى ابن جرير في « التفسير » : ٤١/٢٢ عن عامر بن سعد بن أبي وقاص أن النبي ﷺ مات وقد ملك قبيلة بنت الأشعث ، فتزوجها عكرمة بن أبي جهل بعد ذلك ، فشق على أبي بكر مشقة شديدة ، فقال له عمر : يا خليفة رسول الله ، إنها ليست من نسائه ، إنما لم يحررها رسول الله ﷺ ، ولم يحجبها ، وقد برأها منه بالردة التي ارتدتت مع قومها ، فاطمان أبو بكر وسكن . اهـ .

﴿ إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا .  
لَا جُنَاحَ عَلَيْهِمْ فِي آبَائِهِمْ وَلَا أَبْنَائِهِمْ وَلَا إِخْوَانِهِمْ وَلَا أُنْثَاءَ  
إِخْوَانِهِمْ وَلَا أُنْثَاءَ أَخْوَانِهِمْ وَلَا نِسَائِهِمْ وَلَا مَمْلُوكَاتٍ أَيْمَانُهُمْ ﴾  
وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿

قوله تعالى : ( إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ ) قيل : إنها نزلت فيما أبداه القائل :  
لئن مات رسول الله لأتزوجن عائشة .

قوله تعالى : ( لَا جُنَاحَ عَلَيْهِمْ فِي آبَائِهِمْ ) <sup>(١)</sup> قال المفسرون : لما نزلت  
آية الحجاب ، قال الآباء والأبناء والأقارب لرسول الله ﷺ : ونحن أيضاً  
'نُكَلِّمُهُمْ' من وراء حجاب ؟ فأُنزل الله تعالى : « لَا جُنَاحَ عَلَيْهِمْ فِي آبَائِهِمْ »  
أي : في أن يَرَوْهُمْ وَلَا يَحْتَجِبْنَ عَنْهُمْ ، إلى قوله : ( وَلَا نِسَائِهِمْ ) <sup>(٢)</sup> قال  
ابن عباس : يعني نساء المؤمنين ، لأن نساء اليهود والنصارى يَصِفْنَ لأزواجهن  
نساء رسول الله ﷺ إِنْ رَأَيْنَهُنَّ <sup>(٣)</sup> .

فان قيل : ما بال الميم والخال لم يُدْكَرَا ؟ ففنه جوابان .

(١) قال ابن كثير : لما أمر الله تبارك وتعالى النساء بالحجاب من الأجانب ، بين أن هؤلاء  
الأقارب لا يجب الاحتجاب منهم ، كما استثناهم في سورة ( النور ) عند قوله تعالى : ( وَلَا يَدِينُ  
زَيْنَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَمْلُوكَاتٍ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ  
أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ) . اهـ .

(٢) ذكره من المفسرين الطبرسي من الإمامية الشيعة في « مجمع البيان » بقوله : لما نزلت  
آية الحجاب ... الخ بدون سند ، وقال الآلوسي في « روح المعاني » : روي أنه لما نزلت آية  
الحجاب .. الخ ، هكذا بصيغة التريض ، والله أعلم .

(٣) انظر التلخيص الذي في الصفحة ( ٣٢ ) من هذا الجزء .

أحدهما : لأن المرأة تحل<sup>١</sup> لأبنائها ، فكره أن تضع خمارها عند صمها وخالفها ، لأنها يمتنأها لأبنائها ، هذا قول الشعبي وعكرمة .

والثاني : لأنها يجريان مجرى الوالدين فلم يُذكر كرا ، قاله الزجاج .

فأما قوله : ( ولا مملكت<sup>٢</sup> أيمانهن ) ففيه قولان .

أحدهما : أنه أراد الإمام دون المييد ، قاله سعيد بن المسيب .

والثاني : أنه عام في المييد والإمام . قال ابن زيد : كُنْ أزواج رسول الله

ﷺ لا يحتجبن من المالك . وقد سبق بيان هذا في سورة ( النور : ٣١ ) .

قوله تعالى : ( واتقن الله ) أي : أن يراكن<sup>٣</sup> غير هؤلاء ( إن الله كان

على كل شيء شهيداً ) أي : لم يغيب عنه شيء .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا . إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا . وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيٍ مَّا كُتِّبَ لَكُمْ فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾

قوله تعالى : ( إن الله وملائكته يصلون على النبي ) في صلاة الله وصلاة

الملائكة أقوال قد تقدمت في هذه السورة [ الاحزاب : ٤٣ ] .

قوله تعالى : ( صلوا عليه ) قال كعب بن عجرة : قلنا : يا رسول الله قد

عرفنا التسليم عليك ، فكيف الصلاة عليك ؟ فقال : قولوا : « اللهم صل على محمد

وعلى آل محمد ، كما صليت على [ آل ] <sup>(١)</sup> إبراهيم ، إنك حميد مجيد ، وبارك <sup>(٢)</sup> على

محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على [ آل ] <sup>(١)</sup> إبراهيم ، إنك حميد مجيد ، ،

(١) ما بين المتقين زيادة من البخاري ومسلم من حديث كعب بن عجرة .

(٢) في حديث كعب بن عجرة في البخاري ومسلم : « اللهم بارك » .

أخرجه البخاري ومسلم <sup>(١)</sup> . ومعنى قوله « قد علمنا التسليم عليك » : ما يقال في التشهد : « السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته » . وذهب ابن السائب إلى أن معنى التسليم : سَلِّمُوا لِمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ .  
قوله تعالى : ( إِنَّ الَّذِينَ يُوْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ) اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال .

(١) البخاري : ٤١٠/٨ ومسلم : ٣٠٥/١ ، ولهذا الحديث صيغ أخرى بألفاظ مختلفة زاجع في محلها من كتب الحديث ، انظر « فتح الباري » : ١٢٨/١١ - ١٤٧ قال ابن كثير : والمقصود من هذه الآية - ( إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسلياً ) - أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملائكة الأعلى بأنه ينزل عليه عند الملائكة المقرئين ، وأن الملائكة تصلّي عليه ، قال : ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعاً . اهـ . وقال ابن كثير أيضاً : ذهب الشافعي رحمه الله إلى أنه يجب على المصلّي أن يصلّي على رسول الله ﷺ في التشهد الأخير ، فإن تركه لم تصح صلاته ، ثم قال : وقد روينا وجوب ذلك والأمر بالصلاة كما هو ظاهر الآية ومفسر بهذا الحديث عن جماعة من الصحابة ، منهم : ابن مسعود ، وأبو مسعود البصري ، وجابر بن عبد الله ، ومن التابعين : الشعبي ، وأبو جعفر الباقر ، ومقاتل بن حيان ، قال : وإليه ذهب الشافعي ، لاختلاف عنه في ذلك ولا بين أصحابه أيضاً ، قال : وإليه ذهب الامام أحمد أخيراً فيها حكاية عنه أبو زرعة الدمشقي ، وبه قال إسحاق بن راهويه ، والفقهاء الامام محمد بن ابراهيم المعروف بابن المواز المالكي رحمهم الله ، ثم قال : ولقول بوجوده ظواهر الحديث والله أعلم . قال : وما يؤيد ذلك الحديث الذي رواه الامام أحمد ، وأبو داود ، والترمذي وصححه ، والنسائي ، وابن خزيمة وابن حبان في « صحيحهما » عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال : سمع رسول الله ﷺ رجلاً يدعو في صلاته ، لم يمجّد الله ، ولم يصلّ على النبي ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : « عجل هذا » ثم دعاه فقال له أو لنيره : « إذا صلي أحدكم فليبدأ بتمجيد الله عز وجل والثناء عليه ، ثم ليصلّ على النبي ، ثم ليدع بما شاء » . اهـ .

أحدها : في الدين طعنوا على رسول الله ﷺ حين اتخذ صفية بنت حيي ،  
قاله ابن عباس (١) .

والثاني : نزلت في المصورين ، قاله عكرمة (٢) .

والثالث : في المشركين واليهود والنصارى ، وصفوا الله بالولد وكذبوا رسوله  
وشجبوا وجهه وكسروا رباعيته وقالوا : مجنون شاعر ساحر كذاب (٣) . ومعنى  
أذى الله : وصفه بما هو منزّه عنه ، وعصيانته (٤) ، ولعنهم في الدنيا : بالقتل والحلأ ،  
وفي الآخرة : بالنار .

قوله تعالى : ( والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات ) في سبب نزولها  
أربعة أقوال .

(١) رواه الطبري : ٤٥/٢٢ من رواية عطية الوفي عن ابن عباس ، وذكره السيوطي  
في « الدر » : ٥/٢٢٠ ، وزاد نسبه لابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) ذكره البغوي عن عكرمة بدون سند ، وقال ابن كثير : قال عكرمة في قوله تعالى :  
( إن الذين يؤذون الله ورسوله ) نزلت في المصورين . وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن  
عكرمة قال : الذين يؤذون الله ورسوله هم أصحاب التصاوير .

(٣) ذكره هذا المعنى البغوي والحاظ عن ابن عباس بدون سند ، وذكره السيوطي في  
« الدر » : ٥/٢٢٠ من رواية ابن المنذر عن ابن جريج قال : آذوا الله فيما يدعون معه ،  
وآذوا رسول الله قالوا : إنه ساحر مجنون . قال ابن كثير : والظاهر أن الآية عامة في كل  
من آذاه بشيء ، ومن آذاه فقد آذى الله ، كما أن من أطاعه فقد أطاع الله . اهـ .

(٤) ومن إبداء الله تعالى ، ما جاء في « الصحيحين » عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :  
قال رسول الله ﷺ : « يقول الله عز وجل : يؤذيني ابن آدم ، يسب الدهر وأنا الدهر ،  
أقلب ليله ونهاره ، ومعنى هذا أن الجاهلية كانوا يقولون : يا خيبة الدهر فل بنا كذا وكذا ،  
فيسندون أقوال الله تعالى إلى الدهر ويسبونه ، وإنما الفاعل لذلك هو الله عز وجل .



أحدها : أن عمر بن الخطاب رأى جارية متبرجة فضربها وكف ما رأى من زينتها ، فذهبت إلى أهلها تشكو ، فخرجوا إليه فأذوه ، فنزلت هذه الآية ، رواه عطاء عن ابن عباس <sup>(١)</sup> .

والثاني : أنها نزلت في الرئساء الذين كانوا يمشون في طرق المدينة يتبعون النساء إذا برزن بالليل لقضاء حوائجهم ، فيرون المرأة فيدون منها فيغزونها ؛ وإنما كانوا يؤذون الإماء ، غير أنه لم تكن الأمة تُعرَف من الحرة ، فشكون ذلك إلى أزواجهن ، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ ، فنزلت هذه الآية ، قاله السدي <sup>(٢)</sup> .

والثالث : أنها نزلت فيمن تكلم في عائشة وصفوان بن المطيل بالإفك ، قاله الضحاك <sup>(٣)</sup> .

والرابع : أن ناساً من المنافقين آذوا علي بن أبي طالب ، فنزلت هذه الآية ، قاله مقاتل <sup>(٤)</sup> .

قال المفسرون : ومعنى الآية : يرمونهم بما ليس فيهم .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا . لَكِنَّ لِّمَنِ يَنْتَهِي الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول : ٢٠٧ ، ٢٠٨ عن عطاء عن ابن عباس

بدون سند .

(٢) الواحدي في أسباب النزول : ٢٠٨ عن الضحاك والسدي والكلبي بدون سند .

(٣) ذكره السيوطي في الدر : ٢٢٠/٥ من رواية ابن جرير عن ابن عباس قال :

أنزلت في عبد الله بن أبي وناس معه قذفوا عائشة رضي الله عنها .

(٤) الواحدي في أسباب النزول : ٢٠٨ عن مقاتل بدون سند ، وكذلك البغوي .

قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُفَرِّتَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا . مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا تَقِفُوا أَخَذُوا وَقَتَلُوا تَقْتِيلًا . سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَكِنْ تَجِدُ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٠﴾

قوله تعالى : ( يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأُزَاجِكُمُ... ) الآية ، سبب نزولها أن الفُسَّاق كانوا يؤذون النساء إذا خرجن بالليل ، فإذا رأوا المرأة عليها قناع تركوها وقالوا : هذه حُرّة ، وإذا رأوها بغير قناع قالوا : أمة ، فأذوها ، فنزلت هذه الآية ، قاله السدي (١) .

قوله تعالى : ( يُدْنِيْنِ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَاسِيْنٍ ) (٢) قال ابن قتيبة : يَلْبَسْنَ الأَرْدِيَةَ . وقال غيره : بنطتين رؤوسهن ووجوههن ليُعلمَ أنهن حرائر ( ذلك أدنى ) أي : أحرى وأقرب ( أَنْ يُنْفَرْنَ ) أنهن حرائر ( فلا يؤذَن ) .

قوله تعالى : ( لئن لم ينته المنافقون ) أي : عن قفافهم ( والذين في قلوبهم مرض ) أي : فجور ، وم الزناة ( والمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ ) بالكذب والباطل ، يقولون : أنا كم العدو ، وقُلت سراياكم وهُزمت ( لَنُفَرِّتَنَّكَ بِهِمْ ) أي : لَنُسلِطَنَّكَ عليهم بأن نأمرك بقتالهم . قال المفسرون : وقد أغري بهم ، فقبل له :

(١) ذكره السيوطي في « الدر » : ٢٢٢/٥ من رواية ابن أبي حاتم عن السدي . وذكره الواحدي في « أسباب النزول » ٢٠٨ . عن السدي بدون سند .

(٢) قال ابن كثير : يقول تعالى آمراً رسوله ﷺ تسلياً ، أن يأمر النساء المؤمنات - خاصة أزواجه وبناته لشرفهن - بأن يدنِينَ عليهن من جلايين ، ليميزن عن سمات نساء الجاهلية وسمات الاماء ، قال : والجلاب : هو الرداء فوق الحمار ، قاله ابن مسعود ، وعبيدة ، وقتادة ، والحسن البصري ، وسعيد بن جبير ، وإبراهيم النخعي ، وعطاء الخراساني ، وغير واحد ، وهو بمنزلة الازار اليوم ، وقال : قال الجوهري : الجلاب : الملحفة .

( جاهد الكفار والمنافقين ) [ التوبة : ٧٣ ، التحريم : ٩ ] ، وقال يوم الجمعة « اخرج يا فلان من المسجد فانك منافق ، قم يا فلان فانك منافق » <sup>(١)</sup> ( ثم لا يجاورونك فيها ) أي : في المدينة ( إلا قليلاً ) حتى يهاكوا ، ( ملمونين ) منصوب على الحال ؛ أي : لا يجاورونك إلا وهم ملمونون ( أينما تقيفوا ) أي : ووجدوا وأدركوا ( أخذوا وقتلوا تقيلاً ) معنى الكلام : الأمر ، أي : هذا الحكم فيهم ، ( سئة الله ) أي : سن في الدين يناقون الأنبياء ويرجفون بهم أن يفعل بهم هذا .

﴿ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عَلِمْتُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا . إِنَّ اللَّهَ لَمَنَّ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا . خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا . يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ . وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا . رَبَّنَا آتِنَاهُمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَتُهُمْ لَعْنَا كَبِيرًا ﴾

قوله تعالى : ( يسألك الناس عن الساعة ) قال عروة : الذي سأله عنها عتبة بن ربيعة .

قوله تعالى : ( وما يدريك ) أي : أي شيء يعلمك أمر الساعة ومتى تكون ؛ والمعنى : أنت لا تعرف ذلك ؛ ثم قال : ( لعل الساعة تكون قريباً ) .  
فان قيل : هلاً قال : قريبة ؛ فمنه ثلاثة أجوبة .

أحدها : أنه أراد الظرف ، ولو أراد صفة الساعة بعينها ، لقال : قريبة ،

(١) هو جزء من حديث طويل رواه الطبري : ١٠/١١ ، وابن أبي حاتم ، والطبراني في الأوسط ، عن ابن عباس ، وفي سننه الحسين بن عمرو المنقري ، وهو ضعيف .

هذا قول أبي عبيدة . والثاني : أن المعنى راجع إلى البعث ، أو إلى مجيء الساعة .  
والثالث : أن تأنيث الساعة غير حقيقي ، ذكرهما الزجاج . وما بعد هذا قد سبق  
بيان ألفاظه [ البقرة : ١٥٩ ، النساء : ١٠ ، الإسراء : ٩٧ ] .

فأما قوله : ( وأطعنا الرسول ) فقال الزجاج : الاختيار الوقف بألف ، لأن  
أواخر الآي وفواصلها تجري مجرى أواخر الآيات ، وإنما خوطبوا بما يعقلونه من  
الكلام المؤلف ليدل بالوقف بزيادة الحرف أن الكلام قد تم ؛ وقد أشرنا إلى  
هذا في قوله : ( الظنون ) [ الأحزاب : ١ ] .

قوله تعالى : ( أطعنا سادتنا وكبرانا ) أي : أشرافنا وعظماءنا . قال مقاتل :  
هم المُنْطَعِمُونَ في غزوة بدر . وكلّهم قرأوا : « سادتنا » على التوحيد ، غير  
ابن عامر ، فإنه قرأ : « ساداتنا » على الجمع مع كسر التاء ، ووافقه المفضل ،  
وبمقوب ، إلا أبا حاتم ( فأصلونا السيل ) أي : عن سبيل الهدى ، ( ربنا  
أنهم ) بمنون السادة ( ضعفين ) أي : ضعفي عذابنا ، ( والعنهم لعنا كبيرا )  
قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وحمة ، والكسائي : « كثيرا » بالتاء .  
وقرأ عاصم ، وابن عامر : « كبيرا » بالياء . وقال أبو علي : الكثرة أشبه بالمرار  
المتكررة من الكبير .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّاهُ ۚ  
اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ  
وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ  
ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝ ﴾

قوله تعالى : ( لا تكونوا كالذين آذوا موسى ) أي : لا تؤذوا محمدا كما آذى  
بنو إسرائيل موسى فينزل بكم منازل بهم .

وفي ما آذوا به موسى أربعة أقوال .

أحدها : أنهم قالوا : هو آذر ، فذهب يوماً ينتسل ، ووضع ثوبه على حجر ، ففرّ الحجر بثوبه ، فخرج في طلبه ، فرأوه فقالوا : والله ما به من بأس . والحديث مشهور في الصحاح كلها من حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ ؛ وقد ذكرته بإسناده في « المنى » و « الحقائق » <sup>(١)</sup> . قال ابن قتيبة : والآذر : عظيم الخُصيتين .

والثاني : أن موسى صعد الجبل ومعه هارون ، فأت هارون ، فقال بنو إسرائيل : أنت قتلته ، فأذوه بذلك ، فأمر الله تعالى الملائكة فحملته حتى صرّت به على بني إسرائيل ، وتكلمت الملائكة بموته حتى عرف بنو إسرائيل أنه مات ، فبرّاه الله من ذلك ، قاله عليّ عليه السلام <sup>(٢)</sup> .

(١) روى البخاري في « صحيحه » : ٣١٢/٦ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن موسى كان رجلاً حييئاً ، ستيراً ، لا يرى من جلده شيء استجاء منه ، فأذاه من بني إسرائيل فقال : ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده ، إما برص ، وإما أدرة ، وإما آفة ، وإن الله أراد أن يبرّئه مما قالوا لموسى ، فخلا يوماً وحده ، فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل ، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها ، وإن الحجر عدا بثوبه ، فأخذ موسى عصاه ، وطلب الحجر ، فجعل يقول : ثوبي حجر ، ثوبي حجر ، حتى انتهى إلى ملائكة من بني إسرائيل فرأوه عرياناً أحسن ما خلق الله ، وأبراه مما يقولون ، وقام حجر فأخذ بثوبه ، فلبسه وطفق بالحجر ضرباً بمصاه ، فوآله إن بالحجر لندباً من أثر ضربه ثلاثاً ، أو أربعاً أو خمساً ، فذلك قوله تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرّاه الله بما قالوا وكان عند الله وجيهاً ) . قال ابن كثير عن هذا الحديث بعدما ذكره في تفسيره : وهذا سياق حسن مطول ، قال : وهذا الحديث من أفراد البخاري دون مسلم . اهـ . والحديث أورده السيوطي في « الدر » : ٢٢٣/٥ ، وزاد نسبه لسيد الرزاق ، وأحمد ، وعبد بن حميد ، والترمذي ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه من طرق عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) « الطبري » : ٥٢/٢٢ ، قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » : ٤١١/٨ : وروى —

والثالث : أن فارون استأجر نبياً<sup>(١)</sup> لتقذف موسى بنفسها على ملا من بني إسرائيل فمصمها الله وبراً موسى من ذلك ، قاله أبو العالية<sup>(٢)</sup> .

والرابع : أنهم رموه بالسحر والجنون ، حكاه الماوردي .  
قوله تعالى : ( وكان عند الله وجيهاً ) قال ابن عباس : كان عند الله حظيًّا لا يسأله شيئاً إلا أعطاه . وقد يئسنا مني الوجيه في ( آل عمران : ٤٥ )<sup>(٣)</sup> .  
وقرأ ابن مسعود ، والأحمش ، وأبو حيوه : « وكان عبداً لله » بالتونين والياء ، وكسر اللام .

قوله تعالى : ( وقولوا قولاً سديداً ) فيه أربعة أقوال .

— أحمد بن مثنى في « مسنده » والطبري ، وابن أبي حاتم ، بإسناد قوي عن علي رضي الله عنه . . . فذكره ، وأورد السيوطي في « الدر » : ٢٢٣/٥ وزاد نسبه لابن المنذر ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه عن علي رضي الله عنه .

قال ابن كثير : وجائز أن يكون هذا هو المراد بالأذى ، وجائز أن يكون الأول هو المراد ، فلا قول أولى من قول الله عز وجل ، قال ابن كثير : قلت : يحتمل أن يكون الكل مراداً ، وأن يكون معه غيره والله أعلم . اهـ . وقال الخافض ابن حجر : وما في « الصحيح » أصح من هذا ، لكن لا مانع أن يكون للشيء سببان فأكثر كما تقدم تقريره غير مرة . اهـ .  
(١) في الأصل : بنية ، وفي « اللسان » و « التساج » مادة « بفسا » : ولا يقال للمرأة : بنية .

(٢) رواه السيوطي في « الدر » ١٣٦/٥ من رواية ابن أبي شيبة في « المصنف » ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنها مطولاً . والقصة تقدمت بنحوها في الصفتين ( ٢٣٩ و ٢٤٥ ) من هذا الجزء .

(٣) قال ابن كثير : وقوله تعالى : ( وكان عند الله وجيهاً ) أي : له وجهة وجاهه عند ربه عز وجل ، قال : قال الحسن البصري : كان مستجاب الدعوة عند الله ، وقال غيره من السلف : لم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه ، ولكن منع الرؤية لما يشاء الله عز وجل ، قال : وقال بعضهم : من وجاهته المظيمة عند الله ، أنه شفع في أخيه هارون أن يرسله الله معه ، فأجاب الله سؤاله فقال : ( ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً ) . اهـ .

أحدها : صواباً ، قاله ابن عباس . والثاني : صادقاً ، قاله الحسن . والثالث : عدلاً ، قاله السدي . والرابع : قصداً ، قاله ابن قتيبة .  
ثم في المراد بهذا القول ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه « لا إله إلا الله » ، قاله ابن عباس ، وعكرمة . والثاني : أنه العدل في جميع الأقوال والأعمال ، قاله قتادة . والثالث : في شأن زينب وزيد ، ولا تنسبوا رسول الله ﷺ إلى ما لا يصلح ، قاله مقاتل بن حيان .  
قوله تعالى : ( يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ) فيه قولان .

أحدهما : يتقبل حسناتكم ، قاله ابن عباس . والثاني : يزكي أفعالكم ، قاله مقاتل .  
قوله تعالى : ( فقد فاز فوزاً عظيماً ) أي : نال الخير وظفر به .

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا . لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾

قوله تعالى : ( إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ ) فيها قولان .

أحدهما : أنها الفرائض ، عرضها الله على السموات والأرض والجبال ، إن أدنأها أثانها ، وإن ضيعتها عذبها ، فكرهت ذلك ؛ وعرضها على آدم فقبلها بما فيها ، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس <sup>(١)</sup> ؛ وكذلك قال سعيد بن جبير : عرضت الأمانة على آدم فقبل له : فأخذها بما فيها ، إن أطمت غفرت لك ، وإن

(١) « الطبري » : ٥٤/٢٢ ، وذكره السيوطي في « الدر » ، ٢٢٤/٥ ، وزاد لسبته لابن المنذر ،

وابن أبي حاتم ، وابن الأنباري في كتاب « الأخذاد » عن ابن عباس رضي الله عنها .

عصيتَ عَذْبُكَ ، فقال : قَبِلْتُ ، فما كان إلا كما بين صلاة العصر إلى أن غَرَبَتِ الشمس حتى أصاب الله نَبَّ .<sup>(١)</sup> ومن ذهب إلى أنها الفرائض قتادة ، والضحاك ، والجمهور .

والثاني : أنها الأمانة التي يأتمن الناس بعضهم بعضاً عليها . روى السدي عن أشياخه أن آدم لما أراد الحج قال للساء : احفظي ولدي بالأمانة ، فأبت ، وقال للأرض ، فأبت ، وقال للجبال ، فأبت ، فقال لقايل ، فقال : نعم ، تذهب وتجيء وتجد أهلك كما يسرك ، فلما انطلق آدم قتل قايل هابيل ، فرجع آدم فوجد ابنه قد قتل أخاه ، فذلك حيث يقول الله عز وجل : « إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ » إلى قوله : ( وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ) وهو ابن آدم ، فما قام بها<sup>(٢)</sup> .

وحكى ابن قتبية عن بعض المفسرين أن آدم لما حضرته الوفاة قال : يارب ، من أستخلف من بعدي ؟ ف قيل له : اعرض خلافتك على جميع الخلق ، فعرضها ، فكل أباه غير ولده .

وللمفسرين في المراد بعرض الأمانة على السموات والأرض قولان . أحدهما : أن الله تعالى ركَّبَ العقل في هذه الأعيان ، وأفهمهم خطابها ، وأنطقهم بالجواب حين عرضها عليهم ، ولم يُرد بقوله : « أَبَيْنَ » المخالفة ،

(١) « الطبري » : ٥٤/٢٢ عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، وذكره السيوطي في « الدرر » : ٢٢٥/٥ ، وزاد نسبته لسعيد بن منصور ، وابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن الأثير في كتاب « الأشهاد » ، والحاكم وصححه ، عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) روى هذا الخبر مطولاً الطبري : ٥٦/٢٢ ، ٥٧ من رواية السدي في خبر ذكره عن أبي مالك ، وعن أبي صالح عن ابن عباس ، وعن مرة الهذلي عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ .



ولكنَّ أَبَيَّنَ لِلخَشْيَةِ والخَافَةِ ، لأنَّ المَرَضَ كانَ تَخْيِيراً لا إِزْماً ، و« أَشْفَقَن » بمعنى خَفِنَ مِنْهَا أَنْ لَا يُوَدِّعْنَهَا فَيُلْحِقَنَّ الْعِقَابَ ، هَذَا قَوْلُ الْأَكْثَرِينَ .

وَالثَّانِي : أَنْ الْمُرَادَ بِالْآيَةِ : إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى أَهْلِ السَّمَوَاتِ وَأَهْلِ الْأَرْضِ وَأَهْلِ الْجِبَالِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، قَالَهُ الْحَسَنُ .

وَفِي الْمُرَادِ بِالْإِنْسَانِ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ . أَحَدُهَا : آدَمُ فِي قَوْلِ الْجُمْهُورِ . وَالثَّانِي : قَائِلٌ فِي قَوْلِ السَّدِيِّ . وَالثَّلَاثُ : الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ ، قَالَهُ الْحَسَنُ . وَالرَّابِعُ : جَمِيعُ النَّاسِ ، قَالَهُ تَطَلُّبُ .

قَوْلُهُ تَعَالَى : ( إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ) فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ .

أَحَدُهَا : ظَلُومًا لِنَفْسِهِ ، غَرِيراً بِأَمْرِ رَبِّهِ ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ ، وَالضَّحَّاكُ .

وَالثَّانِي : ظَلُومًا لِنَفْسِهِ ، جَهُولًا بِمَا قَبْلَهُ أَمْرُهُ ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ .

وَالثَّلَاثُ : ظَلُومًا بِمَعْصِيَةِ رَبِّهِ ، جَهُولًا بِعِقَابِ الْأَمَانَةِ ، قَالَهُ ابْنُ السَّائِبِ .

وَذَكَرَ الزَّجَّاجُ فِي الْآيَةِ وَجْهًا يَخَالِفُ أَكْثَرَ الْأَقْوَالِ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ مُوَافِقٌ

لِلتَّفْسِيرِ فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَثَمَنَ بِي آدَمَ عَلَى مَا اقْتَرَضَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ طَاعَتِهِ ، وَأَثَمَنَ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ عَلَى طَاعَتِهِ وَالْخُضُوعِ لَهُ ، فَأَمَّا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ فَقَالَتَا :

( أَتَيْنَا طَائِعِينَ ) [ فَصَلَتْ : ١١ ] ، وَأَعْلَمْنَا أَنْ مِنَ الْحَجَارَةِ مَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ،

وَأَنْ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالْمَلَائِكَةُ يَسْجُدُونَ لِلَّهِ ، فَمَرَّقْنَا اللَّهَ تَعَالَى

أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَمْ تَحْتَمِلِ الْأَمَانَةَ ، لِأَنَّهَا أَدَّتْهَا ، وَأَدَّاهَا : طَاعَةُ اللَّهِ وَتَرْكُ

مَعْصِيَتِهِ ، وَكُلُّ مَنْ خَانَ الْأَمَانَةَ فَقَدْ احْتَمَلَهَا ، وَكَذَلِكَ كُلُّ مَنْ أَثَمَ فَقَدْ احْتَمَلَ

الْإِثْمَ <sup>(١)</sup> ، وَكَذَلِكَ قَالَ الْحَسَنُ : « وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ » أَيِ : الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ سَحْلَاهَا ،

أَيِ : خَانَ وَلَمْ يُطِيعَا ؛ فَأَمَّا مَنْ أَطَاعَ ، فَلَا يُقَالُ : كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا .

(١) قَالَ الْأَوْسِيُّ عَنْ قَوْلِ الزَّجَّاجِ هَذَا : وَلَا يَخْفَى بُعْدُهُ ، وَلَمْ نَزِدْ فِي الْمَأْثُورِ مَا يُؤَيِّدُهُ . اهـ .

قوله تعالى : ( ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات ) قال ابن قتيبة : المعنى : عَرَضْنَا ذَلِكَ لِيُظْهِرَ نَفَاقُ الْمُنَافِقِ وَشِرْكُ الْمُشْرِكِ فَيُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ ، وَيُظْهِرَ إِيمَانَ الْمُؤْمِنِينَ فَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، أَي : يَعُودَ عَلَيْهِمُ بِالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ إِنْ وَقَعَ مِنْهُمْ تَقْصِيرٌ فِي الطَّاعَاتِ <sup>(١)</sup> .




---

(١) قال الآكوسي في تمة الآية : ( وكان الله غفوراً رحيمًا ) أي : مبالغة في المغفرة والرحمة حيث تاب على المؤمنين والمؤمنات وغفر لهم فرطاتهم ، وأثابهم بالفوز العظيم على طاعة الله ، نسأل الله تعالى أن يتوب علينا ويغفر لنا ويثيبنا بالفوز العظيم ، إنه - جل جلاله وعم نواله - غفور رحيم . اهـ .

# سورة سبا

وهي مكية باجماعهم

وقال الضحاك ، وابن السائب ، ومقاتل : فيها آية مدنية ، وهي قوله : ( ويرى  
الذين أوتوا العلم ) [ سبا : ٦ ] .

## بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ  
فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ . يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ  
وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَرْجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ  
الْمَفُورُ . وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي  
لَتَأْتِيَ بَيْنَكُمْ مَا لَمْ يَأْتِ الْغَيْبُ لَا يَمُزُّبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ  
وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ .  
لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ  
وَرِزْقٌ كَرِيمٌ . وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ

عَذَابٌ مِّن رَّجْزِ أَلِيمٍ . وَيَرَى السَّذِينَ أَوْتُوا أَلْعَلِمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ  
 مِّن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْمُرْتَدِّ الْحَمِيدِ ﴿٤٣﴾  
 قوله تعالى : ( الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض ) مُلْكًا وَخَلْقًا  
 ( وله الحمد في الآخرة ) يَحْمَدُهُ أَوْلِيَاؤُهُ إِذَا دَخَلُوا الْجَنَّةَ ، فيقولون : ( الحمد  
 لله الذي صَدَقْنَا وَعَدَهُ ) [ الزمر : ٧٤ ] ( الحمد لله الذي هدانا لهذا ) [ الأعراف : ٤٣ ]  
 ( الحمد لله الذي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ) [ فاطر : ٣٤ ] (١)  
 ( يَعْلَمُ مَا يَلْجِجُ فِي الْأَرْضِ ) من بذر أو مطر أو كنز أو غير ذلك  
 ( وما يَخْرِجُ مِنْهَا ) من زرع ونبات وغير ذلك ( وما يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ ) من  
 مطر أو رزق أو ملك ( وما يَنْزِلُ فِيهَا ) من ملك أو عمل أو دُعَاءُ .  
 ( وقال الذين كفروا ) يعني مُنْكَرِي الْبَعثِ ( لا تأتينا الساعةُ أي :  
 لا تُبْعَثُ ) (٢)

(١) قال ابن كثير : يخبر تعالى عن نفسه الكريمة أن له الحمد المطلق في الدنيا والآخرة ،  
 لأنه المنعم المتفضل على أهل الدنيا والآخرة ، المالك لجميع ذلك ، والحاكم في جميع ذلك ،  
 كما قال تعالى : ( وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون )  
 ولهذا قال تعالى هاهنا : ( الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض ) أي : الجميع ملكه  
 وعبيده وتحت تصرفه وقهره ، كما قال تعالى : ( وإن لنا الآخرة والأولى ) قال : ثم قال  
 عز وجل : ( وله الحمد في الآخرة ) فهو المصود أبدأ ، الحمود على طول المدى ، قال :  
 وقوله : ( وهو الحكيم ) أي : في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره ( الخبير ) الذي لا تخفى عليه  
 خافية ولا يخب عنه شيء . اهـ .

(٢) قال ابن كثير : هذه إحدى الآيات الثلاث التي لأربع لمن بما أمر الله تعالى  
 رسوله ﷺ أن يقسم بربه العظيم على وقوع الماد لك أنكره من أنكره من أهل الكفر والعناد ،  
 قال : فأحدها في سورة يونس عليه السلام ، وهي قوله تعالى : ( ويستنبئونك أحق هو قل  
 إني وربي إنه لحق وما أنتم بمجزيين ) والثانية هذه ( وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى  
 وربي لتأتينكم ) والثالثة في سورة ( التناين ) وهي قوله تعالى : ( زعم الذين كفروا أن لن يمشوا  
 قل بلى وربي أنبئتم ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير ) فقال تعالى : ( قل بلى وربي لتأتينكم ) . اهـ .

قوله تعالى : ( عَالِمِ الْغَيْبِ ) قرأ ابن كثير ، وعاصم ، وأبو عمرو : « عَالِمِ الْغَيْبِ » بكسر الميم ؛ وقرأ نافع ، وابن عامر : برفعها . وقرأ حمزة ، والكسائي : « عَلَامِ الْغَيْبِ » بالكسر ولام قبل الالف . قال أبو علي : من كسر ، فلي معنى : الحمد لله عالم الغيب ؛ ومن رفع ، جاز أن يكون « عَالِمُ الْغَيْبِ » خبر مبتدأ محذوف ، تقديره : هو عالم الغيب ، ويجوز أن يكون ابتداء ، خبره ( لَا يَمُزُّ عَنْهُ ) ؛ و « عَلَامٌ » أبلغ من « عالم » . وقرأ الكسائي وحده : « لَا يَمُزُّ » بكسر الزاي ؛ وهما لفتان .

قوله تعالى : ( وَلَا أَصْفَرُ مِنْ ذَلِكَ ) وقرأ ابن السميع ، والنخعي ، والأعمش : « وَلَا أَصْفَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ » بالنصب فيها .

قوله تعالى : ( لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا ) قال الزجاج : المعنى : لي ورثي لأنبيائكم المُجَازاة وقال ابن جرير : المعنى : أثبت مثقال الدرة وأصفر منه في كتاب مبین ، لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا ، وليُريَ الذين أوتوا العلم .

قوله تعالى : ( مِنْ رِجْزِ أَلِيمٍ ) قرأ ابن كثير ، وحفص عن عاصم ، ويعقوب ، [ والمفضل ] : « مِنْ رِجْزِ أَلِيمٍ » رفعاً ؛ والباقون بالخفض فيها <sup>(١)</sup> . وفي ( الذين أوتوا العلم ) قولان .

أحدهما : أنهم مؤمنو أهل الكتاب ، كعبد الله بن سلام وأصحابه ، رواه أبو صالح عن ابن عباس .

والثاني : أصحاب محمد ﷺ ، قاله قتادة .

(١) أي هنا وفي سورة ( الجاثية : ١١ ) ، قال في « إتحاف فضلاء البشر » ٢١٩ : واختلف في « من رجز أليم » هنا و ( الجاثية ) ، فإن كثير ، وحفص ، ويعقوب : رفع الميم فيها نعتاً له عذاباً ، وأتتهم ابن عيسى ، والباقون : بخفضه فيها نعتاً له رجزاً ، وهو العذاب الذي . اهـ . زاد السير ٦ م (٢٨)

قوله تعالى : ( الذي أنزل إليك من ربك ) يعني القرآن ( هو الحق )  
قال الفراء : « هو » عماد ، فلذلك انتصب الحق . وما أخلطنا به فقد سبق في مواضع  
[ الحج : ٥١ ، ٥٢ ، البقرة : ١٣٠ ، ٢٦٧ ] .

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ  
إِذَا مَزَقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ . أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ  
كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْمَذَابِ  
وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ . أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ  
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن نَّشَاءَ نَحْصِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطَ عَلَيْهِمُ  
كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنبِئٍ ﴾

قوله تعالى : ( وقال الذين كفروا ) وهم مُنكرو البعث ، قال بعضهم لبعض :  
( هل ندلُّكم على رجلٍ ينبئكم ) أي : يقول لكم : إنكم ( إذا مَزَقْتُمْ كُلَّ  
مُمَزَّقٍ ) أي : مُفَرِّقْتُمْ كل تفريق ؛ والممزَّق هاهنا مصدر بمعنى التمزيق ( إنكم  
لنفي خَلْقٍ جديد ) أي : يجدد خَلْقكم للبعث . ثم أجاب بعضهم فقالوا : ( أفترى  
على الله كَذِبًا ) حين زعم أننا نُبعث ؛ وألف « أفترى » ألف استفهام ، وهو  
استفهام تعجب وإنكار ، ( أم به جِنَّةٌ ) أي : جنون ؛ أفرد الله عليهم فقال : ( بل )  
أي : ليس الأمر كما تقولون من الاقتراء والجنون ، بل ( الذين لا يؤمنون بالآخرة )  
وهم الذين يجدون البعث ( في المذاب ) إذا بُعثوا في الآخرة ( والضلَّال البعيد )  
من الحق في الدنيا <sup>(١)</sup> .

ثم وعظم فقال : ( أفلم يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ

(١) قال ابن كثير : ليس الأمر كما زعموا ، ولا كما ذهبوا إليه ، بل محمد ﷺ هو  
الصديق البارء الراشد الذي جاء بالحق ، وهم الكذبة الجبهة الأغبياء ( في المذاب ) أي : الكفر  
المفضي بهم إلى عذاب الله تعالى ( والضلَّال البعيد ) من الحق في الدنيا . اهـ .

والأرض ) وذلك أن الإنسان حينما نظر رأى السماء والأرض مُقدَّامه وخلفه وعن يمينه وعن شماله ؛ فالمنى أنهم أين كانوا فأرضي وسماوي محيطه بهم ؛ وأنا القادر عليهم ، إن شئتُ خسفتُ بهم الأرض ، وإن شئتُ أسقطتُ عليهم قطعة من السماء ، ( إن في ذلك ) أي : فيما يَرَوْنَ من السماء والأرض ( لآية ) تدلُّ على قدرة الله تعالى على بهمهم والحسف بهم ( لكل عبد مُنيب ) أي : راجع إلى طاعة الله ، متأمِّل لما يرى .

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَنَّا لَهُ الْחَدِيدُ . أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

قوله تعالى : ( ولقد آتينا داود مِنَّا فَضْلًا ) وهو النبوة والزُّبور وتسخير الجبال والطير ، إلى غير ذلك مما أنعم الله به عليه <sup>(١)</sup> ( يا جبال أَوِّبِي معه ) وروى الحلبي عن عبد الوارث : « أَوِّبِي » بضم الهمزة وتحفيف الواو . قال الزجاج : المعنى : وقلنا : يا جبال أَوِّبِي معه ، أي : رَجِّبِي معه . والمعنى : سَبِّحِي معه ورجِّبِي النسيب . ومن قرأ : « أَوِّبِي » ، معناه : عودي في التسبيح معه كلما عاد . وقال ابن قتيبة : « أَوِّبِي » أي : سَبِّحِي ، وأصل التأويب في السير ، وهو أن يسير النهار كلَّه ، وينزل ليلاً ، فكأنه أراد : ادأبِي النهار [ كلَّه ] بالتسبيح إلى الليل .

(١) قال ابن كثير : يخبر تعالى عما أنعم به على عبده ورسوله داود عليه الصلاة والسلام بما آتاه من الفضل المبين ، وجمع له بين النبوة والملك المتمكن والجنود ذوي العدد والمُدد ، وما أعطاه ومنحه من الصوت العظيم الذي كان إذا سبَّح به تسبَّح معه الجبال الراسيات الصم الشاغخت ، وتقف له الطيور السارحات ، والناديات والرائحات ، وتجاوبه بأنواع اللغات ، قال : وفي الصحيح ، أن رسول الله ﷺ سمع صوت أبي موسى الأشعري رضي الله عنه يقرأ من الليل ، فوقف فاستمع لقراءته ، ثم قال ﷺ : « لقد أوتِيَ هذا مزماراً من مزامير آل داود » . اهـ .

قوله تعالى : ( والطَّيْرَ ) وقرأ أبو رزين ، وأبو عبد الرحمن السلمي ، وأبو العالية ، وابن أبي عمير : « والطَّيْرُ » بالرفع . فأما قراءة النصب ، فقال أبو عمرو بن العلاء : هو عطف على قوله : « ولقد آتينا داود مثلاً فاضلاً » « والطَّيْرَ » أي : وسخرنا له الطَّيْرَ . قال الزجاج : ويجوز أن يكون نصباً على النداء ، كأنه قال : دعونا الجبالَ والطَّيْرَ ، فالطير منطوف على موضع الجبال ، وكل منادى عند البصريين فهو في موضع نصب ؛ قال : وأما الرفع ، فمن جهتين ، إحداها : أن يكون نسقاً على ما في « أَوْيَ » ، فالمعنى : يا جبال رجعي التسبيح معه أنت والطير ؛ والثانية <sup>(١)</sup> : على النداء ، المعنى : يا جبال ويا أيها الطير أويي [معه] .

قال ابن عباس : كانت الطير تسبح معه إذا سبَّح ، وكان إذا قرأ لم يبق دابة إلا استمعت لقراءته وبكت لبكائه . وقال وهب بن منبه : كان يقول للجبال : سبِّحي ، وللطير : أجيبي ، ثم يأخذ هو في تلاوة الزبور بين ذلك بصوته الحسن ، فلا يرى الناس منظرأ أحسن من ذلك ، ولا يسمعون شيئاً أطيب منه .

قوله تعالى : ( وألنا له الحديد ) أي : جعلناه ليناً . قال قتادة : سخر الله له الحديد بنير نار ، فكان يسوي به يده ، لا يدخله النار ، ولا يضربه بحديدة ، وكان أول من صنع الدروع ، وكانت قبل ذلك صفائح .

قوله تعالى : ( أنِ اعْمَلْ ) قال الزجاج : معناه : وقلنا له : اعْمَلْ ، ويكون في معنى « لأن يعمل » ( سابقات ) أي : دروعاً سابقات ، فذكر الصفة لأنها تدل على الموصوف .

قال المفسرون : كان يأخذ الحديد بيده فيصير كأنه عجينة يعمل به ما يشاء ،



فيميل الذرع في بعض يوم فيديه بمال كثير ، فيأكل وينصدق . والسابغات :  
الدروع الكوامل التي تغطي لابسها حتى تفضل عنه فيجرها على الأرض .  
(وقدر في السرْد) أي : اجعله على قدر الحاجة . قال ابن قتيبة : السرْدُ :  
النسج ، ومنه يقال لصانع الدروع : سرَّادُ وزرَّادُ ، تبدل من السين الزاي ،  
كما يقال : سراط <sup>(١)</sup> وزرَّاط . وقال الزجاج : السرْدُ في اللغة : تقدمة الشيء إلى  
الشيء تأتي به متسقاً بعضه في إثر بعض متابعا . ومنه قولهم : سرَدَ فلان الحديث .  
وفي معنى الكلام قولان .

أحدهما : عدل المسافر في الخلقة ولا تصغره فيقلق ، ولا تمظيحه فتنفصم  
الخلقة ، قاله مجاهد .

والثاني : لا تجعل خلقة واسعة فلا تنقي صاحبها ، قاله قتادة .

قوله تعالى : ( واعملوا صالحاً ) خطاب لداود وآله .

﴿ وَلِسَلِّمَنِ الرِّيحِ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ  
عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ النَّجَنِ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ  
بَزِغَ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نَذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ . يَعْمَلُونَ لَهُ  
مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَنَمَائِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ  
اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ . فَلَمَّا قَضَيْنَا  
عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّسَهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ  
فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَنَّهُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي  
الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾

(١) في الأصل : سراط ، وما أثبتناه من « غريب القرآن » : ٣٥٤ ، و « البحر » : ٢٥٥/٧ ،

و « اللسان » : زرط .

قوله تعالى : ( وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحُ ) <sup>(١)</sup> قرأ الاكثرون بنصب الرِّيح على معنى :  
وسخرنا لسليمان الرِّيح . وروى أبو بكر ، والمفضل عن عاصم : « الرِّيحُ »  
رفعا ، أي : له تسخيرُ الرِّيح . وقرأ أبو جعفر : « الرِّياح » على الجمع .

( غَدُوْهَا شَهْرٌ ) قال قتادة : تندو مسيرة شهر إلى نصف النهار ، وتروح  
مسيرة شهر إلى آخر النهار ، فهي تسير في اليوم الواحد مسيرة شهرين . قال  
الحسن : لما شغلت نبي الله سليمان الخيلُ عن الصلاة فمقرها <sup>(٢)</sup> ، أبدله الله خيراً  
منها وأسرع وهي الرِّيح ، فكان يندو من دمشق فيَقِيل بِاصْطِخْرَ وبينها مسيرة  
شهر للمسرع ، ثم يروح من اصطخر فيبيت بكابل ، وبينها مسيرة شهر للمسرع .  
قوله تعالى : ( وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ) قال الزجاج : القِطر : النحاس ،  
وهو الصفر ، أذيب مذ ذاك وكان قبل سليمان لا يذوب .

قال المفسرون : أجرى الله لسليمان عين الصفر حتى صنع منها ما أراد من  
غير نار ، كما ألين لداود الحديدُ بغير نار ، فبقيت تجري ثلاثة أيام ولياليهن كجري  
الماء ؛ وإنما يعمل الناس اليوم مما أعطي سليمان .

(١) قال ابن كثير : لما ذكر تعالى ما أنعم به على داود ، عطف بذكر ما أعطى ابنه سليمان  
عليها الصلاة والسلام من تسخير الرِّيح له تحمل بساطه ، غدوها شهر ورواحها شهر . اهـ .  
(٢) قال ابن جرير الطبري في سورة ( ص : ٢٣ ) عند قوله تعالى : ( فطفق مسحاً بالسوق  
والأعناق ) : واختلف أهل التأويل في معنى مسح سليمان بسوق هذه الخيل الجياد وأعناقها ،  
فقال بعضهم : معنى ذلك : أنه عقرها وضرب أعناقها ، وقال آخرون : جعل يمسح أعناقها  
وعراقيها يده حباً لها ، ونقل ذلك عن ابن عباس ، ثم قال : وهذا القول الذي ذكرناه  
عن ابن عباس أشبه بتأويل الآية ، لأن نبي الله ﷺ ( يريد سليمان عليه السلام ) لم يكن  
إن شاء الله ليعذب حيواناً بالرقبة ، ويهلك مالا من ماله بغير سبب سوى أنه اشتغل عن صلاته  
بالنظر إليها ، ولا ذنب لها باشتغاله بالنظر إليها . اهـ . ومبني ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى  
من سورة ( ص ) .

قوله تعالى : ( ومن الجن ) المعنى : وسخرنا له من الجن ( من يعمل بين يديه بأذن ربه ) أي : بأمره ؛ سخرهم الله له ، وأمرهم بطاعته ؛ والكلام يدل على أن منهم من لم يسخر له ( ومن يزرع منهم ) أي : يعدل ( عن أمرنا ) له بطاعة سليمان ( نُذِقْهُ من عذاب السعير ) ؛ وهل هذا في الدنيا ، أم في الآخرة ؟ فيه قولان . أحدهما : في الآخرة ، قاله الضحاك . والثاني : في الدنيا ، قاله مقاتل . وقيل : إنه كان مع سليمان ملك يده سوط من نار ، فن زاع من الجن ضربه الملك بذلك السوط . ( يعملون له ما يشاء من محاريب ) وفيها ثلاثة أقوال . أحدها : أنها المساجد ، قاله مجاهد ، وابن قتبية . والثاني : القصور ، قاله عطية . والثالث : المساجد والقصور ، قاله قتادة . وأما التمايل ، فهي الصُور ؛ قال الحسن : ولم تكن يومئذ محرمة<sup>(١)</sup> ؛ ثم فيها قولان .

أحدهما : أنها كانت كالطُؤاويس والعقبان والنسور على كرميته ودرجات سريره لكي يها بها من أراد الدُّنُو منه ، قاله الضحاك .  
والثاني : أنها كانت صُورُ النبيين والملائكة لكي يرام الناس مصوِّرين ، فيعبُدوا مثل عبادتهم ويتشبهوا بهم ، قاله ابن السائب .  
وفي ما كانوا يعملونها منه قولان . أحدهما : من النحاس ، قاله مجاهد . والثاني : من الرُّخام والشَّبه<sup>(٢)</sup> ، قاله قتادة .

قوله تعالى : ( وجِفَانٍ كَالْجَوَابِ ) الجِفَان : جمع جفنة ، وهي القصعة الكبيرة ؛ والجَوَابِ : جمع جابية ، وهي الحوض الكبير يُجْبَى فيه الماء ، أي : يُجمع .

(١) قال الآلوسي : وإغما هي في شرعنا حرام ، ولا فرق عندنا بين أن تكون الصورة ذات ظل ، وأن لا تكون كذلك . اهـ .

(٢) الشَّبه والشَّبه : ضرب من النحاس يلقى عليه دواء فيصفر ، سمي به ، لأنه إذا فعل به ذلك أشبه الذهب بلونه .

قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو : « كالجَوَابِي » ياء ، إلا أن ابن كثير ثبت الياء في الوصل والوقف ، وأبو عمرو يثبتها في الوصل دون الوقف . قال الزجاج : وأكثر القراء على الوقف بنير ياء ، وكان الأصل الوقف بالياء ، إلا أن الكسرة تنوب عنها .

قال المفسرون : كانوا يصنعون [ له ] القصاع كحياض الإبل ، يجتمع على القصعة الواحدة ألف رجل يأكلون منها .

قوله تعالى : ( وقدر راسيات ) أي : ثوابت ؛ يقال : رسا يرسو : إذا ثبت .

وفي علّة نبوتها في مكانها قولان . أحدهما : أن أنافيها منها <sup>(١)</sup> ، قاله ابن عباس . والثاني : أنها لا تنزل لمعظمها ، قاله ابن قتيبة .

قال المفسرون : وكانت القُدُور كالجلال لا تحرك من أماكنها ، يأكل من القُدُور ألف رجل .

قوله تعالى : ( اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا ) المعنى : وقلنا : اعملوا بطاعة الله شكرًا له على ما آتاكم <sup>(٢)</sup> .

قوله تعالى : ( فلهما قضينا عليه الموت ) يعني على سليمان .

(١) الآثافي : الحجارة التي تشنّب وتشجل القُدُور عليها .

(٢) قال ابن جرير الطبري : وقوله : ( اعملوا آل داود شكرًا ) يقول تعالى ذكره :

وقلنا لهم : اعملوا بطاعة الله يا آل داود شكرًا له على ما أنعم عليكم من النعم التي خصكم بها عن سائر خلقه ، مع الشكر له على سائر نعمه التي عممكم بها مع سائر خلقه . اهـ . وقال أبو عبد الرحمن السلمي : الصلاة شكر ، والصيام شكر ، وكل خير عمله لله عز وجل شكر ، وأفضل الشكر الحمد . وروى ابن جرير وابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القرظي قال : الشكر : تقوى الله تعالى والعمل الصالح ، قال ابن كثير : وهذا يقال لمن هو متلبس بالفعل ، قال : وقد كان آل داود عليهم السلام كذلك فأمّنين بشكر الله تعالى قولاً وعملاً .

قال المفسرون : كانت الإنس تقول : إن الجن تعلم الغيب الذي يكون في غد ، فوقف سليمان في محرابه يصلّي متوكئاً على عصاه ، فمكث كذلك حولاً والجن تعمل تلك الأعمال الشاقة ولا تعلم بموته حتى أكلت الأرض<sup>(١)</sup> عصاه سليمان ، فخرّ فعلوا بموته ، وعلم الإنس أن الجن لا تعلم الغيب<sup>(٢)</sup> .  
وقيل : إن سليمان سأل الله تعالى أن يعمّي على الجن موته ، فأخفاه الله عنهم حولاً .

وفي سبب سؤاله قولان .

أحدهما : لأن الجن كانوا يقولون للإنس : إِنَّا نَعْلَمُ الْغَيْبَ ، فأراد تكذيبهم .  
والثاني : لأنه كان قد بقي من عمارة بيت المقدس بقية .  
فأما ( دابة الأرض ) فهي : الأرضة . وقرأ أبو المتوكل ، وأبو الجوزاء ، وعاصم الجحدري : « دابة الأرض » بفتح الراء .  
والمنسأة : العصا . قال الزجاج : وإنما سميت منسأة ، لأنه يُنْسَأُ بها ، أي : يُطْرَدُ وَيُزَجَّر . قال الفراء : أهل الحجاز لا يهززون المنسأة ، وتميم وفصحاء قيس يهزونها .

قوله تعالى : ( فلما خر ) أي : سقط ( تبينت الجن ) أي : ظهرت ،  
وانكشف للناس أنهم لا يعلمون الغيب ، ولو علموا ( مالبثوا في المذابح المهين )

(١) الأرض : جمع أرضة ، وهي دويبة تأكل الخشب .

(٢) قال ابن كثير : يذكر الله تعالى كيفية موت سليمان عليه السلام ، وكيف عمّي الله موته على الجن السخريين له في الأعمال الشاقة ، فانه مكث متوكئاً على عصاه - وهي منسأته كما قال ابن عباس رضي الله عنها ، ومجاهد ، والحسن ، وقتادة ، وغير واحد - مدة طويلة نحواً من سنة ، فلما أكلتها دابة الأرض وهي الأرضة ضمت وسقط إلى الأرض وعلم أنه قد مات قبل ذلك بمدة طويلة ، وتبينت الجن والأنس أيضاً أن الجن لا يعلمون الغيب كما كانوا يتوهمون ويوهمون الناس ذلك . اهـ .

أي : ما عملوا مسخرين وهو ميت وهم يظنونونه حياً . وقيل : تبينت الجن ، أي : علمت ، لأنها كانت تشوهم باستراقها السمع أنها تعلم الغيب ، فعلت حينئذ سلطاناً لها في ظلتها . وروى رويس عن يعقوب : « بُيِّنَتْ » برفع التاء والياء وكسر الياء .

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُّوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ . فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ . ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ . وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَالِيٍّ وَأَيْمَاءٌ أَمِينِينَ . فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلًّا مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ . وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُوْثِقُ بِالْآخِرَةِ يَمُنُّهُ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِیْظٌ ﴾

قوله تعالى : ( لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسَاكِنِهِمْ آيَةٌ ) <sup>(١)</sup> قرأ ابن كثير ،

(١) قال ابن كثير : كانت سبأ ملوك اليمن وأهلها ، وكانت التبابعة منهم ، وبلقيس صاحبة سليمان عليه الصلاة والسلام من جللتهم ، وكانوا في نملة وغبطة في بلادهم وعيشهم وانتشاع أرواحهم وزرعهم وغارم ، وبث الله تبارك وتعالى إليهم الرسل تأمرهم أن يأكلوا من رزقه ويشكروه بتوحيده وعبادته ، فكانوا كذلك ماشاء الله تعالى ، ثم أعرضوا عما أمروا به ، فعوقبوا بأرسال السيل والفرق في البلاد أيدي سبأ ، شذر مذر .

ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وأبو بكر عن عاصم : « في مَسَاكِينِهِمْ » .  
 وقرأ حمزة ، وحفص عن عاصم : « مَسْكَنِهِمْ » بفتح الكاف من غير ألف .  
 وقرأ الكسائي ، وخلف : « مَسْكَنِهِمْ » بكسر الكاف ، وهي لغة .  
 قال المفسرون : المراد بسبأ هاهنا : القبيلة التي هم من أولاد سبأ بن يشجب  
 ابن يَعْرُب بن قحطان ؛ وقد ذكرنا في سورة ( النمل : ٢٢ ) الخلاف في هذا ،  
 وأن قوماً يقولون : هو اسم بلد ، وليس باسم رجل <sup>(١)</sup> . وذكر الزجاج في هذا  
 المكان أن مَنْ قَرَأ : « إِسْبَاءً » بالفتح وترك الصَّرف ، جملة اسماً للقبيلة ،  
 ومن صرف وكسر ونَوَّن ، جملة اسماً للحي واسماً لرجل ؛ وكلُّ جائزٌ حسن .  
 و ( آيةٌ ) رفعٌ ، اسم « كان » ، و ( جَنَّتَانِ ) رفع على نوعين ، أحدهما : أنه بدل  
 من « آية » ، والثاني : على إضمار ، كأنه لما قيل : « آيةٌ » ، قيل : الآية جَنَّتَانِ .

### الإشارة إلى قصتهم

ذكر العلماء بالتفسير والسير أن بلقيس لما ملكت [ قومها ] جعل قومها  
 يقتلون على ماء واديهم ، فجعلت تنهائم فلا يُطيعونها ، فتركت ملكها وانطلقت  
 إلى قصرها فنزلته ، فلما كثر الشرُّ بينهم وندموا ، أتوها فأرادوها على أن  
 ترجع إلى ملكها ، فأبت ، فقالوا : لَنَرْجِمَنَّ أَوْ لَنَقْتُلَنَّكَ ، فقالت : إنكم  
 لا تطيعوني وليست لكم عقول ، فقالوا : فإنا نُطِيعُكَ ، فجاءت إلى واديهم - وكانوا

(١) روى الترمذي في « سننه » : ١٥٤/٢ عن فروة بن مسيك الرازي قال : قال رجل  
 يارسول الله ، وما سبأ ؟ أرض أو امرأة ؟ قال : « ليس بأرض ولا امرأة ، ولكنه رجل وله  
 عشرة من العرب . . . » الحديث ، ورواه أحمد والطبري وهو حديث حسن ، وقد سبق  
 تخريجه صفحة ( ١٦٥ ) من هذا الجزء ، وأورده السيوطي في « الدرر » : ٢٣١/٥ وزاد زبته  
 لبد بن حميد ، والبخاري في « تاريخه » ، وابن النذر ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه .

إِذَا مُطِرُوا أَنَّهُ السَّيْلُ مِنْ مَسِيرَةِ أَيَّامٍ - فَأَمَرَتْ بِهِ ، فَسُدَّ مَا بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ بِمُسْنَاةٍ <sup>(١)</sup> ، وَحَبَسَتْ الْمَاءَ مِنْ وَرَاءِ السَّدِّ ، وَجَعَلَتْ لَهُ أَبْوَابًا بِمِضَاهَا فَوْقَ بَعْضٍ ، وَبَنَتْ مِنْ دُونِهِ بَرَكَةً وَجَعَلَتْ فِيهَا اثْنَيْ عَشَرَ خَرْجًا عَلَى عِدَّةِ أَنْهَارِهِمْ ، فَكَانَ الْمَاءُ يُخْرَجُ مِنْهُمْ بِالسُّوِيَّةِ ، إِلَى أَنْ كَانَ مِنْ شَأْنِهَا مَعَ سُلَيْمَانَ مَا سَبَقَ ذِكْرُهُ [النمل : ٢٩ - ٤٤] ، وَبَقُوا بِمِدْهَا عَلَى حَالِهِمْ . وَقِيلَ : لَمَّا بَنَوْا ذَلِكَ الْبَيْتَ لِمَثَلٍ يَنْفُسُ السَّيْلُ أَمْوَالَهُمْ فَيُهْلِكُهَا ، فَكَانُوا يَفْتَحُونَ مِنْ أَبْوَابِ السَّدِّ مَا يَرِيدُونَ ، فَيَأْخُذُونَ مِنَ الْمَاءِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ ، وَكَانَتْ لَهُمْ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَادَاهِمَ عَنْ شِمَالِهِ ، فَأَخَصِبَتْ أَرْضُهُمْ ، وَكَثُرَتْ فَوَاكِهُنَّ ، وَإِنْ كَانَتْ الْمَرْأَةُ لَتَمُرُّ بَيْنَ الْجَنَّتَيْنِ وَالْمِكْتَلِ عَلَى رَأْسِهَا ، فَتَرْجِعُ وَقَدْ امْتَلَأَتْ مِنَ الثَّمَرِ وَلَا تَمَسُّ يَدَهَا شَيْئًا مِنْهُ ، وَلَمْ يَكُنْ [بُرَى] فِي يَدِهِمْ حَيَّةٌ وَلَا عَقْرَبٌ وَلَا بَعُوضَةٌ وَلَا ذَبَابٌ وَلَا بَرَعُوثٌ ، وَيَمُرُّ الْغَرِيبُ بِلَدْنِهِمْ وَفِي نِيَابِهِ الْقَمَلُ ، فَيَمُوتُ الْقَمَلُ لَطِيبِ هَوَائِهَا . وَقِيلَ لَهُمْ : ( كَلُّوْا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ ) أَي : هَذِهِ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ ، أَوْ بِلَدُكُمْ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ ، وَلَمْ تَكُنْ سَبْخَةً <sup>(٢)</sup> وَلَا فِيهَا مَا يُؤْذِي ( وَرَبُّ غُفُورٌ ) أَي : وَاللَّهُ رَبُّ غُفُورٍ ، وَكَانَتْ ثَلَاثَ عَشْرَةِ قَرْيَةٍ ، فَبِعِثَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ ثَلَاثَةَ عَشَرَ نَبِيًّا ، فَكَذَّبُوا الرُّسُلَ ، وَلَمْ يُقِرُّوا بِنِعْمِ اللَّهِ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ : ( فَأَعْرَضُوا ) أَي : عَنْ الْحَقِّ ، وَكَذَّبُوا أَنْبِيََاءَهُمْ <sup>(٣)</sup> ( فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْمَرَمِ ) وَفِيهِ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ .

(١) قَالَ فِي « الْمَصْنُوحِ » ، مَادَّةُ « سَنَ » : الْمُسْنَاةُ : حَاطٌ يُبْنَى فِي وَجْهِ الْمَاءِ ، وَيُسَمَّى السَّدُّ .

(٢) أَرْضٌ سَبْخَةٌ ، أَي : مَلْحَةٌ .

(٣) قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ : وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ( فَأَعْرَضُوا ) أَي : عَنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ وَعِبَادَتِهِ وَشُكْرِهِ .

عَلَى مَا نَحْمُ بِهِ عَلَيْهِمْ ، وَعَدَلُوا إِلَى عِبَادَةِ الشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، كَمَا قَالَ الْهَدَّادُ لِسُلَيْمَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : ( وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ بَنِيًّا يَقِينٌ ، إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُكُمْ وَأَوْثِقَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّمُوا مِنَ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ) . اهـ .



أحدها : أن المَرِم : الشديد ، رواه علي بن أبي طالب عن ابن عباس .  
وقال ابن الأعرابي : المَرِم : السَّيْل الذي لا يُطَاق .

والثاني : [ أنه ] اسم الوادي ، رواه العوفي عن ابن عباس ، وبه قال قتادة ، والضحاك ، ومقاتل .

والثالث : أنه المُسَنَّة ، قاله مجاهد ، وأبو ميسرة ، والفراء ، وابن قتيبة .  
وقال أبو عبيدة : المَرِم : جمع عَرِمَة ، وهي : السِّكْر والمُسَنَّة .

والرابع : أن المَرِم : الجرذ الذي نقب عليهم السِّكْر ، حكاه الزجاج .  
وفي صفة إرسال هذا السيل عليهم قولان .

أحدهما : أن الله تعالى بَعَثَ على سِكْرهم دَابَّةً من الأرض فنقبت فيه نقباً ، فسال ذلك الماء إلى موضع غير الموضع الذي كانوا ينتقمون به ، رواه العوفي عن ابن عباس . وقال قتادة والضحاك في آخرين : بعث الله عليهم جُرْذاً يسمَّى الخُلْد - والخُلْد : الفأر الأعمى - فنقبه من أسفله ، فأغرق الله [ به ] جنَّاتهم ، وخرَّب به أرضهم .

والثاني : أنه أرسل عليهم ماءً أحمراً ، أرسله في السدِّ فنسفهُ وهدمه وحفر الوادي ، ولم يكن الماء أحمراً من السد ، وإنما كان سيلاً أرسل عليهم ، قاله مجاهد .

قوله تعالى : ( وبدلناهم بحجنتهم ) يعني اللتين مُطعمات الفواكه ( جنتين ذواتي أكلٍ خَظِرٍ ) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وعاصم ، وابن عامر ، وحزرة ، والكسائي : « أكلٍ » بالتثنية . وقرأ أبو عمرو : « أكلٍ » بالإضافة .  
وخفف الكاف ابن كثير ونافع ، وثقلها الباقون . أمّا الأكل ، فهو الثمر .  
وفي المراد بالخَظِر ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه الأراك ، قاله ابن عباس ، والحسن ، ومجاهد ، والجمهور ؛  
فملى هذا ، أكله : ثمره ؛ ويسمى ثمر الأراك : البرير .  
والثاني : أنه كل شجرة ذات شوك ، قاله أبو عبيدة .

والثالث : أنه كل نبت قد أخذ طمعاً من المראה حتى لا يمكن أكله ، قاله  
المبرد والزجاج . فملى هذا القول ، الخمط : اسم للمأكول ، فيحسن على هذا  
قراءة من نوّن الأكل ؛ وعلى ما قبله ، هو اسم شجرة ، والأكل ثمرها ،  
فيحسن قراءة من أضاف .

فأمّا الأثل ، ففيه ثلاثة أقوال . أحدها : أنه الطرفاء <sup>(١)</sup> ، قاله ابن عباس .  
والثاني : أنه السمُر <sup>(٢)</sup> ، حكاه ابن جرير . والثالث : أنه شجر يشبه الطرفاء  
إلا أنه أعظم منه .

قوله تعالى : ( وشيء من سدرٍ قليلٍ ) فيه تقديم ، وتقديره : شيء قليل  
من سدر ، وهو شجر التَّبَق <sup>(٣)</sup> . والمعنى أنه كان الخمط والأثل في جنتهم

(١) قال في « القاموس » الطرفاء : شجر ، وهي أربعة أصناف ، منها الأثل ، الواحدة طرفاءة  
وطرفقة ، وقال في « الصحاح » : قال سيويه : الطرفاء واحد وجميع . قال في « اللسان » :  
قال أبو حنيفة ( يعني المديتوري ) : الطرفاء : من المضاء ، وهُدْبُهُ مثل هذب الأثل ، وليس  
له خشب ، وإنما يخرج عَصِيئًا سَمَحَةً في السماء ، وقد تتحمض بها الإبل إذا لم تجد  
حماً غيره .

(٢) قال في « المصباح » : السمُر ، وزان رَجُلٌ وسَبْعٌ : شجر الطلح ، وهو نوع  
من المضاء ، الواحدة سَمْرَةٌ ، وبها سُمِّيَ .

(٣) قال في « المصباح » : وإذا أطلق السدر في النسل ، فالراد : الورق المطحون ،  
والسدر نوعان ، أحدهما : ينبت في الأرياف فينتفع بورقه في النسل ، وثمرته طيبة ، والآخر  
ينبت في البر ولا ينتفع بورقه في النسل ، وثمرته عَفِصَةٌ ، قال : وقد تقدم في حرف الزاي  
أن الزعرور ثمره تنبت في البر ، وهي بهذه الصفة ، فيجوز أن يكون هو التَّبَق البري . اهـ .

أَكْثَرُ مِنَ السَّدْرِ . قَالَ قَتَادَةُ : يَنَا شَجَرُهُمْ مِنْ خَيْرِ الشَّجَرِ ، إِذْ صَيَّرَهُ اللَّهُ مِنْ شَرِّ الشَّجَرِ <sup>(١)</sup> .

قوله تعالى : ( ذَلِكَ جَزَايَنَامٍ ) أي : ذلك التبديل جزينام ( بما كفروا وهل يُجَازَى إِلَّا الْكَفُورَ ) .

قَالَ قَيْل : قَدْ يُجَازَى الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ ، فَمَا مَعْنَى هَذَا التَّخْصِصِ ؟  
فَمِنْهُ جَوَابَانِ .

أحدهما : أَنَّ الْمُؤْمِنَ يُجْزَى وَلَا يُجَازَى ، فَيَقَالُ فِي أَفْصَحِ اللَّفْظِ : جَزَى اللَّهُ الْمُؤْمِنَ ، وَلَا يَقَالُ : جَازَاهُ ، لِأَنَّ « جَازَاهُ » بِمَعْنَى كَافَّاهُ ، فَالْكَافِرُ يُجَازَى بِسَيِّئَتِهِ مِثْلَهَا ، مَكْفَافَةٌ لَهُ ، وَالْمُؤْمِنُ يُزَادُ فِي الثَّوَابِ وَيُتَفَضَّلُ عَلَيْهِ ، هَذَا قَوْلُ الْفَرَاءِ .  
وَالثَّانِي : أَنَّ الْكَافِرَ لَيْسَتْ لَهُ حَسَنَةٌ تَكْفِرُ ذَنْبَهُ ، فَهُوَ يُجَازَى بِجَمِيعِ الذَّنُوبِ ، وَالْمُؤْمِنُ قَدْ أَحْبَطَتْ حَسَنَاتُهُ سَيِّئَاتِهِ ، هَذَا قَوْلُ الرَّجَاجِ . وَقَالَ طَاوُوسُ :  
الْكَافِرُ يُجَازَى وَلَا يُغْفَرُ لَهُ ، وَالْمُؤْمِنُ لَا يُنَاقَشُ الْحِسَابَ <sup>(٢)</sup> .

قوله تعالى : ( وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ ) هَذَا مَعْطُوفٌ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : « لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ » ؛ وَالْمَعْنَى : كَانَ مِنْ قَصَصِهِمْ أَنَّا جَعَلْنَا بَيْنَهُمْ ( وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي

(١) قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ : وَقَوْلُهُ : ( وَثِيٍّ مِنْ سَدْرٍ قَلِيلٍ ) قَالَ : لَا كَانَ أَجُودَ هَذِهِ الْأَشْجَارِ الْمَبْدَلُ هُوَ السَّدْرُ ، قَالَ : ( وَثِيٍّ مِنْ سَدْرٍ قَلِيلٍ ) هَذَا الَّذِي صَارَ أَمْرَتَيْنِكَ الْجَنَّتَيْنِ إِلَيْهِ بَعْدَ الثَّامِرِ التَّنْضِيجَةِ ، وَالتَّخَاظُرِ الْحَسَنَةِ ، وَالتَّلَالِ الْعَمِيقَةِ ، وَالْأَنْهَارِ الْجَارِيَةِ ، تَبَدَّلَتْ إِلَى شَجَرِ الْأَرَاكِ وَالطَّرْفَاءِ وَالسَّدْرِ ذِي الشُّوكِ الْكَثِيرِ وَالثَّمَرِ الْقَلِيلِ ، وَذَلِكَ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَشُرْكَهِمْ بِاللَّهِ وَتَكْذِيبِهِمُ الْحَقَّ ، وَعَدُوْلَهُمْ عَنْهُ إِلَى الْبَاطِلِ .

(٢) قَالَ السُّيُوطِيُّ فِي « الدَّر » ٢٣٣/٥ : وَأَخْرَجَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، وَعَبْدُ بْنُ حَمِيدٍ ، وَابْنُ الْمُنْذَرِ ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ ، عَنْ طَاوُوسٍ ( وَهَلْ يُجَازَى إِلَّا الْكَفُورُ ) قَالَ : هُوَ الْمُنَاقَشَةُ فِي الْحِسَابِ ، وَمَنْ نَوَقَشَ الْحِسَابَ عَذَّبَ ، وَهُوَ الْكَافِرُ لَا يُغْفَرُ لَهُ .

باركنا فيها) <sup>(١)</sup> وهي : قرى الشام ؛ وقد سبق بيان معنى البركة فيها [الانبيا : ٧١] ، هذا قول الجمهور . وحكى ابن السائب أن الله تعالى لما أهلك جنّتهم قالوا للرسل : قد عرفنا نعمة الله علينا ، فلئن ردّ إلينا ما كنّا عليه لنعبُدْته عبادةً شديدة ، فردّ عليهم النعمة ، وجعل لهم قرى ظاهرة ، فمادوا إلى الفساد وقالوا : باعد بين أسفارنا ، فمَزَقُوا .

قوله تعالى : ( قرى ظاهرة ) أي : متواصلة ينظر بعضها إلى بعض ( وقدّرنا فيها السّر ) فيه قولان .

أحدهما : أنهم كانوا يَخْدُونَ فيَقِيلُونَ في قرية ، وَيَرْوَحُونَ فيبَيْتُونَ في قرية ، قاله الحسن ، وقادة .

والثاني : أنه جعل ما بين القرية والقرية مقداراً واحداً ، قاله ابن قتيبة .

قوله تعالى : ( سَيروا فيها ) والمعنى : وقلنا لهم : سيروا فيها ( ليالي وأياماً )

أي : ليلاً ونهاراً ( آمين ) من مخاوف السفر من جوع أو عطش أو سَبُع أو تعب . وكانوا يسيرون أربعة أشهر في أمان ، فبَطَرُوا النعمة وملّوها كما ملّ بنو إسرائيل المَنّ والسَّلوى ( فقالوا ربّنا بَعْدُ بين أسفارنا ) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو : « بَعْدُ » بتشديد المين وكسرها . وقرأ نافع ، وعاصم ، وحمة : « باعِدُ » . بألف وكسر المين . وعن ابن عباس كالتراءتين . قال ابن عباس : وإنهم قالوا : لو كانت جنّتنا أبعد ممّا هي ، كان أجدر أن يُشْتَهَى جنّناها . قال أبو سليمان الدمشقي : لما ذكّرتهم الرسلُ نِعَمَ الله ، أنكروا أن يكون ما هم فيه نعمة ،

(١) قال ابن كثير : يذكر تعالى ما كانوا فيه من النعمة والتبطة والبشرى الربية والبلاد الرخيصة ، والأماكن الآمنة ، والقرى المتواصلة المتقاربة بعضها من بعض مع كثرة أشجارها وزروعها وغارها ، بحيث أن مسافراً لا يحتاج إلى حمل زاد ولا ماء ، بل حيث نزل وجد ماءً وثمراً ، ويقبل في قرية ويبيت في أخرى بمقدار ما يحتاجون إليه في سيرهم . اهـ .

وسألوا الله أن يباعدهم بين أسفارهم . وقرأ يعقوب : [ « ربنا » برفع الباء ] « بَاعِدْ » بفتح العين والدال ، جعله فعلاً ماضياً على طريق الإخبار للناس بما أنزله الله عز وجل بهم . وقرأ علي بن أبي طالب ، وأبو عبد الرحمن [ السلمي ] ، وأبو رجاء ، وابن السميع ، وابن أبي عمير : « بَعُدْ » برفع العين وتخفيفها وفتح الدال من غير ألف ، على طريق الشكاية إلى الله عز وجل . وقرأ عاصم الجحدري ، وأبو عمران الجوني : « بُوعِدَ » برفع الباء وبواو ساكنة مع كسر العين .

قوله تعالى : ( وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ) فيه قولان . أحدهما : بالكفر وتكذيب الرسل . والثاني : بقولهم : « بَعُدْ بين أسفارنا » .

( فجعلناهم أحاديث ) لمن بدم يتحدثون بما فعل بهم ( ومزقناهم كل ممزق ) أي : فرقناهم في كل وجه من البلاد كل التفريق ، لأن الله لما فرق مكانهم وأذهب جناتهم تبددوا في البلاد ، فصارت العرب تمثل في الفرقة بسبأ<sup>(١)</sup> ( إن في ذلك ) أي : فيما فعل بهم ( آيات ) أي : لعبراً ( لكل صبار ) عن معاصي الله ( شكور ) لينعمه<sup>(٢)</sup> .

قوله تعالى : ( ولقد صدق عليهم إبليس ظنه ) « عليهم » بمعنى « فيهم » ، (١) قال ابن كثير : أي : جعلناهم حديثاً للناس ، وسمراً يتحدثون به من خبم ، وكيف مكر الله بهم وفرق شملهم بمد الاجتماع والألفة والميثاق الهنيء ، تفرقوا في البلاد هاهنا وهاهنا ، قال : ولهذا تقول العرب في القوم إذا تفرقوا : تفرقوا أبدي سبأ ، وأبدي سبأ ، وتفرقوا شذر مذر . اهـ .

(٢) قال ابن كثير : وقوله تعالى : ( إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور ) أي : إن في هذا الذي حل بهؤلاء من النعمة والمذاب وتبديل النعمة وتحويل العافية عقوبة على ما ارتكبه من الكفر والآثام ، لبرة ودلالة لكل عبد صبار على المصائب ، شكور على النعم . اهـ . وروى مسلم في صحيحه : : ٢٢٩٥/٤ عن صبيب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « عجبا لأمر المؤمن ، إن أمره كله خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابه سوء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابه ضراء صبر فكان خيراً له » .

زاد السير ٦ م (٢٩)

وَصِدْقُهُ فِي ظَنِّهِ أَنَّهُ ظَنَّ بِهِمْ أَنَّهُمْ يَتَّبِعُونَهُ إِذَا أَغْوَاهُمْ ، فَوَجَدَهُمْ كَذَلِكَ . وَإِنَّمَا قَالَ : ( وَلَا ضَلِيلَ لَهُمْ وَلَا مُنْتَبِهِينَ ) [النساء : ١١٩] بِالظَّنِّ ، لَا بِالْعِلْمِ ، فَمَنْ قَرَأَ : « صَدَقَ » بِتَشْدِيدِ الدَّالِ ، فَالْمَعْنَى : حَقَّقَ مَا ظَنَّهُ فِيهِمْ بِمَا فَعَلَ بِهِمْ ، وَمَنْ قَرَأَ بِالتَّخْفِيفِ ، فَالْمَعْنَى : صَدَقَ عَلَيْهِمْ فِي ظَنِّهِ بِهِمْ <sup>(١)</sup> .

وَفِي الْمَشَارِ إِلَى إِيهِمْ قَوْلَانِ .

أَحَدُهُمَا : أَنَّهُمْ أَهْلُ سَبَأَ . وَالثَّانِي : سَائِرُ الْمُطِيعِينَ لِإِبْلِيسَ .

قَوْلُهُ تَعَالَى : ( وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ ) قَدْ شَرَحْنَاهُ فِي قَوْلِهِ : ( لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ) [الحجر : ٤٢] . قَالَ الْحَسَنُ : وَاللَّهِ مَا ضَرَبَهُمْ بَعْضًا وَلَا قَهَرَهُمْ عَلَى شَيْءٍ ، إِلَّا أَنَّهُ دَعَاهُمْ إِلَى الْإِثْمَانِي وَالْفُرُورِ .

قَوْلُهُ تَعَالَى : ( إِلَّا لِنَعْمَتٍ ) أَيِ : مَا كَانَ تَسْلِيطُنَا إِلَيْهِ إِلَّا لِنَعْمَتِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الشَّاكِرِينَ . وَقَرَأَ الزَّهْرِيُّ : « إِلَّا لِيُعْمَلَمَ » يَاءُ مَرْفُوعَةٍ عَلَى مَا لَمْ يُسَمَّ قَاعِلُهُ . وَقَرَأَ ابْنُ يَعْمَرَ : « لِيُعْمَلَمَ » يَفْتَحُ الْيَاءُ .

وَفِي الْمَرَادِ بِعِلْمِهِ هَاهُنَا ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ قَدْ شَرَحْنَاهَا فِي أَوَّلِ ( الْعَنْكَبُوتِ : ٣ ) . ( وَرَبِّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ) مِنَ الشَّكِّ وَالْإِيمَانِ ( حَفِيزٌ ) ، وَقَالَ ابْنُ قَتَيْبَةَ : وَالْحَفِيزُ بِمَعْنَى الْحَافِظِ . قَالَ الْخَطَّابِيُّ : وَهُوَ قَمِيلٌ بِمَعْنَى فَاعِلٍ ، كَالْقَدِيرِ ، وَالطَّيِّمِ ، فَهُوَ يَحْفِظُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِمَا فِيهَا لِتَبْقَى مَدَّةً بِقَائِمًا ، وَيَحْفِظُ عِبَادَهُ مِنْ

(١) قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ : لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى قِصَّةَ سَبَأَ وَمَا كَانَ مِنْ أَمْرٍ فِي اتِّبَاعِهِمُ الْهَوَى وَالشَّيْطَانَ ، أَخْبَرَ عَنْهُمْ وَعَنْ أَمْثَلِهِمْ مِنْ اتَّبَعَ إِبْلِيسَ وَالْهَوَى وَخَالَفَ الرِّشَادَ وَالْهُدَى ، فَقَالَ : ( وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ ) قَالَ : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَغَيْرُهُ : هَذِهِ آيَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى اخْبَارًا عَنْ إِبْلِيسَ حِينَ امْتَنَعَ مِنَ السُّجُودِ لِآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ثُمَّ قَالَ : ( أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتُنِي عَلَيْهِ لَئِنْ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ) ، وَقَالَ : ( ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ) ، قَالَ : وَالْآيَاتُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ . اهـ .

المهلك ، ويحفظ عليهم أعمالهم ، ويعلم نياتهم ، ويحفظ أوليائه عن موازنة الذنوب ، ويحرّسهم من مكاييد الشيطان .

﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ . وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾

قوله تعالى : ( قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ ) المعنى : قل للكفار : ادعوا الذين زعتم أنهم آلهة يُسْتَعْمَلُ عليكم بِنِعْمَةٍ ، أو يكشفوا عنكم بليّة . ثم أخبر عنهم فقال : ( لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ) أي : من خير وشرّ ووقع وضُرّ ( وما لهم فيها من شِرْكٍ ) لم يشاركونا في شيء من خلقها ، ( وما له ) أي : وما لله ( منهم ) أي : من الآلهة ( من ظهير ) أي : من مُعِينٍ على شيء . ( وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وابن مامر : « أَذِنَ لَهُ » بفتح الالف . وقرأ أبو عمرو ، وحزمة ، والكسائي ، وخلف : « أَذِنَ لَهُ » برفع الالف وعن عاصم كالقراءتين . أي : لا تنفع شفاعة مَلَكٍ ولا نبيّ حتى يُؤْذَنَ لَهُ في الشفاعة <sup>(١)</sup> ، وقيل : حتى يُؤْذَنَ لَهُ فيمن يشفع . وفي هذا ردّ عليهم حين قالوا : إن هذه الآلهة تشفع لنا .

(١) قال ابن كثير : ثبت في « الصحيحين » من غير وجه عن رسول الله ﷺ - وهو سيد ولد آدم وأكبر شفيع عند الله تعالى - أنه حين يقوم المقام الممود يشفع في المخلوق كلّهم أن يأتي بهم لفصل القضاء قال : « فأسجد لله تعالى فبدّعي ما شاء الله أن يدّعي ، ويفتح عليّ بحامد لا أحصيها الآن ، ثم يقال : يا محمد ارفع رأسك ، وقل تسمع ، وسلّ سمعه ، واشفع تُشَفِّع .... الحديث بتمامه .

( حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ) قَرَأَ الْأَكْثَرُونَ : « فُزِّعَ » بضم الفاء وكسر الزاي . قَالَ ابْنُ قَتِيْبَةَ : خَفِيفٌ عَنْهَا الْفَزَعُ . وَقَالَ الزَّجَّاجُ : مَعْنَاهُ : كُشِفَ الْفَزَعُ عَنْ قُلُوبِهِمْ . وَقَرَأَ ابْنُ حَامِرٍ ، وَيَعْقُوبُ ، وَأَبَانُ : « فُزِّعَ » بفتح الفاء والزاي ، وَالْفِعْلُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . وَقَرَأَ الْحَسَنُ ، وَقَتَادَةُ ، وَابْنُ يَمْرُوتٍ : « فَرَّغَ » بِالرَّاءِ غَيْرَ مَعْجَمَةٍ ، وَبِالْفَيْنِ مَعْجَمَةٌ ، وَهُوَ بِمَعْنَى الْأَوَّلِ ، لِأَنَّهَا فَرَّغَتْ مِنَ الْفَزَعِ . وَقَالَ غَيْرُهُ : بَلْ فَرَّغَتْ مِنَ الشَّكِّ وَالشَّرِكِ .

وَفِي الْمَشَارِ إِلَى هَيْهَاتُهَا قَوْلَانِ .

أَحَدُهُمَا : أَنَّهُمُ الْمَلَائِكَةُ . وَقَدْ دَلَّ الْكَلَامُ عَلَى أَنَّهُمْ يَفْزَعُونَ لِأَمْرِ يَطْرَأُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ، وَلَمْ يَذْكُرْهُ فِي الْآيَةِ ، لِأَنَّهُ إِخْرَاجُ الْفَزَعِ بِدَلٍّ عَلَى حُصُولِهِ . وَفِي سَبَبِ فُزْعِهِمْ قَوْلَانِ .

أَحَدُهُمَا : أَنَّهُمْ يَفْزَعُونَ لِسَمَاعِ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى . رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ بِالْوَحْيِ سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ صَلَافَةً كَجَبْرِ السَّلْسَلَةِ عَلَى الصَّفَا ، فَيَصْهَقُونَ ، فَلَا يَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ جَبْرِيلُ ، فَإِذَا جَاءَهُمْ جَبْرِيلُ فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ، فَيَقُولُونَ : يَا جَبْرِيلُ : مَاذَا قَالَ رَبُّكَ ؟ قَالَ : يَقُولُ : الْحَقُّ ، فَيَنَادُونَ : الْحَقُّ الْحَقُّ » <sup>(١)</sup> . وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « إِذَا قَضَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتْ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنَحِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ <sup>(٢)</sup> ، كَأَنَّهُ سَلْسَلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ <sup>(٣)</sup> » ، فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا : مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ، قَالُوا :

(١) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي « سُنَنِ » رَقْمَ ( ٤٧٣٨ ) ، وَأَوْرَدَهُ السَّيُوطِيُّ فِي « الْبَزِّ » : ٢٣٦/٥ ، وَزَادَ نَسْبَتَهُ لِسَمِيدِ بْنِ مَنْصُورٍ ، وَعَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ ، وَابْنَ جَرِيرٍ ، وَابْنَ الْمُنْذَرِ ، وَابْنَ أَبِي حَاتِمٍ ، وَأَبِي الشَّيْخِ فِي « النِّظْمَةِ » ، وَابْنَ مَرْدَوَيْهِ ، وَابْنِ يَمْرُوتٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) أَيُّ : تَوَاضَعًا وَتَخَاضَعًا وَاتِّقِيَادًا لِحُكْمِهِ .

(٣) أَيُّ : حَجَرٍ أَمْلَسَ .



الذي قال الحق<sup>(١)</sup> (وهو العليُّ الكبير) «<sup>(٢)</sup>» .

والثاني : أنهم يفرعون من قيام الساعة . وفي السبب الذي ظنوه بدنو الساعة

ففرعوا ، قولان .

أحدهما : أنه لما كانت الفترة التي بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ، ثم بعث الله محمداً ، أنزل الله جبريل بالوحي ، فلما نزل ظننت الملائكة أنه نزل بشيء من أمر الساعة ، فصعقوا لذلك ، فجعل جبريل يمرُّ بكلِّ سماءٍ ويكشف عنهم الفرع ويُخبرهم أنه الوحي ، قاله قتادة ، ومقاتل ، وابن السائب . وقيل : لما علموا بالإيحاء إلى محمد ﷺ ، فرعوا ، ليعلمهم أنَّ ظهوره من أشراط الساعة . والثاني : أن الملائكة المقيَّبات الذين يختفون إلى أهل الأرض ويكتبون أعمالهم إذا أرسلهم الله تعالى فأنحدروا ، يُسمَع لهم صوتٌ شديد ، فيحسب الذين هم أسفل منهم من الملائكة أنه من أمر الساعة ، فيخرون سُجَّداً ، ويصنَّعون حتى يعلموا أنه ليس من أمر الساعة ، وهذا كلُّها مرثوا عليهم ، رواه الضحاك عن ابن مسعود .

والقول الثاني : أن الذي أُشير إليهم المشركون<sup>(٣)</sup> ؛ ثم في معنى

الكلام قولان .

أحدهما : أن المعنى : حتى إذا كُشف الفرع عن قلوب المشركين عند الموت - إقامةً للحجة عليهم - قالت لهم الملائكة : ماذا قال ربكم في الدنيا ؟ قالوا : الحق ، فأقرُّوا حين لم يفهمهم الإقرار ، قاله الحسن ، وابن زيد .

(١) أي : الذي قال القول الحق ، وهو الله سبحانه وتعالى .

(٢) رواه البخاري في « صحيحه » ٤١٤/٨ عن أبي هريرة رضي الله عنه ، ورواه عنه أيضاً

أبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه ، وغيرهم .

(٣) وقد اختار ابن جرير الطبري القول الأول ، وهو أن الضمير عائد إلى الملائكة ، وم

المشار إليهم ، وقال ابن كثير : وهذا هو الحق الذي لامر به فيه ، لصحة الأحاديث فيه والآثار . اهـ .

والثاني : حتى إذا كشف الغطاء عن قلوبهم يوم القيامة ، قيل لهم : ماذا قال ربكم ؟ قاله مجاهد .

﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ لِيَاكُمْ لَمَعْلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ . قُلْ لَا تُسْئَلُونَ عَمَّا أُجْرَمْنَا وَلَا نُسْئَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ . قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ يَتَنَّا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ . قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَهَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

قوله تعالى : ( قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ ) يعني المطر ( والأرض ) يعني النبات والثمر . وإنما أمر أن يسأل الكفار عن هذا ، احتجاجاً عليهم بأن الذي يرزق هو المستحق للمعبادة ، وهم لا يثبتون رازقاً سواه ، ولهذا قيل له : ( قُلِ اللَّهُ ) لأنهم لا يحبون بنير هذا ؛ وهاهنا تم الكلام . ثم أمره أن يقول لهم : ( وَإِنَّا أَوْ لِيَاكُمْ لَمَعْلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ) مذهب المفسرين أن « أَوْ » هاهنا بمعنى الواو . وقال أبو عبيدة : معنى الكلام : وَإِنَّا لَمَعْلَى هُدًى ، وَإِنَّا لَمَعْلَى ضَلَالٍ مُبِينٍ <sup>(١)</sup> . وقال الفراء : معنى « أَوْ » عند المفسرين معنى الواو ، وكذلك هو في المعنى ، غير أن العريضة على غير ذلك ، لا تكون « أَوْ » بمنزلة الواو ، ولكنها تكون في الأمر المفوض ، كما تقول : إن شئت فخذ درهماً أو اثنين ، فله أن يأخذ واحداً أو اثنين ، وليس له أن يأخذ ثلاثة ؛ وإنما معنى الآية : وَإِنَّا لَضَالُونَ أَوْ مَهْتَدُونَ ، وَإِنَّا لَضَالُونَ أَوْ مَهْتَدُونَ ، وهو يعلم أن

(١) قال ابن كثير : وقوله تعالى : ( وَإِنَّا أَوْ لِيَاكُمْ لَمَعْلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ) هذا من باب اللف والنشر ، أي : واحد من الفريقين مبطل ، والآخر حق ، لا سبيل إلى أن تكونوا أنتم ونحن على الهدى أو على الضلال ، بل واحد منا مصيب ، ونحن قد أقمنا البرهان على التوحيد ، فدل على بطلان ما أنتم عليه من الشرك بالله تعالى . اهـ .

رسوله المهتدي ، وأن غيره الضال<sup>١</sup> ، كما تقول الرجل تكذبه : والله إن<sup>٢</sup>  
أحدنا لكاذب - وأنت تعنيه - فكذبته تكذيباً غير مكشوف ؛ ويقول الرجل :  
والله لقد قدم فلان ، فيقول له من يمتك كذبه : قل : إن شاء الله ،  
فيكذبه بأحسن من تصريح التكذيب ؛ ومن كلام العرب أن يقولوا : قاتله الله ،  
ثم يستبحونها ، فيقول : قاتمه الله ، ويقول بعضهم : كاتمه الله ؛ ويقولون :  
جوعاً ، دعاء على الرجل ، ثم يستبحونها فيقولون : جوداً ، وبعضهم يقول : جوساً ؛  
ومن ذلك قولهم : وبحك وويسك ، وإنما هي في معنى « ويلك » إلا أنها دونها .  
قوله تعالى : ( قل لا تسألون عما أجرنا ) أي : لا تؤاخذون به ( ولا تسأل  
عما تعملون ) من الكفر والتكذيب ؛ والمعنى إظهار التبري منهم<sup>(١)</sup> . وهذه  
الآية عند أكثر المفسرين منسوخة بآية السيف ، ولا وجه لذلك .

قوله تعالى : ( قل يجمع بيننا ربنا ) يعني عند البعث في الآخرة ( ثم  
يفتح بيننا ) أي يقضي ( بالحق ) أي : بالعدل ( وهو الفتاح ) القاضي ( العليم )  
بما يقضي ( قل ) للكفار ( أروني الذين ألحقتم به شركاء ) أي : أعلموني من  
أي وجه ألحقتمهم وهم لا يخلقون ولا يرزقون ( كلاً ) ردع وتنبه ؛ والمعنى :  
ارتدعوا عن هذا القول ، وتنبهوا عن ضلالتكم ، فليس الأمر على ما أنتم عليه<sup>(٢)</sup> .

(١) قال ابن كثير : أي : لستم منا ولا نحن منكم ، بل ندعوكم إلى الله تعالى وإلى توحيده  
وإفراد العبادة له ، فإن أجبتهم فأنتم منا ونحن منكم ، وإن كذبتم فنحن برآء منكم وأنتم برآء منا ،  
كما قال تعالى : ( فإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم ، أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء  
بما تعملون ) . اهـ .

(٢) قال ابن كثير في تمة الآية : ( بل هو الله ) أي : الواحد الأحد الذي لا شريك له ،  
( العزيز الحكيم ) أي : ذو الازفة الذي قد قهر بها كل شيء وغلبت كل شيء ، الحكيم في أماله  
وأقواله وشرعه وقدره ، تبارك وتعالى وتقدس عما يقولون علواً كبيراً ، والله أعلم . اهـ .

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ . وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴾

فوله تعالى : ( وما أرسلناك إلا كافة للناس ) أي : عامة لجميع الخلائق . وفي الكلام تقديم ، تقديره : وما أرسلناك إلا للناس كافة . وقيل : معنى « كافة للناس » : تكفيهم عما هم عليه من الكفر ، والماء فيه للمبالغة <sup>(١)</sup> . ( ويقولون متى هذا الوعد ) يعنون العذاب الذي يعدهم به في يوم القيامة ؛ وإنما قالوا هذا ، لأنهم يشكرون البعث ، ( قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ ) وفيه قولان . أحدهما : أنه يوم الموت عند التزرع والسيق ، قاله الضحاك . والثاني : يوم القيامة ، قاله أبو سليمان الدمشقي .

(١) وهو تأويل بعيد ، وإن كان أصحها من الكف بمعنى المنع ، والمراد هنا أن الله تعالى أرسله إلى جميع الخلائق من المكلفين ، كقوله تعالى : ( قل يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ) وقوله : ( تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ) ، وروى البخاري ومسلم في « صحيحهما » عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « أعطيت خمسا لم يعطني أحد قبلي ، نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وحطت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأما رجل من أمي أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لي الفنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس عامة » .

وفي « صحيح مسلم » : « وبعثت إلى كل أحر وأسود » ، أي : إلى الجن والانس . وهذا من جملة ما امتاز به نبينا محمد ﷺ . قال ابن عباس رضي الله عنهما : إن الله فضل محمداً ﷺ على أهل السماء وعلى الأنبياء ، قالوا : يا ابن عباس ، فبم فضله على الأنبياء ؟ قال : إن الله تعالى قال : ( وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ) وقال للنبي ﷺ : ( وما أرسلناك إلا كافة للناس ) فأرسله الله تعالى إلى الجن والانس .

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُؤْمِنَ بِهِذَا الْقُرْآنَ وَلَا بِالَّذِي  
يَشْنُ يَدِينَهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ  
بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ  
اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ . قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا  
لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ  
بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ . وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا  
بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْمَلَ لَهُ  
أَنْدَادًا وَأَسْرُوا التَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ  
الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

قوله تعالى : ( وقال الذين كفروا ) يعني مشركي مكة ( لن تؤمن  
بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه ) يعنون التوراة والإنجيل ، وذلك أن مؤمني  
أهل الكتاب قالوا : إنَّ صفة محمد في كتابنا ، فكفر أهل مكة بكتابهم .  
ثم أخبر عن حالهم في القيامة فقال : ( ولو ترى إذ الظالمون ) يعني مشركي مكة  
( موقوفون عند ربهم ) في الآخرة ( يرجعون بعضهم إلى بعض القول ) أي :  
يردُّ بعضهم على بعض في الجدال واللَّوم ( بقول الذين استضعفوا ) وهم الأنبياء  
( الذين استكبروا ) وهم الأشراف والقادة : ( لولا أنتم لكننا مؤمنين ) أي :  
مصدقين بتوحيد الله ؛ والمعنى : أنتم منعمونا عن الإيمان ؛ فأجابهم المتبوعون  
فقالوا : ( أنحن صددناكم عن الهدى ) أي : منعناكم عن الإيمان ( بعد إذ جاءكم )  
به الرسول ؛ ( بل كنتم مجرمين ) بترك الإيمان - وفي هذا تنبيه للكفار على أن  
طاعة بعضهم لبعض في الدنيا تصير سبباً للعداوة في الآخرة - فردَّ عليهم الأنبياء  
فقالوا : ( بل مكرُّ الليل والنهار ) أي : بل مكرُّكم بنا في الليل والنهار . قال الفراء :

وهذا مما تتوسع فيه العرب لوضوح معناه ، كما يقولون : ليله قائم ، ونهاره صائم ، فتضيف الفعل إلى غير الآدميين ، والمعنى لهم . وقال الأخفش : وهذا كقوله : ( مِنْ قَرِينِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ ) [ محمد : ١٣ ] ، قال جرير :

لَقَدْ كُنْتَنَا يَأْمٌ غَيْلَانٌ فِي السَّرَى وَنِمْتٍ وَمَالِيلُ الْمَطِيِّ بِنَانِمٍ <sup>(١)</sup>  
وقرأ سعيد بن جبير ، وأبو الجوزاء ، وعاصم الجحدري : « بِلْ مَكْرَ » بفتح  
الكاف والراء « اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ » برفعها . وقرأ ابن بمر : « بِلْ مَكْرُ » بفتح  
الكاف ورفع الراء وتنوينها « اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ » بنصبها .

قوله تعالى : ( إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ ) وذلك أنهم كانوا يقولون لهم :  
إِنْ دِينُنَا حَقٌّ وَمُحَمَّدٌ كَذَّابٌ ، ( وأسرؤا الندامة ) وقد سبق بيانه في ( يونس : ٥٤ ) .  
قوله تعالى : ( وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا ) إذا دخلوا جهنم  
غُلَّتْ أيديهم إلى أعناقهم ، وقالت لهم خزنة جهنم : هل تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ  
تَعْمَلُونَ فِي الدُّنْيَا . قال أبو عبيدة : مجاز « هل » هاهنا مجاز الإيجاب ، وليس باستفهام ؛  
والمعنى : ما تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ .

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا  
بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ . وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا  
وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ . قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ  
وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ . وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ  
بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَن آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ  
لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي التَّرَفُّاتِ أَمْتُونَ . وَالَّذِينَ

(١) ديوانه : ٥٥٤ ، و د مجاز القرآن ، : ٢٧٩/١ ، و د الطبري : : ٩٨/٢٢ ،

و د مجمع البيان ، : ٢٢/٢١٠ .

يَسْمَعُونَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ . قُلْ  
إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ  
مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٥﴾

( وما أرسلنا في قرية من نذير ) أي : نبي يُنذِر ( إلا قال مترفوها )

وم أغنياؤها ورؤساؤها (٣٥) .

قوله تعالى : ( وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً ) (٣٦) . في المشار إليهم

(١) قال ابن كثير : يقول تعالى مسلماً لنبيه ﷺ وأمرأ له بالتأسي بمن قبله من الرسل  
وغبره بأنه ما ثبت نبياً في قرية إلا كذبه مترفوها واتبعه ضغاوم ، كما قال نوح عليه الصلاة والسلام :  
( أنؤمن لك واتبعك الأرذلون ) ( وما زك اتبعك إلا الذين هم أرذلنا بأي الرأي ) ، وقال  
الكبراء من قوم صالح : ( الذين استضعفوا لمن آمن منهم أتملون أن صالحاً مرسل من ربه ؟  
قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون . قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون ) وقال  
عز وجل : ( وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم  
بالشاكرين ) ، وقال تعالى : ( وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرمين ليمكروا فيها ) وقال  
جل وعلا : ( وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها  
تدميراً ) وقال جل وعلا ها هنا : ( وما أرسلنا في قرية من نذير ) أي : نبي أو رسول ( إلا  
قال مترفوها ) وهم أولو النعمة والحسنة والثروة والرياسة - قال قتادة : هم جبارتهم وقادتهم  
ورؤوسهم في الشر - : ( إنا بما أرسلتم به كافرون ) أي : لا تؤمن به ولا تتبعه . اهـ .

(٢) قال ابن كثير : افتخروا بكثرة الأموال والأولاد ، واعتقدوا أن ذلك دليل على محبة  
الله تعالى لهم ، واعتنائه بهم - ، وأنه ما كان ليعطيهم هذا في الدنيا ثم يعذبهم في الآخرة ،  
وهيات لهم ذلك ، قال الله تعالى : ( يحبون أغناغدهم به من مال وبنسين نسارع لهم في  
الخيرات بل لا يشعرون ) ، وقال تبارك وتعالى : ( فلا تمجك أموالهم ولا أولادهم إنا نريد  
الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وترحق أنفسهم وهم كافرون ) وقال عز وجل : ( فرني ومن خلقت وحيداً ،  
وجعلت له مالا ممدوداً ، وبين شهوداً ، ومهدت له نهيداً ، ثم يطمع أن أزيد ، كلا إنه كان  
لآياتنا عنيداً ، سأرهقه صعوداً ) وقد أخبر الله عز وجل عن صاحب تبتك الجنين أنه كان —

قولان . أحدهما : أنهم اُلْتَرَفُون من كل أُمَّة . والثاني : مشركو مكة ، فظنوا من جهلهم أن الله خولهم المال والولد لكرامتهم عليه ، فقالوا : ( وما نحن بعمدّين ) لأن الله أحسن إلينا بما أعطانا فلا يعمدّنا ، فأخبر أنه ( ييسط الرزق لمن يشاء ويقدر ) ؛ والمعنى أن يسط الرزق وتضييقه ابتلاء وامتحان ، لا أن البسط يدل على رضى الله ، ولا التضييق يدل على سخطه ( ولكن أكثر الناس لا يعلمون ) ذلك . ثم صرح بهذا المعنى بقوله : ( وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى ) قال الفراء : يصلح أن تقع « التي » على الأموال والأولاد جميعاً ، لأن الأموال جمع والأولاد جمع ؛ وإن شئت وجهت « التي » إلى الأموال ، واكتفيت بها من ذكر الأولاد ؛ وأنشد لمرار الأسدي :

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفٌ<sup>(١)</sup>

وقد شرحنا هذا في قوله : ( ولا ينفقونها في سبيل الله ) [الثوبة : ٣٤] وقال الزجاج : المعنى : وما أموالكم بالتي تقرّبكم ، ولا أولادكم بالذين يقرّبونكم ، فحذف اختصاراً . وقرأ أبي بن كعب ، والحسن ، وأبو الجوزاء : « باللاتي تقرّبكم » . قال الأخفش : و « زلفى » هاهنا اسم مصدر ، كأنه قال : تقرّبكم عندنا ازديلاًفاً<sup>(٢)</sup> . وقال ابن قتيبة : « زلفى » أي : قربى ومنزلة عندنا<sup>(٣)</sup> .

— ذا مال وثمر وولد ثم لم ينف عنه شيئاً ، بل سلب ذلك كله في الدنيا قبل الآخرة ، ولهذا قال عز وجل هاهنا : ( قل إن ربي ييسط الرزق لمن يشاء ويقدر ) أي : يعطي المال لمن يحب ومن لا يحب ، فيفقر من يشاء ، وبقي من يشاء ، وله الحكمة التامة البالغة ، والخبرة القاطمة الدائمة ، ( ولكن أكثر الناس لا يعلمون ) . اهـ .

(١) سبق تخريج البيت في الجزء ٣ ص ٤٢٩ ، وهو أيضاً في « الطبري » : ١٢٢/١٠ ، و « القرطبي » : ١٢٧/٨ .

(٢) في الأصل : إزلاًفاً ، وما أثبتناه من « الصحاح » و « اللسان » و « التاج » : زلف .

(٣) روى مسلم في « صحيحه » : ١٩٨٧/٤ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ

قال : « إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » .



قوله تعالى : ( إِيَّا مَنْ آمَنَ ) قال الزجاج : المعنى : ما تقرَّبُ الأموالُ  
إِيَّا مَنْ آمَنَ وعمل بها في طاعة الله ، ( فأولئك لهم جزاء الضَّعِف ) والمراد به  
هاهنا عشر حسنات ، تأويله : لهم جزاء الضَّعِف الذي قد أعلمتكم مقداره . وقال  
ابن قتيبة : لم يُردِّ فيما يرى أهلُ النظر - والله أعلم - أنهم يُجَازَوْنَ بواحدٍ مثله ،  
ولا اثنين ، ولكنه أراد جزاء التضعيف ، وهو مثل يُضَمُّ إلى مثلٍ مابلسغ ،  
وكان الضَّعِفَ الزيادةُ ، فالمعنى : لهم جزاءُ الزيادة . وقرأ سعيد بن جبير ،  
وأبو المتوكل ، ورويس ، وزيد عن يعقوب : « لهم جزاء » بالنصب والتنوين  
وكسر التنوين وصلًا « الضَّعِفُ » بالرفع . وقرأ أبو الجوزاء ، وقتادة ،  
وأبو عمران الجوني : « لهم جزاء » بالرفع والتنوين « الضَّعِفُ » بالرفع .

قوله تعالى : ( وم في النُّرُفَاتِ ) يعني [ في ] عُرَفِ الجنة ، وهي البيوت  
فوق الأبنية . وقرأ حمزة : « في النُّرُفَةِ » على التوحيد ؛ أراد اسم الجنس .  
وقرأ الحسن ، وأبو المتوكل : « في النُّرُفَاتِ » بضم النين وسكون الراء مع الألف .  
وقرأ أبو الجوزاء ، وابن يسمر : بضم النين وفتح الراء مع الألف ( آمَنُونَ ) من  
الموت والغير . وما بعد هذا قد تقدم تفسيره [ الحج : ٥١ ، الرعد : ٢٦ ] إلى قوله :  
( وما أنفقتم من شيء فهو يُخْلِفُهُ ) أي : يأتي يبدله ، يقال : أخلف الله له وعليه :  
إذا أبدل ما ذهب عنه وفي معنى الكلام أربعة أقوال .

أحدها : ما أنفقتم من غير إسراف ولا تقدير فهو يُخْلِفُهُ ، قاله سعيد بن جبير .  
والثاني : ما أنفقتم في طاعته ، فهو يخلفه في الآخرة بالأجر ، قاله السدي .  
والثالث : ما أنفقتم في الخير والبرِّ فهو يُخْلِفُهُ ، إمَّا أن يجعله في الدنيا ،  
أو يدخره لكم في الآخرة ، قاله ابن السائب .

والرابع : أن الإنسان قد يُنفق ماله في الخير ولا يرى له خلفاً أبداً؛ وإنما معنى الآية : ما كان من خلف فهو منه ، ذكره النعماني (١) .

قوله تعالى : ( وهو خير الرازقين ) لمَّا دار على الألسن أن السلطان يرزق الجند ، وفلان يرزق عياله ، أي : يعطيهم ، أخبر أنه خير الملعطين .

﴿ وَيَوْمَ نَخْشِرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَكَةِ أَهْؤُلَاءِ إِبْنَاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ . قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلَيْسَ مِنَّا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ . قَالِيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُم لِبَعْضٍ قِصَّةً وَلَا ضِرًّا وَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ . وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا فُكٌّ مُفْتَرٍ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ . وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ . وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مِثْقَالَ مَائِنَةٍ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٌ ﴾

(١) قال ابن كثير : ( وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه ) أي : منها أنفقتم من شيء فيما أمركم به وأباحه لكم ، فهو يخلفه عليكم في الدنيا بالبدل ، وفي الآخرة الجزاء والثواب . اهـ . وروى البخاري ومسلم في « صحيحهما » عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « قال الله تعالى : يا ابن آدم أتتقني أتتقني عليك » ، وروى البخاري ومسلم أيضاً في « صحيحهما » عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان ، فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكاً تلفاً » . وروى أبو يعلى ، والطبراني في « الكبير » و « الأوسط » بإسناد حسن ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « أتقن بإبلال ولا تحش من ذي العرش إقللاً » .

قوله تعالى : ( ويوم يحشرهم جميعاً ) يعني المشركين ؛ وقال مقاتل : يعني الملائكة ومن عبدها ( ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون )<sup>(١)</sup> وهذا استفهام تقرير وتوبيخ للعابدين ؛ فنزهت الملائكة ربها عن الشرك ف ( قالوا سبحانك ) أي : نزيهاً لك مما أضافوه إليك من الشركاء ( أنت ولينا من دونهم ) أي : نحن تبرأ إليك منهم ، ماتوليئناهم ولا اتخذناهم عابدين ، ولسنا نريد ولياً غيرك ( بل كانوا يعبدون الجن ) أي : يُطيعون الشياطين في عبادتهم إيانا ( أكثرهم بهم ) أي : بالشياطين ( مؤمنون ) أي : مصدقون لهم فيما يخبرونهم من الكذب أن الملائكة بنات الله ، فيقول الله تعالى : ( فاليوم ) يعني في الآخرة ( لا يملك بعضكم لبعض ) يعني العابدين والمعبودين ( قطعاً ) بالشفاعة ( ولا ضراً ) بالتمذيب ( ونقول للذين ظلموا ) فعبدوا غير الله ( فاقفوا عذاب النار ... ) الآية . ثم أخبر أنهم يكذبون محمداً والقرآن بالآية التي نلي هذه ، وتفسيرها ظاهر<sup>(٢)</sup> . ثم أخبر أنهم لم يقولوا ذلك عن يثينة ، ولم يكذبوا محمداً عن يقين ، ولم يأتهم قبله كتاب ولا نبي يخبرهم بفساد أمره ، فقال : ( وما آتيناهم من كتب يدرونها ) قال قتادة : ما أنزل الله على العرب كتاباً قبل القرآن

(١) قال ابن كثير : يخبر تعالى أنه يقرع المشركين يوم القيامة على رؤوس الخلائق فيسأل الملائكة الذين كان المشركون يزعمون أنهم يعبدون الأنداد التي هي على صورهم ليقرؤهم إلى الله زلفى ، فيقول للملائكة : ( أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ) أي : أنتم أمرتم هؤلاء بعبادتهم ، كما قال تعالى في سورة ( الفرقان ) : ( أنتم أضللت عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل ) وكما يقول ليسى عليه الصلاة والسلام : ( أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ) ، وهكذا تقول الملائكة : « سبحانك ، أي : تعاليت وقدمت أن يكون معك إله . اهـ .

(٢) وهي قوله تعالى : ( وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن بصدكم عما كان عبداً أبائكم وقالوا ما هذا إلا إفك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين ) .

ولا بعث إليهم نبياً قبل محمد ؛ وهذا محمول على الذين أنذرهم نبينا [ محمد ] ﷺ ؛  
وقد كان إسماعيل نذيراً للعرب .

ثم أخبر عن عاقبة المكذبين قبلهم غَوْفًا لهم ، فقال : ( وكذب الذين  
مِنْ قبلهم ) يعني الأمم الكافرة ( وما بلغوا معشار ما آتيناهم ) وفيه ثلاثة أقوال .  
أحدها : ما بلغ كفار مكة معشار ما آتينا الأمم التي كانت قبلهم من القوة  
والمال وطول العمر ، قاله الجمهور .

والثاني : ما بلغ الذين من قبلهم معشار ما أعطينا هؤلاء من الحجة والبرهان .  
والثالث : ما بلغ الذين من قبلهم معشار شكر ما أعطيناهم ، حكاهما الماوردي .  
والمعشار : العشر . والتكثير : اسم بمعنى الإنكار . قال الزجاج : والمعنى :  
فكيف كان تكثيري ؛ وإنما حذفت الياء ، لأنه آخر آية .

﴿ قُلْ إِنَّمَا أُعْطِكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِزْفٍ ﴾  
﴿ ثُمَّ تَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ  
بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ . قُلْ مَلَأْنَا لَكُمُ مِنْ أَجْرِ فَهُوَ لَكُمْ  
إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ . قُلْ إِنْ رَبِّي  
يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَآمُ الْفُيُوبِ . قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ  
وَمَا يُعِيدُ . قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ  
فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾

قوله تعالى : ( قُلْ إِنَّمَا أُعْطِكُمْ ) أي : أمركم وأوصيكم ( بواحدة ) وفيها  
ثلاثة أقوال .

أحدها : أنها « لا إله إلا الله » ، رواه ليث عن مجاهد .



والمنى : ما أسألكم شيئاً؛ ومثله قول القائل : مالي في هذا فقد وهبته لك ، يريد : ليس لي فيه شيء <sup>(١)</sup> .

قوله تعالى : ( قُلْ إِنْ رَبِّي يَمْحُذِفُ بِالْحَقِّ ) أي : يُلقِي الوحي إلى أنبيائه ( عَلَامُ الْغُيُوبِ ) وقرأ أبو رجاء : « عَلَامٌ » بنصب الميم .  
( قُلْ جَاءَ الْحَقُّ ) وهو الإسلام والقرآن .  
وفي المراد بالباطل ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه الشيطان ، لا يخلق أحداً ولا يمشه ، قاله قتادة <sup>(٢)</sup> .  
والثاني : أنه الأصنام ، لا تُبدى خلقاً ولا تُحيى ، قاله الضحاك . وقال أبو سليمان : لا يتبدى الصنم من عنده كلاماً فيُجاب ، ولا يرُدُّ ما جاء من الحق بحُجَّة .

والثالث : أنه الباطل الذي يُضادُّ الحق ؛ فالمنى : ذهب الباطل بمجيء الحق ، فلم تَبْقَ منه بقية يُقبل بها أو يُدبر أو يُبدى أو يعيد ، ذكره جماعة من المفسرين .

قوله تعالى : ( قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي ) أي : إثم ضلالي

(١) قال ابن جرير الطبري : يقول تعالى ذكره : قل يا محمد لقومك المكذمين الراضين عليك ما أتيتهم به من عند ربك : ما أسألكم من جعل على إنذاركم عذاب الله وتخويفكم به بأسه ، ونصيحتي لكم في أمري إياكم بالإيمان بالله والعمل بطاعته ، فهو لكم لأحاجة لي به ، قال : وإنما معنى الكلام : قل لهم : إني لم أسألكم على ذلك جملاً فتشبهوني وتظنوا أنني إنما دعوتكم إلى اتباعي لما آخذ منكم . اهـ .

(٢) قال ابن كثير : وزعم قتادة والسدي أن المراد بالباطل هاهنا : إبليس ، أي : إنه لا يخلق أحداً ولا يبيده ولا يقدر على ذلك ، قال : وهذا وإن كان حقاً ، ولكن ليس هو المراد هاهنا ، والله أعلم . اهـ .

على نفسي ، وذلك أن كُفَّار مكَّة زعموا أنه قد ضلَّ حين ترك دين آبائه (وإن اهتديت فبِيا يوحى إليَّ ربِّي) من الحكمة والبيان .

﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزَعُوا فَلَا قَوْتَ وَأَخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ .  
وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاقُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ . وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالنِّيبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ . وَحِجِلَ بَيْنَهُمْ  
وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا  
فِي شَكٍّ مَرِيبٍ ﴾

قوله تعالى : ( ولو ترى إذ فزعوا ) في زمان هذا الفزع قولان .

أحدهما : أنه حين البعث من القبور ، قاله الآكثرون .

والثاني : أنه عند ظهور المذاب في الدنيا ، رواه العوفي عن ابن عباس ، وبه قال قتادة . وقال سعيد بن جبیر : هو الجيش الذي يُخسف به بالبيداء ، يبقى منهم رجل فيخبر الناس بما لقوا <sup>(١)</sup> ، وهذا حديث مشروح في التفسير ، وأن هذا الجيش يؤم البيت الحرام لتخريبه ، فيُخسف بهم <sup>(٢)</sup> . وقال الضحاك وزيد ابن أسلم : هذه الآية فيمن قُتل يوم بدر من المشركين .

(١) والطبري : ١٠٧/٢٢ .

(٢) ذكر الطبري عند تفسير هذه الآية ١٠٧/٢٢ حديثاً طويلاً عجيباً لا يصح ، عن الجيش الذي يُخسف به ، ونسبه بتمامه : حدثنا عصام بن رواد بن الجراح ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا سفيان بن سعيد ، قال : ثنا منصور بن المعتمر ، عن ربيعي بن حيراش ، قال : سمعت حذيفة بن اليمان يقول : قال رسول الله ﷺ ، وذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب ، قال : فينهم كذلك ، إذ خرج عليهم السفياي<sup>١</sup> من الوادي البابس في قومه ذلك حتى ينزل دمشق ، فيبعث جيشين ، جيشاً إلى المشرق ، وجيشاً إلى المدينة ، حتى ينزلوا بأرض دابل ، في المدينة المأمونة ، والبقعة الحبيثة ، فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف ، ويبتفرون بها أكثر —

— من مائة امرأة ، ويقتلون بها ثلاثمائة كبش من بني الباس ، ثم يتحدرون إلى الكوفة فيخربون ماحولها ، ثم يخرجون متوجين إلى الشام ، فتخرج راية من الكوفة ، فتلتحق ذلك الجيش منها على الفتيين فيقتلونهم لا يفلت منهم مخبر ، ويستقذون مافي أيديهم من السبي والقتال ، ويحطى جيشه التالي بالمدينة فيتبهونها ثلاثة أيام وإيالها ، ثم يخرجون متوجين إلى مكة ، حتى إذا كانوا بالبدياء ، بث الله خبريل فيقول : يا جبرائيل اذهب فأيدهم ، فيضربها برجله ضربة يخسف الله بهم ، فذلك قوله في سورة ( سبأ ) : ( ولو ترى إذ فرعوا فلا فوت ... ) الآية ، ولا يفلت منهم إلا رجلان ، أحدهما بشير ، والآخر نذير ، وهما من جينة ، فلذلك جاء القول : « وعند جينة الخبر اليقين » . اهـ . قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية : وحكى ابن جرير عن بعضهم قال : إن المراد بذلك جيش يخسف بهم بين مكة والمدينة في أيام بني الباس رضي الله عنهم ، قال : ثم أورد في ذلك حديثاً موضوعاً بالكعبة ( يريد هذا الحديث ) ، قال : ثم لم يثبت على ذلك ، وهذا أمر عجيب غريب منه . اهـ . ولكن قال الطبري بعد هذه الرواية : حدثنا محمد بن خلف السقلاني ، قال : سألت رواد بن الجراح عن الحديث الذي حدث به عنه عن سفيان الثوري عن منصور عن ربي عن حذيفة عن النبي ﷺ ، عن قصة ذكرها في الفتن ، قال : فقلت له : أخبرني عن هذا الحديث ، سمعته من سفيان الثوري ؟ قال : لا ، قلت : قرأته عليه ؟ قال : لا ، قلت : قرأه عليه وأنت حاضر ؟ قال : لا ، قلت : فما قصته ؟ فما خبره ؟ قال : جاءني قوم فقالوا : معنا حديث عجيب ، أو كلام هذا معناه ، نقرؤه ونسمعه ، قلت لهم : هايتوه ، فقرؤوه علي ثم ذهبوا فحدثوا به عني ، أو كلام هذا معناه . اهـ . فهذا يدل على أن الطبري نفسه راى غريباً .

وقد روى البخاري في « صحيحه » : ٢٨٤/٤ حديث الجيش الذي يفرزون الكعبة فيخسف به : عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « يفرزون جيش الكعبة ، فإذا كانوا ببدياء من الأرض ( مكان معروف بين مكة والمدينة ) يخسف بأولهم وآخرهم » ، قالت : قلت : يا رسول الله كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم ؟ قال : « يخسف بأولهم وآخرهم ثم يمشون على نياتهم » ، ولكن لاعلاقة لهذا الحديث بتفسير هذه الآية ، ولذلك قال ابن كثير : والصحيح أن المراد بذلك ( أي بوقت الفزع ) : يوم القيامة ، وهو الطامة العظمى . اهـ .



قوله تعالى : ( فَلَاقُوا ) المني : فَلَاقُوا لَهُمْ ، أي : لَا يُعْجِبُهُمْ أَنْ يَفُوتُوا  
( وَأَخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ) فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ .

أحدها : مِنْ مَكَانِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ ، قَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ . وَالثَّانِي : مِنْ تَحْتِ  
أَقْدَامِهِمْ بِالْخُسْفِ ، قَالَ مِقَاتِلُ . وَالثَّالِثُ : مِنْ الْقُبُورِ ، قَالَ ابْنُ قَتِيبَةَ . وَأَيُّنَ كَانُوا ،  
فَهُمْ مِنَ اللَّهِ قَرِيبٌ .

قوله تعالى : ( وَقَالُوا ) : أَيُّ : حِينَ عَايَنُوا الْعَذَابَ ( آمَنَّا بِهِ ) فِي هَذِهِ الْكُتَابَةِ  
أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ .

أحدها : أَنَّهَا تَعُودُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، قَالَ بَجَاهِدُ . وَالثَّانِي : إِلَى الْبَيْتِ ،  
قَالَ الْحَسَنُ . وَالثَّالِثُ : إِلَى الرَّسُولِ ، قَالَ قَتَادَةُ ، وَالرَّابِعُ : إِلَى الْقُرْآنِ ،  
قَالَ مِقَاتِلُ .

قوله تعالى : ( وَأَنْتَى لَهُمُ التَّنَافُوسُ ) قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ ، وَنَافِعٌ ، وَابْنُ حَامِرٍ ،  
وَحَفْصٌ عَنْ عَاصِمٍ : « التَّنَافُوسُ » غَيْرُ مَهْمُوزٍ . وَقَرَأَ أَبُو عَمْرٍو ، وَجَمْزَةُ ،  
وَالْكَسَائِيُّ ، وَالْفَضْلُ عَنْ عَاصِمٍ : بِالْمَهْمُوزِ . قَالَ الْفَرَّاءُ : مَنْ هَمَزَ جَعَلَهُ مِنْ « نَاشْتٍ » ،  
وَمَنْ لَمْ يَهْمِزْ ، جَعَلَهُ مِنْ « نُشْتٍ » ، وَهِيَ مُتَقَارِبَانِ ؛ وَالْمَعْنَى : تَنَافَوتُ الشَّيْءُ ،  
بِمَنْزِلَةِ : ذِمَّتُ الشَّيْءَ وَذَامَتُهُ : إِذَا عَيَّنْتَهُ ؛ وَقَدْ تَنَافَوسَ الْقَوْمُ فِي الْقِتَالِ : إِذَا  
تَنَافَلُوا بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالرِّمَاحِ ، وَلَمْ يَتَدَانُوا كُلُّ التَّدَانِي ، وَقَدْ يَجُوزُ هَمْزُ « التَّنَافُوسِ »  
وَهِيَ مِنْ « نُشْتٍ » لِانْضِمَامِ الْوَاوِ ، مِثْلُ قَوْلِهِ : ( وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْبَتَتْ )  
[ الْمُرْسَلَاتُ : ١١ ] . وَقَالَ الزَّجَّاجُ : مِنْ هَمْزِ « التَّنَافُوسِ » فَلَا تَنْ وَالْوَاوُ التَّنَافُوسُ  
مَضْمُومَةٌ ، وَكُلُّ الْوَاوِ مَضْمُومَةٌ ضَمَّتْهَا لِأَزْمَةٍ ، إِنْ شَتَّ أَبْدَلَتْ مِنْهَا هَمْزَةً ، وَإِنْ  
شَتَّ لَمْ يَبْدَلْ ، نَحْوُ : أَدْوَرُ <sup>(١)</sup> . وَقَالَ ابْنُ قَتِيبَةَ : مَعْنَى الْآيَةِ : وَأَنْتَى لَهُمْ

(١) قَالَ فِي « الصِّحَاحِ » مَادَّةُ « دَوَّرَ » : الدَّارُ مَوْثِقَةٌ ، وَأَدْفَى الْعَدَدُ : أَدْوَرُّ ، فَالْهَمْزَةُ فِيهِ

مُبْدَلَةٌ مِنَ الْوَاوِ مَضْمُومَةِ ، وَلَكَ أَنْ لَا تَهْمِزَ .

التَّائِبِينَ لَمَّا أَرَادُوا بَلُوغَهُ وَإِدْرَاكَ مَا طَلَبُوا مِنَ التَّوْبَةِ ( من مكانٍ بَعِيدٍ ) وهو  
الموضع الذي تُقْبَلُ فيه التَّوْبَةُ . وكذلك قال المفسرون : أَتَى لَهُمُ بِنَاوِلُ الْإِيمَانِ  
والتَّوْبَةِ وَقَدْ تَرَكُوا ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا وَالدُّنْيَا قَدْ ذَهَبَتْ ؛

قوله تعالى : ( وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ ) فِي هَاءِ الْكِنَايَةِ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ قَدْ تَقَدَّمتْ فِي  
قوله : ( آمَنَّا بِهِ ) [ سبأ : ٥٤ ] . وَمَعْنَى ( مِنْ قَبْلُ ) أَي : فِي الدُّنْيَا مِنْ قَبْلِ  
مَعَايِنَةِ أَهْوَالِ الْآخِرَةِ ( وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ ) أَي : يَرْمُونُ بِالظَّنِّ ( مِنْ مَكَانٍ  
بَعِيدٍ ) وَهُوَ يُعْذِرُ عَنِ الْعِلْمِ بِمَا يَقُولُونَ .

وَفِي الْمُرَادِ بِعَقَالَتِهِمْ هَذِهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ .

أَحَدُهَا : أَنَّهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ يُرَدُّونَ إِلَى الدُّنْيَا ، قَالَهُ أَبُو صَالِحٍ عَنْ  
ابْنِ عَبَّاسٍ .

وَالثَّانِي : أَنَّهُ قَوْلُهُمْ فِي الدُّنْيَا : لَا بَيْتَ لَنَا وَلَا جَنَّةَ وَلَا نَارَ ، قَالَهُ الْحَسَنُ ، وَقَتَادَةُ .  
وَالثَّلَاثُ : أَنَّهُ قَوْلُهُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : هُوَ سَاحِرٌ ، هُوَ كَاهِنٌ ، هُوَ شَاعِرٌ ،  
قَالَهُ مُجَاهِدٌ .

قوله تعالى : ( وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ) أَي : مُنِعَ هَؤُلَاءِ الْكَافِرُ بِمَا يَشْتَهُونَ ،  
وَفِيهِ سِتَّةُ أَقْوَالٍ .

أَحَدُهَا : أَنَّهُ الرَّجُوعُ إِلَى الدُّنْيَا ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ . وَالثَّانِي : الْأَهْلُ وَالْمَالُ  
وَالْوَلَدُ ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ . وَالثَّلَاثُ : الْإِيمَانُ ، قَالَهُ الْحَسَنُ . وَالرَّابِعُ : طَاعَةُ اللَّهِ ، قَالَهُ  
قَتَادَةُ . وَالْخَامِسُ : التَّوْبَةُ <sup>(١)</sup> ، قَالَهُ السَّيِّدِي . وَالسَّادِسُ : حِيلَ بَيْنَ الْجَيْشِ الَّذِي

(١) قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ : وَهَذَا اخْتِيَارُ ابْنِ جَرِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ ، قَالَ : وَقَالَ مُجَاهِدٌ : ( وَحِيلَ بَيْنَهُمْ  
وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ) مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا مِنْ مَالٍ وَزَهْرَةٍ وَأَهْلٍ ، قَالَ : وَرَوَى نَحْوَهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ،  
وَابْنِ عَبَّاسٍ ، وَالرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، قَالَ : وَهُوَ قَوْلُ الْبُخَارِيِّ وَجَمَاعَةٍ ، ثُمَّ قَالَ : —

خرج لتخريب الكعبة وبين ذلك بأن خُسف بهم ، قاله مقاتل <sup>(١)</sup> .  
 قوله تعالى : ( كما فُعِلَ ) وقرأ ابن مسعود ، وأبي بن كعب ، وأبو عمران :  
 « كما فَعَلَ » بفتح الفاء والعين ( بأشيعهم من قَبْلُ ) قال الزجاج : أي :  
 من كان مذهبه منذهبهم <sup>(٢)</sup> . قال المفسرون : والمعنى : كما فَعَلَ بَنُطْرَانِهِمْ  
 من الكفار من قَبْلُ هؤلاء ، فانهم حِيلَ بينهم وبين ما يشتهون . وقال الضحاك :  
 هم أصحاب الفيل حين أرادوا خراب الكعبة ( لَأنَّهم كانوا في شك ) من البعث  
 ونزول العذاب بهم ( مُرِيبِ ) أي : مُوقِعٍ لِلرَّيْبِ والثَّهْمَةِ <sup>(٣)</sup> .



— والصحيح أنه لامنافاة بين القولين ، فانه قد حيلَ بينهم وبين شهواتهم في الدنيا وبين ما يطلبوه  
 في الآخرة فتمنوا منه . اهـ .

(١) هذا التأويل متعلق بما ذكر في حديث الجيش الذي يخسف به عند قوله تعالى : الى :  
 ( ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت ) وقد علمت أنه لا يصح .

(٢) قال ابن كثير : أي : كما جرى للأمم الماضية المكذبة بالرسول لما جاءهم بأس الله فتمنوا أن لو آمنوا  
 فلم يقبل منهم . اهـ .

(٣) قال ابن كثير : أي : كانوا في الدنيا في شك وريبة ، فلماذا لم يُتَقَبَّلَ منهم الايمان  
 عند معاناة العذاب ، وقال : قال قتادة : إياكم والشك والريبة ، فان من مات على شك  
 بُعث عليه ، ومن مات على يقين بعت عليه . اهـ .

## سورة فاطر

وتسمى سورة الملائكة، وهي مكتبة باجمعهم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنَحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ بَزِيدٌ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

قوله تعالى : ( الحمد لله فاطر السموات والأرض ) أي : خالقها مبتدئاً على غير مثال . قال ابن عباس : ما كنت أدري ما فاطر السموات والأرض حتى اختصم أمرأيتان في بر ، فقال أحدهما : أنا فطرتهما ، أي : ابتدأتهما (١) . قوله تعالى : ( جاعل الملائكة ) وروى الحلبي والقزاز عن عبد الوارث :

---

(١) قال ابن كثير : وقال ابن عباس رضي الله عنها أيضاً : ( فاطر السموات والأرض ) أي : بديع السموات والأرض ، قال : وقال الضحاك : كل شيء في القرآن ( فاطر السموات والأرض ) فهو خالق السموات والأرض . اهـ .

« جاعِلٌ » بالرفع والتثوين « الملائكة » بالنصب ( رُسُلًا ) يرسلهم إلى الأنبياء وإلى ما شاء من الأمور ( أولي أجنحة ) أي : أصحاب أجنحة ( مثنى وثلاث ورباع ) فبعضهم له جناحتان ، وبعضهم [ له ] ثلاثة ، وبعضهم له أربعة ، و ( يزيدُ في الخلق ما يشاء ) فيه خمسة أقوال .

أحدها : أنه زاد في خلق الملائكة الأجنحة ، رواه أبو صالح عن ابن عباس .  
والثاني : يزيد في الأجنحة ما يشاء ، رواه عبيد بن منصور عن الحسن ، وبه قال مقاتل <sup>(١)</sup> .

والثالث : أنه الخلق الحسن ، رواه عوف عن الحسن .

والرابع : أنه حُسن الصوت ، قاله الزهري ، وابن جريج .

والخامس : الملائحة في العيين ، قاله قتادة .

قوله تعالى : ( مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ ) أي : من خير ورزق .  
وقيل : أراد بها المطر ( فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ) وقرأ أبي بن كعب ، وابن أبي عمير :  
« فَلَا مُمْسِكَ لَهُ » . وفي الآية تنبيه على أنه لا إله إلا هو ، إذ لا يستطيع أحدٌ إمساك ما فتحَ وفتح ما أمسك <sup>(٢)</sup> .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتُمْ تُفَكُّونَ . وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ . يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا

(١) وفي « صحيح مسلم » عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : ( لقد رأى من آيات ربه الكبرى ) قال : رأى جبريل في صورته له ستائة جناح .

(٢) قال ابن كثير : يخبر تعالى أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وأنه لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع .

وَلَا يَغْفِرْ لَكُمْ اللَّهُ الْفَرُورُ . إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا  
إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ . الَّذِينَ كَفَرُوا  
أَسْمُ عَذَابٍ شَدِيدٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ  
وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿

قوله تعالى : ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ) قال المفسرون : الخطاب  
لأهل مكة ، و « اذكروا » بمعنى « احفظوا » ، ونعمة الله عليهم : إسكانهم الحرم  
ومنع الغارات عنهم .

( هل من خالق غير الله ) قرأ حمزة والكسائي : « غير الله » مخفض  
الراء ؛ قال أبو علي : جملة صفة على اللفظ ، وذلك حسن لإنباع الجر .  
وهذا استفهام تقرير وتوبيخ ؛ والمعنى : لا خالق سواه ( يرزقكم من السماء ) المطر  
( و ) من ( الأرض ) النبات . وما بعد هذا قد سبق بيانه [ الأنعام : ٩٥ ،  
آل عمران : ١٨٤ ، البقرة : ٢١٠ ، لقمان : ٣٣ ] إلى قوله : ( إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ )  
أي : إنه يريد هلاككم ( فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ) أي : أنزلوه من أنفسكم منزلة الأعداء ،  
وتجنبوا طاعته ( إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ ) أي : شيعته إلى الكفر ( لِيَكُونُوا مِنْ  
أَصْحَابِ السَّعِيرِ ) .

﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنْ لَمْ يَضِلُّ مِنَ  
بَشَاءِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ  
عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ . وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا  
فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ  
النُّشُورُ ﴾

قوله تعالى : ( أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ <sup>(١)</sup> ) اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال .

أحدها : أنها نزلت في أبي جهل ومشركي مكة ، قاله ابن عباس .  
والثاني : في أصحاب الأهواء والميل التي خالفت الهدى ، قاله سعيد بن جبير .  
والثالث : أنهم اليهود والنصارى والمجوس ، قاله أبو قلابة <sup>(٢)</sup> .  
فإن قيل : أين جواب « أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ » ؟  
فالجواب من وجهين ذكرهما الزجاج .

أحدهما : أن الجواب محذوف ؛ والمعنى : أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ كَمَنْ هَدَاهُ اللَّهُ ؟ ! ويدل على هذا قوله : ( فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ) .  
والثاني : أن المعنى : أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَأَضَلَّهُ اللَّهُ ذَهَبَتْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ ؟ ! ويدل على هذا قوله : ( فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ ) .

(١) قال السيوطي في « الدر » ٢٤٥/٥ : أخرج ابن جرير من طريق جويبر عن الضحاك رضي الله عنه قال : أنزلت هذه الآية ( أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً ) حيث قال النبي ﷺ : « اللهم أعز دينك بمر بن الخطاب ، أو بأبي جهل ابن هشام ، فهدى الله عمر رضي الله عنه ، وأخذ أبا جهل ، ففيها أنزلت . »

وقال في « أسباب النزول » ١٨٥ : أخرج جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال : أنزلت هذه الآية . . . فذكره بنحوه .

(٢) قال السيوطي في « الدر » ٢٤٥/٥ : أخرج ابن أبي حاتم عن أبي قلابة أنه سئل عن هذه الآية ( أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً ) : أم عملاً لنا هؤلاء الذين يصنعون ؟ قال : ليس هم ، إن هؤلاء ليس أحدهم يأتي شيئاً مما لا يحل له إلا قد عرف أن ذلك حرام عليه ، إن أتى الزنا فهو حرام ، أو قتل النفس فهو حرام ، إنما أولئك أهل الملل اليهود والنصارى والمجوس . . . الخ .

وقرأ أبو جعفر : « فلا تُذهِبْ » بضم التاء وكسر الهاء « نَفْسَكَ »  
بنصب السين .

وقال ابن عباس : لا تَقْتَمِّ ولا تُهْلِكْ نَفْسَكَ حَسْرَةً على تركهم الإيمان .  
قوله تعالى : ( فَتَثِيرُ سَحابًا ) أي : تُزَعِّجُه من مكانه ؛ وقال أبو عبيدة :  
تَجْمَعُه وتُجَيِّ به ، و « سُقْنَاه » بمعنى « نسوقه » ؛ والرب قد تضع « فَعَلْنَا »  
في موضع « تَفْعَلُ » ، وأنشدوا :  
إِنْ يَسْمَعُوا رِيْبَةً طَارُوا بِهَا قَرَحًا مِيتِي وَمَا سَمِعُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا <sup>(١)</sup>  
المعنى : يَطَيِّرُوا وَيَدْفِنُوا .

قوله تعالى : ( كَذَلِكَ النُّشُور ) وهو الحياة . وفي معنى الكلام قولان .  
أحدهما : كما أحيأ الله الأرض بعد موتها يُحيي الموتى يوم البعث . روى  
أبو رزين العقيلي ، قال : قلت : يا رسول الله : كيف يُحيي الله الموتى ؛ وما آية ذلك  
في خلقه ؛ فقال : « هل مررت ببوادي أهلِكَ مَحَلًّا ، ثم مررت به يَهْتَزُّ خَضِرًا ؟ »  
قلت : نعم ، قال : « فكذلك يُحيي الله الموتى ، وتلك آيَةُ في خلقه » <sup>(٢)</sup> .  
والثاني : كما أحيأ الله الأرض الميتة بالماء ، كذلك يُحيي الله الموتى بالماء .

(١) سبق تخريج البيت في الجزء ٣ صفحة ٢٣٥ ، وهو أيضاً في « مجاز القرآن » :

١٥٢/٢ ، و « اللسان » و « التاج » : أذن .

(٢) رواه الأمام أحمد في « المسند » : ١١/٤ من حديث حماد بن سلمة قال : أنبأنا

يعل بن عطاء عن وكيع بن خديس عن عمه أبي رزين العقيلي . قال ابن كثير : ورواه أبو داود  
وابن ماجه من حديث حماد بن سلمة به ، ثم قال : ورواه أحمد أيضاً بسند آخر قال : حدثنا  
علي بن إسحاق ، أنبأنا ابن المبارك ، أنبأ عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، عن سليمان بن موسى ،  
عن أبي رزين العقيلي . . . فذكره نحوه . والحديث أورده السيوطي في « الدر » : ٢٤٥/٥ ، وزاد  
نسبه للطائفي ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، والبيهقي في  
« الأسماء والصفات » عن أبي رزين العقيلي رضي الله عنه .



قال ابن مسعود : يرسلُ اللهُ تعالى ماءً من تحت العرشِ كمنبيّ الرجال ، قال : فتنبتُ لحماهم وجُسمانهم من ذلك الماء ، كما تنبت الأرض من الترى ، ثم قرأ هذه الآية . وقد ذكرنا في ( الأعراف : ٥٧ ) نحو هذا الشرح .

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْمِزَّةَ فَلِلَّهِ الْمِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَنْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾

قوله تعالى : ( من كان يريد المِزَّةَ ) فيه ثلاثة أقوال .

أحدها : من كان يريد المِزَّةَ بعبادة الأوثان ( فله المِزَّةُ جميعاً ) ،  
قاله مجاهد .

والثاني : من كان يريد المِزَّةَ فليتمزَّز بطاعة الله ، قاله قتادة . وقد روى أنس عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إِنَّ رَبَّكُمْ يَقُولُ كُلَّ يَوْمٍ : أَنَا الْعَزِيزُ ، فَمَنْ أَرَادَ عِزًّا لَدَا رَبَّنَا فَلْيُطِيعِ الْعَزِيزَ » (١) .

والثالث : من كان يريد عِلمَ المِزَّةِ لمن هي ، فإنها لله جميعاً ، قاله الفراء (٢) .  
قوله تعالى : ( إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ) وقرأ ابن مسعود ،  
وأبو عبد الرحمن السلمي ، والنخعي ، والجحدري ، والشيزري عن الكسائي :

(١) ذكره الطبري في « جمع البيان » بدون سند .

(٢) قال ابن جرير الطبري : والذي هو أولى الأقوال بالصواب عندي قول من قال : من كان يريد المِزَّةَ فبالله فليتمزَّز ، فله المِزَّةُ جميعاً دون كل ما دونه من الآلهة والأوثان . وقال ابن كثير : وقوله تعالى : ( من كان يريد المِزَّةَ فله المِزَّةُ جميعاً ) أي : من كان يجب أن يكون عزيزاً في الدنيا والآخرة ، فليعلم طاعة الله تعالى ، فإنه يحصل له مقصوده ، لأن الله تعالى مالك الدنيا والآخرة ، وله المِزَّةُ جميعاً . اهـ .

« يُصْعَدُ الْكَلَامُ الطَّيِّبُ » وهو توحيده وذِكْرُهُ <sup>(١)</sup> (والعملُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ)  
قال علي بن المديني : الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ : أَدَاءُ الْفَرَائِضِ  
وَاجْتِنَابُ الْحَرَامِ <sup>(٢)</sup> .

وفي هاء الكناية في قوله : « يرفعه » ثلاثة أقوال .

أحدها : أنها ترجع إلى الْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ ؛ فالمنى : وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُ  
الْكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ ، قاله ابن عباس ، والحسن ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ،  
والضحاك . وكان الحسن يقول : يُعْرَضُ الْقَوْلُ عَلَى الْفِعْلِ ، فَإِنْ وَافَقَ الْقَوْلُ الْفِعْلُ  
قُبِلَ ، وَإِنْ خَالَفَ رُدَّ .

والثاني : أنها ترجع إلى الْعَمَلِ الصَّالِحِ ، فالمنى : وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ  
الْكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ ، فهو عكس القول الأول ، وبه قال أبو صالح ، وشهر بن حوشب .  
فاذا قلنا : إِنَّ الْكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ هُوَ التَّوْحِيدُ ، كانت فائدة هذا القول أنه لَا يُقْبَلُ  
عَمَلٌ صَالِحٌ إِلَّا مِنْ مُوَحِّدٍ .

والثالث : أنها ترجع إلى اللَّهِ عز وجل ؛ فالمنى : وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ اللَّهُ  
إِلَيْهِ ، أي : يَقْبَلُهُ ، قاله قتادة .

قوله تعالى : ( وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ ) قال أبو عبيدة : يَمْكُرُونَ : يَمْحُونَ ؛  
يَكْتَسِبُونَ وَيَحْتَرِحُونَ . ثم في المشار إليهم أربعة أقوال .

(١) قال ابن كثير : وقوله : ( إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ) يعني التذكر والتلاوة والدعاء ،  
قاله غير واحد من السلف .

(٢) الذي في الطبري : عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : قوله : ( إِلَيْهِ يَصْعَدُ  
الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ) قال : الْكَلَامُ الطَّيِّبُ : ذِكْرُ اللَّهِ ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ :  
أَدَاءُ فَرَائِضِهِ ، فَمَنْ ذَكَرَ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ فِي أَدَاءِ فَرَائِضِهِ ، حَمَلَ عَلَيْهِ ذِكْرُ اللَّهِ فَصَعِدَ بِهِ  
إِلَى اللَّهِ ، وَمَنْ ذَكَرَ اللَّهَ وَلَمْ يُوَدِّ فَرَائِضَهُ ، رُدَّ كَلَامُهُ عَلَى عَمَلِهِ فَكَانَ أُولَى بِهِ . اهـ .

أحدها : أنهم الذين مكروا برسول الله ﷺ في دار الندوة ، قاله أبو العالية .

والثاني : أنهم أصحاب الرياء ، قاله مجاهد ، وشهر بن حوشب .

والثالث : أنهم الذين يعملون السيئات ، قاله قتادة ، وابن السائب .

والرابع : أنهم قاتلو الشرك ، قاله مقاتل <sup>(١)</sup> .

وفي معنى ( يَبُورُ ) قولان .

أحدهما : يَبْطُلُ ، قاله ابن قتيبة . والثاني : يَفْسُدُ ، قاله الزجاج .

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذَبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ نَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَنَسْتَخْرِجُونَ حَبْلَةً

(١) قال ابن كثير : وقوله تعالى : ( والذين يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ ) قال مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وشهر بن حوشب : هم المراءون بأعمالهم ، يعني يَمْكُرُونَ بالناس ، يوهمون أنهم في طاعة الله تعالى ، وهم بضياء إلى الله عز وجل ، يراءون بأعمالهم ( ولا يذكرون الله إلا قليلاً ) ، قال : وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : هم المشركون ، ثم قال ابن كثير : والصحيح أنها عامة ، والمشركون داخلون بطريق الأولى ، ولهذا قال تعالى : ( لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور ) أي : يفسد ويبتل ويظهر زيفهم عن قريب لأولي البصائر والنهي ، فانه ما أسره أحد سريرة إلا أبداه الله تعالى على صفحات وجهه وقللتات لسانه ، وما أسره أحد سريرة إلا كساه الله تعالى رداها ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، قال : فالرائي لا يروج أمره ويستمر إلا على غي ، أما المؤمنون المتفرسون ، فلا يروج ذلك عليهم ، بل ينكشف لهم عن قريب ، قال : وعالم الغيب لا تخفى عليه خافية . اهـ .

تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ فِيهِ مَوَازِيرَ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ . إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا سْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرْ كَيْكُمْ وَلَا يُنَبِّتُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١﴾

قوله تعالى : ( والله خلقكم من تراب ) يعني آدم ( ثم من نُطفة ) يعني نسله ( ثم جعلكم أزواجاً ) أي : أصنافاً ، ذكوراً وإناثاً ؛ قال قتادة : زوج بعضهم ببعض .

قوله تعالى : ( وما يُعَمِّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ ) أي : ما يطول عمر أحد ( ولا يُنْقِصُ ) وقرأ الحسن ، ويقوب : « يُنْقِصُ » بفتح الياء وضم القاف ( من عُمره ) في هذه الماه قولان .

أحدهما : أنها كناية عن آخر ، فالمعنى : ولا يُنْقِصُ من عمر آخر ؛ وهذا المعنى في رواية العوفي عن ابن عباس ، وبه قال مجاهد في آخرين <sup>(١)</sup> . قال الفراء : وإنما كني عنه كانه الأول ، لأن لفظ الثاني لو ظهر كان كالأول ، كانه قال : ولا يُنْقِصُ من عمر مُعَمَّرٍ ، ومثله في الكلام : عندي درهم ونصفه ؛ والمعنى : ونصف آخر .

والثاني : أنها ترجع إلى المُعَمَّر المذكور ؛ فالمعنى : ما يذهب من عمر هذا المُعَمَّر يوم أول ليلة إلا ذلك مكتوب ؛ قال سعيد بن جبير : مكتوب في أول الكتاب : عمره كذا وكذا سنة ، ثم يكتب أسفل من ذلك : ذهب يوم ،

(١) وهذا الذي اختاره ابن جرير الطبري ، وقال عنه ابن كثير : وهو كما قال .

ذهب يومان ، ذهبت ثلاثة ، إلى أن ينقطع عُمره ؛ وهذا المعنى في رواية ابن جبير عن ابن عباس ، وبه قال عكرمة وأبو مالك في آخرين <sup>(١)</sup> .

فأما الكتاب ، فهو اللوح المحفوظ .

وفي قوله ( إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ) قولان .

أحدهما : أنه يرجع إلى كتابة الآجال . والثاني : إلى زيادة العمر وتقصانه .

قوله تعالى : ( وما يستوي البحران ) يعني العذب والمِلْح ؛ وهذه الآية

وما بعدها قد سبق بيانه [ الفرقان : ٥٣ ، النحل : ١٤ ، آل عمران : ٢٧ ، الرعد : ٢ ]

إلى قوله : ( ما يَمْلِكُونَ مِنْ خِطْمِيرٍ ) قال ابن عباس : هو القِشْر الذي يكون على ظهر النّواة .

قوله تعالى : ( إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ ) لأنهم جماد ( ولو سَمِعُوا )

بأن يخلق الله لهم أسماعاً ( ما استجابوا لكم ) أي : لم يكن عندهم إجابة ( ويومَ

القيامة يكفرون بشرككم ) أي : يتبرؤون من عبادتكم ( ولا يُنَبِّئُكَ ) يا محمد

( مثلُ خير ) أي : عالم بالأشياء ، يعني نفسه عز وجل ؛ والمعنى أنه لا أُخْبِرَ

منه عز وجل بما أُخْبِرَ أنه سيكون .

(١) قال ابن كثير : وقال النسائي عند تفسير هذه الآية الكريمة : حدثنا أحمد بن يحيى

ابن أبي زيد بن سليمان ، قال : سمعت ابن وهب يقول : حدثني يونس عن ابن شهاب عن

أنس بن مالك رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ومن سرّه أن يبسط له

في رزقه ويُنْسَأَ له في أثره فليصل رحمه ، قال ابن كثير : وقد رواه البخاري ومسلم وأبو داود

من حديث يونس بن يزيد الأيلي به . اهـ .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ .  
 إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ . وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ .  
 وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ  
 مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ  
 بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ  
 وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ . وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ . وَلَا الظُّلُمَاتُ  
 وَلَا النُّورُ . وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ . وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ  
 وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ  
 فِي الْقُبُورِ . إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ . إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا  
 وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ . وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ  
 الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ  
 الْمُنِيرِ . ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٌ ﴾

( يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ) أي : المحتاجون إليه . ( واللَّهُ هُوَ  
 الْغَنِيُّ ) عن عبادتكم ( الحميد ) عند خلقه بإحسانه إليهم <sup>(١)</sup> . وما بعد هذا قد تقدم

(١) قال ابن كثير : يخبر تعالى بشأنه عما سواه ، وبافتقار المخلوقات كلها إليه وتوكلها  
 بين يديه ، فقال تعالى : ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ) أي : هم محتاجون إليه في  
 جميع الحركات والسكنات ، وهو تعالى الغني عنهم بالذات ، ولهذا قال عز وجل : ( واللَّهُ هُوَ  
 الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ) أي : هو المفرد بالتقوى وحده لا شريك له ، وهو الحميد في جميع ما يفعله ويقول  
 ويقدره ويشعره ، ثم قال في تمة الآية : وقوله تعالى : ( إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ )  
 أي : لو شاء لأذهبكم أيها الناس وأتني بقوم غيركم ، وما هذا عليه بصعب ولا متع ، ولهذا  
 قال تعالى : ( وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ) ، وقوله تعالى : ( وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ) أي يوم القيامة .

يانه [ إبراهيم : ١٩ ، الأنعام : ١٦٤ ] إلى قوله : ( وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ ) أي : نفس مُثْقَلَةٌ بالله توب ( إلى حِمْلِهَا ) الذي حملت من الخطايا ( لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ) الذي تدعوه ( ذا قُرْبَى ) ذا قرابة <sup>(١)</sup> ( إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ ) أي : يخشونه ولم يَرَوْهُ ؛ والمعنى : إِنَّمَا تَنْفَعُ بِإِنْذَارِكَ أَهْلَ الْخَشْيَةِ ، فَكَأَنَّكَ تُنذِرُهُمْ دُونَ غَيْرِهِمْ لِمَا كَانَ اخْتِصَاصُهُمْ بِالْإِتِّفَاعِ ، ( وَمَنْ تَزَكَّى ) أي : تطهر من الشِّرْكَ والفواحش ، وفعل الخير ( فَأَنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ ) أي : فصلاحه لنفسه ( وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ) فيجزى بالأعمال .

( وما يستوي الأعمى والبصير ) يعني المؤمن والمشرک ، ( ولا الظلمات ) يعني الشِّرْكَ والضَّلالات ( ولا النور ) الهدى والإيمان ، ( ولا الظليل ولا الحرور ) فيه قولان .

أحدهما : ظِلُّ اللَّيْلِ وَسَمُومُ النَّهَارِ ، قاله عطاء .  
والثاني : الظِّلُّ : الجَنَّةُ ، والحرور : النار ، قاله مجاهد . قال الفراء : الحرور بمنزلة السموم ، وهي الرياح الحارة . والحرور تكون بالنهار وبالليل ، والسموم لا تكون إلا بالنهار . وقال أبو عبيدة : الحرور تكون بالنهار مع الشمس ، وكان رؤبة يقول : الحرور بالليل ، والسموم بالنهار .

قوله تعالى : ( وما يستوي الأحياء ولا الأموات ) فيهم قولان .

أحدهما : أن الأحياء : المؤمنون ، والأموات : الكفار .

والثاني : أن الأحياء : العقلاء ، والأموات : الجهال .

(١) وذلك لقوله تعالى : ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَآخِشُوا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغْرِبْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرِبْكُمْ بِاللَّهِ الْفَرُورُ ) وقال : ( يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ . وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ . وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ . لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يَشْتَرِيهِ ) .

وفي « لا » المذكورة في هذه الآية قولان .  
أحدهما : أنها زائدة مؤكدة . والثاني : أنها نافية لاستواء أحد المذكورين مع الآخر .

قال قتادة : هذه أمثال ضربها الله تعالى للمؤمن والكافر ، يقول : كما لا تستوي هذه الأشياء ، كذلك لا يستوي الكافر والمؤمن <sup>(١)</sup> .

( إِنْ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ ) أي : يُفهم من يريد إقحامه ( وما أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ) <sup>(٢)</sup> وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي ، والحسن ، والمجدي : « بِمُسْمِعٍ مَنْ » على الإضافة ؛ يعني الكفار ، شبههم بالموتى ، ( إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ) قال بعض المفسرين : « نُسَخَ معناها بآية السيف » <sup>(٣)</sup> .

(١) قال ابن كثير : هذا مثل ضرب به الله تعالى للمؤمنين وهم الأحياء ، وللكافرين وهم الأموات ، كقوله تعالى : ( أَوْ مَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مِتَّ فَبِأَنَّ الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ) وقال عز وجل : ( مِثْلَ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَبْصِرُ وَالسَّمِيعُ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مِثْلًا ) فالمؤمن بصير سميع في نور ، يمشي على صراط مستقيم في الدنيا والآخرة حتى يستقر به الحال في الجنات ذات الظلال والعيون ، والكافر أعمى وأصم في ظلمات يمشي لاجتياز له منها ، بل هو يتيه في غيبه وضلاله في الدنيا والآخرة حتى يفضي به ذلك إلى الحرور والسُّموم والحجم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم . اهـ .

(٢) قال ابن جرير الطبري : وقوله : ( إِنْ اللَّهَ يَسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ) يقول تعالى ذكره : كما لا يقدر أن يسمع من في القبور كتاب الله فهدى بهم به إلى سبيل الرشاد ، فكذلك لا يقدر أن ينفع بمواعظ الله وبيان حججه من كان ميت القلب من إحياء عباده عن معرفة الله وفهم كتابه وتذيله وواضح حججه . اهـ .

(٣) قال ابن جرير : وقوله : ( إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : ما أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ تَنْذِرُ هَؤُلَاءِ الْمُرْكِبِينَ بِأَنَّهُ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ، وَلَمْ يُرْسِلْكَ رَبُّكَ إِلَيْهِمْ إِلَّا لَتُبَلِّغَهُمْ رِسَالَتَهُ ، وَلَمْ يَكُنْ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ مَالًا سَبِيلٌ لَكَ إِلَيْهِ ، فَأَمَّا اهْتِدَاؤُهُمْ وَقَبُولُهُمْ مِنْكَ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ بِيَدِ اللَّهِ لَا بِيَدِكَ وَلَا بِيَدِ غَيْرِكَ مِنَ النَّاسِ ، فَلَا تَذْهَبْ تَفْسِكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنْ هُمْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ . اهـ .



قوله تعالى : ( وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ) أي : ما من أمة إلا قد جاءها رسول <sup>(١)</sup> . وما بعد هذا قد سبق بيانه [ آل عمران : ١٨٤ ، الحج : ٤٤ ] إلى قوله : ( فكيف كان نكير ) <sup>(٢)</sup> أثبت فيها الباء في الحالين بمقوب ، وافقه في الوصل ورش .

﴿ أَلَمْ نَرِ أَنْ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ . وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنْهَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾

قوله تعالى : ( ومن الجبال جُدَدٌ بَيضٌ ) أي : ومما خلقنا من الجبال جُدَدٌ . قال ابن قتيبة : الجُدَدُ : الخُطوط والطرائق تكون في الجبال ، فبعضها بَيض ، وبعضها حُمْر ، وبعضها غرايبُ سودٌ ، والغرايب جمع غَرِيبٍ ، وهو الشديد السواد ، يقال : أسودُ غَرِيبٌ ، وتعام الكلام عند قوله : « كذلك » ، يقول : من الجبال مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ <sup>(٣)</sup> ، ( ومن الناس والدواب والأنعام مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كذلك ) أي : كاختلاف الثمرات . قال الفراء : وفي الكلام تقديم وتأخير ، تقديره : وسودُ غرايب ، لأنه يقال : أسودُ غَرِيبٌ ،

(١) قال ابن كثير : أي : وما من أمة خلت من بني آدم إلا وقد بعث الله تعالى إليهم النذر ، وأزاح عنهم الملل ، كما قال تعالى : ( إِنْهَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ) وكما قال تعالى : ( ولقد بعنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة . . . ) الآية ، قال : والآيات في هذا كثيرة . اهـ .

(٢) قال ابن جرير الطبري : فكيف كان نكير : فانظر يا محمد كيف كان تشييري بهم ،

وحلول عقوبيتي بهم .

(٣) في « غريب القرآن » : أَلْوَانُهَا .

وقلما يقال : غريب أسود . وقال الزجاج : المعنى : ومن الجبال غرايبُ سود ، وهي ذوات الصخر الأسود . وقال ابن دريد : الغريب : الأسود ، أحسب أن اشتقاقه من الغراب .

وللمفسرين في المراد بالغرايب ثلاثة أقوال .

أحدها : الطرائق السود ، قاله ابن عباس . والثاني : الأودية السود ، قاله قتادة . والثالث : الجبال السود ، قاله السدي .

ثم ابتداء فقال : ( إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ) يعني العلماء بالله عز وجل . قال ابن عباس : يريد : إِنَّمَا يَخَافُنِي مَنْ خَلَقِي مِنْ عِلْمِ جَهَنِّي وَعِزِّي وَسُلْطَانِي <sup>(١)</sup> . وقال مجاهد والشبي : العالم من خاف الله . وقال الربيع ابن أنس : من لم يخش الله فليس بعالم .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ . وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾

قوله تعالى : ( إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ ) يعني قُرَّاء القرآن ، فأنى عليهم بقراءة القرآن ؛ وكان مطرّف يقول : هذه آية القُرَّاء .

وفي قوله : ( يَتْلُونَ ) قولان . أحدهما : يقرؤون . والثاني : يتنبهون .

(١) قال ابن كثير : أي : إِنَّمَا يَخْشَاهُ حَقَّ خَشْيَتِهِ الْعُلَمَاءُ الْعَارِفُونَ بِهِ ، لأنه كلما كانت المعرفة للمعظم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى ، كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل ، كانت الخشية له أعظم وأكثر . اهـ .

قال أبو عبيدة : ( وأقاموا الصلاة ) بمعنى ويقيمون ، وهو إدامتها لمواقيتها وحدودها .

قوله تعالى : ( بَرِّجُونْ تَجَارَةً ) قال الفراء : هذا جواب قوله : ( إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ ) . قال المفسرون : والمعنى : يرجون بفعلهم هذا تجارة لن تفسد ولن تهلك ولن تكسد ( لِيُؤَفِّيَهُمْ أَجُورَهُمْ ) أي : جزاء أعمالهم ( ويزيدهم من فضله ) قال ابن عباس : سوى الثواب ما لم تر عين ولم تسمع أذن .

فأما الشكور ، فقال الخطابي : هو الذي يشكر اليسير من الطاعة ، فيُثيب عليه الكثير من الثواب ، ويُعطي الجزيل من النعمة ، ويرضى باليسير من الشكر ؛ ومعنى الشكر المضاف إليه : الرضى يسير الطاعة من العبد ، والقبول له ، وإعظام الثواب عليه ؛ وقد يحتمل أن يكون معنى الثناء على الله بالشكور ترغيب الخلق في الطاعة قلت أو كثرت ، لثلاث يستقلُّوا القليل من العمل ، ولا يتركوا اليسير منه .

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ . جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾

قوله تعالى : ( ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ ) في « ثُمَّ » وجهان ؛ أحدهما : أنها بمعنى الواو ، والثاني : أنها للترتيب . والمعنى : أنزلنا الكتب المتقدمة ، ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ ( الذين اصْطَفَيْنَا ) وفيهم قولان .

أحدهما : أنهم أمة محمد ﷺ ، قاله ابن عباس .

والثاني : أنهم الأنبياء وأتباعهم ، قاله الحسن .

## وفي الكتاب قولان .

أحدهما : أنه اسم جنس ، والمراد به الكتب التي أنزلها الله عز وجل ، وهذا يخرج على القولين . فان قلنا : الذين اصطفوا أمة محمد ، فقد قال ابن عباس : إن الله أورث أمة محمد ﷺ كل كتاب أنزله . وقال ابن جرير الطبري : ومعنى ذلك : أورثهم الإيمان بالكتب كلها - وجميع الكتب تأمر باتباع القرآن - فهم مؤمنون بها عاملون بعقائدها ؛ واستدل على صحة هذا القول بأن الله تعالى قال في الآية التي قبل هذه : ( والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق ) وأتبعه بقوله : ( ثم أورثنا الكتاب ) فعلمنا أنهم أمة محمد ، إذ كان معنى الميراث : انتقال شيء من قوم إلى قوم ، ولم تكن أمة على عهد نبينا انتقل إليهم كتاب من قوم كانوا قبلهم غير أمته . فان قلنا : هم الأنبياء وأتباعهم ، كان المعنى : أورثنا كل كتاب أنزل على نبي ذلك النبي وأتباعه .

والقول الثاني : أن المراد بالكتاب القرآن <sup>(١)</sup> .

وفي معنى « أورثنا » قولان .

أحدهما : أعطينا ، لأن الميراث عطاء ، قاله مجاهد .

والثاني : أخرنا ، ومنه الميراث ، لأنه تأخر عن الميت ؛ فالمعنى : أخرنا القرآن عن الأمم السالفة وأعطيناه هذه الأمة ، إكراماً لها ، ذكره بعض أهل المعاني .

فوله تعالى : ( فمنهم ظالم لنفسه ) فيه أربعة أقوال .

(١) قال ابن كثير في قوله تعالى : ( ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ) يقول تعالى : ثم جعلنا القاعين بالكتاب العظيم المصدق لما بين يديه من الكتب ، الذين اصطفينا من عبادنا ، ومن هذه الأمة . اهـ .

أحدها : أنه صاحب الصغار ؛ روى عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ أنه قال : « سابقنا سابق ، ومقتصدنا ناجح ، وظالمنا منفور له »<sup>(١)</sup> . وروى أبو سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ في هذه الآية ، قال : « كلهم في الجنة »<sup>(٢)</sup> . والثاني : أنه الذي مات على كبيرة ولم يتب منها ، رواه عطاء عن ابن عباس . والثالث : أنه الكافر ، رواه عمرو بن دينار عن ابن عباس ، وقد رواه ابن عمر مرفوعاً إلى النبي ﷺ<sup>(٣)</sup> . فلي هذا يكون الاصطفاء لجملة من أنزل عليه الكتاب ، كما قال : ( وإِنَّهٗ لَدِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ) [ الزخرف : ٤٤ ] أي : لشرف لكم ، ولكم من مُكْرَم لم يقبل الكرامة ! والرابع : أنه المنافق ، حكى عن الحسن<sup>(٤)</sup> . وقد روي عن الحسن أنه

(١) قال الحافظ ابن حجر في « تخريج الكشاف » ، ١٣٩ : رواه سعيد بن منصور عن فرج بن فضالة عن أزهر بن عبد الله الحارزي عن سمع عمر ، فذكره موقوفاً . وذكره السيوطي في « الدر » من رواية سعيد بن منصور ، وزاد نسبه لابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، والبيهقي في « البعث » عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه موقوفاً ، ولم يشب في المرفوع .

(٢) رواه الامام أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه بلفظ : « هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة » ، وكلهم في الجنة . قال ابن كثير : هذا حديث غريب ، وفي إسناده من لم يسم ، ثم قال : ومعنى قوله : « بمنزلة واحدة » أي : في أنهم من هذه الأمة وأنهم من أهل الجنة وإن كان بينهم فرق في المنازل في الجنة . اهـ . والحديث قد رواه ابن جرير الطبري بنحو حديث أحمد ، وللحديث شواهد يشد بعضها بعضاً . ورواه بنحو الترمذي وقال : هذا حديث غريب حسن ، وقد أورده السيوطي في « الدر » ٢٥١/٥ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وزاد نسبه للطائلي ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، والبيهقي .

(٣) ذكره السيوطي في « الدر » : ٢٥٢/٥ من رواية ابن مردويه عن عمر مرفوعاً ، والله أعلم .

(٤) قال ابن كثير : والصحيح أن الظالم لنفسه ، من هذه الأمة ، وهو اختيار ابن جرير كما هو ظاهر الآية ، وكما جاءت به الأحاديث عن رسول الله ﷺ من طرق يشد بعضها بعضاً . اهـ . يريد بذلك أمثال حديث أبي سعيد الخدري وغيره .

قال : الظالم : الذي ترجح سيئاته على حسناته ، والمقتصد : الذي قد استوت حسناته وسيئاته ، والسابق : من رجحت حسناته . وروى عن عثمان بن عفان أنه تلا هذه الآية ، فقال : سابقنا أهل جهادنا ، ومقتصدنا أهل حضرننا ، وظالمنا أهل بدونا <sup>(١)</sup> .

قوله تعالى : ( ومنهم سابق ) وقرأ أبو التوكل ، والجحدري ، وابن السميع : « سَبَّاقٌ » مثل : فَمَسَّال ( بالخيرات ) أي : بالأعمال الصالحة إلى الجنة ، أو إلى الرحمة ( بأذن الله ) أي : بإرادته وأمره ( ذلك هو الفضل الكبير ) يعني لإبراهيم الكتاب <sup>(٢)</sup> .

ثم أخبر بثوابهم ، فجعلهم في دخول الجنة فقال : ( جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا ) <sup>(٣)</sup> قرأ أبو عمرو وحده : « يَدْخُلُونَهَا » بضم الياء ؛ وقتحها الباقون ، وقرأ نافع ، وأبو بكر عن عاصم : ( وَلَوْثُؤَا ) بالنصب . وروى

(١) ذكره السيوطي في « الدر » : ٢٥٢/٥ من رواية سعيد بن منصور ، وابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه موقوفاً .

(٢) قال ابن جرير الطبري : وقوله : ( ذلك هو الفضل الكبير ) يقول تعالى ذكره : سُبُّوق هذا السابق من سبقه بالخيرات بأذن الله ، هو الفضل الكبير الذي فضل به من كان مقصراً عن منزلته في طاعة الله من المقتصد والظالم لنفسه . اهـ .

(٣) قال ابن كثير : يخبر تعالى أن هؤلاء المصطفين من عباده الذين أوردوا الكتاب المنزل من رب العالمين يوم القيامة ، مأوام جنات عدن ، أي : جنات الاقامة يدخلونها يوم مصادم وقدومهم على الله عز وجل ( يَدْخُلُونَهَا ) من أساور من ذهب ولؤلؤاً ) كائنت في « الصحيح » عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الضوء » ( ولباسهم فيها حرير ) ولهذا كان محظوراً عليهم في الدنيا ، فأباحه الله تعالى لهم في الآخرة ، وثبت في « الصحيح » أن رسول الله ﷺ قال : « من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة » وقال : « هي لهم في الدنيا ولكم في الآخرة » . اهـ .

أبو بكر عن عاصم أنه كان يهز الواو الثانية ولا يهز الأولى ؛ وفي رواية أخرى أنه كان يهز الأولى ولا يهز الثانية . والآية مفسرة في سورة ( الحج : ٢٣ ) . قال كعب : تحاكت منا كبهم ورب الكعبة ، ثم أعطوا الفضل بأعمالهم .

﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ . الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَنَمَسَّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُثُوبٌ . وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ . وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا تَذَكَّرُوا فِيهِ مِنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا قَوْلَ الظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ . إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ . هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا رِيبًا إِنَّهُمْ إِذَا مَاتُوا لَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴾

ثم أخبر عا يقولون عند دخولها ، وهو قوله : ( الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ) الحزن والحزن واحد ، كالبخل والبخل .

وفي المراد بهذا الحزن خمسة أقوال . أحدها : أنه الحزن لطول المقام في المحشر . روى أبو الدرداء عن رسول الله ﷺ أنه قال : « أمّا السابق ، فيدخل الجنة بغير حساب ، وأمّا المقتصد ، فيحاسب حساباً يسيراً ، وأمّا الظالم لنفسه ، فإنه حزين في ذلك المقام » ، فهو الحزن والنعم ، وذلك قوله تعالى : « الحمد لله الذي

أذهب عنا الحزن » <sup>(١)</sup> .

والثاني : أنه الجوع ، رواه أبو الدرداء أيضاً عن رسول الله ﷺ ، [ ولا يصح ] ،  
وبه قال شمر بن عطية <sup>(٢)</sup> . وفي لفظ عن شمر أنه قال : الحزن : همُّ الحُبْزِ <sup>(٣)</sup> ،  
وكذلك روي عن سعيد بن جبير أنه قال : الحزن : همُّ الحُبْزِ في الدنيا .

والثالث : أنه حزن النار ، رواه أبو الجوزاء عن ابن عباس <sup>(٤)</sup> .

والرابع : حزنهم في الدنيا على ذُنُوب سلفت منهم ، رواه عكرمة عن  
ابن عباس <sup>(٥)</sup> .

والخامس : حزن الموت ، قاله عطية <sup>(٦)</sup> .

والآية عامة في هذه الأقوال وغيرها <sup>(٧)</sup> ، ومن القبيح تخصيص هذا  
الحزن بالحُبْز وما يشبهه ، وإنما حزنوا على ذُنُوبهم وما يوجب الخوف .

(١) رواه أحمد في « المسند » ، وذكره السيوطي في « الدر » : ٢٥١/٥ ، وزاد نسبه  
للقرطبي ، وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والطبراني ، والحاكم ،  
 وابن مردويه ، والبيهقي عن أبي الدرداء رضي الله عنه .

(٢) لم ز الحزن بمعنى الجوع عن أبي الدرداء مرفوعاً ولا موقوفاً عليه ، وإنما ذكره السيوطي  
في « الدر » : ٢٥٣/٥ من رواية ابن أبي حاتم عن شمر بن عطية من قوله .

(٣) ذكره الطبري : ١٣٨/٢٢ .

(٤) « الطبري » : ١٣٨/٢٢ ، وذكره السيوطي في « الدر » : ٢٥٣/٥ ، وزاد نسبه

لسيد بن حميد ، وابن أبي حاتم ، والحاكم وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٥) ذكره السيوطي في « الدر » : ٢٥٣/٥ من رواية عبد بن حميد ، وابن المنذر ،

وابن أبي حاتم ، عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٦) « الطبري » : ١٣٨/٢٢ .

(٧) قال ابن جرير الطبري : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذكره

أخبر عن هؤلاء القوم الذين أسكزهم بما أكرمهم به ، أنهم قالوا حين دخلوا الجنة : —



قوله تعالى : ( الذي أحلّنا ) أي : أنزلنا ( دارَ المُقامة ) قال الفراء : المُقامة

هي الإقامة ، والمقامة : المجلس ، بالفتح لا غير ، قال الشاعر :

يَوْمَانِ يَوْمٌ مَقَامَاتٍ وَأُنْدِيَةٌ وَيَوْمٌ سَيْرٍ إِلَى الْأَعْدَاءِ نَأْوِيبٌ <sup>(١)</sup>

قوله تعالى : ( مِن فَضْلِهِ ) قال الزجاج : أي : بتفضله ، لا بأعمالنا . والنَّصَبُ :

التَّعَب . والشُّوب : الإعياء من التعب . ومعنى « لَعُوب » : شيء يُلَغِب ؛ أي : لا تكلف شيئاً تُنمّتي منه .

قوله تعالى : ( لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا ) أي : لا يهلكون فيستريحوا ممّا

هُمْ فِيهِ <sup>(٢)</sup> ، ومثله : ( فَوَكَّزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ) [ القصص : ٥١ ] .

— ( الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ) قال : وخوف دخول النار من الحزن ، والجزع من الموت من الحزن ، والجزع من الحاجة إلى المطعم من الحزن ، ولم يخص الله إذ أخبر عنهم أنهم حدوده على إذهابه الحزن عنهم نوعاً دون نوع ، بل أخبر عنهم أنهم عمّوا جميع أنواع الحزن بقولهم ذلك ، وكذلك ذلك ، لأن من دخل الجنة فلا حزن عليه بعد ذلك ، فعصدهم على إذهابه عنهم جميع معاني الحزن . اهـ .

(١) البيت لسلامة بن جندل كما في « مجاز القرآن » : ١٠/٢ ، و « الطبري » : ١٤٠/٢٢ ،

و « اللسان » و « التاج » : أوب .

(٢) قال ابن كثير : لما ذكر تبارك وتعالى حال السعداء ، شرع في بيان مآل الأشقياء فقال :

( والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ) كما قال تعالى : ( لا يموت فيها ولا يحيى )

قال : وثبت في « صحيح مسلم » أن رسول الله ﷺ قال : « أما أهل النار الذين هم أهلها

فلا يموتون فيها ولا يحيون » وقال عز وجل : ( ونادوا يا مالك ليقتلنا ربك قال إنكم ما تكونون )

فهم في حالهم ذلك يرون موتهم راحة لهم ، ولكن لا سبيل إلى ذلك ، قال الله تعالى :

( لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها ) كما قال عز وجل : ( إن المجرمين في

عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مُبْلِسُونَ ) وقال جل وعلا : ( كلما خبت زدناهم سميراً )

( فذوقوا قلن زبدكم إلا عذاباً ) ، ثم قال تعالى : ( كذلك نجزي كل كفور ) أي : هذا

جزاء كل من كفر بربه وكذب الحق . اهـ .

قوله تعالى : ( كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ) وقرأ أبو عمرو : « يُجْزَى »  
بالياء « كُلُّ » برفع اللام . وقرأ الباقون : « نَجْزِي » بالنون « كُلُّ »  
بنصب اللام .

قوله تعالى : ( وَنَمِصْطَرِخُونَ فِيهَا ) وهو افتعال من الصراخ : والمعنى :  
يستغيثون ، فيقولون : ( رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا ) أي : نوحِدْكَ وَنُطِيعَكَ  
( غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ) من الشرك والمعاصي ؛ فوبَّخهم الله تعالى بقوله :  
( أَوَلَمْ نُنَمِّرْكُمْ ) قال أبو عبيدة : معناه التقرير ، وليس باستفهام ؛ والمعنى : أَوَلَمْ  
نَمِمِّرْكُمْ عُمُرًا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ ۚ ۱ .

وفي مقدار هذا التعبير أربعة أقوال .

أحدها : أنه سبعون سنة ، قال ابن عمر : هذه الآية تميم لأبناء السبعين .  
والثاني : أربعون سنة .

والثالث : ستون سنة ، رواها مجاهد عن ابن عباس <sup>(١)</sup> ، وبالأول منها قال  
الحسن ، وابن السائب .

والرابع : ثمانين سنة ، قاله عطاء ، ووهب بن منبّه ، وأبو العالية ، وقتادة .  
قوله تعالى : ( وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ ) فيه أربعة أقوال .

أحدها : أنه الشيب ، قاله ابن عمر ، وعكرمة ، وسفيان بن عيينة ؛ والمعنى :  
أَوَلَمْ نَمِمِّرْكُمْ حَتَّى شَبَبْتُمْ ۚ ۱ . والثاني : النبي ﷺ ، قاله قتادة ، وابن زيد ،

(١) روى البخاري في « صحيحه » عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « أعذر الله عز وجل  
إلى امرئٍ أَخَّرَ عمره حتى بلغ ستين سنة » ورواه أحمد وغيره ، ولما كان هذا هو الممر  
الذي يضر الله تعالى إلى عباده به ويزيح به عنهم الملل ، كان هو الغالب على أعمار هذه الأمة .  
وقد ثبت في « الصحيح » أن رسول الله ﷺ عاش ثلاثاً وستين سنة .

وابن السائب ، ومقاتل <sup>(١)</sup> . والثالث : موت الأهل والأقارب . والرابع . الحنّى ، ذكرها الموردي .

قوله تعالى : ( فذُوقُوا ) يعني : العذاب ( فالظالمين من نصير ) أي : من مانع يمنع عنهم . وما بعد هذا قد تقدم بيانه [ المائدة : ٧ ] إلى قوله : ( خلائف في الأرض ) وهي الأمة التي خلفت من قبلها ورأت فيمن تقدمها ما ينبغي أن تعتبر به ( فن كفر فعليه كفره ) أي : جزاء كفره <sup>(٢)</sup> .

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَتٍ مِنْهُ بَلْ إِنَّهُمْ يَعْبُدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا . إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أُمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾

قوله تعالى : ( أَرَأَيْتُمْ شركاءكم ) المعنى : أخبروني عن الذين عبدتم من دون الله واتخذتموهم شركاء بزعيمكم ، بأي شيء أوجبتم لهم الشركة في العبادة ؟ أبشئ

(١) وروى الطبري قال : قال ابن زيد في قوله : ( وجاءكم النذير ) قال : النذير : النبي . وقرأ : ( هذا نذير من النذر الأولى ) ، قال ابن كثير : وهذا هو الصحيح عن قتادة فيما رواه شيبان عنه أنه قال : احتج عليهم بالعمر والرسول ، قال : وهذا اختيار ابن جرير ، وهو الأظهر ، لقوله تعالى : ( ونادوا يمالك ليقتل علينا ربك قال إنكم ماكثون . لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون ) أي : لقد بينا لكم الحق على السنة الرسول فأبستم وخالفتم . اهـ .

(٢) قال ابن كثير في تمة الآية : ( ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا مقاً ) أي : كلما استمروا على كفرهم أبغضهم الله تعالى ، وكلما استمروا فيه خسروا أنفسهم وأهلبيهم يوم القيامة ، بخلاف المؤمنين ، فانهم كلما طال عمر أحدهم وحسن عمله ارتفعت درجته ومزنته في الجنة وزاد أجره وأجبه خالقه وبارئته رب العالمين . اهـ .

خلقوه من الأرض ، أم شاركوها خالق السموات في خلقها ؟ ثم عاد إلى الكفار فقال : ( أم آتينام كتاباً ) يأمرهم بما يفعلون ( فهم على بينة منه ) ؟ قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وحمة ، وحفص عن عاصم : « على بينة » على التوحيد . وقرأ نافع ، وابن عامر ، والكسائي ، وأبو بكر عن عاصم : « بينات » جمعاً . والمراد : البيان بأن مع الله شريكاً <sup>(١)</sup> ( بل إن يبعد الظالمون ) يعني المشركين يبعد ( بعضهم بعضاً ) أن الأصنام تشفع لهم ، وأنه لا حساب عليهم ولا عقاب . وقال مقاتل : ما يبعد الشيطان الكفار من شفاعة الآلهة إلا باطلاً . قوله تعالى : ( إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ) أي : ينعما من الزوال والذهاب والوقوع . قال الفراء : ( ولئن ) بمعنى « ولو » ، و « إن » بمعنى « ما » ، فالتقدير : ولو زالتا ما أمسكها من أحد . وقال الزجاج : لما قالت النصارى : المسيح ابن الله ، وقالت اليهود : عزيز ابن الله ، كادت السموات تنفطرن والجبال أن تزول والأرض أن تنشق ، فأمسكها الله عز وجل ؛ وإنا واحد « الأرض » مع جمع « السموات » ، لأن الأرض تدل على الأرضين . ( ولئن زالتا ) تحتمل وجهين . أحدهما : زوالهما يوم القيامة . والثاني : أن يقال تقدير : وإن لم تزولا ، وهذا مكان يدل على القدرة ، غير أنه ذكر الحليم فيه ، لأنه لما أمسكها

(١) أي : الاتيان بينة تدل بأن مع الله شريكاً ، قال الآلوسي : وهو ضرب من التهكم . قال ابن جرير الطبري : ( أم آتينام كتاباً فهم على بينة منه ) ؟ يقول : أم آتيناه هؤلاء المشركين كتاباً أنزلناه عليهم من السماء بأن يشركوا بالله الأوثان والأصنام « فهم على بينة منه » ، فهم على برهان بما أمرتهم فيه من الإشراف بي ؟ وقال ابن كثير : وقوله : ( أم آتينام كتاباً فهم على بينة منه ) ؟ أي : أم أنزلنا عليهم كتاباً بما يقولونه من الشرك والكفر ؟ ليس الأمر كذلك ( بل إن يبد الظالمون بعضهم بعضاً إلا غروراً ) أي : بل إنما اتبعوا في ذلك أهواءهم وآراءهم وأمانهم التي تمسوها لأنفسهم ، وهي غرور وباطل وزور . اهـ . وقال الآلوسي : والمعنى أن عبادة هؤلاء إما بالقل ، ولا عقل بحكم بصحة عبادة من لا يخلق جزءاً ما من الأرض دلالة شرك في السماء ، وإما بالنقل ، ولم تؤت المشركين كتاباً فيه الأمر بعبادة هؤلاء . اهـ .

عند قولهم : ( اتخذ الرحمن ولداً ) [ مريم : ٨٨ ] ، حَلُمَ فلم يُعَجِّلْ لهم العقوبة <sup>(١)</sup>  
 ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ  
 أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا .  
 اسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ  
 إِلَّا بِأَهْلِهِ قُلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا لَسُنَّتِ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ  
 تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾

قوله تعالى : ( وأقسموا بالله جهد أيمانهم ) يعني كفار مكة حلفوا بالله قبل  
 إرسال محمد ﷺ ( لئن جاءهم نذير ) أي : رسول ( لَيَكُونُنَّ أَهْدَى ) أي :  
 أضلَّ ودينا ( من إحدى الأمم ) يعني : اليهود والنصارى والصابئين ( فلما  
 جاءهم نذير ) وهو محمد ﷺ ( ما زادهم ) بجيشه ( إلا نُفُورًا ) أي : تباعدًا عن  
 الهدى ، ( استكباراً في الأرض ) أي : عتواً على الله وتكبراً عن الإيمان به <sup>(٢)</sup> .  
 قال الأخفش : نصب « استكباراً » على البدل من النفور . قال الفراء : المعنى :

(١) قال ابن كثير : ثم أخبر تعالى عن قدرته العظيمة التي بها تقوم السماء والأرض عن  
 أمره وما جعل فيها من القوة الماسكة لها فقال : ( إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا )  
 أي : أن تضطربا عن أماكنها ، كما قال عز وجل : ( ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بأذنه )  
 وقال تعالى : ( ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ) ( ولئن زلنا لئن أمسكنا من أحد  
 من بعده ) أي : لا يقدر على دوامها وإبقائها إلا هو ، وهو مع ذلك حلیم غفور ، أي :  
 يرى عباده وهم يكفرون به ويمصونه وهو يحلُم فيؤخر ويُنظِر ، ويؤجل ولا يسجل ، ويستتر  
 آخرين ويغفر ، ولهذا قال تعالى : ( إنه كان حلماً غفوراً ) . اهـ .

(٢) قال ابن كثير : ( استكباراً في الأرض ) أي : استكبروا عن اتباع آيات الله  
 ( ومكر السيئ ) أي : ومكروا بالناس في صدم إيمان عن سبيل الله ( ولا يحيق المكر السيئ  
 إلا بأهله ) أي : وما يمود وبأل ذلك إلا عليهم أنفسهم دون غيرهم . اهـ .

زاد المير ٦ م (٣٢)

فعلوا ذلك استكباراً ( ومَكْرَ السَّيِّءِ ) ، فأضيف المكر إلى السَّيِّءِ ، كقوله :  
 ( وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ) [ الحاقة : ٥١ ] ، وتصديقه في قراءة عبد الله : « ومَكْرًا  
 سَيِّئًا » ، والهمزة في « السَّيِّءِ » مخفوضة ، وقد جزمها الأعمش وحمة ، لكثرة  
 الحركات ؛ قال الزجاج : وهذا عند النحويين الحُذَاقُ الحُنَّ ، وإتسايموز في  
 الشعر اضطراراً . وقال أبو جعفر النحاس : كان الأعمش يقف على « مَكْرَ  
 السَّيِّءِ » فيترك الحركة ، وهو وقف حسنٌ تامٌ ، فنلِط الراوي ؛ فروى أنه  
 كان يَحْذِفُ الإعراب في الوصل ، فتابع حمزة الناط ، فقرأ في الإدراج بترك  
 الحركة (١) .

وللمفسرين في المراد بـ « مكر السَّيِّءِ » قولان .  
 أحدهما : أنه الشِّرْكُ (٢) . قال ابن عباس : عاقبة الشِّرْكِ لا تحُلُّ إلا بمن أشرك .  
 والثاني : أنه المكر برسول الله ﷺ ، حكاه الماوردي (٣) .  
 قوله تعالى : ( فَبَلِّغْ رِسَالَتِي لِقَوْمٍ لَا يَنْظُرُونَ ) أي : ينتظرون ( إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ )  
 أي : إِلَّا أَنْ يَنْزَلَ الْعَذَابُ بِهِمْ كَمَا نَزَلَ بِالْأُمَمِ الْمَكْذِبَةِ قَبْلَهُمْ ( فَلَنْ تَجِدَ  
 لِسُنَّةِ اللَّهِ ) في العذاب ( تَبْدِيلًا ) وَإِنْ تَأَخَّرَ ( وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا )  
 أي : لا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَحْوِلَ الْعَذَابَ عَنْهُمْ إِلَى غَيْرِهِ .

﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ  
 مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ ﴾

(١) قال ابن جرير الطبري : والصواب من القراءة ما عليه قراء الأمصار من تحريك  
 الهمزة فيه إلى الخفض ، وغير جائز في القرآن أن يُقرأ بكل ما جاز في العربية ، لأن القراءة  
 إنما هي ما قرأت به الأئمة الماضية وجاء به السلف على النحو الذي أخذوا عن قبلهم . اهـ .  
 (٢) ذكره الطبري عن قتادة .

(٣) قال الآكوسي : هو الخداع الذي يرومونه رسول الله ﷺ والكيد له .

فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا . وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ  
النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكُوا عَلَى ظُهُرِهِمْ دَابَّةً وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ  
إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا \*  
قوله تعالى : ( ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ) هذا عام ، وبعضهم  
يقول : أراد بالناس المشركين . والمعنى : لو واخذهم بأفعالهم لمجّل لهم العقوبة <sup>(١)</sup> .  
وقد شرحنا هذه الآية في ( النحل : ٦١ ) . وما أخلنا به فقد سبق يانه  
[ يوسف : ١٠٩ ، الروم : ٩ ، الأعراف : ٣٤ ، النحل : ٦١ ] .  
قوله تعالى : ( فإن الله كان بعباده بصيراً ) قال ابن جرير : بصيراً بمن  
يستحق العقوبة ومن يستوجب الكرامة <sup>(٢)</sup> .

تم - بعون الله تعالى وتوفيقه - الجزء السادس من كتاب

« زاد المسير في علم التفسير » للإمام ابن الجوزي

وبليه الجزء السابع ، وأوله

تفسير سورة « يس »

★ ★ ★

(١) قال ابن كثير : ولكن ينظروا إلى يوم القيامة فيحاسبهم يومئذ ، ويوفي كل عامل بعمله ،  
فيجازي بالثواب أهل الطاعة ، وبالعقاب أهل المعصية . اهـ .

(٢) ونص كلام ابن جرير بتمامه : وقوله : ( فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيراً )  
يقول تعالى ذكره : فإذا جاء أجل عقابهم ، فإن الله كان بعباده بصيراً من الذي يستحق  
أن يعاقب منهم ، ومن الذي يستوجب الكرامة ، ومن الذي كان منهم في الدنيا له مطيعاً ،  
ومن كان فيها به مشركاً ، لا يخفى عليه أحد منهم ، ولا يهرب عنه علم شيء من أمرهم . اهـ .